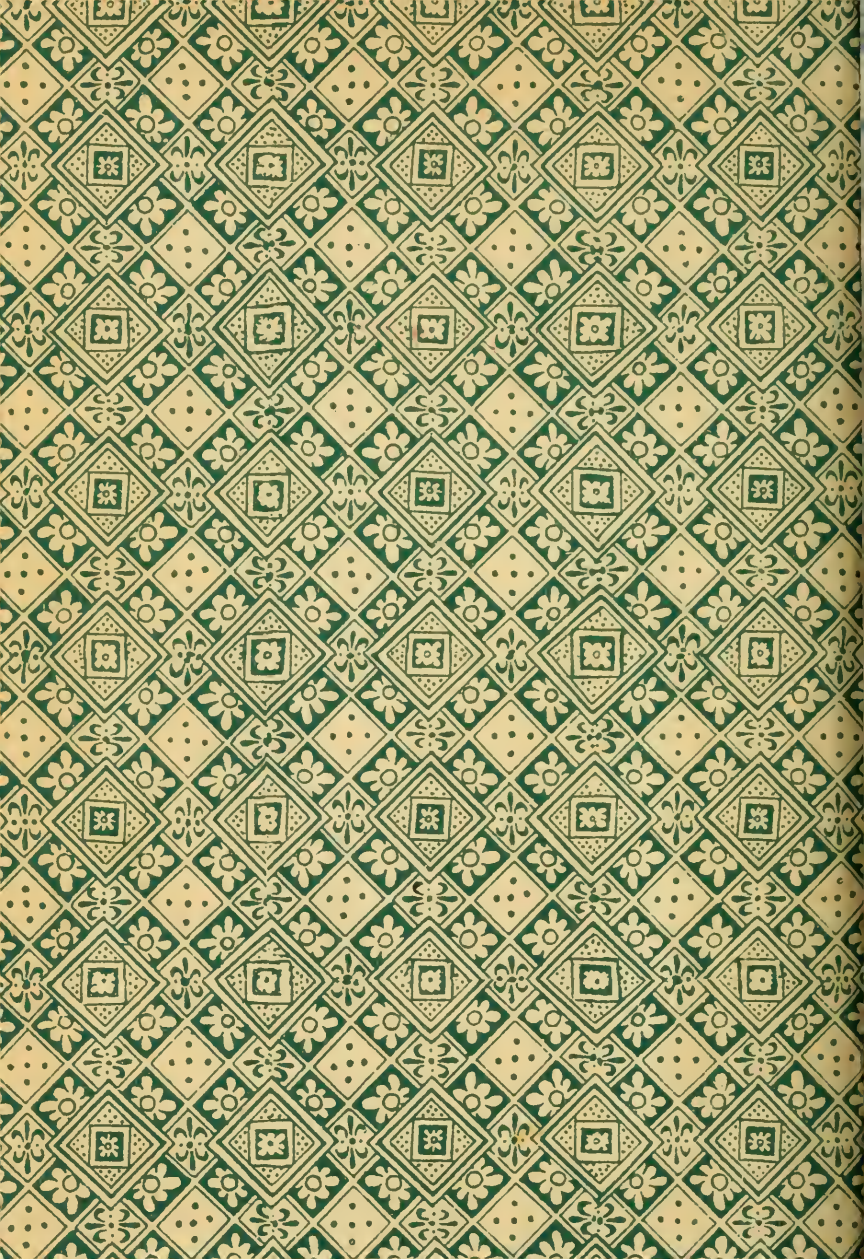
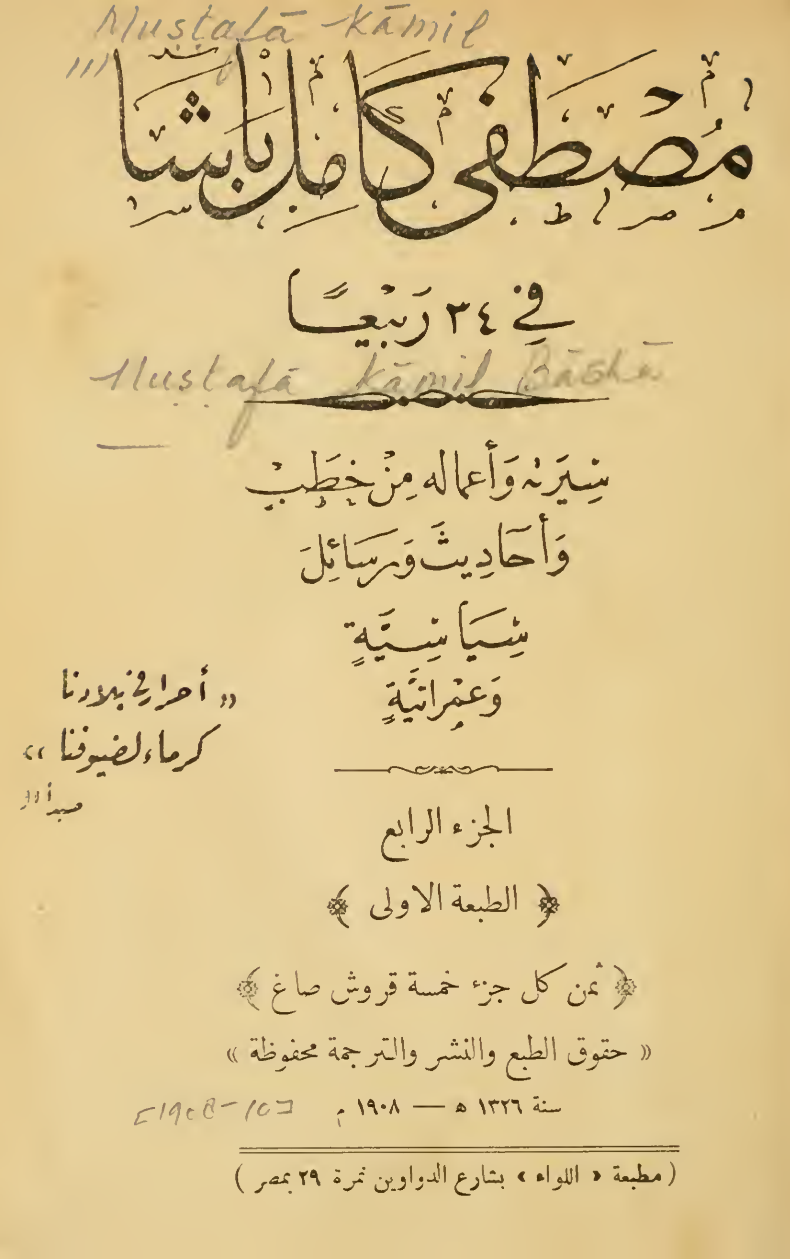










Mustafa Kamil

مصطفى كامل باشا

في ٣٤ ربيعاً

Mustafa Kamil Basha

سيرته وأعماله من خطب
وأحاديث ورسائل
سياسية
وعمرانية

«أمراء في بلادنا
كرماء لضيوفنا»

الجزء الرابع

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ ثمن كل جزء خمسة قروش صاغ ﴾

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

(مطبعة « اللواء » بشارع الدواوين نمرة ٢٩ بمصر)



أعماله السياسية والعمرانية

كان قد عزم المترجم ان يسافر الى الاستانة العلية في سنة ١٨٩٥ ولكن الازمة الوزارية الفرنساوية حالت دون ذلك ورأى من الصواب بقاءه فى اوروبا مدافعا عن مسئلة مصر ومسئلة الدولة العلية بازاء الحادثة الارمنية

وقد كتب رحمه الله بمناسبة الازمة الوزارية مقالة نشرتها جريدة الاهرام فى يوم الاربعاء ١٣ نوفمبر سنة ١٨٩٥ وهذا نصها :

الوزارة الفرنساوية الجديدة

لما سقطت وزارة المسيو ريبو اجتمع رئيس الجمهورية الفرنساوية برئيسى مجلس النواب والشيوخ وبرؤساء الاحزاب ذات الشأن ليستشيرهم في امر تشكيل الوزارة فاشار عليه المتطرفون والمعتدلون معاً بتشكيل وزارة من المتطرفين برئاسة المسيو بورجوا فعمل الرئيس بما اشاروا به وكلف المسيو ليون بورجوا بتشكيل الوزارة فشكلت متطرفة محضة وألقى رئيسها بالامس خطابه الافتتاحي مبينا فيه سياسة وزرائه الجديدة وقد آن أن نبحث فى هذا الخطاب ووقعه عند النواب

نذكر للقراء لماذا اجمعت الاحزاب على تشكيل وزارة متطرفة عند ماسقطت وزارة المسيو ريبو عقب المناقشة فى مسئلة سكة حديد الجنوب فالاشتراكيون والمتطرفون والمتحدون (وهم الذين لم يكونوا جمهوريين ثم رضوا بالجمهورية) طلبوا تشكيل وزارة متطرفة لانهم لم يفلحوا مع الجمهوريين المعتدلين ولم يستطيعوا تنفيذ مطالبهم فضلا عن انهم اعداء

لهم الداء وسقوط الوزارة الاخيرة كغيرها من الوزارات لم يكن الا لتحزب هاته الفئات المختلفة ضد حزب الوسط (اي حزب المعتدلين) وانضمام حزب اليمين (حزب الملكيين) اليها

اما الجمهوريون المعتدلون فقد طلبوا من رئيس الجمهورية تشكيل وزارة من المتطرفين لانهم لما رأوا ان رجال هذا الحزب يسعون دائما في اسقاط الوزارة المشكلة من حزبهم ارادوا ان ينتقموا ويسقطوا وزارتهم الراديكالية وبذلك يبرهنون لهم وللامة الفرنساوية كلها على انهم وحدهم القادرون على تولى الاحكام وان غيرهم اشتراكيا كان او متطرفا لا يستطيع مجاراتهم وادارة الامور مثلهم فلذلك الحوا كثيرا على المسيو فليكس فور الذى اقترع المتطرفون ضده فى انتخابه رئيسا للجمهورية ان يشكل منهم وزارة تقضى بنفسها على حزبها

وما تشكلت وزارة المسيو بورجوا حتى رأينا الجرائد جميعا تندد بها وتنذر بقرب سقوطها . ويعللون هنا هذه النبوة السياسية بثلاثة اسباب . اولا حضور النواب المعتدلين

الذين كانوا متغيبين عن المجلس . ثانيا وجود المسيو كافينياك فى وزارة الحربية . ثالثا عدم رضى المسيو هانوتو بالوجود مع وزراء اليوم

وعلى ذلك لايبعد ان تحدث قريبا أزمة وزارية فى فرنسا تسلم بعدها الاحكام للمعتدلين كذى قبل . والجفاء الذى اظهره بالامس حزبا الوسط واليمين للوزارة عند قراءة رئيسها خطة سيره يدل على ذلك . والذى يحمل الكثيرين من الكتاب على القول بان عمر هذه الوزارة لا يتجاوز الشهر هو ان حزب اليمين يبغض المتطرفين اكثر من بغضه المعتدلين فينضم هذا الحزب الى حزب المعتدلين الذى يزيد عدد اعضائه عن نصف اعضاء المجلس بنحو ٤٠ نائباً

والمسائل الاصلية التى جاء بها خطاب المسيو بورجوا هي مسئلة سكة حديد الجنوب والحجر على النواب من الدخول في شركات مالية ومناقشة الاخصام فى المرافعات بعضهم بعضاً ونشر التحقيقات القضائية والاقتراع على الميزانية قبل آخر العام ومسئلة الضرائب التدريجية وتعديل الضرائب

على المشروبات الروحية والمحصولات وسن قوانين خاصة بالعمال وحرية الشركات ومشروع انشاء جيش استعمارى واخيرا المحافظة على الروابط القوية التى تربط فرنسا بحليفتها روسيا

ولا غرو اذا كانت مسئلة سكة حديد الجنوب هي المسئلة التى لفتت الانظار اكثر من غيرها اذ بسببها سقطت وزارة المسيو ريبو وبها بدأ المسيو بورجوا خطابه الذى قال فيه « ايها السادة : ان اقتراع مجلس النواب فى جلسته الاخيرة أوجد امام الرأى العام مسئلة يجب ان يجيب عليها أولا من دعتهم ثقة رئيس الجمهورية الى حكومة البلاد » ولذلك فانا نطيع أمر المجلس باجراء تحقيقات تكميلية فى هذه المسئلة التى اقترع عليها أخيرا (أى مسئلة سكة حديد الجنوب) ومهما كانت نتائج هذه التحقيقات فاننا ننشرها بتمامها لنسمح بذلك للمجلس ان يحكم حكمه السياسى والادبي على الامور التى يظهرها التحقيق »

ومن هذا التصريح الوزارى يرى ان المتهمين فى مسألة

سكة حديد الجنوب لا تثبت عليهم تهمة الا اذا أمر المجلس بعد مطالعة أوراق القضية بمحاكمتهم وقضى عليهم القضاء بما ينسبونه اليهم

ولم يكن فى استطاعة وزارة المسيو بورجوا محاكمة النواب المتهمين فى هذه المسئلة قبل ان يصدر المجلس أمره بذلك لانه لا قانون يسوغ محاكمة نائب من النواب قبل تصديق المجلس ولا قانون هناك يحجر على النواب الدخول فى شركات مالية وما ينسبونه للمسيو اتين وروش وروفيه ودلونكل والآخرين هو انهم كانوا أعضاء فى شركات فرعية من شركة سكة حديد الجنوب وانهم لم ينقدوا المبالغ التى نقدوها الا لانهم نواب ذوو كلمة ونفوذ لا لانهم أعضاء فى الشركات يستحقون هذه المبالغ مقابل أعمالهم واتعابهم

فوجه التهمة هو انهم استعملوا نفوذهم فى المجلس ولدى الحكومة فى عقد شروط مضرة بصالح الحكومة وموافقة لصالح الشركة . وعما قليل تلبس هذه المسئلة الغربية ثوبها الحقيقي ويكشف عنها الستار

ولا بد أن جرائد الاحتلال فى مصر انتهزت الفرصة ونددت بالوطنيين العاملين على تحرير بـلادهم من النير الانكليزى الثقيل قائلة كعادتها ان المسئلة المصرية قبرت الى الابد وان المسيو دلونكل نصيرها الوحيد تلطخ بالتهم فلم يعد لها فى أوروبا معضد ولا نصير وقد كان بالامس يشترى (ولست أدري بأى مال) الجرائد الروسية والالمانية والفرنساوية

ولسنا فى حاجة لان نجيبها على هذه الاقوال الساقطة اذ كل عاقل يعلم ان المسيو دلونكل هو نائب من النواب الذين تهمهم مسألة مصر وان المصريين اذا كانوا احترموه واكرموه فلم يقوموا الا بواجب تفرضه عليهم الوطنية الحقة

وسواء ثبتت على المسيو دلونكل تهمة سكة حـديد الجنوب أولم تثبت فلا ضرر على مسألة مصر التى ان فقدت نصيراً وجدت بدله انصاراً وان عدمت واحدا فلا تعدم آلافا

ولا تعجب اذا كان الانكليز وحدهم هم الباكون غداً على ما أصاب المسيو دلونكل لانهـم كانوا يستعملون اسمه

القضاء على كل ما يعمل فى مصلحة مصر فان كتب كاتب عن
مصر قالوا عنه انه مأجور للمسيو دلونكل وان خطب خطيب
قالوا الخطابة كتبها المسيو دلونكل حتى عندما تأسس حزب
مصر لم يستحيوا ان يقولوا عنه حزب دلونكل مع ان المسيو
دلونكل ليس الا عضوا كسائر الاعضاء

وبالجملة ان اقوال جرائد الانكليز هذيان في هذيان
وأجمل جواب يجيب به المصريون على أكاذيبها هو ولا بدع
قول فيكتور هوجو شاعر فرنسا الشهير وفيلسوفها الكبير
(ان للحقيقة والحرية مزية خاصة بهما وهى ان من يعمل لهما
أو ضدهما يخدمهما على السواء) والسلام

باريس فى ٥ نوفمبر سنة ٩٥

(مصطفى كامل)

*
* *

لما قرأ المرحوم الخطاب الذى القاه اللورد سالسبرى
الوزير الاول للحكومة البريطانية فى جلد هال وحمل فيه باشد
لهجة على جلالة الخليفة الاعظم مما اهاج الدوائر السياسية

العالية وجميع المسلمين الذين قرؤه او وقفوا على فحواه.
تهيج رحمه الله وكتب لذلك اللورد كتابا باللغة الفرنسية
هذا تعريبه :

خطاب مفتوح

﴿ الى اللورد سالسبرى ﴾

باريس فى ١٣ نوفمبر سنة ١٨٩٥

جناب اللورد

يستميحكم الاذن مسلم معجب بالتمدن الاوروبي كى
يعرب لمقامكم السامى عما كان لخطبتكم الاخيرة من سوء الوقع
لدى المسلمين في مشارق الارض ومغاربها. فلقد رأوا فيها
برهانا جديدا على ماتضمره انكلترا للاسلام وللخلافة من
العدواة والخصومة

نعم قد سبق لجنابكم أن قلتم ان تداخل الدول الاوروبية
فى المسئلة الارمنية لم يكن الغرض منه تخصيص دين دون آخر

بالحماية والذود . ولو كان صدور هذا القول من فرنسا أو
من الروسيا لصدقنا به لان أعمال الحكومة الانكليزية
ومساعيها لاتزال الى الآن غير موافقة له ولا منطبقة عليه
وقد يعلم جمهور العالم ان انكلترا هي التي لا تزال توالى
الارمن بالتشجيع والتحريض على متابعة المنهج الذى سلكوه
بارشادها وانها مافتئت ترسل اليهم الذخائر والاسلحة
وتحضهم على الاسترسال في العصيان والتمرد بواسطة
الكتابات المهيجة وبغير هذا من الوسائط كالوعد بارسال
أسطول ضخم لمساعدتهم ومواصلة بطريقهم فى الاستانه العلية
بخطابات تتضمن ما يشابه هذه الوعود

ولا يخفي على جناب اللورد أن المسلمين قد توصلوا
بالتجربة الى الوقوف على عادة اعتادها رجال السياسة
البريطانيون ألا وهي اخفاء بعض النوايا فى طى ما يلقونه
من الكلام بحيث اذا ما حان وقت التنفيذ جاءت نتيجة
الاعمال مناقضة على خط مستقيم لما سبقها من مقدمة
التصريحات وفاتحة المجاهرات . ومن هذا القبيل تلك الالفاظ

الفاخرة والعبارات الجليلة التى تعنون بها تمسك الدولة الانكليزية بعدم التحيز للاغراض أفلستم تريدون بها بناء على ذلك القياس الذى هو الحقيقة بنفسها التحيز والغرض؟. أليست تلك الالفاظ من قبيل التى أودعتم فيها معنى الوعـد بالجلاء عن القطر المصرى !!!

صرحتم فى خطابكم بأن تجزئة بلاد الدولة وتفريقها على الدول الاوروبية أمر في أقصى مراتب الخطورة والجسامة وانه يمكن أن يلقى « بما يوجد في القارة الاوروبية من قوة وتمدن فى مهواة الخصومة والعـداوة التى ليست الا مصيبة دهماء وبلية عظمى » . وان هذا التصريح ليطمئن خاطرنا ويودع المسرة فى قلوبنا . ولـكن لو تتبعنا أعمال الدولة البريطانيـة لوجدناها ترمى الى غاية واحدة ألا وهى انزال جلالة السلطان الاعظم عن عرشه السامى كما يتضح للمتمعن فى خلال خطبتكم حيث نجدها بمجموعها حملة قاسية ضد جلالته

أيخطر على بالـكم يا جناب اللورد ان المسلمين فى انحاء عمور ينظرون بعين الرضا والسكون سقوط جلالة السلطان

عبد الحميد من سامى مقامه أولا يلتفتون اليه كأنه حادث بسيط
كلا . . ثم كلا فان سقوط الخليفة يسقط المصائب على المصائب
ويزيد في البلايا والنكبات . اذ قد تكون عاقبته فى العالم كله
وخيمة على السلام الذى تتمنون بقاءه فى موئل حصين وحرز
مكين . ويكون من أمر مسلمى الهند يومئذ — وهم الذين
تحسبونهم أصدق رعايا الدولة البريطانية ولاء — أنهم يكونون
أول المنادين بالثورة الجامحين نحو الاضطراب ضد السيطرة
البريطانية دفاعا عن ملاذ الخلافة الذى يبثون الدعوات بحفظه
فى كل جمعة من كل أسبوع . الغالب أن جنابكم لا تنظرون
فى مستقبل تأثير سقوط الخليفة على المسلمين . انه لا يقل عن
التأثير الذى يلم بالنصارى الكاثوليكيين اذا تمكنت انكلترا
البروتستانية من ازال قداسة البابا عن عرشه الروحاني

قد أظهر جلالة السلطان الاعظم موافقته لمشروع
الاصلاحات الذى قدمته الدول الاوروبية أفليس من الواجب
على انكلترا بعد ذلك ان تقلع عن تحريض الاشقياء وحث
المهيجين ؟ اتلومون جنابكم جلالة السلطان الاعظم لكونه

رغب عن مقاضاة بطريق الارمن الذى ضبطت عنده أوراق وخطابات من اشهر سياسيي انكلترا ؟

ماذا تقولون اذا قابل جلالته صنيعكم معه بايجاد الصعوبات والمشاكل فى البلدان الخاضعة لاحكامكم ؟

ان في سلوك الدولة البريطانية هذا المسلك خطرا كبيرا عليها وعلى التمدن الاوروبي. وانا كلما رأينا الانكليز جارين على خطتهم الحالية نسائل انفسنا عما اذا كان الغرض الذى يسعون اليه هو القاء بذور الشقاق بين الناس وايداع الحقد والضغينة فى صدورهم . ونسائل عما اذا كانت المأمورية التى عهد الى انكلترا القيام بها هي حفر بئر عميقة بين المسلمين والنصارى على حين ان الدول الاخرى المتمدنة تعمل على ضم القلوب المتنافرة تحت راية الاخاء . وهل اذا كانت اوروبا بأسرها تحترم العقائد وتجل الديانات بمقدار واحد أيليق بانكلترا ان تتعمد خدش عواطف ثلاثمائة مليون من المسلمين ؟

بالرغم عن جميع المخاطر المحدقة الآن بالمسلمين كن واثقا ياجناب اللورد بانهم لا ينفكون عن ملازمة السكينة

والصبر واذا كانوا فقدوا مجموع ثقتهم بانكلترا فلم يضيعوا ذرة من حسن اعتمادهم على أوروبا التى ينتظرون منها بكمال السكون والخشوع حكمها العادل الذى يثقون منذ الآن بانه لا يناقض مصالح الخلافة والاسلام فى شئ

هذا وارجوك ياجناب اللوردان تتفضل بقبول عظيم احترامى

« مصطفى كامل »

*
* *

ماانتشر هذا الكتاب حتى طيرته شركات البرق الى انحاء المعمور وعلقت عليه الجرائد الكبرى تعليقا كبيرا . فالجرائد الفرنساوية كالاكلير . والديبا . والفيغارو . والطان وغيرها ذكرت المترجم بالشهامة ونهاية الادب فى مخاطبته الوزير الاول الانكليزى . وقد كتب المسيو ارنست كتابا لجريدة الاكلير قال فيه

ان الكتاب المفتوح الذى وجهه مصطفى كامل المصرى للورد سالسبرى ردا على خطابه الاخير بجلد هال ليس الا مثالا صالحا يفقه منه كل اوروبى قوة الشعور عند المسلمين

وارتباطهم بخلافتهم ومبلغ تأدبهم فى المخاطبة وقوة حجتهم وادرا كهم دسائس انكلترا ضد المسلمين خاصة والعالم عامة . . . . . وانه اصبح من الواجب على الذين كانوا يتهكمون على المسلمين ويسخرون برءوسهم وقلوبهم ان يقفوا قليلا امام هذا الكتاب الذى هو الاول في بابه وان المسلم يشعر من نفسه على الدوام بقوة لاتخاف دولا ولا ترهب باطلا ولا تحيد شعرة عن الحق وانه لو قال بعضهم ان مصطفى كامل تعلم فى فرنسا فصار كاحدنا ادرا كا وعلما وهو مما لا يصح ان نقيس عليه جميع المسلمين لكان جوابنا عليه ان العلم العصرى منتشر بين الكثير من المسلمين وان الشعور الدينى لا يعرف فلسفة ولا علما ويلازم الجهلاء اكثر من العلماء

فعلى قوادالسياسة الاوروبية ان يدركوا هذه الحقائق ولا يطوحوا بالمسيحيين القليلين الذين يعيشون بين المسلمين العديدين الى التهلكة فان التاريخ لم ينسنا الحروب الصليبية وهولها . . . » اه

وقالت جريدة الاكستراجبلاط النمساوية ما تعريبه:

« ليس فى شدة لهجة الانكليز امام المسئلة الارمنية الاسر واحد وهو الفات أوروبا الى شىء جديد لتنسى به شيئا قديما وليس هذا القديم الا المسئلة المصرية تلك المسئلة التى كان يجب ان تكون موضوع البحث مع مسئلة الشرق الاقصى

ان العالم كله يشك في نوايا انكلترا التى أجرت تجاربها السياسية فى القلوب القاسية والمدارك الضعيفة فهى ترسل جوادها الذهبي ليلعب دوره الثعلبي امام تلك القلوب والمدارك فيسحرها ثم يسخرها كيفما شاءت أهواء مالكة زمامه الحكومة البريطانية

عرف قراؤنا مصطفى كامل المصرى ومقدار كراهة الحكومة الانكليزية له لانه يدافع عن أقدس واجب وهو تحرير بلاده . فقد كتب كتابا للورد سالسبرى ناقشه فيه مناقشة الشيخ الساكن الحكيم لذى البطش والجبروت وشرح بأوضح عبارة العلاقة التى تربط المسلمين عموماً بجلالة السلطان عبد الحميد بصفته رئيسهم الدينى وأورى ان ثائرتهم لا تلبث ان تنفجر كالبراكين اذا مس هذا المثل

لكلمة التوحيد عندهم بسوء

انه لا شك في ان سياسي أوروبا وعلى الاخص حكومة بلادنا التي لها في بلاد الدولة العلية بأوروبا من المصالح ماليس لدولة أخرى مثله سيهتمون بهذا الكتاب النفيس ويقدرون شعور المصريين قدره فلا يعملون عملا يغضب ثلاثمائة مليون نفس ليرضوا خمسمائة ألف ..... اه

وكذلك نشرت الجرائد الالمانية والروسية نص الخطاب وقد قالت جريدة البرلينر تاجبلاط الالمانية «ان كتاب مصطفى كامل كشف النقاب عن حقيقتين طالما ذكرناهما وهما قوة ارتباط المسلمين بخليفتهم المحبوب وادراكهم للدسائس الانكليزية اما ارتباط المسلمين بالخلافة فهو أمر طبيعي وخصوصاً فانه أقوى اليوم منه في الازمان الغابرة لان الخليفة الحالي اشتهر بالرحمة وقوة المدركة والخروج من المشاكل التي تنصبها له انكلترا في الغالب بسلام . واما ادراك المسلمين للاشراك التي تنصبها انكلترا لتركيا والاسلام فهو ينفرهم عنها ويحذرهم من غيها وهواها »

وقالت جريدة دي روسيا ما تعريبه :

« لمصطفى كامل المصري الحق في ان يعلن استياء المسلمين من السياسة الانكليزية بأزاء الحوادث الارمنية فها هم مسلمو الروسيا ينشرون استياءهم على صفحات الجرائد حتى يكاد يبدو لقارئها انها مكتوبة بنار أو ان المسلمين على أهبة الوثوب لسحق الارمن أو الاخذ بالثار من المسيحية .

والاجدر بالساسة الانكليز ان يخففوا من لهجتهم فان الكلمات العالية الضخمة في ابان الحوادث ليست الا كبريتاً يزيد النار اشتعالا وهناك ينفجر بركانا المسيحية والاسلام وتصير الارض شفقا أحمر من الدماء البشرية البريئة وهي اكبر جريمة يرتكبها السياسي الذي لا يرى الشرف الا في مذهب « ومن بعدي الطوفان »

أما الدوائر السياسية فقد أحدث فيها هذا الرد هزة لم تكن متوقعة من قبل . وقد تحدث السياسيون بهذه المعركة القلمية طويلا ووقع عندهم الرد موقع الدهش والاستغراب لانهم لم يكونوا يحسبون أن سيتعرض للطاغية

الكبير سالسبورى من يفند دعواه ويكشف الستار عن افتراءاته واكاذيبه وتضليلاته وتمويهاته لان الرجل كان من رفعة الشأن فى العالم السياسى الاوربي بحيث كان يظن أنه لن يجد من يغلبه على أمره ويبين خطأه للعالمين !

وليس ذلك كل التأثير الذى كان من نصيب الرد المذكور

فقد وثق هـذا الكتاب عرى المودة بين المترجم والكثيرين من سفراء الدولة العلية في عواصم اوروبا . لان الدولة دولة الخلافة الاسلامية العظمى وكل مايقال فيها يهم كل مسلم عثمانيا كان او غير عثمانى وسفراء الدولة العلية بالطبع فى مقدمة من يهمهم هـذا الشأن فلا غرو اذا كانوا يحترمون من يذب عن بيضة الاسلام وينضح عن عاصمة السلطنة ويوادون كل مخلص فى الدفاع . ولا نغالى اذا قلنا ان الرد الذى اطلع عليه القراء كان حادثة تاريخية يحفظها من عرفها من العثمانيين اذ ذاك بمزيد الاجلال والاحترام

وقد احدث عمل المترجم هذا التفاتا كبيرا من كبراء العثمانيين فكان من يلقاه منهم حيث كان يلقاه بمزيد التحية

والتكريم ويضع يده في يده ويفتح قلبه لقلبه وذلك جزاء المخلصين

ووردت عليه الرسائل تترى من كل حدب وصوب فكان يرد عليه في اليوم عشرات من الكتب من أفاضل يخطبون وده ويطلبون التعرف به لان جريدة الاكلير نشرت مع الكتاب عنوانه فكان أكرم الله مثواه وأحسن اليه يتولى بنفسه الجواب على كل كتاب بما يناسب المقام . وقد كتب في احدى مذكراته اذ ذاك ما يأتي :

« لم يمطر على البريد مطرا غزيرا من الرسائل كما أمطر على عقب الكتاب الذى بعثت به الى اللورد سالسبرى فى ١٣ نوفمبر سنة ١٨٩٥ وكلها تدور حول محور توجيه الثناء الى شخصى الضعيف مع انى أرى عملى بسيطا وواجبا على كل مسلم لان جلالة مولانا أمير المؤمنين رأس الدولة العلية والدولة العلية رأس الدول الاسلامية وليس هذا الميراث الكبير الا ملجأ للمسلمين فمن البلاهة والحمق ان نسمع ولا تتحرك شفاهنا التى تتصل بقلوب تشعر وتتألم »

ولم يمض على هذا الكتاب ـ أو الرد ـ يومان حتى نشر المترجم مقالة فى مجلة (النوفيل ريفيو) وهى من اكبر المجلات الفرنسية هـذه المقالة التى يجب على كل مشتغل بالسياسة أن يحفظها لانها جمعت فأوعت وقد نشرت بتاريخ ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٥ وهذا تعريبها :

تحالف يتحتم

﴿ السلطان وأوربا ﴾

« لقد أمضى جلالة السلطان في الشهر الماضى على مشروع الاصلاحات الارمنية ظانا انه يضع بذلك حداً للاضطرابات التى تقيمها انكلترا في مملكته . وانه لحقيق بالشكر على سماعه نصائح فرنسا والروسيا بغاية الحكمة اذ ان قراره بالاصلاحات الارمينية دعت اليه الحوادث وكان ضروريا لتحقيق السكينة والطمأنينة . ويود اليوم الرأى العام الذى اتعبته منذ أشهر المظاهرات الارمنية ان يرى السكون سائداً في تركيا . وانا نود ونتمنى ذلك مثله ولكننا لانظن امكان

تحققه لا لان تركيا تبغي شيأ آخر غير السكينة ولكن لانه يظهر ان انكلترا غير راغبة في الكف عن تشجيع المهيجين على القلاقل والثورات

ولقد ظهرت الآن مشروعات بريطانياالعظمى ووضح سر سياستها فى الشرق : فما دامت مسئلة مصر قائمة ومادام الباب العالى لا يتنازل لانكلترا عن حقوقه على وادى النيل تدوم القلاقل وتكدر مسئلة الارمن صفو السلام ولا يمضى زمن يسير حتى تخلق مسائل أخرى

وليس القصد من كل الدسائس البريطانية والطرق الممقوتة التى يستعملها المهيجون الانكليز والخطة التى اتبعتها الجرائد الانكليزية الا الحط من مقام الحضرة السلطانية والخفض من كرامتها وتغرير العالم الاسلامى بأن انكلترا تسير الحوادث فى أوروبا كما يشاء هواها . ويؤمل الانكليز من اضطهاد جلالة السلطان اكراهه على الاعتراف رسمياً باحتلال مصر أو على الاقل اهمال مسئلتها مدة من السنين فى زوايا النسيان . هذه المسئلة الحيويه التى يطالب مسلمو الارض

كلها بحلها

ويتساءل الكل هل أفلحت السياسة الانكليزية في أحد الامرين واذا لم تكن أفلحت فهل فى امكانها أن تفلح

أما الجواب على الامر الاول وهو اكراه الحضرة السلطانية على الاعتراف رسميا باحتلال مصر فمستحيل فلاح الانكليز فيه لان جلالة السلطان عبد الحميد ينكر على نفسه صفته أميراً للمؤمنين اذا اعترف لانكلترا بالبقاء فى مصر ولو بصفة نظرية . لان مصر هى مركز الاسلام ومفتاح مكة والمدينة وما اعطاء مصر لانكلترا الا اعطاء السلطة الاسلامية الدينية والدنيوية الى الملكة فيكتوريا . وبذلك لا يكون السلطان خليفة للمؤمنين ويمضى بيده على قرار ضياع حقوقه

وأما حمل السلطان على اهمال أمر مصر حينا من الزمن فميسر لانكلترا اذا لم تبرهن الروسيا وفرنسا للحكومة العثمانية على رغبتهما المشتركة فى المحافظة على حقوقها فى وادى النيل

ولقد رأينا ان انكلترا تسعى على الخصوص لان تبرهن للعالم الاسلامي بانها المتصرفة القادرة فى أرربا ويحزننا أن نقول انها كادت تنجح فى هذا القصد . اذ أن نصف المسلمين يظنون اليوم أن فى أوروبا تعصبا ضد الاسلام ويظن النصف الآخر أن انكلترا تملى رغباتها ليس لالمانيا والنمسا وايطاليا فقط بل أيضا لفرنسا والروسيا اللتين يعلم عنهما أن مصالحهما مناقضة كل المناقضة لمصالح بريطانيا . وكيف لا يظن المسلمون ان انكلترا هي الدولة الآمرة فى أوروبا أو ان النصرانية كلها متعصبة ضد الاسلام عند ما يرون أموراً كالتى رأوها أخيرا فى تركيا

رأوا هنالك الارمن ملطخين بدماء جرائم عديدة . رأوا الارمن هنالك متزيين بزى المسلمين وغالبا بزى العلماء ليظن أن المسلمين هم المعتدون . رأوهم يجترمون كل الفظائع ويقترفون ذنوب المذابح التى يقدمون عليها متسلحين باسلحة انكليزية . رأوهم هنالك يبذرون بذور البغضاء والموت فى كل انحاء المملكه ثم ينالون جزاء سيئاتهم هـذه تعضيدا

وتشجيعا . حتى أن الروسيا وفرنسا اضطرتا الى المداخلة فى انالتهم ذلك الجزاء

وبديهي انه كان من الصعب على الدولتين الحبيبتين ان يعملا غير ماعملتا ولكن الثلاثمائة مليون من المسلمين لا يمكنهم ادراك اسرار السياسة ولا يحكمون على الاشياء الا بظواهرها

وانا نعلم حق العلم نحن الذين تعلمنا فى فرنسا أن ليس فى أوروبا تعصب ضد الاسلام وليس لانكلترا أقل يد على فرنسا والروسيا ونعتقد كل الاعتقاد ان هاتين الدولتين تداخلتا فى المسئلة الارمنية لا كعدوتين بل كصديقتين . تداخلتا لكيلا تتركا تركيا معرضة وحدها لهجمات انكلترا ولكن لسنا الا عددا قليلا ومن الاسف ان الجموع تحكم بعكس حكمنا

ولذا فاننا فى هذه الساعة نرى أنفسنا امام سلطنة عثمانية ضعيفة وأمم اسلامية قليلة الثقة في فرنسا والروسيا الدولتين الاكثر احتياجا الى زيادة احترامهما ونفوذهما فى الشرق .

واطرادا لخطتها بعد هذا النجاح نرى انكلترا تقلب الامور وتشجع المجرمين على الجرائم وتبذر بذور الشقاق فى قلوب المؤمنين ضد أوروبا كلها وتحفر هاوية عميقة بين الاسلام والنصرانية لصالحها الخاص . لالشيء آخر غيره

وعلى ذلك فماذا يلزم لعدم نجاح انكلترا فى نواياها وفشلها ذلك الفشل الذى يكون عنوان السلام فى العالم ؟ الجواب على ذلك هو أن يختار الباب العالى بكل صراحة الخطة التى تأمره بها رغبة المحافظة على ملكه

*
* *

ولقد اتبعت تركيا من عام ١٨٧٧ الى الآن سياسة ضارة بها . سياسة عزلة وانفراد جعلتها فى كل الحوادث آلة فى يد انكلترا وتاريخها فى هذه الثمانية عشر عاما الاخيرة يثبت خطر هذه السياسة

فلقد اختلست منها انكلترا فى عام ١٨٧٨ وقت اجتماع مؤتمر برلين جزيرة قبرص مقابل وعدها لها بالمساعدة في الحالة التي تسعي فيها الروسيا لامتلاك بعض أراض فى آسيا !

وبعد ذلك بعامين حدث حادث (دولسينيو) الذى ظهرت فيه انكلترا بمظهر العدو الالد للدولة العلية . فلقد كانت تشجع فرنسا علي أن تطلب من أوروبا عقد مؤتمر لسلب (دولسينيو) من تركيا وتدعوها الى عمل مظاهرة بحرية . وفضلا عن ذلك فانها كانت تعد الروسيا بالاتفاق معها على محاربة تركيا اذا لم تتنازل هذه عن (دولسينيو) . وانكلترا التى كانت تتظاهر عام ١٨٧٨ بالدولة الغيورة على استقلال الدولة العثمانية ظهرت عام ١٨٨٠ بمظهر دولة تسعى الى تقسيم تركيا . فلم تترك فرصة تمر دون أن تتعدى بأشد وطأة عليها . ولما تغيرت الوزارة التركية فى ١٢ سبتمبر عام ١٨٨٠ وتولى سعيد باشا منصة الاحكام فان اللورد غرانفيل قبل أن يعرف رأى الصدر الاعظم الجديد فى مسئلة (دولسينيو) ــ التى كان يطلب اعطاؤها الى الجبل الاسود ــ دعا دول أوروبا الى عمل مظاهرة بحرية تحت قيادة القائد الانكليزى سيمور

ولقد تأثر كثيرا وقتئذ سياسيو الدولة من هذه الخطة

العدائية ولكنهم ويا للأسف نسوها بعد ذلك بقليل حين ظهور المسئلة المصرية في عالم الوجود تلك المسألة التى أطاعت فيها تركيا انكلترا اطاعة الصبي لولى أمره وسببت بطاعتها هذه احتلال الانكليز لبلادنا

وفى الواقع فان الدسائس الانكليزية نجحت تماما فى تركيا عامي ١٨٨١ و ١٨٨٢ فما تظاهر عرابي مظاهرته الحربية التى كان القصد منها عزل الوزارة المصرية فى سبتمبر سنة ١٨٨١ حتى شجعت انكلترا الباب العالى على انتهاز هذه الفرصة لنيل سلطة فعلية على مصر . وما رأى الانكليز فلاح سياستهم فى الاستانة وسماع نصائحهم حتى زادوا منها وغرروا بالدولة اذمنوها بالوصول الي محو امتيازات عائلة « محمد على » واعادة وادى النيل ولاية تركية بتشجيعها عرابي والحزب الوطنى . ولم تكتف وقتئذ وزارة لندن بتشجيع الباب العالى على تعضيد عرابى بل أوحت الي الجرائد أن تساعدها على ذلك . فرأيناها حينذاك تسمع أوروبا أن الطريقة الوحيدة لايقاف تيار القلاقل فى مصر هي تداخل

تركيا فى الامر

وقد دفع الباب العالى هذه الدفعة فى غير طريق الهدى حيث أرسل الى القاهرة لجنة تحقيق مركبة من أحمد أسعد أفندى وقدرى أفندى اللذين لم تكن مأموريتهما فى الحقيقة الا أن يحققا لعرابى عضد الخليفة . الامر الذى دفع بعرابى الي الامام وحمله على الظن بأنه النائب الحقيقى عن الخليفة في مصر . ولذا كان يري فى كل مظاهراته مدافعا غيورا عن حقوق جلالة السلطان

وما نال عرابى ثقة المصريين الا بمدافعته عن تركيا وتظاهره بالولاء لها

ولم تغفل انكلترا وقتئذ عن تشجيع الباب العالى على تعضيد عرابي . ولكى تزيد تداخله فى الامر أمرت وزارة لوندره وكيلها في مصر « السير ادوار ماليت » أن يطلب من الخديوى أن يرجو تركيا فى ارسال مندوب عال . وبالفعل كان ذلك ووصل درويش باشا الى القاهرة فى ٧ يونيو سنة ١٨٨٢ . وبعد وصوله بأربعة أيام حدثت مذبحة

الاسكندريه . وبما ان الانكليز شعروا حينئذ بأن الحوادث داعية الي تشجيع عرابى زيادة عن ذى قبل حمل اللورد دوفرين الباب العالى على الانعام على عرابي بالنيشان العثمانى ! ذلك الانعام الذى صارت بعده الحوادث كما يشاء الانكليز . فلقد ضربت الاسكندرية فى ١١ يوليو وغرر الانكليز بالباب العالى مرة أخرى فرفض الانضمام الى مجتمع الاستانة الدولى بحجة أن انضمامه اليه يعد انكارا لسيادة مصر وأخيرا لما كلفته الدول رسميا فى ١٥ يوليو عام ١٨٨٢ أن يحتل مصر قبل الانضمام الى المجتمع الدولى عوضا عن هذا التوكيل الصريح . وبعد قبول تركيا الانضمام الى المجتمع بايام قبلت التوكيل وطلبت جلاء العسكر الانكليز الذين احتلوا بعض الاراضى المصرية عقب ضرب الاسكندرية . ولما كانت انكلترا اذ ذاك في آخر فصل من الرواية لم ترفض صريحا الجلاء ولكنها عرضت علي الباب العالى وضع اتفاقية حربية. وعلى ذلك انقضى كل شهر أغسطس فى المخابرات واجابة لطلب انكلترا أعلن جلالة السلطان فى ٥ سبتمبر عصيان

عرابى. ولم يكن بين الانعام عليه بالنيشان والعصيان الا شهران !!!

وبعد ثمانية أيام من اعلان عصيان عرابى انهزم هو وجنوده فى واقعة التل الكبير وفى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ دخل الانكليز العاصمة وبعدها بثلاثة أيام أخبر اللورد دوفرين الباب العالى ان لاحاجة لارسال جنود تركية فى مصر وانتهت على هذا الشكل هذه الرواية المضحكة المبكية بقهقهة ضحك الانكليز أى الذين أداروا ستائر فصولها !

*
* *

وبعد هذه الرواية المحزنة لعبت انكلترا رواية أخرى محزنة أيضا رواية السودان فلقد انتهزت هيجانه (المشجع عليه احتلال الانكليز لمصر) وطلب اللورد كرومر (وكان اذ ذاك السير افلن بارنج) من الحكومة المصرية فصله عنها ورفض حقوقها عليه. الامر الذى حمل شريف باشا على تفضيل الاستعفاء عن الرضى بقبول مثل هذا الطلب. ولكن نوبار باشا رضى بما لم يرض به سلفه وفصل مصر عن

السودان المصرى . فرأينا عندئذ الفصول الاخيرة من الرواية : انهزام الجنرال هكس باشا فى شندى وفشل طاهر باشا فى طوكر وضياع سنكات وطوكر وشندى واستيلاء غردون باشا علي الخرطوم وانتصار الجنرال ستوار في أبي قلعة وموت غردون وتتمة لكل ذلك استيلاء الطليان علي مصوع اتباعا لارشادات الانكليز ! وبذلك تعدت انكلترا أعظم تعد على حقوق جلالة السلطان بعد أن خدعت تركيا بكل مهارة واحتلت مصر

* * *

ولقد استعمل الانكليز دائما الدولة العلية سلاحا لاغراضهم ضد صوالحها نفسها . ففى عام ١٨٨٥ لما اشتد الخلاف بين انكلترا والروسيا بسبب الافغانستان أرسل اللورد سالسبورى الى الاستانة السير درومندوولف بحجة الاتفاق مع الباب العالى بشأن مسئلة مصر . ولم يكن سر مهمته الا التظاهر بذلك والتأثير على تركيا تأثيرا حسنا ينال منه التقرب منها فى الحالة التى تشتعل فيها نيران الحرب بين

انكلترا والروسيا . ولكن لما سوى الخلاف فى لندن يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٥ بترك (مير وسحاق) (وذو الفقار) الى الافغانستان وأخذ الروسيا (البندجية) لم تكن هناك حاجة للتقرب من تركيا وشعر بذلك سياسو لندن وسان بطرسبرج كما شعر به سياسو الاستانة . ومع ذلك فلم يترك السير درومندوولف الاستانة واستمر يخابر ظاهريا مع النية الثابتة فى عدم الاتفاق على شيء ما . ولقد سافر الى القاهرة مع مندوب عثمانى بعد اقامته فى الاستانة وقضى كل عام ١٨٨٦ يتخابر مع مختار باشا ثم عاد فجأة الى لندره وترك مختار باشا وحده وهو لا يزال الآن فى مصر متعجباً من سلوك السير درومندوولف ومن ماجريات الاشياء . واذا دعت وزارتا باريس والاستانة وزارة لندن الى تفسير كل هذه الامور عاد السير وولف الى الاستانة ومعه اتفاقيته المشهورة التى كانت قاضية القضاء المبرم على مصر وكاد يمضى عليها جلالة السلطان . والفضل في عدم امضاء السلطان عليها عائد الى فرنسا والروسيا اللتين عارضتا حين ذاك أشد المعارضة . واذا لم تفلح الاتفاقية

عاد السير درو مندوولف الي لندن ممزقا لها

ولم تحدث بعد ذلك مخابرات بشأن مصر الا فى عام ١٨٩٠ وفى هذه المرة رفض اللورد سالسبورى صراحة بعد بعض مناقشات تحديد أجل الانجلاء فغبنت تركيا بذلك مرة فوق المرار الاخرى

*
* *

واذا لم يسر الانكليز من عدم استيلائهم على مصر تماما عاكست انكلترا الدولة العلية فى كل جهة بعد رفض اتفاقية السير دور مندوولف

ففي يونيه عام ١٨٨٩ ذهب الى جزيرة كريد انكليزى ذو دسائس اسمه (ستليمان) احد مكاتبي جريدة التيمس وهاج سكان كريد ضد الباب العالى واعدا اياهم مساعدة انكلترا. وفى ١٦ يوليو من السنة نفسها قال اللورد سالسبورى فى خطاب ألقاه فى وليمة بلندن ان فصل كريد عن الدولة التركية من الامور الجائز وقوعها . فاحدثت أقواله تأثيرها المرغوب وحدثت معارك عديدة بين المسلمين والمسيحيين .

ولولا ان المشير شاكر باشا جاء معيدا للسكينة بنشاطه وهمته لاستمر الهيجان زمانا طويلا

وبعد كريد هاج الانكليز اليمن . فان لهم فيها صديقا لا يخالف لهم أمرا اسمه ـد بن حميد الدين وهو رئيس قبيلة من العرب وله نفوذ عظيم . وما أوحى الانكليز بالهيجان حتى صار وهاج العصيان فى بلاد اليمن عاما ولم تخمد نارد الا في عام ١٨٩٠ . ومن ذلك العهد صارت الاضطرابات فى اليمن ثانوية كما هي فى كريد

وفى أبان ثورة اليمن هذه بذل الانكليز جهدهم فى الاستيلاء مرة على شاطىء (فو) الكائن على منبع نهر شاة (العرب) ومرة أخرى على جزيرة سيجرى بالقرب من (متلين)

ولما لم تفلح مساعيهم فى كريد واليمن أعدوا من عهد بعيد مسئلة أرمينيا . فمن عام ١٨٨٩ اشتغلت الدسائس الانكليزية فى آسيا الصغرى واليوم نراها عيانا . ولقد كبرت المسئلة الارمنية التى لم تبلغ من العمر الاست سنين ومنشؤوها

يكبرونها بعبارة خاصـة بهم فلا يغفلون آونة عن التهكم على الدولة العليـة وسبها بمناسبة هذه المسئلة ولا يقصرون لحظة فى أن يظهروا لدولتنا عداءهم لها

* * *

يظهر اذن جليا ان كل حوادث هذه الثمانية عشر عاما من تاريخ تركيا لاتؤيد سـياسة العزلة وبعبـارة أصح سياسة الاذعان لانكلترا وانها الى الابد ممقوتة هذه السياسة الضارة

وان الحالة الحالية للدولة العلية تدعو جـلالة السلطان الى الدخول فى اتحاد يكون له منه قوة وفائدة . فلـكى ينجو من تقسيم ملـكه الساعية اليه انكلترا يجب ان يدخل فى الاتحاد الثلاثى او الاتحاد الفرنساوى الروسى . ولا يوجد شك فى أمر الاختيار !

وليس هناك لالمانيا والنمسا مصالح متحدة مع مصالح تركيا وايطاليا تهدى هدى انكلترا وتهدد دائماً أبدا الباب العالى بالاستيلاء على طرابلس كما استولت على مصوع وكسلا

أما فرنسا والروسيا فصوالحهما في كل مكان قاضية بالمحافظة على حقوق جلالة السلطان وليس لهما صالح مناقض لصوالح تركيا ولهما مع القسم الاعظم من المسلمين علائق دائمية ومحتاجتان الي البقاء الى الابد في سلام مع العالم الاسلامي

ولا يوجد على الارض مسلم واحد يستطيع انكار هذه الحقائق . ولكن ربما اعترض بعض الناس بنية سليمة على اتحاد تركيا مع فرنسا والروسيا بأن هذه الدولة الاخيرة كانت فى أزمنة كثيرة عدوة للدولة العثمانية . فأجيب على هذا الاعتراض : نعم حاربت الروسيا تركيا وكانت عدوة لها ولكنها كانت عدوة صريحة ظاهرة معلنة عداءها وانتهت عداوتها بالامضاء على المعاهدة المقررة انتهاء الحرب . ولكن انكلترا التى يجب ان يتألف التحالف ضدها كانت دائماً عدوة فى زى صديقة فكانت أدنى اعداء الدولة وأشدهم خطراً عليها . ومن غير ان تقيم سلاحاً في وجهنا قهرتنا كثيراً بالمكر والدسائس . أما الروس فلم يجرحونا الا فى براز

وفضلا عن ذلك فان الروس والترك لهم أن يشتكوا

من انكلترا خصيمتهم المشتركة فان من صالحها أن تراهما فى شقاق ولفائدتها فى الهند وفى آسيا الصغرى دفعتهما دائماً تعاضد بعضهما . واذا أدركوا اليوم أعمالها المضرة المحزنة فليتحدوا ضدها

فلنكن اذا ذوى صراحة فى الضمائر ولنجب صوت السرائر ولنبذل كل قوانا فى تحقيق التحالف مع الدولتين الحبيبتين فان تحالفا كهذا يكون أقوى التحالفات وينتج عنه تحرير مصر ونهضة تركيا وأخيرا الاتفاق الابدى بين المسلمين والمسيحيين

فليمد جلالة السلطان يده الى فرنسا والروسيا وليتحقق هذا التحالف ! فانه اذا تحقق كان ضمانة عظمى للسلام العام. ويرضى به ولا شك تمام الرضى مسلمو الارض الذين قلبت انكلترا أحوالهم وأصبحوا في أشد الحاجة للطمأنينة والسلام»

تناقلت الجرائد الاروبية كما طير البرق ملخص هذه المقالة وما نشرت نبأها شركة هافاس حتى قام المأجورون للضلال فى مصر تبعاً لقيام سادتهم وقادتهم من صحافي

الجزائر البريطانية المستعمرين يضربون على النغمة القديمة

وعجيب من هؤلاء الافاكين الضالين هنا وهناك أنهم لايحسنون التفنن في الكذب كما هو المنتظر من فلسفتهم وسفسطتهم ! ! وانه من العار عليهم لو كانوا يعقلون أن يظهروا في مظهر القصور عن ابتكار نغمات جديدة . .

قلنا أن هؤلاء المأجورين فى القاهرة ولندن قاموا يموهون ويضللون وهذه ولا فخر وظيفتهم التى ينقدون عليها الاصفر الرنان ويلاقون فيها بالزلفى والاحسان . قاموا ينسبون المقالة المذكورة الى غيره . فلنفرض المستحيل ونسلم لهم بأنها لم تكن له فهل بذلك يرد على القول وهل كان ديدنهم النظر الى القول من حيث هو مخطىء أومصيب أم النظر الى القائل ؟؟

اللهم لا اعتراض على حكمك فبضدها تتميز الاشياء ولولا الكذب ما كان للصدق قيمة ولولا الظلام لما عرف فضل النور . .

ولكن هل تأثر المترجم بذلك الافتراء ؟

كلا — فانه كان يعتبر نفسه في هذا الجهاد الشريف

جنديا فى ساحة القتال . والجندى الباسل لا تزعزعه نيران البنادق ولا شفار السيوف فكيف يتأثر بصياح خائن لا سلاح بيديه الا الكذب ولا هم له الا الافتراء على العالمين ؟؟

لقد كان شعاره فى العمل الاخلاص والثبات وهمه أن يؤدى الواجب بشرف وشهامة ونزاهة واقدام فلا التهديدات تقفه في طريقه ولا الشتائم تفل من عزيمته ولا التهم تثنى عنانها عن الجهاد . بل كان كلما زاده شرار الدخلاء سبا وقولا ازداد نشاطاً وعملا . لأن أهل الباطل لا يرمون خدام الحقيقة الا بما تحمله أفواه السوقة والانذال

فعلى العامل المخلص أن يعرض عن هؤلاء السبابين بغير سبب الطعانين على غير موجب التهم الاقضاء أغراض الطامع المغتصب من ترويج مصلحته وتحسين سياسته . وهؤلاء جديرون بأن يغض عنهم النظر ويسد دونهم السمع ويلقى بوريقاتهم تحت الاقدام فذلك خير ما يعامل به الضالون المضلون

خطبة باريس

(٢)

التى رحمه الله الخطبة الثانية من خطاباته السياسيه الكبري في مدينة باريس مدينة النور والعرفان بل مدينة المدائن . ألقاها بالفرنسية فى القاعة الجغرافية الكبرى في يوم الاربعاء ١١ ديسمبر سنة ١٨٩٥ على جمهور كبير من كبار الفرنسيين وغيرهم من مكاتبي الصحف الاجنبية وفى مقدمتهم مكاتبو الجرائد الانكليزية ليسمعوا باآذانهم الآلام المصريين من أعمال الاحتلال التى تخالف الشرف بما أتاه ساسة الانكليز من الحنث في الايمان والاخلال بالعهود . اما الخطبة فهاهو تعريبها !

« ايها السيدات . أيها السادة

أحاول الكلام فى موضوع ماأنابصدده ولكن فؤادى يشعر بالحاجة الى شكركم على اهتمامكم العظيم بمسئلة مصر . هذا الاهتمام الذى أردتم اظهارة بوجودكم هنا اليوم

ولقد كان يحلو لى أن أقوم بواجب الاعتراف بالجميل الذى تفرضه علي هذه المظاهرة المؤثرة التى تظاهرتم بها لو كان فى الاستطاعة الاتيان بكلام يعرب عن احساساتي . ولو استطعت مع ذلك أن أعرض عليكم آلام المصريين وآمالهم فانى أخشى أن لا أكون المترجم القادر فى الاعراب عن تعلقهم الشديد بروابط الوداد التى تربط وطنينا . وان مانلاقيه من علامات البشر وما يلقيه علينا من التشجيعات أخص الوطنيين الفرنسيين لانستغربه منكم . لاننا نعلم أنكم الامة الشجاعة التى تاريخها عبارة عن تحرير كل المظلومين . ولهذا جئنا ندافع بينكم عن مسئلتنا واثقين باننا نجد قلوبا عالية كريمة مستعدة دائما لقبول المطالب العادلة

وبديهى ان مسئلة مصر جديرة بمثل هذه العناية والرعاية لا لأن وجود الانكليز على شاطىء نهر النيل أضر كثيرا بمصالح خطيرة فقط بل على الخصوص لما تدعو اليه كل أمة راغبة بشغف زائد فى استرداد حريتها واستقلالها من العناية بامرها كما تستحق . وانى أتجاسر على المجاهرة رافعا

صوتى بان الامة المصرية هي أحق أمة بهذه العناية اذ لا أمة في الوجود رأت مارأته من انتهاك حقوقها المقدسة

فلقد كانت هذه الامة قبل عام ١٨٨٢ من أمم القرن التاسع عشر فصارت اليوم على يد انكلترا المتمدنة فى حالة لا تزيد عن أحوال أمم القرون الوسطى !

وعلى ذلك فهل لمصر الحق فى أن تحول بنظرها الى أوروبا الحرة مستنجدة وفي انتخابكم مدافعين عن حريتها ! وهل لاحد من أبنائها مهما كان متواضعا أن يتطلع اليوم وهو يخاطب نخبة الامـة الفرنسية الى تحرير بلاده وهو التحرير الذى طالما وعدنا به والذى ننتظره بشغف من زمان مديد خصوصا وانه لم يضع قط هباء منثورا الدفاع عن المسائل الشريفة فى باريس عاصمة الانوار والمشرق الابدى لشمس كل حرية والمهد الدائم لـكل استقلال

فكم من أناس يحبون بلادهم أتوا باريس من أقطار شاسعة ودافعوا عن حرية أوطانهم فى هذه العاصمة الكريمة ثم عادوا الى ديارهم أحرارا مستقلين ينادون فى كل مكان

بفخار فرنسا والفرنسيين

فهل ينال الوطنيون المصريون هذه السعادة يوما ما ؟
انى أؤمل ذلك بل وأراني على ثقة من بلوغ هذا الامل.
وانى بذلك الامل وبهذه الثقة جئت اليوم أدافع امامكم
عن مسئلة مصر المظلومة

*
* *

لقد اتبع الانكليز من يوم دخولهم مصر سياسة واحدة
يمكن تلخيصها كلها فى هذه النقط الاربع :
أولا . استغفال أوروبا بوعود الجلاء المكررة من حين
الى آخر !

ثانيا . الاستيلاء على كل سلطة ونفوذ فى البلاد !
ثالثاً . خلق الاسباب الموجبة لاستمرار الاحتلال !
رابعا . نشر النمائم في أوروبا على المصريين واشاعة
الاخبار الكاذبة عن أحوال مصر !

فلقد سكنت انكلترا حالة القلق الذي وجدته فى أفكار
رجال السياسة الاوروبية بوعدها بالجلاء عن مصر وكانت

تكرر ذلك كلما رأت حاجة للتكرار . وقد أرادت بذلك أن تسكن على الاخص خواطر الدولتين العثمانية والفرنسية اللتين يهمهما أمر مصرا كثر من غيرهما واللتين لتعودهما على احترام وعودهما حسبتا أنه يجدر بهما أن تثقا بكلام الوزراء الانكليز

ولقد كانت انكلترا تعلم أن وعودها وعهودها تؤثر فى مصر أحسن تأثير « كما وقع بالفعل » لانه لم يكن يوجد اذ ذاك مصري واحد يظن ان دولة كبيرة حرة ومتمدنة تستطيع أن تنكث فى وعودها العلنيـة وتسخر الي هذا الحد بكلمة الشرف التى نطقت بها

أما الآن فقد زالت هذه الاوهام . فلما رأينا انكلترا تقضى على مصالح أوروبا التى ادعت احتلال مصر لصيانتها . ولما رأيناها عاملة ومجدة فى سلب سلطة الجناب الخديوي منه وهى السلطة التى ادعت أنها تقويها وتعززها . ولما رأيناها أخيرا استولت على كل الادوات وملاتها بالموظفين الانكليز وحاربت فيها كل الوطنيين المصريين تنبهنا اذ ذاك من

غفلتنا ووقفنا على الغاية الحقيقية للمحتلين

*
* *

وان أول عمل أتته انكلترا على شواطىء نهر النيل كان الاجتهاد في استعاضة النفوذ الاوروبي وخصوصاً النفوذ الفرنسي بنفوذها ومبدأ أعمالها المتوالية ضد فرنسا كان الغاء المراقبة الثنائية فبتعيين مستشار انكليزى فى نظارة المالية وضع المحتلون يدهم على الخزينة المصرية . اذ هذا المستشار أخذ يعمل كل شيء وهو الآن فيها كل شيء . وان الصيغة التى ألغيت بها المراقبة الثنائية تثبت وحدها أن الغرض الاساسى من سياسة الانكليز فى مصر هو القضاء على النفوذ الفرنسى

في يوم ٣٠ اكتوبر سنة ١٨٨٢ أى بعد احتلال القاهرة ببضعة اسابيع أعلن السير كولفين المراقب الانكليزى « انه بناء على أمر وارد من حكومته لايحضر من وقتئذ فصاعد جلسات مجلس النظار » فكان فى الحقيقة ذلك الاعلان الغاء للمراقبة الثنائية . لانها كانت زوجية والمراقب الفرنساوى

وحده لا يستطيع تكوينها

ولقد جرت على هذا المنهج كل أعمال الانكليز في مصر وكل فعل من أفعالهم دليل جديد على الحرب الدائمة التي يقيمونها في وجه النفوذ الفرنساوى . فسواء في الحياة العمومية أو الخصوصية وسواء في الادارات أو في التجارة كل ما يأتى من فرنسا أو يمس بفرنسا يعتبره الانكليز العدو الذى كل شيء ضده مقبول

ويكفيني أن أقول لكم ان الانكليز يسمون الوطنيين الحقيقيين فى مصر العاملين لتحرير بلادهم « بالحزب الفرنساوى » كما يطلقون على الجرائد الوطنية « الجرائد المتفرنسه » . واسمحوا لى أن أقول لكم ان هذه الاسماء والالقاب عزيزة علينا وان تكن تأتينا من أعدائنا فانها تظهر لنا هذه الحقيقة المسلية لنا وهي « ان الانكليز أنفسهم يعترفون بان مسئلتنا ومسئلة فرنسا فى مصر ليستا الا مسئلة واحدة » . ولذا فاني لا آتيكم اليوم بتفصيلات خاصة على أعمال الانكليز ضد نفوذكم . اذ كل ماتعمله انكلترا ضد

مصلحتنا هو في الحقيقة ضد مصلحة فرنسا لانها هي الدولة التي اشتغلت أكثر من غيرها فى صالح مصر منذ عهد (محمد على) الى حوادث سنة ١٨٨٢ المشؤمة. وهي الدولة التى منحت مصر ادارة منظمة وعلمت أبناءها. وهي التى رقت الامة المصرية وسارت بها في طريق التقدم والمدنية

وان المقارنة بين الماضى والحاضر تنتج لنا نتيجة خطيرة وهى أن فرنسا ساعدت قبل سنة ١٨٨٢ على ارتقاء مصر وأدخلت فيها كل مبتدع جديد من ضروب الحضارة من غير ان تعتدى على استقلالها المحدود وبدون أن تبحث عن سلطة فعلية فيها. أما انكلترا فقد استولت من ذلك العام على كل سلطة ولم تستعملها الالتدمير نظامات المدنية في القطر. وتلقاء هذه النتيجة الخطيرة أقدم ثانية عبارات الشكر عن أمة صديقة شكورة يزداد تعلقها بكم من يوم الى آخر

وحيث كان الانكليز مصممين حقيقة على الاستيلاء علي بلادنا تراهم يتظاهرون كثيراً ضد الضمانات التى لاوروبا فى مصر اذهم يشعرون بان هذه الضمانات عقبة فى سبيل امتلاكهم

التام لوادى النيل . فيطلبون مثلا توحيدالقضاء ولـكن ليس ذلك منهم رغبة فى توحيد القانون بل ليصلوا الى الغاء المحاكم المختلطة وهى الهيئة الدولية التى يعتبرونهاحاجزاً حصيناًعنعهم من تحقيق أهوائهم الصادرة عن حب العسف والسيطرة

نعم ان المصريين يكونون سعداء عند ما تثق أوروبا بكفاءة قضاتهم وترضى بأن ينصب للجميع قاض مشترك ولكن ما دام الانكليز محتلين مصر فالمصريون يدركون ان من فائدتهم تأييد المحاكم المختلطة

*
* *

ولم تقصر انكلترا على محاربة النفوذ الاوروبي والفرنساوى بل صارت تعتدى يوميا على السلطة الشرعية التى للجناب الخديوى واعتداؤها الذى استمر خفياً زمناطويلا ظهر للعالمين عند ما استلم زمام الاحكام خديونا الحالي عباس حلمى باشا

ففى أول حكمه أعان الانكليز كما كانو أعلنوا من قبل أنهم يعززون سلطة الامير اذ قال اللورد كرومر « وكان يومئذ السير بارنج » في تقريره عن عام ١٨٩١ المكتوب فى

٩ فبراير سنة ١٨٩٢ عن سلطة الجناب الخديوى الذى كان جلس قبل ذلك بأيام قلائل على الاريكة الخديوية ما نصه

« واننا نعتبر تقوية هـذه السلطة وتأبيد هذه السطوة من واجباتنا المفروضـة المقبولة . . . . . » . ولـكن لم يمض على هذا القول عام واحد حتى عمل الانكليز ضد وعدهم هذا كما هي عادتهم

وذلك ان الجناب الخديوى غير وزارته بغير استشارة اللورد كرومر كما هو حقه المطلق فتجاسر معتمد الملـكة على ان يعارض رغبة الامـير . وفوق ذلك أمر جميع الانكليز الموظفين فى الحـكومة المصرية أن يمتنعوا عن الذهاب الى اداراتهم وان يعتصبوا أمام الوزارة الجـديدة فأسس بذلك « اعتصاب الموظفين »

ولقد استفادت وزارة لندرة من صمم وصمت أوروبا ففرضت على خـديو مصر أن يطلب رأى اللورد كرومر في أمر انتخاب الوزراء . ويعـلم الناس كافة بماذا تفسر خشونة اللورد كرومر فى اعطائه الآراء . فالخديو اذن مكره اليوم

على قبول الوزراء الذين تشير بهم انكلترا . ويفقه العالم أجمع مقدار الالم الذى يشعر به حفيد « محمد على » العظيم النفس الشريف اذ يرى نفسه مضطرا الان يحكم بلاده مع وزراءهم آلات لانكلترا

وفي الوقت الذى كان الانكليز يعملون فيه ضد سلطة العزيز أخذوا يجهدون فى تقليل احترامه. فمن عام ١٨٩٣ أخذ اللورد كرومر يوحي الى الجرائد الانكليزية أن تطعن على شخص أمير مصر بادنى المطاعن وتهدده أقبح تهديد. وهكذا يعامل أمير شريف يستحق أن يعجب به أعداؤه أنفسهم من كتاب أمة معجبة بحريتها ومدنيتها

واستلفتكم أيها السادة لان تتذكروا السخط والحنق الذين تظاهرت بهما فرنسا فى عام ١٨٤٠ عندما اتحدت الدول على سلخ الشام من يد (محمد على) حتى اضطر (لويس فيليب) ان يحضر الى فرنسا جثة نابليون ليغير حركة الرأى العام

على ان ودكم لمصر وأميرها لم ينقص عما كان عليه فى ذلك الحين . فماذا ياترى يكون مقدار تغيظكم اليوم على

مايراد ان ينزع من يد حفيد محمد علي وليست المسألة تتعلق بضياع الشام من مصر بل بضياع مصر نفسها ؟

* * *

ولقد تم استيلاء الانكليز على الادارات المصرية وملؤوها بالموظفين الانكليز الذين يقبضون المرتبات العالية وسلم أغلب الوظائف الباقية الى أناس لا آراء لهم أو رجال لا يعرفون لهم أوطانا ورفت ويرفت علي الدوام بلا اشفاق كل كاره للاحتلال . وان تعيين الموظفين الانكليز فى الوزارات المختلفة جعل أمور الحكومة بين أيديهم ولكي يعللوا ضرورة وجود أولئك الموظفين يعينون فى الوظائف الاخرى جهلاء ليبرهنوا لاوروبا على ان المصريين غير اكفاء لان يحكموا أنفسهم بأنفسهم ومع ذلك فالوطنيون الذين يبعدونهم عن الوظائف هم فى الغالب المتعلمون والاكثر كفاءة لادارة بلادهم . وان القول بعدم كفاءة المصريين هو فى الحقيقة سبة لفرنسا وللاساتذة الفرنساويين الذين أعطونا من نحو قرن الشهادات الناطقة بكفاءتنا . نعم منذ قرن تعلمنا

فرنسا أن ندير أمورنا وننظم بلادنا على نمط البلاد الاوروبية وليس الغرض من القول بعدم كفاءتنا الا تبرير تداخل الانكليز فى أمورنا واستيلاءهم على بلادنا

وكل مرامي السياسة الانكليزية بيننا موجهة الى قتل كل عاطفة وطنية فينا ويمكننا أن نلخص هذه السياسة كلها فى المادة الآتية

«ان الحكومة الانكليزية لاتسمح بأن يوجد على أرض مصر وطنى مصرى»

نعم أيها السادة لسنا في مصر ذلك البلد الذى كانت تحترم فيه سابقا حقوق الانسان . لسنا على تلك الارض التى أرشدنا فيها التعليم الفرنساوى الى أن لكل أمة حقا فى الحرية والاستقلال وهدتنا صراحة الضمير الفرنساوى الى حب الوطنيين واحترامهم وتشريفهم وبغض الخائنين واحتقارهم نحن صرنا فى الهند أو فى بلد أسوأ حالا من الهند نحن فى بلد تساء معاملة الوطنيين فيه ويسبون ويضيق عليهم ويشجع فيها الخائنون ويكافؤن . حتى الحياة الخصوصية أصبحت غير

آمنة بالنسبة للوطنى فان كان صاحب جريدة اتهموه بالتعصب ونصبوا له دائما وأبدا الشراك . وان كان محاميا وجد امامه قضاة من الانكليز وغير الانكليز معادين له ومستعدين للحكم عليه هو نفسه . وان كان من ذوى الاملاك والاراضى منعوا النيل عن رى أرضه ! وبالجملة فحياة المصرى اليوم عذاب مستمر

*
* *

واذا كان من التقاليد الانكليزية عندنا ادخال السياسة فى كل أمر فقد أدخلوها فى الفرع الذى كان يجب أن تنأى عنه بعيدا ألا وهو نظارة المعارف العمومية . ولذا كان حالها اليوم يرثى له فقد كانت هذه النظارة زاهرة أيام كانت ادارتها بيد المصريين والفرنساويين . كانت المدارس عديدة وأغلب التلامذة يتعلم مجانا وكانت تلقى الدروس باللغة العربية التى هى لغة البلاد وكانت تعلم الفضيلة والآداب تعليما تاما . أما اليوم فالمدارس تقفل أبوابها والمجانية صارت الاستثناء وعدمها القاعدة وأصبحت الدروس تدرس بغير لغة البلاد وأهمل مرة

واحدة أمر تربية التلامـذة على الاخاء وحب الوطن . وما وضع الانكليز أيديهم على هذه النظارة حتى زادت المصاريف زيادة ثقيلة ونقص عـدد التلامذة الذين يتعلمون مجاناً نقصاً عظيما فلقد كان عددهم فى عام ١٨٨٠ ألفى طالب وأصبح اليوم (٤٥٠) على ان ميزانية نظارة المعارف التى كانت فى عام ١٨٨٠ (٥٥ ٠٠٠) جنيه صارت اليوم (١٠٥ ٠٠٠) جنيه تماما وأكثر هـذه الميزانية يصرف فى مرتبات الموظفين الانكليز الذين يعيشون عيشة الملوك ولا عمل لهم

وما دخـل الانكليز مدرسـة الا ودخلها السقوط والاختلال فلقد كان عدد الطلبة في مدرسة الطب — هـذه المدرسة التى أسست فى حكم (محمد على) على يد الفرنساوي الشهير كلوت بك — يبلغ مائتى طالب حيث لم يكن فيها أحـد من الانكليز . وهم لا يتجاوزون اليوم عشرة طلاب والفضل في ذلك لوكيلها الانجليزى !

وان نظارة المعارف هى الميدان الذى يرى فيه الانسان أكثر ممـا يرى في غيره جهاد الانجليز ضد كل ما كان من

شأنه سعادة بلادنا أو مجـدها . وان اتحاد مصالحنا واتفاقها الاتفاق التام يظهران فى هذه النظارة ظهوراً تاماً فلقد أنشأ الانكليز فى كل مدرسة قسما انكليزيا فأصبحت كل مدرسة قسمين قسما انكليزيا تمطر عليـه الخيرات والالتفاتات وقسما فرنساويا يعتبرونه القسم الاسفل ويعادونه أشدعداء . وأسوأ من ذلك ان الانكليز ملؤا قلوب التلامـذة بغضاً وعـداوة بعضهم لبعض فلقد لقنوا تلامذة القسم الانكليزى أن تلامذة القسم الفرنساوي هم العـدو لهم . وبذلك صارت العلائق بين الفرنساويين والانكليز أحسن بكثير من عـلائق هؤلاء التلامـذة فيما بين بعضهم . ولاأرانى في حاجة لان أقول لكم ان المحتلين يطعنون دواما على تركيا وفرنسا امام التلامذة ويعلمونهم أن لادولة قوية فى العالم غير انكلترا . ولقـد بلغ عـداؤهم للنفوذ الفرنساوى انهم سعوا لهدم أركان احـدى النظامات النافعة لمصر المرتبطة بكم وهى الارسالية المصرية فى فرنسا . هذه الارسالية التى من وظيفتها تتميم تربيةشباننا النجباء والتى وهبت مصر رجالها العظماء و بنيها الفضلاء والتى

كانت نضرة زاهرة فى الازمنة الماضية ليس فيها اليوم الا عشرة طلاب نصفهم من الارمن ونظارة المعارف تمنع الطلبة من الحضور الى فرنسا وتجبرهم على الذهاب الى لندره وان كانوا يعترفون بأنهم لا يتعلمون فيها تعلما حسنا

*
* *

ولقد استولى الانكليز كذلك على نظارة الداخلية بانشاء وظيفة مستشار انكليزى بها . وان تعيين هذا المستشار يعد أقسى ضربة على استقلالنا الادارى . ولم يظهر هذا المستشار قط بصفة مستشار بل على أثر تعيينه صار الآمر الناهي فى النظارة وما الناظر معه الآن الا شبحا . وقد دعت هذه الحالة نوبار باشا الرجل العظيم الاخلاص لانكلترا والمنشىء لوظيفة المستشار هذه ان يقدم استعفاءه بحجة ضعفه . ومن يوم دخول المستر غورست فى نظارة الداخلية صار البوليس والمديرون والمأمورون والعمد وبالجملة كل الموظفين تحت ادارته فهو الذى يعين العمال كباراً كانوا أو صغاراً وباشارته وحسب غرضه سيعين اعضاء مجالس المديريات

وبما ان هؤلاء هم المكلفون بانتخاب أعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية فيسير على الانكليز ان يسقطوا من أعضائهما من يريدون . ومما ذكرت ترون ان الادارة الداخلية صارت بيد الانكليز وأصبح من السهل عليهم ان يحدثوا القلاقل في البلاد حسب ما تقتضيه أهواؤهم ويضطهدوا الوطنيين كل اضطهاد ممكن ولا شك ان الحالة تصير أشد حرجا اذا عين مستشار انكليزى فى كل مديرية كما أشاعوا ذلك أخيرا

*
* *

وليس سوء الحال في نظارة الحقانية بأقل منه فى نظارة الداخلية . فلقد كانت المحاكم الاهلية قبل تداخل الانكليز فى شؤونها تجارى المحاكم المختلطة وتعادل محاكم أوروبا . ولكن من عام ١٨٩١ أعنى من يوم تعيين السير جون سكوت مستشاراً لنظارة الحقانية نقضت حتى المبادىء الاولية للحق والعدالة . فلا تمييز بين القوى التشريعية والتنفيذية والقانونية ولا توزيع فى الاختصاصات ولا ضمانه للمتحاكمين . والبوليس أصبح مكلفا

باجراء التحقيقات الجنائية فليست للنيابة الآن اختصاصاتها القانونية والقضاة القابلون للعزل تراقبهم لجنة مراقبة تسلب منهم كل حرية واستقلال وقضاة الاستئناف هم وحدهم غير القابلين للعزل ولكنهم مهددون دائما بسلب هذا الامتياز منهم ولا يحترم الانكليز فى مصر اى شكل من أشكال العدالة فتراهم يهددوننا في كل لحظة بانشاء محاكم مخصوصة لتفصل فى بعض القضايا التى تهمهم كثيرا او قليلا . ولقد أنشؤا فى الشتاء الماضى محكمة وظيفتها محاكمة الاهلين الذين يتشاجرون مع عساكر من الانكليز . هذه المحكمة التى هي بغير مبالغة فريدة فى التاريخ . محكمة من حقوقها ان تحكم علينا بالاعدام بلامراعاة نصوص القانون وبغير تحقيق . وان تأسيس هذه المحكمة لاعظم انتهاك علنى للحق وجناية فظيعة على المدنية . ولا بد ن تستولى كآبة عظمى على الانسان عند مايعلم ان هذه المحكمة أسسها قوم يعرفون الحق العام ويعيشون فى القرن التاسع عشر !

أما نظارة الحربية والبحرية فهى النظارة التى استولى

عليها الانكليز قبل غيرها ولذا أضر بها كثيرا تداخلهم فى شؤونها . فليس الجيش المصرى الآن الا آلة فى أيديهم وتعليم الضباط أصبح تعليما بسيطا والمدرسة الحربية التى كانت تعد فى السابق من المدارس العالية وكان اكثر طلابها يتخرجون من مدرسة المهندسخانة أمست اليوم في عداد المدارس الابتدائية بل وأقل فلقد خاب من زمن قريب اكثر تلامذتها فى امتحان الشهادة الابتدائية . ثم ان الروح التى تدب فى جيوش العالم وهى روح محبة الوطن غير موجودة فى جيشنا فانه اذا تظاهر ضابط من الضباط بالوطنية كوفىء بالرفت. والعساكر الذين لم يتعلموا فى الجيش ولا خارجه لا يعتبرون الخدمة العسكرية الا سخرة جبريه وان وجود الضباط الانكليز وحده علي رأس الجيش كاف لقتل كل عاطفة وطنية فيه

ولقد غير دينه وتجنس بالجنسية المصرية الفرنساوى الكولونل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) الذى نظم الجيش المصرى تحت حكم محمد علي وذلك كيلا يجرح احساسات العساكر الوطنية

اما الآن ففى الجيش خمس وسبعون ضابطا انكليزيا بيدهم ادارته وهم الواقفون دون غيرهم على اسراره . فليس من ضابط مصرى يعلم لم هو في سواكن بدلا عن طوكر ولم هو في وادى حلفا لا فى القاهرة . ولا يوجد مصرى واحد فى قلم المخابرات الذى لا تخفي علاقاته مع السودان والدراويش وكم من أمور تجري هنالك وكم من تقارير يرفعها رؤساء القبائل الي الحكومة ولا يعلمها الخديو نفسه ولا الوزراء

وان حظ البحرية لاسوأ من حظ الحربية . فلقد كانت لنا قبل الاحتلال بواخر قوية قوة نسبية وكانت توجد مدرسة بحرية اما اليوم فلا بواخر ولا مدرسة قضت عليهما يد الاحتلال كما قضت على السفن التجارية التى كانت تسير فى البحر الاحمر خدمة للشركات الانكليزية

اما الاختلاسات فى نفقات نظارة الحربية فدونها الالفاظ والعبارات ! يقبض سنويا الخمسة وسبعون ضابطا انكليزيا فوق المليون من الفرنكات مقدار مايقبضه الخمسمائة ضابط مصرى الذين فى الجيش كله . وميزانية نظارة الحربية

كلها بيد السردار الانكليزى كتشنر باشا الذى لا يؤدى حسابا لاحد ما . وقد يقع غالبا نقص فى عدد ضباط الجيش فلم تر ابدا مرتباتهم موفرة وينقص غالبا عدد من المطايا حيث لا يعلم . . . . بل يعلم جيدا أين تذهب الدراهم المخصصة لشرائها وأما عقد المقاولات في هذه النظارة وفى نظارة الاشغال فلا أقدر على وصف دخائله لكم بل أراني فى حاجة الى تخصيص خطبة أخرى لكشف الغطاء عن مثل هذه الفضائح

*
* *

ولم يأت الانكليز فى نظارة المالية بشئ جديد غير انهم زادوا فى المصاريف وأثقلوا الضرائب . وقد تقررت المسئلة المالية فى مصر بقانون التصفية في عام ١٨٨٠ وكان المؤسس للمراقبة الثنائية . وكانت المالية من ذلك العهد سائرة على مايرام باعتراف الانكليز أنفسهم كما يؤخذ ذلك من التقرير الذى رفعه السير ادوار ماليت قنصل انكلترا الجنرال اذ ذاك بتاريخ ٢ يونيو سنة ١٨٨٠ الى اللورد غرانفيل

ومبلغ المصاريف الادارية في مصر هو اليوم سبعة ملايين

من الجنيهات خلافاً لمعاهدة لوندره التي وضعت في عام ١٨٨٥ وحددته بمبلغ خمسة ملايين فقط . ولم تأت زيادة المليونين هذه الا من رواتب الموظفين الانكليز والمصاريف التي أنشؤها لمصالحهم . فلقد كانت المصاريف في عام ١٨٨١ تبلغ (٧٢١٦ ٢٨٨) جنيها بما فيها فوائد الديون والايرادات كانت تبلغ (٩٦٥٠٠٠٠) أما اليوم فالمصروفات صارت (٩٦٠٠٠٠٠) جنيها والايرادات (١٠٢٦٠ ٠٠٠) (وينتج من هذه الارقام ان المصرفات العمومية زادت فوق المليونين من الجنيهات والفضل في ذلك للانكليز !) . والايرادات زادت (١١٧٥ ٠٠٠) جنيها . مبلغاً نتج عن الضرائب الثقيلة التي تثقل كاهل الفلاح المسكين . وان دراسة بسيطة للميزانية ترشد الى وجود مبالغ مقررة لنظامات لم توجد ولن توجد فترى مثلا مبلغ (١٥٠ ٠٠٠) جنيه مخصصا للخزانات التي لا تنشأ (!) ومبلغ (٤٠ ٠٠٠) جنيه مخصصا لمجاري العاصمة التي لم يظهر لها للآن أثر في الوجود ! ففي أي شيء تستعمل هذه المبالغ ؟

ولقد اضرت كثيرا بالفلاح زيادة المصروفات فاصبح لا يشتغل ولا يكد الا لدفع ماعليه . ونتيجة هـذه الحال أن ديون الفلاح التى كانت في عام ١٨٨١ لا تزيد عن السبعة ملايين من الجنيهات زادت عام ١٨٩٤ عن ٢١ مليونا ولا همّ للانكليز الا ان يملأوا جيوبهم من أموال الامة مهما أضر ذلك بفوائد مصر . ولقد أكرهوا أخيرا سكان القاهرة والاسكندرية على دفع بدل الخدمة العسكرية خلافا لما كان حاصلا من قبل. ولا يعلم أحد فيم تستعمل كل المبالغ المتحصلة!

وحبا فى سلب الاهالى اموالهم منع الانكليز زراعة الدخان فى مصر وهو الامر الغريب الذى لا أشبهه لكم الا اذا فرضت أن الحكومة الفرنساوية منعت زراعة العنب فى فرنسا لتربح المبالغ التى يدفعها فى الجمارك مرسلو العنب والنبيذ من البلاد الاجنبية . هذا ما أتاه الانكليز فى مصر واليوم كل النـاس مضطر الي شراء الدخان من الخارج والحكومة تربح مبلغا عظيما على حين ان الفـلاح يئن من حرمانه زراعة كانت خير زراعة تكسبه

ولقد دافع عن الفلاح خير دفاع مجلس شورى القوانين الذى هو هيئتنا النيابية فانه أوضح كل الاختلاسات والمصاريف التى تصرف بلا فائدة وحيث رأى الاحتلال منشأ المصائب كلها فلم يرض بالموافقة على مصاريف جيش الاحتلال ووافقه على ذلك باسم الحكومة رياض باشا لما كان رئيس الوزارة

ولقد تعود الانكليز أن يخلقوا كل يوم أسبابا جديدة لاطالة أمد احتلال ضار كاحتلالهم لبلادنا فقصلوا لذلك السودان عن مصر مساعدين فى هذا الامر بنوبار باشا عامل انكلترا الحاذق . فمتى طلبت أوروبا الجلاء تقوم ولا محالة المشاكل فيما وراء الحدود ويجد عندئذ الانكليز حجة «ان عليهم تأييد أركان الامن» . وبما ان الامن مكدر صفوه دائما بوجودهم فهم يجدون دائما هذه الحجة لاطالة اقامتهم . وأن السودان لهو أجل ذخيرة للسياسة الانكليزية . فاذا نجحت انكلترا فى أن تغش أوروبا ببعض اضطرابات وقلاقل يسهل عليها احداثها فاقول ان مصر يقضى عليها الى الابد

وفى الواقع ان الانكليز أمهر أهل الارض فى احداث القلاقل ويكفينى أن آتيكم بمثالين على ذلك . لما عاد الجناب الخديوى من الاستانة عام ١٨٩٣ تظاهرت الامة بمظاهرات سرور وارتياح فابي الانكليز الا أن يكدروا الصفو ويغيروا الاحوال فاحدثوا هيجانا فى واحة بريس بالقرب من أسيوط ولكي يجعلوا له أهمية أرسلوا بلوكا من العساكر الى أسيوط وأملا في جعل الشرارة ناراً وحريقاً أمروا حكمدار بوليس أسيوط أن يأمر أهالى المدينة بتركها فلما لم يرض ذلك الموظف الامين باجابة طلبهم منتظراً أوامر صريحة من ناظره انكشف الستار عن الحقيقة وخاب الانكليز فى مقصدهم . ولتغيظهم من فشلهم اكتفوا بأن يرفتوا فى الحال حكمدار البوليس . وفى الصيف الماضى حال وجود الخديو في الاستانة اجتهدوا فى احداث اضطرابات فى واحات الوجه البحرى وذلك ان حاكم الواحات الذى هو صنيعة لهم والذى أرسل هناك لينفذ أغراضهم كدر خاطر العربان حتى أظهر هؤلاء عدم امتنانهم منه فارسل في الحال الى النظارة يطلب مدداً

عسكريا ويتهم العربان بالعصيان ولكن فى الوقت الذي كان يستعد فيه الانكليز لاجابة طلبه أرسل العربان الفطناء فريقا منهم يؤكد للحكومة خضوعهم ويطلب تغيير الحاكم. فاضطر الانكليز لتغيير هذا الشخص بالرغم عنهم

ومع ذلك فهل ثمة برهان يثبت لكم دسائس الانكليز اكبر من حالة تركيا الحالية ؟ أليست انكلترا هى التى جعلت أوروبا على وشك الوقوع فى حرب عامة؟ أليست هي المسببة لكل ذلك ذريعة لان تضع يدها نهائيا على مصر ؟ انها تؤمل بهذا التأثير الدموي الذى تؤثر به على جلالة السلطان ان تحمله على ترك وطننا. ويهدده رجال السياسة الانكليز بالعزل اذا قاوم مؤملين ان يجدوا فى خلفه سلطانا يذعن لانكلترا. ولذا فاننا نناشد أصدقاءنا فى أوروبا ان يتنبهوا كثيراً لئلا يقعوا فى أشراك تكون نتائج الوقوع فيها أشد خطرا من خطأ عام ١٨٨٢

*
* *

وفضلا عن الاسباب التى تخلقها انكلترا للبقاء فى وادى

النيل نراها تملأ جو أوروبا بالسعايات والوشايات فينا فهي تدعي ان المصريين لا يقدرون على حكم بلادهم بأنفسهم . تلك الدعوى التي يرفضها كل ذي ذوق سليم . وتنادي بأن الجلاء ينقص من قيمة القراطيس المصرية ويجعل مالية البلاد في فوضى . مع ان الناس كافة يعلمون ان المصريين هم أكثر الامم احتراما للاوروبيين وانهم ما تظاهروا مرة واحدة في حياتهم للتخلص من المراقبة المالية التي أسست في مصر لهذه الغاية بل هم يريدون ان يديروا شؤون ماليتهم بعضد هذه المراقبة . ولقد احترم نظام المراقبة كل المصريين من عهد تأسيسها حتى الرجال الذين ثاروا مع عرابي ضد أميرهم . فلقد كتب محمود باشا سامي الذي كان عضد عرابي ومساعده الاول في كتابه الوزاري الذي رفعه الي الجناب الخديوي في ٤ فبراير سنة ١٨٨٢ بمناسبة قانون التصفية والقوانين المالية ما معناه (ان هذه القوانين اكتسبت صفة معاهدات دولية وحكومة سموكم لم تغفل عن احترامها والوزارة تجتهد في مراعاتها المراعاة التامة الصادقة)

*
* *

ولـكن اذا كانت هناك اشاعة يجب القضاء عليها فهى ولا شك اشاعة التعصب الموهوم الذى يزعمون وجوده بين المصريين . فان الانكليز يريدون أن يمثلونا فى أوروبا أمة متعصبة أى معادية للمدنية الغربية . الامر الذى يكذبه كل تاريخنا . فان مبدأنا هو (احرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا) ولم نقابل الاجنبي الا بالاحترام والترحاب وكل الامم تتاجر عنـدنا بكل راحة وسلام وكلهم مادحون خطتنا وكثير من اليونانيين يسكنون القرى وتجارتهـم المسكرات والتسليف بالارباح. تجارتان كلتاهما تمنعها الشريعة الاسلامية ومع ذلك لم يلاقوا اعتراضا ولم يعتد عليهم أحـد ما . ولقد ترأس فى العام المـاضى نوبار باشا الذى هو أرمنى مسيحى أعظم حفلة دينية لنا وهى حفلة الـكسوة الشريفة والجموع ترمق الاحتفال بعين البشر والاحترام . ونوبار باشا رجل قضى حياته بيننا ودرس أخلاقنا وطباعنا فلو كان يعـلم عنا اننا متعصبون ما كان قبل أبدا مثل هذه المهمة

والتيمس التى هى أعدى الجرائد لنا أنذرت فى العام الماضى بحدوث ثورة فى الاسكندرية فى شهر رمضان ولقد انقضى شهر رمضان باكمله دون ان تحصل مشاجرة واحدة. والآن هاهي التيمس تكذب نفسها بنفسها اذ نشرت أخيرا (ولكن لتثبت هذه المرة انفصال مصر عن تركيا انفصالا تاما) « ان المصريين ليسوا متعصبين فى الدين ! » وان الامثلة الدالة على كرمنا وجودنا لا تعد . وجرائد الانكليز نفسها تعترف بذلك عند ماتريد اثبات قضاياها فهى تدعى ان الفلاح يحب الاحتلال ويتمنى بقاءه !! فكيف يتفق ان الاهالى يكونون أصدقاء وأعداء للاحتلال فى آن واحد ؟؟

ومع ذلك فالوشايات والسعايات هى سلاح معتاد للسياسة الانكليزية يستعمله الانكليز حتى ضدكم . فهم يمثلونكم لنا بمسيحيين متعصبين في الدين ويدعون انكم لاتساعدوننا أبداً على استرجاع حريتنا بلا علة غير كوننا مسلمين على حين انكم ساعدتم الامريكانيين واليونانيين والطليانيين والبلجيكيين الذين هم كلهم مسيحيون . ولا

ينشر الانكليز هذه الاكذوبة فى مصر فقط حيث لاتصدق أقوالهم ولكنهم ينشرونها فى الشرق كله !!

وتخشى انكلترا من الآن ان تحرير مصر يزيد من نفوذكم واحترامكم فى العالم الاسلامى بقدر ماينقص من نفوذها واحترامها ولهذا تحاربكم بالاكاذيب

*
* *

وفضلا عن ذلك فليست فرنسا وانكلترا هما الدولتان الوحيدتان الواقفتان في مسئلة مصر بل هناك عالمان احدهما امام الآخر : العالم الاسلامي والعالم النصرانى . فما مسئلة مصر الا مسئلة الاسلام كله وترك مصر لانكلترا هو استعباد هذه الدولة للاسلام كله . فمصر بموقعها الاستثنائى أصبحت مركز العالم الاسلامى وملتقي المسلمين كافة وبتقدمها ومدنيتها صارت مدرسة المحمديين . فالطلبة تفدعليها من الشرق كله. وتحرير مصر يكون برهاناعلى سلامة نية أوروبانحو المؤمنين برهانا هم فى حاجة اليه كما أنها في حاجة اليه . وفى الواقع فان دول أوروبا امتلكت بلادالشرق بحجة تمدينها فلم لاتحرر

اليوم مصر وهي البلاد التى تمدنت من غير أن تمتلكها دولة ما ؟ لم لاتحررها أوروبا وتبرهن بذلك على انها تعمل لخير أفراد البشر بلا استثناء وبخلو عن الغرض ؟

وهل كانت صربيا وبلغاريا ورومانيا التى حررتها أوروبا أكثر استحقاقاً للرعاية من مصر ؟ وهل فيها طبقة متنورة متربية مثل الشبيبة المصرية ؟ وهل يستحق الارمن الذين تداخل أوروبا في تركيا لاجلهم مساعدة أكثر من المصريين ؟ ولم لايكون تسامحنا وصبرنا مسببين لاسترداد حريتنا ؟ أن حوادث تركيا لفتت أنظار المسلمين كافة الى مصر وهم يتساءلون جميعا اذا كان فى أوروبا تعصب ضد الاسلام فبعضهم يحققه والبعض الآخر يكتفى بأن يشك فى الامر ! فلتعجل أوروبا وتعرفهم بحقيقة احساساتها نحونا ؟ هل هي مع انكلترا ضد الاسلام أم هل هى معه ؟ فان كانت باقية على الحياد فلا تستطيع الا عدم الرضاء باستعباد أمة كأمتنا . والا فهل ليس للانسان الذى أوجدته المصادفة من افريقية نفس الحقوق التي لانسان أوروبا ؟ انه لا يمكن

أن تفترق الامم فى مسئلة كهذه تهم الانسانية كلها . فليس فقط من واجبات فرنسا والروسيا أن تساعدانا على نيل حريتنا بل ذلك أيضا من واجبات المانيا والنمسا اذ ان كل دولة محبة للسلام يجب عليها ان تعمل لتخليصنا

وان مصلحة أوروبا ومصلحة مصر ومصلحة القانون العام وكل المصالح تكون راضية مرضية يوم ترد بلادنا الى نفسها

واذا كان فرنكلين في القرن الثامن عشر قد حرك الساكن من فرنسا واستمالها لامته بقوله لفولتير « انى أضع وطنى تحت حمايتك » فهلا يؤثر عليكم نفس هذا التأثير نداء مصر المظلومة المقهورة ؟ اننا نسأل المساعدة بدون تمييز فى الاحزاب من كل رجل ذي قلب وكل رجل ذى سريرة !

وان مصر تحت النير الانكليزى تشابه الام التى تسب وتشتم وتلوث كرامتها وأبناؤها ناظرون اليها بنظرات حزن وكآبة . فلثقتهم بالعدالة لا يعاقبون بأنفسهم المعتدين على أمهم . ولكن لتأت ساعة العدالة بسرعة لان للصبر أيضا

حدا محدودا !

وان أوروبا كلها هى الحكم فى مسئلتنا فلتنطق بحكمها العالى . فهو لا يكون ضد صالحنا بل يكون المكافأة الحقيقية على السكينة التى استعملها المصريون والصفات الجميلة التى برهنوا دائما عليها وهى التسامح والصبر وحب الحرية » اه

*
* *

نشرت اغلب الجرائد الفرنسية نص هذه الخطبة الكبيرة فاخذت جرائد العالم ملخصها وقد علقت عليها تعليقا جميلا يشف عن تقديرها الخطيب حق قدره واحلال المصريين عموما المكان اللائق بهم من التجلة والاعتبار

وقد قالت جريدة الفيغارو وهي من اكبر الجرائد الفرنسية الخطيرة ما يأتى :

« ان الخطيب الذى سمعناه امس بالقاعة الجغرافية الكبرى لم يكن اوروبيا بل هو مصرى صميم تعلم في فرنسا ونال شهادة الحقوق من كلية طولوز

وقد وقف مصطفى كامل ساعة من الزمان يعرب عن آمال

الامة وآلام مواطنيه من الاحتلال الانكليزى بلغتنا التى اتقنها اتقانا لا يميزه عنا فيه الا لهجته الشرقية

شرح مصطفى كامل هذه القضية بل العقدة الدولية شرحا لا يحتاج بعده الى اسهاب وقد صفق له الحاضرون وهم من قادة الرأى العام في فرنسا وبينهم مراسلو الصحف الاوروبية وغيرها تصفيقا متواترا

وأملنا من الحكومة الانكليزية وصحافة التاميز ان تعير كلمات الخطيب وشكوى المصريين حقها من الألتفات وان تفى بوعودها فان أبيض صفحة للحكومات ان تكون صادقة فيما تقول ولا ينكر احد او يتجاهل الوعود الصريحة التى فاه بها سواس الانكليز عند احتلالهم مصر

كما ان أملنا عظيم فى حكومة بلادنا ان تأخذ بناصر ابناء وادى النيل لان طلبهم عادل . ولان مصالحنا فى بلادهم مقدمة على مصالح كل الدول لاهميتها سواء كانت مادية أو أدبية . . . . » الخ الخ اه

وقالت زيتنغ الالمانية ماتعريبه :

« جاءنا من مراسلنا الخصوصى بباريس ملخص الخطاب الذى فاه به أمس مصطفى كامل المصرى بالقاعة الجغرافية بها وسمعه الكثيرون من كبار الكتاب فرنسيين وغيرهم وهاهى خلاصته (ونشرت ملخص الخطاب) ثم قالت :

« وانه لايسعنا أمام هذه البراهين القوية والحجج الدامغة الا أن نصفق اعجاباً بمصرى يخطب بلغة أوروبية فى عاصمة من أهم عواصم أوروبا ويسحر الحاضرين (وهم من كبار المدارك وأرباب الاقلام) بقوة تأثيره وحسن القائه ونهنئ المصريين خصوصاً بل والشرق عموماً بهذا المصرى العظيم الذى عمل فى بضعة أشهر مالايعمله غيره فى سنين فقد كرر الخطابة وأعد الاحاديث ونشر الرسائل وكتب المقالات وبالجملة فهو فى حركة ليل نهار كما يظهر من أعماله . .

وهل الانكليز الذين بيدهم مقاليد الامور يرون بعد هذه التصريحات من الشرف ان لايبروا بأقسامهم؟ انا لانظن

انه يوجد سياسى واحد فى العالم يرضى لدولته وأمته بهذه الاهانة ! !

وكذلك اذا كانت أوروبا تدعي الانسانية وتقوم وتقعد عند حدوث أى أمر بسيط فى تركيا يقع بين مسلم ومسيحى فلماذا هى لم تطالب الحكومة الانكليزية بالجلاء ؟ أمن مصلحة الدول ان تملك مفتاح الشرق للاسد البريطانى الموهوم ؟ أمن مصلحة المانيا ان تحمل آذانا سليمة صماء فى آن واحد ؟ ان المانيا على مانعتقد اذا سكتت اليوم فهى لاتسكت غدا والاعمال مرهونة لاوقاتها . . » اه

وقالت جريدة بطرسبورغ ماتعريبه :

« لاشك ان حركة الخواطر فى مصر بأزاء الاحتلال أصبحت قوية التيار شديدة الحركة . وليس هناك برهان أقوى على صدق هذه النظرية من قيام مصطفى كامل المصرى فى عواصم أوروبا وعلى الاخص فى باريس ـ التى اتخذها الحزب المصرى مركزاً لاعماله السياسية ـ بأعمال كبيرة صادقة . فقد خطب أخيرا خطبة في باريس هـذا ملخص ماأرسله الينا

مكاتبنا عنها (وذكرت الملخص) . . . ثم قالت :

« ان التحالف الثنائى يجد من التحالف الثلاثى اتحادا فى اجابة هذا النداء لانا نرى صحف هذه الممالك المتحالفة تعطف على المصريين وتؤمن على كلماتهم وليس في العالم صحافة تنكر على المصريين حقهم الا الصحافة الانكليزيه (طبعاً) ولكن لماذا لا تعرض هذه المسئلة على بساط البحث ؟

ان الذى فى يده عرضها هو جلالة السلطان عبد الحميد لانه صاحب السيادة والكلمة الشرعية على مصر ووجود الانكليز فيها يهدد بلاد العرب والبحر الاحمر الذى هو معتبر في نظر جميع الدول كقناة عثمانية

ربما يكون لدى جلالته مايمنع هذا الغرض ولكن الدلائل كلها تثبت عكس ذلك اللهم الا المسائل التركية الداخلية التى تعرقل كثيرا نجاح المسئلة المصرية

فليستمر المصريون في الدفاع عن وطنهم وحريتهم وليكونوا يدا واحدة فان الاستقلال رأس الحرية وهى أنفس مايكون . . . » اهـ

وقالت غازت دى بروسـيا بعد ان نشرت الملخص ماتعريبه :

« ان للحجر صوتا فى الماء وللطينة علامة في الحائط ولا بد ان يكون كذلك لـكلمات مصطفى كامل تأثير على السياسة الاوروبية بشأن المسئلة المصرية وان لم يكن له سوى نشر الشعور الوطنى بين مواطنيـه الذين يسميهم الانكليز (أغناما) لـكان من أعظم عظماء الرجال

وانا نقول لمصطفى كامل ان اليوم الذى فيه تنال بلاد الفراعنة حريتها هو اليوم الذى يجب ان يوجد فيه الـكثيرون من أشباه مصطفى كامل . . . » اهـ

*
* *

علم القراء الـكرام مما تقدم أني كنت سألت المترجم رأيه فى استقالتى من خدمة الجيش بعد ان لاقيت مالاقيت من الاضطهاد عقب مجاهدته فى خدمة وطنه واذاعة مقاصد الاحتلال السيئة فى كل مكان فأجابنى باستحسان تلك النية وأشار علي بوجوب تقديم الاستقالة حالا

فأذعنت لهـذه المشيئة التى صادفت من نفسى هوى مكينا وقدمت استقالتى منشرح الصدر قرير العين وكنت اذ ذاك ملاحظ ضرب نار . ولـكن رئيسى وهو قومندان الاورطة التى كنت ملحقا بها ألحّ علىّ فى الرجاء ان أرجع عن الاستقالة وأسترد طلبي ففعلت

وما مضى شهر نوفمبر حتى كادت روحي تبلغ التراقى لشـدة ماوقع على نفسى من الضغط ولمـا كان يتفنن فيه البكباشى جدج من صنوف الاضطهاد الثقيـل على النفس . وأدت الحال الى مناقشة بينى وبينـه فى ميدان ضرب النار واتهمنى بالاهمال ثم انتهى الامر باحالتى على الاستيداع . فوصلت الى مصر يوم الخميس ٥ دسـمبر سنة ١٨٩٥ وأنا فرح مستبشر وقد صحت عزيمتى على تقـديم استقالتي بعد عودة المرحوم لاني استـأنفت دراسـة الحقوق بالمدرسة الفرنسية بالقاهرة

ولما وصلت الى مصر طيرت نبأ وصولى الى المترجم فورد علىّ منه الرد تلغرافيا بالارتياح والسرور

وقد أخـذت منـذ ذلك الوقت أترقب كل ماينشره المترجم دفاعا عن الوطن وايقاظا لعاطفة الوطنية في الصدور . وكان أول ما قرأت له فى ذلك الحـين ـ أى بعـد عودتى الى العاصمة ـ مقالة فى (النوفيل ريفيو) وخطابه الى اللورد سالسبرى ثم خطبتـه في باريس تلك الخطبة التى كانت بمثابة شعلة من النار ألقاها فى صدور صنائع الاحتلال عباد الدرهم والدينار الذين لفظتهم بلادهم فأصبحوا بلا وطن ..

ولما ظهرت الجرائد الاحتلالية في هذا المظهر وأضافت الى جرائمها القديمة جريمة جديدة أخذ المصريون يشعرون بمركزهم السياسى . وعلموا بل ونظروا الاحبولة التى ينصبها لهم الاحتلال تحت صوت أبواقه الذين لم ينجحوا فى عملهم حتى مع بسطاء النـاس بل باؤوا بالخذلان المبين . وقد أخذ المصريون النجباء يوالون قطع جرائد الاحتلال حتى بلغ بهم التحمس مبلغاً عظيما فداسوها بأقدامهم ومثلوا بها أقبح تمثيل . وكذلك يجازى المعتدون

وقد استلمت من المـترجم فى يوم السبت ٢١ ديسمبر

سنة ١٨٩٥ خطابا قال فيه :

« سررت جدا من وجودك فى مصر هذا الوجود الذي سيكون أكبر مساعد لك على دراسة الحقوق والخلاص مما أنت فيه لتكون الى جانبي نعمل قلبا وقالبا فى خدمة وطننا العزيز فأحمد الله على ذلك

قد كان لخطابى الاخير فى باريس أكبر وقع فى الدوائر السياسية الاوروبية . ولا شك أنه سيؤثر فى مصر تأثيرا كبيرا سواء على الوطنيين أو على الاعداء الالداء . وقد تعرفت هنا بالكثيرين من كبار رجال الحكومة الفرنساوية الذين أؤمل أن يؤدوا أكبر الخدم لمصر والمصريين

سأبرح بمشيئة الله تعالى باريس فى يوم الجمعة ١٠ يناير المقبل فأكون عندكم فى يوم الاربعاء ١٥ منه وسأرسل اليك تلغرافا عند مبارحتى مرسيليا لتنتظرنى فى الاسكندرية

« مصطفي كامل »

باريس فى ١٢ ديسمبر سنة ١٨٩٥

وما قرأت هذا الخطاب حتى سررت سرورا كبيرا

اقرب قدوم أعز عزيز لدى واجبته فى الحال بما أعلم عن تأثير الخطبة التى ألقاها فى باريس والتى نشر المؤيد تعريبها الذى كان قد أرسله المرحوم اليه فى نفس اليوم الذى بعث الي فيه بهذا الخطاب

السنة الثالثة
١٨٩٦

وفد عليّ ذلك الكتاب الكريم ولله هو من وافد ولله در مرسله من موفد . فأخذت أعد الايام يوما فيوما وأحصى الساعات ساعة بعد ساعة واستبطيء الزمان . وكلما مرت لحظة تنسمت أريجه واستنشقت هواء الشمال الذى يحمل ذلك النفس الطاهر

جاء أول شهر يناير سنة ١٨٩٦ وكنت قد قصدت نظارة الحربية لاتناول مرتبي وهناك لقيت الميرالاى مكسويل بك كاتم اسرار النظارة فتبادلنا السلام ودار بيننا هذا الحديث —

قال كم سن أخيك ؟

قلت واحد وعشرون عاما

ثم قلت ماداعية هذا السؤال ؟ ؟

قال ربما عرفت « داعية هذا السؤال » ! ! هل تعلم كم كان لتأثير أكاذيبه السياسية في خطبته الباريسية على نفوسنا نحن قواد الجيش المصرى ؟؟

فاجبته على هذا السؤال بابتسام يشعر بالاستخفاف . وهو فى اعتقادى احسن جواب على مثل ذلك السؤال

ثم مضى فى حديثه فقال :

لو عرفت مقدار تأثير تلك الاكاذيب لعذرتنا . لانه ماجاء الى مصر كما تعرف ويعرف كل ضابط مصرى قائد عام اتصف بالشدة فى مواطن الشدة واللين فى مواطن اللين في معاملة الضباط المصريين والمساواة بينهم وبين الضباط الانكليز مع استقامة الاحوال والمحافظة على الاموال : مثل قائدنا الحالى كتشنر باشا . فكيف يقول أخوك الذى لم يعرف من الدنيا غير الكلام المؤثر ماقاله فى تلك الخطبة التى كلها أكاذيب فى أكاذيب عن نظارة الحربية ؟؟

سمعت هذا السؤال ولم أتعجب من القائه علىّ . ثم أردت أن اجيبه بما يناسب المقام وفهم هو ذلك فقال :

قد دهش كل الضباط العظام من انكليز ومصريين عند ماعلموا أنه أخوك فهل أنت الذي زودته بهذه الا كاذيب ؟؟

سمعت هذا السؤال أيضا فاضفت الي الاستخفاف به الاعراض عنه . ولم أجبه بكلمة بل تركته يمضى في حديثه لأعرف النهاية فقال :

ان أخاك يسيء كثيرا الى مواطنيه بأعماله هذه ولن يبلغ من الاحتلال شيئا . بل ربما امتد اليك والى غيره الاذى بسببه فقلت له :

اني لا أزال فى الجيش ضابطا لاعلاقة لى بالسياسة فأرجو منك أن تأذن لى بالانصراف لما جئت لاجله

وهنا تبسم ابتسامة ذات عدة معان . ثم سلم وسلمت وانصرف كلانا وفى قلبه مضض . هو يريد أن أصعق وأنا أريد أن يطهر جو مصر من نفسه ليعود الى سابق نقائه وصفائه !!

فكرت كثيرا بعد ان تركت مكسويل بك فى مركزى

بالجيش وتألم القوم من أعمال أخي ونظرت فى حظي الذى حتم عليّ أن أسترد استقالتي التى كنت قد قدمتها الي قومندان الاورطة وأنا بسواكن وقلت فى نفسى لا بد من الاستعفاء حالا. ولكنى أجلت الامر الى حين وصول المترجم لاهتدي بهديه وأقتدي برأيه

وماجاء يوم الاثنين ١٣ يناير حتى سافرت الى الاسكندرية لاستقباله فوصلت الباخرة فى الساعة السادسة صباح اليوم التالي وما وقع نظر كل منا على الآخر حتى التهبت نفسانا من شدة الوجد وفرط السرور فتعانقنا وحيا كل منا أخاه تحية اللقاء . وركبنا الى المحطة وقد وصلنا الى مصر قرب الظهر . فكانت غاصة بالجماهير الذين جاؤوا ليحيوا خطيبهم المفوه ومحاميهم الباسل . فدهش رحمه الله من هذا الشعور والتفت الي قائلا « ألم أقل لك ان الشعور الوطنى كامن فى نفوس مواطنينا الاعزاء ويكفى لاظهاره ان يقوم منا رجال يجاهرون بالدفاع عن حقنا المسلوب» ؟ ؟

ثم سلم رحمه الله بيده على كل قادم للقائه . وركبنا العربة

الى المنزل وبعد الاستراحة وفد عليه الكثيرون من الاصدقاء وفي مقدمتهم أعضاء الحزب الوطني الذين أظهروا له عظيم ارتياحهم من جهاده الذي شرف كل مصري وأملوا جميعاً النجاة القريبة من هذا الاحتلال

* *
*

وكان المرحوم وهو في باريس قد أرسل الي المستر غلادستون كتابا سياسيا بعد ان طالت الازمة الارمنية واشتد هياج الشعب الانكليزي ضد الدولة العلية بتأثير أقوال المستر غلادستون نفسه وهذا تعريبه :

مراسلة سياسية

بين المترجم والمستر غلادستون

باريس في ٢ يناير سنة ١٨٩٦

« أيها السيد المبجل

اسمحوا لاحد أبناء وادي النيل . لوطني لا أمنية له الا

تحرير بلاده ان يتصدى لكم اليوم ليسألكم رأيكم عن حل مسئلة مصر

فلقد كنتم منذ احتلت انكلترا وطننا أشد نصراء الجلاء وجاهرتم مرارا عديدة بأعلى صوتكم انه لا يليق ببريطانيا العظمى ان تحتل مصر الى أجل غير محدود فان هذا يمس بشرفها أشد المساس

واننا سجلنا كل تصريحاتكم وحفظنا مجاهراتكم . ولو انكم لم تستطيعوا الوفاء بوعودكم عندما كانت السلطة في يدكم لاسباب نجهلها بالكلية فاننا لانزال نظن اعتقادكم الآن كاعتقادكم فى سالف الزمن أى انه ليس لمسئلة مصر الا حل واحد وهو الجلاء

ولهذا رأيت من المفيد ان أرجو منكم في هذا الوقت الذى اضطربت فيه أحوال المسئلة الشرقية ان تعرفونا عن حقيقة احساسكم نحو حظنا

فان كنتم لاتزالون من نصراء الجلاء كما نظن ذلك فمتى تظنون انه يمكن تحقق هذا الجلاء المنتظر من عهد بعيد؟

وفضلا عن ذلك فان تصريحا منكم بشأن مسئلة مصر

يكون له أعظم أهمية فى هـذه الايام التى يحسب فيها الجم الغفير من أبناء ديننا المسلمين انكم اكبر عدو رآه الاسلام

وانى مع انتظار الجواب على كتابى هذا أرجومنكم أيها السيد المبجل ان تتفضلوا بقبول عظيم احترامى»

مصطفى كامل»

فبعث اليه جناب المستر غلادستون كتابا باللغة الانكليزية جواباً على خطابه السابق هذه ترجمته :

« سيدى العزيز

انى أستحسن مافهمته من احساساتكم نحو بلادكم بصفة كونكم مصريا . ولـكننى مجرد بالمرة عن كل سلطة

أما آرائي فانها لم تتغير قط . وهى دائما أنه يجب علينا ان نترك مصر بعـد أن نتمم فيهـا بكل شرف وفى فائدة مصر نفسها العمل الذى من أجله دخلناها

وان زمن الجلاء على ما أعلم قد وافي منذ سنين

ولما كنت فى منصبي أخيرا أملت مساعدة الحكومات الاخرى توصلا الى تسوية هذه المسئلة المهمة . والسلوك الذى

اتبعه مسيو وادنجتون فى عام ١٨٩٢ شجع املى غير ان المخابرات لم تخط خطوة واحدة مع عظم ما أملنا اذ ذاك — ولست أدرى لاى سبب

ولقد جاهرت بكل تصريحاتى فى مجلس النواب سنة ١٨٩٣ ولم يبق عندى شيء أضيفه عليها. ولكن كنت مستعدا لعمل كل حسن في سبيل اعطاء آرائى تأثيرها الا اننى تركت المنصب بالمرة ولست الآن الا أحد أبناء بلادى الخصوصيين. واني أتشرف بان أكون منك الخاضع الصادق

بيارتز في ١٤ يناير سنة ٩٦ و. غلادستون »

*
* *

وانا نثبت هنا الاصل الانكليزى بخط المستر غلادستون كأثر تاريخى وشهادة منه نسجلها على الانكليز كما سجلنا غيرها وهو هذا

Dear Sir, I sympathise with what I understand to be your feelings as an Egyptian but I am wholly devoid of power. My opinions have certainly been the same; that we ought to quit Egypt after having fulfilled the work for which we went there with honour and benefit to that country, so far as that time would arrive some years ago. When I was last in office I hoped for the aid of other governments in arranging this important matter and steps taken in 1892 by M. Waddington encouraged this hope. But no step was taken in correspondence with our expectations, for what reason I know not. My explanation was made in Parliament in 1893 and I have nothing to add but that I was ready to do my best towards giving it effect but that I have been entirely divested of the power being now simply a private citizen of my country. I have the honour to be your obedient & faithful

W E Gladstone

Hawarden Jan 14. 1896

ما انتشر كتاب المستر غلادستون حتى تناقلته كافة الشركات التلغرافية واهتمت به كل الدوائر السياسية فى مصر وفى غيرها وعلقت عليه الصحافة الاوروبية التعليقات المهمة . فمن ذلك ما نشره المسيو الفونس همبير أحد كتاب فرنسا السياسيين وأحد نواب مدينة باريس فى مجلس النواب الفرنسى فى ٣ فبراير بجريدة الا كلير الباريسية وهذا تعريبه :

كتاب غلادستون

﴿ والجرائد الاوروبية ﴾

جريدة الا كلير :

« تبودلت مكاتبة مهمة بين مصطفى كامل والمستر غلادستون . ومصطفى كامل هو شاب مصرى مغرم أشد الغرام بتحرير بلاده وقد أقام فى باريس وعرفه فيها معرفة جيدة كل الكتاب المشتغلين بمسألة وادى النيل . وهو قد كتب أخيرا الى « الشيخ الكبير » - أعنى غلادستون — كتابا يذكره فيه بأنه كان فى سالف الزمن نصيرا علنيا

للجلاء عن مصر ويسأله فيه عما اذا كان باقيا على آرائه القديمة أو تغيرت . فأجابه المستر غلادستون بكتاب كله أدب ولطف . جاهر فيه بأن آراءه لم تتغير. وانه يعتقد دائما ماقاله فى الماضى من ان (شرف انكلترا ملتصق باحترام عهودها نحو مصر) واضاف على ذلك قوله « ان وقت الجلاء على ماأعلم قد حان منذ أعوام » ولقد كان الناس يعلمون كافة ان المستر غلادستون عند ما كان يعمل ضد وزارة المحافظين اعلن بغيرة زائدة فى مجتمعات عديدة حاجة انكلترا الى ترك ارض الفراعنة . ولكن كان يظن انه متى استولى غلادستون على منصة الاحكام رأى أشياء بغير العين التى كان يراها بها من قبل واتباعا لخطة اسلافه وعملا بمذهب (بيلبوكيه) الذى يعتبر ان كل مايكون امتلاكه حسنا فمن الحسن المحافظة عليه . ولكن يظهر انه لم يكن على شىء من ذلك وان المستر غلادستون — ولو انه لم يسر أحدا بما فى نفسه بقى مدة وزارته الاخيرة من أنصار الجلاء الصادقين . ولكن لماذا لم ينتهز الفرصة اذا لاجلاء الجنود

الانكليزية عن مصر ؟ ان مراسل مصطفى كامل — يعنى به المستر غلادستون — يجيب عن هذا الموضوع الحرج بقوله « وانى لما كنت فى الوزارة أملت مساعدة الحكومات الاخري » الى آخر ماقال

والمستر غلادستون اما ان يكون ساخراً من العالم كله واما ان يكون مراده انه كان مستعداً فى عام ١٨٩٢ لان يأمر بالجلاء عن مصر لو ساعدت فرنسا على تحقيق رغائبه الكريمة . ومن المستحيل عليه ان يفهمنا ذلك . ولكن ربما يريد ان يقول ان فرنسا لم تستعجله عندئذ كما يجب . وأى حاجة كانت له فى ان تستعجله فرنسا ؟

انه من الغريب العجيب ان رجلا سياسيا يعتقد ان عملا سياسيا موافقا كل الموافقة لشرف بلاده ولصوالحها ثم لا يأتى به بحجة ان حكومة أجنبية لم ترجه الاتيان به . . . .

فأن هذا العذر لا يمكن قبوله . وخلاصة القول ان تصريحات المستر غلادستون من الغرابة بمكان والنقطة الوحيدة التى هى جلية صريحة في كتابه ان الرجل العظيم ككثير من

رجال السياسة : له سياسة عند ماتكون الاحكام بيد غيره وسياسة أخرى عند ماتكون بيده ! !

ا .همبير »

جريدة الديبا

ونشرت جريدة الديبا الباريسية فى ٣ فبراير الجملة الآتية :

أرسل المستر غلادستون كتابا الى مصطفي كامل بشأن مصر . ومصطفى كامل هـذا هو شاب مصرى ذكى محب لبلاده راغب أشد الرغبة فى جلاء الانكليز عنها

وقد أقام بضعة أشهر فى باريس وكتب في أول يناير الى المستر غلادستون يسأله عما اذا كان لا يزال نصيرا للجلاء وفي أى وقت يمكن في نظره تحقيقه ؟ ؟

ويوجـد فى كتاب مصطفى كامل هـذا فقرة تستحق بصفة خصوصـية جوابا صريحا وان لم تكن الهمت مراسله العالى الشأن ـ يعنى المستر غلادستون ـ جوابا عنها وهى :

« ولو انكم لم تستطيعوا الوفاء بوعودكم فاننا لانزال نظن ان اعتقادكم اليوم كاعتقادكم فى سالف الازمان وهو انه لا يوجد

لمسئلة مصر الا حل واحد وهو الجلاء »

وفى الواقع ان هذا الرأى هو رأي المستر غلادستون كما يظهر من عبارات كتابه المرتبكة

ولكن لماذا لم يحقق المستر غلادستون وعود الجلاء عن مصر حينما كانت السلطة في يده ؟؟

فهل ذلك لانه لم يستطع كما حسبه مصطفى كامل علي ماظهر له ؟

وعلى كل حال فقد علمنا ان تأخره عن تحقيق الجلاء لم يكن ناشئا عن اعتقاده بأن زمنه لم يحن لانه يقول بصريح العبارة « وان زمن الجلاء على ماأعلم قد حان منذ أعوام »

واذا كان الامر كذلك ـ ولسنا نحن القائلين بضده ـ فعدم اقدام المستر غلادستون على العمل للجلاء أمر لا تفسير له ولا يمكن أن يفسر أبدا بما قاله هو نفسه :

« واني لما كنت أخيرا فى المنصب أملت مساعدة الحكومات الاخرى .. الى آخر ما قال وأطلع عليه القراء »

وان مصطفي كامل لا يعلم أكثر منا لماذا لم يحقق المستر

غلادستون رأى الجلاء عن مصر . والمستر غلادستون كذلك لا يعلم لماذا لم تساعده الحكومات الاخرى فى ذلك أو بعبارة أخرى لم تدفعه اليه !!

اذا فمن السهل علينا امام جهالة كهذه أو تجاهل للحقيقة ان نفقه كيف جرت الاشياء لانها تجرى دائما فى مجرى واحد سواء كانت الحكومة الانكليزية بيد الاحرار أو بيد المحافظين

وهو انه عند ما تتكلم الدول بشأن الجلاء تجيب انكلترا بكل عظمة وتشامخ انها الدولة الوحيدة التى من شأنها تحديد وقته وتحقيقه !!

وعند ما تسكت الدول عن الكلام انتظارا لقيام انكلترا به تلقي هذه الدولة تبعة الاحتلال على سكوت الدول الاخرى

والذى يزيد هذه الخطة غرابة من قبل المستر غلادستون هو أن زمن الجلاء على مايعلم « قد حان منذ أعوام » فما الذى ينتظره اذن .. ؟؟

ألم يكن متحققا — انه لو كان عرض شرائط يمكن

الاتفاق عليها ـ من أن يساعد المساعـدة الصادقة ويعضد التعضيد القوى من الدول التى « كفرنسا والدولة العليـة » مسئلة الجلاء عن مصر من القواعد الاساسية السياسية ؟؟

على ان المستر غلادستون قد ابتعد اليوم عن عالم السياسة ويقول بنفسه ـ وانني لا استطيع فى الامر شيئا ـ أنا لست الا كاحد ابناء بلادى الخصوصيين ـ ولـكنه لا يظهر مثل هذا التواضع والخضوع والابتعاد عن الاعمال عند ما يكون الامر متعلقا بالمسئلة الارمنية

وعلى كل حال فمن البديهى انه لا يمكن المشتغلين بمسئلة مصر وجلاء الانكليز عنها ان يعتمدوا عليه الآن

ولقد أصبح من خصائص حكومة الملـكة ان تتساءل ـ هل لم تكن اطالة الاحتلال بلا داع ثقيله جدا على السياسة العمومية لانكلترا بل وعلى سياسة دول أخرى ؟؟

وهل لم تحرمها من وداد تحتاج اليـه بعض الاحايين

وهل لم تجعلها محلا للشكوك والظنون السيئة اذا لم يكن ضررها الحسى والمعنوى اكثر من نفعها ؟ ؟

ونحن لا نشك فى مجىء الوقت الذى تحل فيه المسألة المصرية حلا موافقا العهود انكلترا ولفائدتها الحقيقية ولحرية مصر تحت سيادة الباب العالى ولمبادىء القانون العام والانصاف » اه

جريدة الفيغارو

وكتب المسيو «دنيس جيلبير» محرر السياسة الخارجية في جريدة (الفيغارو) الشهيرة بعددها الصادر بتاريخ ٣ فبراير ماتعريبه :

« لقد أصبح المستر غلادستون أحد أبناء بلاده الخصوصيين كما ينادى بذلك وسهل عليه أن يعترف بتصريح ربما ضايق اللورد سالسبرى فى المخابرات الجارية دائما بشأن الجلاء عن مصر . فقد كتب لزعيم الاحرار ذلك الشاب المصرى — مصطفى كامل — يذكره بارائه القديمة التى كان مغزاها دائما انه لاحل للمسئلة المصرية الا بالجلاء

فأجابه المستر غلادستون بكتاب لا شك فى انه زائد فى الصراحة وان كان مع صراحته هذه يحتاج الى تفسيرات وتوضيحات تكميلية

يقول الشيخ السياسى الهرم المحنك فى ذلك الكتاب ان زمن الجلاء عن مصر على ما أعلم « قدحان منذ أعوام » فاذا دققنا النظر في ذلك القول رأينا ان الزمن الذى يشير اليه المستر غلادستون قدحان قبل عام ١٨٩٢ عنه ما كان هو القابض على أزمة حكومة بلاده ولكن لم تطابق أعماله معتقداته

ذلك مالا يفصحه المستر غلادستون . وهنا تظهر هذه الظاهرة الغريبة التى تبدو عند كل السياسيين وقتما يتولون الاحكام بعد ان كانوا خارجها . فعند ما يكونون خارجا عن الحكومة يرون كل أمر سهلا ويجدون من أنفسهم استعداداً غريباً لقبول التسهيلات الفائقة لحل كل المسائل ورغبة تامة فى الوفاق العام والتقدم السلمى لمصالح بلادهم . وعلى هذا المبدأ وعد المستر غلادستون نفسه بمنح ايرلاندا استقلالها الداخلي وهو الامر الذى تخلى عن الوزارة قبل ان يتمكن من نيله

ولكن عند ماتكون الاحكام في أيديهم يرون الاشياء بأشكال جديدة !!

فسواء كانت الحكومة موكولة الى الاحرار أو الى

المحافظين لا يبصر رجالها امامهم سوى مصالح انكلترا ولا يفكرون الا فى اتباع التقاليد السياسية القاضية بانتهاك حرمة الحق والذمة والشعائر الانسانية والاستغراق في الانانية وحب الذات

ولهذا عند ما يقول المستر غلادستون « انه لا يعلم لماذا لم تأت المخابرات التى جرت فى عام ١٨٩٢ بنتيجة عن الجلاء » تراه يذكرنا بالبغى من الابكار الكاذبات التى مع اعترافها بأنها على وشك أن تضع حملها تقول كما يقول المستر غلادستون اذا سئلت عن سبب هذا الحمل « انى لا أعلم فى الامر شيئا !! »

وعندنا ان هذا التشبيه الفلسفي المحض لا ينقص شيئا مطلقاً من خطورة الحالة التي أوجدها اعتراف المستر غلادستون « بأن زمن الجلاء قد حان من أعوام » لخلفه اللورد سالسبرى

فاذا كان وقت الجلاء قد حان من قبل سنة ١٨٩٢ فتحقق الجلاء في سنة ١٨٩٦ يظهر أنه من الامور الطبيعية

ونحن ننتظر بشغف زائد أقوال الانكليز عن هذه

الحجة الحديثة »

لا بولتيك كولنيال

وكتبت جريدة « السياسة الاستعمارية » الباريسية

ما تعريبه :

« بعث مصطفى كامل الشاب المصرى المشهور اسمه في كل بلاد فرنسا كتابا الى جناب المستر غلادستون يسائله فيه عن رأيه فى المسألة المصرية فأجابه زعيم الاحرار والوزير الاول لانكلترا سابقا بكتاب عظيم مهم للغاية

ومن تلاوة الكتابين اللذين تبودلا بين المستر غلادستون ومصطفي كامل يرى القراء ان تصريحات المستر غلادستون ربما ضايقت اللورد سالسبرى ولكن يعلم الناس كافة أن الوزير الاول لانكلترا لا يتضايق أبداً حتى اذا ذكر بنفس وعوده الصريحة !!

والمستر غلادستون الذى استعاض بابتعاده عن السلطة بعض الصراحة في القول يعلن اليوم بأنه لم يستطع « خلافا لرغبته » الوفاء بالوعود التى وعدت انكلترا بها أوروبا بشأن

الجلاء عن مصر وذلك لان الدول لم ترغب مساعدته ! ! !

وأن اللورد سالسبرى لا يستطيع الاتيان بعذر كهذا ولكن من الجائز أن دول أوروبا التى لا يطلب هو منها حل مسئلة مصر تعود اليه وتطلب منه ذلك » اه

جريدة البوست

وكتبت جريدة («البوست) الباريسية ماتعريبه :

« انقطع الكلام عن مصر عندنا مدة أسبوع واحد ولكن نحن الآن مضطرون لاعادة الكلام عليها

والذى يدعونا الى اعادة الكلام عن مصر كتاب بعث به المستر غلادستون الى ذلك الشاب المصرى الوطنى « مصطفى كامل » الذى ذكره بتصريحاته القديمة والذى يزيدنا رغبة فى الاشارة الى هذا الكتاب والعناية بأمره هو أن جرائد انكليزية علقت عليه أخبارا من شأنها أن تحدث أعظم تأثير

والمستر غلادستون يجيب الشاب المصرى — الذى يجب علينا ان نقول انه يعبر عن أفكاره احسن تعبير —

بكل سذاجـة . فهو يقول انه كان ولا يزال نصير الجلاء ولـكنه لم يستطع في الامر شيئا لانه صار احـد ابناء بلاده الخصوصيين !!

ولكن أليس من الصواب ان المستر غلادستون متفق الآن مع رجال سياسة انكلترا ؟ ؟ ؟

على أن كتاب المستر غلادستون لم يقنع - علي مانظن - مصطفى كامل وان يكن سرورنا ممـافيه الدليل القوى على ان التاريخ يتجدد الى الابد

والذى نراه نحن بمناسبة هذا الكتاب الخطير انه من الصعب جـدا بل ومن المستحيل على انكلترا ان تقبل من نفسها الجلاء عن مصر فى هذا الحين . ونزيد على ذلك ان اللورد سالسبورى اذا اضطرته الدول الى تحقيق الجلاء فى هـذا الوقت الذى تغيرت فيه السياسة الاوربيـة بسبب حوادث ارمينيا والـكاب : كان فى ذلك سقوطه وسقوط وزارته . اذ لا تثبت قدماه يوما كاملا بل يسقط محتقرا مرذولا من كل الانكليز »اه

وجاء فى جريدة (الريبوليك فرنسيز) ماتعريبه :

«طالما تساءل الناس عن سبب امتناع المستر غلادستون حينما كانت الاحكام بيده فى انكلترا عن تحقيق الجلاء عن مصر مع كونه لم يترك فرصة الا جاهر فيها بأن الجلاء محتم على انكلترا ومفيد لها

وصحيح انه كان قد فاه في سراى وستمنستر (سراى البرلمان الانكليزى) باقوال صريحة مهمة متعلقة بمصر . ولكنه من ذلك الحين لم يقل شيئا عن المسألة المصرية حتى جاءه شاب مصري وطنى وسأله عن رأيه فى هذه المسئلة الخطيرة. فأجاب المستر غلادستون ذلك الوطنى المصرى ـ مصطفى كامل ـ بكتاب رضى ان يجاهر فيه بسره السياسى

فهو يقول انه ليس هو الذى لم يرغب فى الجلاء بل ان الدول لم تساعده على تحقيقه وان الحكومة الفرنساوية لم تدأب فى سعيها وراء هذا الحل ! !

وأن مجاهرة المستر غلادستون هذه كانت غير منتظرة. وجوابا عليها نقول للذين ينشرون الاحاديث السياسية عن

احرار انكلترا التي يجاهر فيها أولئك الاحرار بانهم نصراء الجلاء عن مصر — ان اليوم الذى تجىء فيه ساعة الجلاء لا يكون من الاحرار الا مثل مافاه به شيخهم الكبير يقولون رغبنا في الجلاء ولكن اوروبا لم تساعد عليه» ! ! اه

جريدة لوسوار

«قصد محرر من جريدة (لوسوار) المسيو جول لافوس احد مشهورى الساسة فى فرنسا واحد كبار النواب المسموعي الكلمة في المسائل الخارجية ليسأله رأيه . وقد نقل المحرر عنه حديثا تناقلته جرائد مهمة كجريدة الاستافيت وجريدة النيويورك هيرالد الشهيرة وغيرهما

قال مسيو لافوس بعد ان قرأ الكتابين ما يأتي :

« حقيقة ان المستر غلادستون هو من رجال انكلترا الذين يعتقدون اعتقاد اصحيحا ـ كالسير شارل ديلك ـ ان الجلاء عن مصر لازم لمصلحة بريطانيا ولكن المستر غلادستون امسى قصياً عن المنصب وربما بقى قصيا عنه الى الابد

وعلى رأيي انا الذى طلبت كثيرا الجلاء عن مصر ورفعت مسئلة مصر فوق منبر خطابة مجلس النواب انه لا يمكنى طلب الجلاء عن مصر الا بعمل تشترك فيه الدول الاوربية . فان هذه المسئلة صارت دولية ولا يمكن فرنسا وحدها ان تقوم بمأمورية طلب الجلاء ولكن ذلك لا يمنع ان تكون هي الداعية الى اتحاد الدول فى هذا الشأن وهذا الامر متعلق بالحكومة ويجب عليها ان تنتهز الفرصة السائغة للقيام به

وعندى ايضا ان الروسيا تقدر طلبنا بالجلاء عن مصر حق قدره . وارجح من جهة أخرى ان النهضة الحالية المسببة عن الخلاف بين انكلترا والمانيا تحل المسئلة المصرية نهائيا . على انه ليس من المقبول مطلقا ان دولة وحدها تصبح السيدة الاميرة على قنال هو الطريق الوحيد للشرق الاقصى

وان الحجة العظمى التى يحتج بها الانكليز لوجودهم فى مصر هى ان المصريين ليسوا اهلا لان يحكموا بلادهم بانفسهم ولذلك أقامت نفسها وصية عليهم !! ولست أدرى بم يبرر

الانكليز هذا الادعاء وفي المصريين طبقة جديدة تلقت عن اوروبا كل ماتحتاج اليه لادارة شؤون البلاد العمومية ولماذا تنكر انكلترا على هذه الطبقة فضلها ولا تتركها تدير شؤون بلادها بنفسها!؟؟

ويظهر من تعصب الانكليز هذا ضد المصريين كنه مقاصد انكلترا من رغبتها في اطالة أمد الاحتلال والبقاء على شواطيء النيل ـ وهو الامر الذى يضج منه المصريون ـ وهذا التعصب لا يقضى عليه شيء آخر سوى اتحاد الدول الاوروبية» اه

جريدة الموند

وكتب مسيو (جول دولا يورث) في جريدة الموند الباريسية الشهيرة تعليقا على كتاب المستر غلادستون لمصطفي أفندى كامل ما تعريبه

«لوزراء الانكليز كما لغيرهم من رجال السياسة العديدين خطة خاصة عند ما يكونون خارج الحكومة وسياسة أخرى عند ما تلقى اليهم مقاليد الاحكام

وليس المستر غلادستون الوزير الاول الاسبق ممن يستثنون عن هـذه القاعدة فلقد كتب اليه فى هـذه الايام الاخيرة الشاب الوطنى المصرى ـ مصطفى كامل ـ أحد رجال الشبيبة المصرية المتربية فى أوروبا يسأله رأيه عن حل مسئلة مصر ويذكره بأنه هو نفسه غلادستون الذى كان نصيراً لسياسة الجلاء عن مصر وانه جاهر مراراً عديدة بأن من العار الكبير على الشرف الانكليزى ان تحتل مصر الى أجل غير مسمى خلافا لتعهدات بريطانيا العظمى

وقـد قال له ذلك الشاب المصري فى كتابه انه وان لم يستطع مدة وجوده فى الوزارة تحقيق رغائبه الشريفه فلا بد أن يكون الآن باقيا من نصراء الجلاء ويرجوه ان يبدى رأيه بشأن ميعاد الجلاء فأجابه المستر غلادستون من بيارتيز التى ذهب اليها لينتفع بمياه حماماتها بأن آراءه لم تتغير ولن تتغير قط بشأن مصر ويزيد على ذلك اعترافه بأن زمن الجلاء قد حان منذ أعوام

ولـكن لماذا لم تحل هذه المسألة الخطيرة عندما كان المستر

غلادستون فى الوزارة ؟ ؟ ؟

ذلك مالا يعرفه المستر غلادستون ؟ ؟ ؟ ويدعي ان عدم تسوية مسـئلة مصر من خطأ الدول التى لم تأت بأجوبة في المخابرات توافق الرغائب الانكليزية مما يفسر بأن انكلترا اشترطت شروطاً لم تقبلها الدول

ومهما قال المستر غلادستون فان انكلترا لم تعمل مااستطاعت من الحسن فى سبيل حل مسئلة مصر

وعند قراءة العبارة التى يقول فيها المستر غلادستون انه اصبح احـد ابناء بلاده الخصوصيين يتساءل الانسان عما اذا كان المستر غلادستون يحل مسئلة مصر حلا شريفا كما يشتهى اذا عاد الى منصب الوزارة ؟

ومهما كانت النتيجة فان الثمرة التى يستفيدها كل منا من كتاب غلادستون هي ان ساعة الجلاء عن مصر قد آذنت منذ اعوام » اه

وكتب مسيو (موريس اريس) في جريدة الرابيل تعليقا من هذا القبيل على كتاب المستر غلادستون هذا تعريبه :

« كتب المستر غلادستون الى الشاب الوطنى المصرى مصطفى كامل الذى سأله عما اذا كان زمن الجلاء قد حان أو لم يحن « بأن زمن الجلاء قد حان منذ اعوام »

وكل قارىء لهذه العبارة يتساءل لماذا لم يحل المستر غلادستون مسئلة مصر اذا كان اعتقاده ان زمن الجلاء قد حان منذ أعوام فيجيب غلادستون على هذا السؤال بجواب يلقى فيه المسئولية على الدول ؟ ؟

ويقول المستر غلادستون بسذاجة مسلية تكاد تكون طفلية « ولاى سبب لم تجب الدول رغائبنا الشريفة ؟ انى لا أعلم فى الامر شيئا »

وأنا وان لم نكن نحسب ان المستر غلادستون برىء من تبعة الاحتلال مثل هذه البراءة وهو ساذج الفكر الى هذه الدرجة ـ بل بالعكس يظهر انه هو السياسى اليقظ الذى يحب الوقوف على كل شىء بغاية الدقة ـ لكن يظهر اننا كنا مخطئين وانه فى المسائل الحرجة المشكلة يجهل كل شىء ولا يستطيع الوقوف على شىء ! !

وهـذا كان دائماً شأن حكومة الاحرار فهى ليست صريحة مثل حكومة المحافظين لانها لم تجسر على ترك مقاليد المحافظين أنفسهم . وهـذه الخطة كانت دائما عجز الاحرار والمستر غلادستون يغش نفسه بقوله الآن « وانى لا أستطيع في الامر شيئا » اه

*
* *

الجرائد الانكليزية

(والمستر غلادستون)

مانشر كتاب غلادستون في مصر وفى باريس حتى احتدم الانكليز غيظا واخذوا يطعنون على ذلك الشيخ بانه صار خرفا فى السياسة لامبدأ له فلا يعول عليه وان لم يقولوا شيئا من ذلك عند ماصاح بصوت عال مزعج فى المسألة الارمنية ودعا اوروبا الى اثارة حرب صليبية ضد جلالة السلطان الاعظم

وهذا مايدلنا على مبدأ الانكليز الحقيقي وهو ان كل

من يقول « كما يشتهون » فذلك هو الرجل الذى يحاط بنعوت الكرامة والاحترام ولو كان هزاعا . وكل من ينطق ببنت شفة لا توافق اهواءهم فذلك هو الرجل المطعون بكل سنان والممزق السيرة من كل لسان وبنان ولو كان المستر غلادستون زعيم احرارهم ورئيس وزارتهم بالامس

التيمس

ولما كانت نفثات الحقد الانكليزى لما يكرهون تظهر دائما على صفحات جريدة التيمس فقد الفينا مكاتبها فى القاهرة يغدو ويروح مفتشا عن منزلنا ليرى كتاب غلادستون بعينى رأسه . وقد تم له ذلك وزار المرحوم فى حضورى وسأله ان يريه كتاب غلادستون بالذات . ولا يسأل القراء عما نفث من الاحقاد اثناء قراءته له وتحققه من خطه وامضائه . وكان يقول بعد ذلك لكل من لقيه ان غلادستون كثير الكتابة بلا غرض كثير الكلام بلافائدة ونحن لا ندرى ما الذى أتاه غلادستون من الخطأ !!

اما مكاتب التيمس فى باريس فانه مااطلع على كتاب

المستر غلادستون حتى اخـذ يطعن على المترجم بالوقاحـة المعهودة فى بعض مكاتبي التيمس . وقال انه اقام فى باريس بضعة اشهر ليظهر للملأ بانه يوجد مصريون يعربون عن آرائهم . وقد انتهز هذه الفرصة ليذيع اسمه وصيته بين العالم

ثم قال عن كتاب المستر غلادستون انه ركيك العبارة مرتبك مختبط فى مبانيه ومعانيه . وهو لا يعجل حل المسألة المصرية التى هى أكثر المشاكل ارتباكا وتعقيدا وأنه من الواجب الصبر على حل المسألة المصرية حتى يظهر فى مصر كثيرون من أمثال مصطفى كامل ليقوموا بادارة اشغال الحكومة المصرية بدون مساعـدة اجنبية الى ماماثل هذا الكلام مما يدل على مقدار تغيظ الانكليز من كتاب المستر غلادستون على هذا المنوال واعلانه على رؤوس الاشهاد ان زمن الجلاء قد وافى منذ اعوام

ذي ديلي تلغراف

واكتفت ذى ديلي تلغراف بنشر مضـمون كتابي غلادستون والمرحوم تاركة الحكم لقرائها

ذى ديلى مسيجير

وجاء فى جريدة (ذى ديلى مسيجير) الانكليزية التى تصدر فى باريس تحت عنوان « الانكليز ومصر ـ حل عاجل » ماتعريبه :

« بعث المستر غلادستون كتابا « ننشره بعد » بشأن احتلال الجيش الانكليزى لمصر الى مصطفى كامل الذى هو من اشهر دعاة الوطنية المصريين

ونحن تلقاء هذا الكتاب نقول ان المكاتب الباريسى لجريدة (الاوبزرفر) الخطيرة اتبع نشر كتابي غلادستون ومصطفى كامل بالتلغراف الآتى :

«علمت من مصدر موثوق به ان البارون دى كورسل أطال الحديث مع مسيو (برتلو) وزير خارجية فرنسا وأخذ وأعطى مع اللورد دوفرين بشأن مسائل سياسية عديدة وهو حامل معه الى لندره جملة مطالب تطالب بها الحكومة الفرنسية بشأن مسائل مختلفة حيث يقدمها الى اللورد سالسبرى وهى المسائل المشتركة فيها فوائد الدولتين الانكليزية

والفرنسية ويصحب هذه المطالب ايضاح خطة الحكومة الفرنسية فى سياستها التى أعلم من مصدر موثوق به انها خطة سلمية ودية

ولا شك ان المسألة المصرية هى من ضمن هذه المسائل ومهما كانت النتيجة السريعة للمداولات التى فتحت الآن على أساس جديد فان الحكومة الانكليزية لا بد وان تجيب بصفة سلمية عن أسئلة فرنسا حتى يكون من وراء ذلك تحسين العلائق الوديه بين الدولتين

وفى استطاعة «ذى ديلى مسيجير» أن تؤكد بصحة القول بأن البارون دي كورسل حاصل لتعليمات جديدة للمداولة فى الجلاء عن مصر الامر الذى ترك الكلام فيه من عهد الموسيو «دكريه» سفير فرنسا فى لندره

ومهما بولغ في القول بأن فرنسا ستستفيد من علائقها الودية مع روسيا ومن التنافر الحالى القائم بين انكلترا والمانيا لتنال تعضيد هاتين الدولتين فى طلب تداخل الدول كلها بشأن مصر فاننا نظن بأن فرنسا لا تنادى الدول (لعقد مؤتمر)

حتى يعلم اللورد سالسبرى باراء الحكومة الفرنسية فى شأن حل مسئلة الاحتلال المشكلة اه

سان جمس غازت

وقالت جريدة ـ سان جمس غازت ـ الانكليزية ماتعريبه:

« لا ريب عندنا فى ان الامة الفرنسوية حاذقة ماهرة ولكنها لم تدرك مغزى أفكار المستر غلادستون فانها لو كانت ادركت ما ارتبكت في فهم عبارات كتابه الذي بعث به الى مصطفي كامل ـ ذاك الذى يصف نفسه بانه أحد أبناء وادى النيل

فلقد سأل هذا الشاب المستر غلادستون رأيه عن المسئلة المصرية. فأجابه على سؤاله بكتاب يفيد ان المستر غلادستون صار شيخاً كبيراً بعيداً عن عالم السياسة !! ومن رأى هذا الرجل السياسى الذائع الصيت ان المسئلة المصرية كان يمكن حلها بل كان يلزم حلها منذ أعوام لولا معارضة المعارضين .

والمستر غلادستون لم يعلم ولا يعلم لماذا كانت هذه

المعارضة »

ذى جلوب

وكتبت جريدة « ذى جلوب » الانكليزية الشهيرة فصلا تحت عنوان (حالتنا فى مصر) هذا تعريبه :

« لقد نجح مصطفى كامل الذي يلقب نفسه « بابن وادى النيل » فى طريقة الحصول على كتاب من المستر غلادستون بشأن الجلاء . وهذا الكتاب يحتوى على بعض ارشادات وتصريحات فهو يعرفنا انه اذا كانت مصر لم تسقط مرة ثانية فى وهدة الفوضى والمصائب التى انقذها منها الاحتلال الانكليزى فليس الفضل فى ذلك للمستر غلادستون . ولقد كنا نعرف شيئا من هذه الحقيقة ولكن قد علم العالم كله الآن ويعلم الى ما شاء الله ان من رأى المستر غلادستون انه يجب علينا نحن معشر الانكليز ان نغادر مصر وان هذا الواجب قد حق علينا منذ أعوام . ويظهر غير ذلك ان المستر غلادستون كان قد تداول مع المسيو وادنجتون بشأن تحقيق الجلاء عن مصر

ويقول المستر غلادستون فى كتابه انه مجرد الآن من النفوذ وياحبذا لو كان الامر كذلك فان أبناء جنسه كانوا يسرون من ذلك !

على اننا سعداء الحظ اذ نرى المستر غلادستون لايستطيع اليوم تنفيذ آرائه الخطرة المضرة . ولكن من يقول ان رجلا سياسيا مثل غلادستون قضى السنين الطويلة فى خدمة جلالة الملكة وكان فيها مستشارها الاول لايمكنه ان يتحمل مسؤلية أقواله هذه بمجرد بعده عن السلطة واعلانه انه « أحد ابناء بلاده الخصوصيين »

وأن الانكليز لايجدون فى قول المستر غلادستون انه مجرد عن كل سلطة شيئاً من المبالغة ولكن غير الانكليز لايظنون ذلك . ومراسل المستر غلادستون - تعنى به مصطفي كامل - يتكلم باسم مئات من المصريين يمقتون الاحتلال وغير أوفياء للانكليز . وكذلك مئات الالوف والفرنساويين الغير الواقفين على الحقائق والذين لامنية لهم غير انتهاء الاحتلال والكثيرون غيرهم سيظنون عند قراءة كتاب المستر غلادستون

انه يوجد فى انكلترا حزب على رأى الوزير الاول لانكلترا سابقا ويتشجعون بذلك على الاستمرار فى خطتهم العدائية ضد الانكليز أملا في بلوغ أمانيهم

ونحن نقول انه لا يمكننا فى الحالة الحاضرة ان نفكر فى الجلاء عن مصر . وافتكارنا فى ذلك يكون كافتكارنا فى الجلاء عن افريقيه الجنوبية والانكليزى الذى يشير الى الجلاء عن مصر أقل اشارة يكون قد سب وطنه سبة شنيعة » اه

يرى القارىء الكريم مما اقتطفناه من أقوال الجرائد الانكليزية ان الغيظ قد بلغ من نفوس اصحابها ومحرريها حدا خبطوا معه وخلطوا فهم كانوا يسفهون المرحوم لا لذنب جناه الا لانه مصرى يجب عليه ان يحب بلاده كما يحب الانكليزى بلاده ويسعي لغرس حبها فى أفئدة الاطفال والبنات وكل آدمى تحت سماء النيل

وكذلك حملت على المستر غلادستون حملة شعواء فنسبت اليه الخرف بعد ان خدم بلاده خدمة المخلص الحر . ونسيت صحافة الباطل ان الحق لا يحتاج الى دليل فقد اخذت

حكومتها على نفسها من العهود مالو اخذ مايشابهه أقل الناس اخلاقا على نفسه لوفى به فى أجله وماحنث فى يمينه . وكيف يحنث الطاهر فى يمينه وهو ميثاق من روح الله والله لا ينصر المماطلين ؟

واذا التمس للجرائد الانكليزية عذر في حملتها على السائل والمجيب لان الحجة قد اصبحت أقوى من ان تتحملها نفس تحاول الهروب من الحق : فما العذر الذى يلتمس لفجر الشام الذين دخلوا مصر سائلين محرومين فاستقبلهم كرم القوم وحيتهم البشاشة فاطعموا حلوا بعد ان كان غذاءهم الحنظل وكسوا حريرا بعد ان كانوا اخوان الخيش والعراء ؟؟ اولئك الذين هم أضر على بنى الانسان من الشيطان . .

قامت جرائد الاحتلال المأجورة التى يتبرأ منها الانس والجان تسب المرحوم سبا بذيئا وكذلك حملت على المستر غلادستون حملة منكرة كأن انجلترا أمها أو اختها وهي لا انكليزية ولا مصرية بل بعضها سورى اهان سوريا بنسبته اليها والبعض الآخر رومي أو مالطى أو من جنس آخر

وكان المترجم يقرأ سباب السابين ويسمع عويل المأجورين فلم يزد الا قوة على قوته شأن الاخلاص فى القلوب والوفاء فى الصدور لبلد لاحياة لنا الا بها ولا شرف الا بالدفاع عن بيضتها

واذا كان المرء يكره بطبيعته من وعد ولم يف ولو كان في اخلاقه مالا يضر : فما بالك بحكومة انفها فى السماء وقدمها في الماء ابناءها يقولون صباح مساء انهم مصادر الفضيلة في حين ان حكومتهم لا تفى بعهود ووعود قدمتها للعالم اجمع بانها ستترك مصر ريثما تعود السكينة التى احدثتها فتنة عرابي الى ربوعها وقدعادت هذه السكينة وحنثت هى في يمينها وهزأت بتاريخها وداست شرفها تحت اقدامها ؟ ؟ ؟

انى اذا كتبت ذلك وانا متأثر بجريمة دولة كبيرة كانكلترا فانما اكتب لاحذر النابتة الحاضرة ومن يخلفها من الكذب في القول واخلاف الوعد . لان رجلا يكذب على الله والناس لا يكون الا عدوا للفضيلة عداء الماء للنار ويغرس فى الارض شجرة لاتثمر الا سما زعافا

حاشا لله ان نتشبه بالانكليز وهم في مسئلة مصر قد اصبحوا اكذب من مسيلمة بعد ان لعبوا باموال الامة ذات اليمين وذات الشمال ظانين ان الزمان لا يغدر بهم وهو الحكم العدل الذى يبيد الظالمين مهما طال حكمهم ويعيد العادلين مهما اختفى عدلهم والله على كل شيء قدير .

*
* *

﴿ غلادستون مرة أخرى ﴾

بعد أن ذاع كتاب المرحوم للمستر غلادستون ورده هذا وعلقت على الكتابين صحافة العالم الشروح الضافية التى لو جمعت لكانت فى ذاتها كتابا ضخماً ذا أجزاء عدة : رأى رحمه الله ان يرسل الى غلادستون مرة أخرى كتابا آخر لان الوطنية لا تلتزم الصمت ما دام في عروق الوطنى دم وفى قلبه نبض وله فى الوجود وطن جميل ثمين رؤف رحيم با بنائه كمصر وطننا الذي اذا ذكر اهتزت دقائق أعصابنا حنينا اليه وكان المال والدم أقل مايفدى به

وهذا تعريب الكتاب الثانى !

مصر فى ٢٧ فبراير سنة ١٨٩٦

أيها السيد المبجل

اعذرنى اذا كنت اكتب اليك مرة ثانية . فان عدداً عظيما من ابناء وطنى لما رأوا « أن زمن الجلاء على ما ترى قد حان منذ أعوام » كلفونى ان أرجوك التكرم على مصر باحداث حركة فى الرأى العام الانكليزى لصالح الجلاء وان الحركة الخطيرة العديمة المثال التى احدثتها فى انكلترا لصالح الارمن بعض جمل نطقت بها فى شأنهم — حيث لم تكن وقتئذ الا أحد ابناء بلادك الخصوصيين كما تقول — هو أعظم كفيل لنا بأن مساعدتك لمصر يكون لها أعظم فائدة والا فهل مسلمو مصر أقل استحقاقا لرعايتك العالية من مسيحيي الارمن ؟ ؟ ؟ . أو هل أنت كما أشاعوا ذلك فى كل بلاد الشرق عدو ألد للاسلام ؟ ؟ ؟ ذلك مالا نتجاسر على ظنه

ولقد قلت في خطبتك التي ألقيتها فى شهر أغسطس

الماضى « انك لا تبغض المسلمين البتة » فهاهم المسلمون يأتونك اليوم حيث جاءهم الدور يسألونك أن تدافع عن مصر

ومع ذلك أفليس من الواجب على انكلترا أن تحترم هى نفسها العهود العلنية والمعاهدات الدولية الضامنة لمصر حريتها قبل ان توصى تركيا — التى تعتبرها أقل بلاد أوروبا مدنية ـ باحترام فقرة من معاهدة برلين مختصة بالارمن ؟؟

هذا وانى أرجوك أيها السيد المبجل أن تتفضل بقبول عظيم احترامى » (مصطفى كامل)

*
* *

وقد عقد المترجم نيتـه فى تلك الاثناء على القاء خطبـة عربية وطنية سياسـية بمدينة الاسكندرية . وما اختار ذلك الثغر الجميل الجليل ليرن في أرجائه صدى أول خطبة عربية له فى وادى النيـل الا لانه كان يعتقد اعتقادا ثابتا أن سكان ذلك الثغر على جانب عظيم من الحماسة والوطنيـة الصحيحة وقد حفظ لهم التاريخ الحديث أجمل ذكرى فى الشمم وعزة النفس والاباء

ولا جرم أن مثـل هذا الاختيار الحسن كان جـديرا أن يقتدر قدزه وقد قدره قدره أولئك الوطنيون الغيورون

سافر المترجم وقد رافقته الى الثغر يوم ٢٨ فبراير سنة ١٨٩٦ وقصدنا هنالك فندق (آبات) ولـكن صديقنا اسماعيل بك الشيمى الذى كان آنئذ قاضـيا بمحكمة المنصورة الابتـدائية المختلطة دعانا الى منزله ملحا فى القبول هو واخوته الـكرماء أهل الاخلاص والغيرة العالية فأجبنا دعوته وقصـدنا منزله الآهل على شاطىء البحر بجهة (الانفوشى) وهو بيت عال فخيم شيده ذلك الفاضل على مقربة من منزل العائلة القـديم (منزل شيمي بك الـكبير والد حضرة الداعي وهو من كبار المصريين فضلا ونبلا وقد كان مديرا للبلدية وللسكك الحديدية ورئيسا لمحـكمة الاستئناف المختلطة تغمده الله برحمته ورضوانه وبارك فى أبنائه البررة النجباء)

وما نشرت الجرائد نبأ قـدوم المترجم اليه لغرض القاء هذا الخطاب الا وقد أخـذ كبراء الثغر وفضـلاؤه وأعيانه يتوافدون بمنزل شيمي بك للسلام عليـه فكان ذلك

البيت فى ذلك الاوان مهوى أفئدة الجموع من الوطنيين المخلصين . ولم يكن يمضى يوم الا وقد زاره من لا يقلون عن ثلاثمائة نفس وأرباب البيت يستقبلونهم بمزيد الحفاوة والاكرام

وقد سببت هذه المقابلات المتوالية عناء جما للمترجم ولكنه صبر بحكم الضرورة وكان نبأ هذه الخطبة قد دوى في أسماع الانكايز. وأبغض شيء لديهم أن ينهض من الوطنيين من يستطيع أن يحرك أوتار القلوب ويستجمع العواطف مصرفا اياها كما يشاء. ولا ندرى ما كان تأثير ذلك الخبر بيد أن الحديث الآتي يعرفنا شيئا مما دخل الى أذهان المحتلين اذ ذاك

*
* *

حدثنا سعادة المفضال اسماعيل باشا صبرى وكيل نظارة الحقانية السابق بمناسبة هذه الخطبة وقد كان اذ ذاك محافظاً لمدينة الاسكندرية أنه جاء هرفى باشا وكان حكمدار البوليس بالثغر ودار بينهما ما يأتى :

قال هرفي باشا : اني أطلب أمرا بمنع القاء الخطبة

السياسية خوفا من حدوث هيجان !

فأجابه صبرى باشا : أتخشى الى هذا الحد أن تحدث خطبة مصطفى كامل هيجانا ؟ ؟ فقال نعم

فقال : أؤكد لك أن الخطيب متعلم عاقل لايدعو الى هيجان ولا يحث على ثوران . وكل ماعلينا أن نحافظ على النظام برجالنا . ولو دعت الحالة الى حضورنا . . وأظهر هرفى باشا اصراره على ظنه فقال له صبرى باشا :

انكم تكبرون الرجل من حيث تريدون أن تضعوا من شأنه . ماذا يقول الناس ياهرفى باشا اذا منعتم خطيباً مصريا من الخطابة الا أنكم خشيتم بأسه وشدة تأثيره فى سامعيه ؟ دعوه يخطب وهذا هو رأيى

فقال هرفى باشا : انى أمرت من الداخلية أن أمنع مصطفى كامل من الخطابة بأى سبب . فأعطنى أمراً أستند عليه . .

فقال صبرى باشا : انى مستعد لان أكتب اليك أمرى

فقال هرفي باشا : أتأذن لي أن أذهب الى مكان الخطبة

أو أرسل وكيلى ليحفظ النظام ؟

فأجاب صبرى باشا : كلا فان الامر لا يحتاج الى شىء من ذلك . وأحب أن لا تشوش على الخطيب خطبته بهـذا العمل . وغاية ماهنالك أن ترسـل ضابطا يلبس لبسا ملكيا ليطمئن خاطرنا

*
* *

من ذلك يظهر للقارىء مقدار تغيظ الانكليز من ذلك الصنع وأنهم لا يودون أن يعرف المصرى قدره فى الوجود

وكان المترجم قد طلب من المحافظة قبـل القاء الخطاب أن ترسـل بعض رجال البوليس لمنع الغوغاء فلبت المحافظة دعوته . وما وافت الساعة التاسعة مساء حتى كان قد هرع الى (المرسـح العباسى) جموع من الـكبراء والعظماء من الوطنيين والاجانب وجم غفير من أهل العلم والفضل وذوى الحيثيات والمكانات . وكنت اذ ذاك بملابسى العسكرية أنظم الحفلة مع المنظمين . وتلك كانت أول مرة التى فيها المترجم فى دور الجهاد الوطنى العنيف خطابا سياسيا عظيما فى الاسكندرية

ما ظهر المرحوم على المرسح الا وأخـذ التصفيق حده وارتفعت الاصوات بالدعاء للوطن . فكنت تسمع سباعا فى مرسح تصيح بصوت الشهامة والحب « لتحي مصر بجلاء الانكليز »

وبعد ان هدأت الاصوات وعم السكون بدأ المرحوم خطابه وهذا نصه :

خطبة

(٣)

على جمهور عظيم

﴿ فى ٣ مارس سنة ١٨٩٦ ﴾

« سادتى وأبناء وطنى الاعزاء

ما اقتربت من مدينتكم الزاهرة حتى شعرت من نفسى بارتياح زائد وانشراح خاص لانى عهدتها وأعهدها مدينة الحياة الحقيقية ومهد الرجال المشهورين بالشجاعـة والبسالة والاقدام . والمقابلة الودية التى قوبلت بها من كرمائها وسادتها

قبل ان أقف بينكم الليلة خطيباً زادتنى حبالها وميلا لاهلها واني أحمل كل ذلك الا كرام من أهل الاسكندرية على عظيم رغبتهم فى اعزاز مبدأ الوطنية الشريف لا على اكرام شخصى الضعيف

ويسرني أن أحادثكم اليوم فى شؤون الوطن العزيز . هذا الوطن الذي تحبونه حباً مفرطا وتعملون جميعا لخيره وسعادته .

وأرانى موفقا لحصولي على هـذه الفرصـة الثمينة التى أتبادل معكم فيها ما يختلج فى نفوسنا من الآمال والامانى التى هى معنى الحياة والباعث القوى على العمل بجد ونشاط

ويلزمنى ان أقول لكم انى قبل مبارحة القاهرة أخبرت بعض أصدقائى بأمر هـذه الخطبة فأشار عليّ فريق منهـم بعدم القائها معللين ذلك بقولهم « انك اذا ذهبت الى الاسكندرية واجتمعت بأهلها وحادثتهـم فى مصائب مصر وآلامها ربما نتج عن ذلك شيء من هياج الافكار الامر الذى لا تحـمد عقباه . لانهم شديدو الوطنية وأنت شديدها وقد تدعو شدة الشعور بالواجب الى ما يتجاوز الحدود أحيانا » وزاد بعضهم على ذلك قوله « ولربما انتهز خصومك وخصوم الوطن العزيز

هذه الفرصة لاحداث ما يقلق ويضر لتلقى التبعة عندئذ على أهل الاسكندرية وعليك أيضا » نخالفتهم فى الرأى وجئت ثغركم الباسم معتمدا على همتكم وشجاعتكم . وان أفضل صفة اتصف بها أهل الاسكندرية هي ولا غرو صفة معرفة الواجب والشعور الصادق بحقيقة الحوادث . والواجب اليوم على المصريين كافة انما هو التمسك بالصبر والاعتدال أكثر من ذى قبل

وقد اتخذتم يا أبناء الاسكندرية في كل بلاد مصر مثالا للهمة والحماسة فلتكونوا كذلك مثالا صادقا للدعة والسكون والاعتدال لتصبحوا وتمسوا أساتذة لمصر كلها فى تأدية الواجب نحو الوطن المحبوب

ولقد أشاع عنكم بعض كثيرى الظنون أن غيرتكم وحميتكم يستعملان أحيانا ضد صالح البلاد وأنكم تنفذون من حيث لا تشعرون مآرب ذوى الغايات باحداث القلاقل وكنت كلما أسمع مثل هذه الاشاعات استغرب بها كل الاستغراب ولى الحق في ذلك الاستغراب . لان الغيرة التى

تستعمل في غير موضعها تكون دواما أضر من البلادة والخمول فلذا أناديكم — وان كنتم أعلم مني بالواجب ـ مناداة محب لبلاده ولمدينتكم بنوع خاص ان تنفوا باعتدالكم وسكونكم تهمة من يرمونكم بحب الهياج والاضطراب

ومثل مصر اليوم وهى على باب السعادة المقبلة مثل مريض قارب الشفاء ينصح له الطبيب بزيادة التحفظ وعدم التعرض للهواء لئلا ينتكس بالعلة فتعود عليه بويل أشد من ويلها الاول . فلنحترس جميعا معشر المصريين من التعرض الى ماوراءه تعرض الوطن نفسه الى خطر عظيم

وان صفتي التسامح والغفران اللتين اشتهرت بهما الامة المصرية كانتا من أعظم الاسباب التي استمالت قلوب الاوربيين نحوها وجعلتهم يعتبرون مصر كقطعة أرض من أوطانهم فهم يقطنونها آمنين مطمئنين ممتعين براحة البال والبعد عن البلبال . ولذا وجدنا منهم على اختلاف جنسياتهم ومللهم نصراء أشداء للمطالبة بحقوق مصر وتحقيق رغائب أبنائها . ويفرحني كثيرا ان أري اليوم الكثير من أكابر

وأعاظم القوم فيهم قد حضروا هذا الاحتفال ولبوا الدعوة بلطف وتكرم وهو مايدلنا على اشتراكهم معنا فى الاحساسات نحو هذه البلاد العزيزة

وأول مدينة فى مدائن القطر سكنها الاوروبيون ووجدوا من أهلها بشرا وائتلافا هى ولا جرم مدينة الاسكندرية ولكم الحق ياأهلها وأعز أبنائها ان تفتخروا بذلك أعظم الافتخار . فداوموا أيها الوطنيون الاعزاء على اكرام وفادة ضيوفكم ونزلائكم الذين يشتركون معكم فى الاحساسات نحو هذا البلد الامين ولكن مبدؤنا دائما « احرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا »

وقد يفهم بعض الناس بالاعتدال الكف عن كل عمل يخدم البلاد ويسبب سعادتها فتراهم مقصرين كل التقصير عن واجباتهم وهؤلاء يخطئون الاعتقاد لان الاعتدال لا يفيد التهاون والاهمال . وما أجمل الاعتدال مع العمل على خدمة الاوطان

وان فى مصر فئة من الناس نسيت ان الامل داعي

العمل فلبست ثياب اليأس وقضت بظنونها على مستقبل الوطن العزيز وجعلت مهمتها فى الامة تثبيط الهمم واقعاد العزائم فلا تنادي فى المحافل والاندية الا بأنه ليس لمصر حظ فى المستقبل من الحرية والسعادة الاجتماعية وان شعبها قد مات من زمن طويل وليس لمفكر عاقل ان يؤمل له مستقبلا جديدا . وتري رجال هذه الفئة اليائسة يرمون كل رجل يقوم بالدفاع عن حقوق البلاد المقدسة بعدم الخبرة وقصر النظر قائلين له :

(لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى)

وعندي ان الرجال اليائسين وان كانوا أقل من القليل يضرون بلادهم أعظم ضرر بما يقولونه ويكررونه اذ أن قتل العواطف الشريفة واخماد نار الغيرة الوطنية هما ولا محالة اكبر جناية تجنى على الوطن واهله فليكن من واجباتنا ان نترك هؤلاء اليائسين في سفين يأسهم تصعدهم أمواج الافكار وتهبط بهم حتى يصلوا الى شاطىء الخير وبر الرفاهية فنذكرهم عندئذ بفساد مزاعمهم وخطأ آرائهم

وتوجد فئة أخرى على نقيض اليائسين عظيمة الغيرة شديدة الحدة لا يرضيها الاعتدال والسكون . ورجالها وان كانت قلة عددهم تعادل قلة اليائسين تراهم يقيمون الحجة ليلا ونهارا على المعتدلين من الوطنيين فلا يعجبهم السكون فى الوطنية والرضى بالمذلة حينا قصيرا لنيل الشرف الاسمى احيانا طوالا . وهؤلاء المتطرفون الغلاة لا يجب ان نهملهم اهمالنا اليائسين بل يجب ان نسمع اقوالهم ونناقشهم فى آرائهم لاقناعهم بحكمة السكينة والاعتدال مع العمل بجد وغيرة على خير البلاد وسعادتها

ولا تظنوا أيها الاخوان الاعزاء ان عملكم لخير بلادكم يقابل من الانكليز بالازدراء والاحتقار . كلا ثم كلا . ان الانكليزي الذى يحتقر مصريا يحب بلاده ويدافع عنها بصدق واخلاص يكون محتقرا لنفسه ولقومه لانه هو وكل مواطنيه أول العاملين في الامم على تقدم بلادهم ولا يرضيهم ان تبقى سعيدة فى داخلها فقط بل يبذلون كل مافى وسعهم لاتساع نطاق مستعمراتها واستدرار الخير من موارده لها

وحدها لا لغيرها

واذ ولجت موضوع الوطنيين المصريين ازاء الانكليز فأراني فى حاجة لان أستميحكم الاذن فى التكلم عن مسئلة الاحتلال وابداء رأيي فيها بكل صراحة

وليس من غرضى ان أطعن على الحكومة المحلية أو أنتقد على أعمالها فكلكم تعرفون مثلي مواضع الخلل في الادارة ومواضع الكمال والانتظام . وبديهي ان نواميس الوجود قاضية بسوء ادارة كل مصلحة وطنية يتداخل فى شؤونها تداخلا فعليا رجال غرباء لا يفقهون لغة البلاد ولا يعرفون شيئا من عوائد اهلها وأخلاقهم

وليس غرضى كذلك ان أندد بحكومة جلالة الملكة أو بالامة الانكليزية لاني أترفع عن أن أدافع عن بلادي بالطعن والسباب . بذلك السلاح الدنيء الذى يستعمله بعض السفلة من الدخلاء . فضلا عما أحس به دائما من وجوب احترام الشعب الانكليزى. وانما الذى أريد ذكره وايضاحه هو ان الخلاف حقيقة الخلاف بيننا معشر المصريين وبين

بعض الانكليز هو ـ هل زمن الجلاء عن مصر حان او لم يحن ـ فدول اوروبا ذات المصالح فى مصر تقول معنا ان زمن الجلاء قد حان منذ أعوام والمستر غلادستون زعيم الاحرار واكبر سياسي انكلترا يقول ذلك القول بعينه غير خائف لوما أو تعنيفا . وبعض ابناء التاميز يقولون ضد ذلك ان زمن الجلاء لم يحن وان مصر فى حاجة الى وصى عليها !!

وقد نرى بعض المتحزبين للاحتلال الابدى — وهم ليسوا من الانكليز والانكليز لا يستطيعون ان يكونوا على رأيهم — يقابلون مطالبنا الشرعية بالسباب والشتائم فهل يستطيعون اليوم ان يقولوا عن المستر غلادستون انه عدو لبلاده كما يتهموننا بنكران الجميل ??

وبعيد عن ذهنى انه يوجد على الارض رجل انكليزى يحب وطنه حبا حقيقيا يستطيع القول بان انكلترا تريد وضع يدها على وادى النيل فان ذلك الامر بل هذا الجرم العظيم مناقض كل المناقضة لمصلحة انكلترا نفسها ولشرفها العالى الشأن . نعم .نعم ذلك الامر مناقض لشرفها ذلك

الشرف الذى اذا ذكره المصرى منا وتذكر شأنه فى العالم انحنى احتراما واجلالا فكيف باهله وذويه. كيف باشد الناس حرصا على المحافظة عليه ؟؟

والا فهل يرضى أبناء انكلترا أن يستعمل شرفهم آلة دنيئة لامتلاك بلاد حرة واستعباد أمة حرة ؟ وهل ترضى الامة البريطانية الغيورة على مقامها واحترامها أن يقال عنها انها لاشرف لها ولا احترام لكلمتها العلنية وعهودها الصريحة؟؟ انى لاظن ذلك واعتقد انكم كلكم على رأيى

وهل تسمي المروءة مروءة اذا كان معناها ان أمة أوروبية استغاث بها أمير شرقى فاغاثته ونصرته ثم عملت على ضياع ملكه واسترقاق أمته وشعبه !!

كلا. ثم كلا. ان شعبا عظيما كالشعب الانكليزى لا يرضى أن يترك في تاريخه العظيم صحيفة سوداء تنسى الامم الآتية آثاره الحسان ومننه على بني الانسان

اذن فنقطة الخلاف الوحيدة بيننا وبين بعض الانكليز هي ان زمن الجلاء علي رأينا قد حان وعلي رأيهم لم يحن الى

الآن وعهد كل عاقل بالامة الانكليزية انها اذا وقفت على الحقيقة وأرشدت الى الصواب كانت فى مقدمة أمم أوروبا مطالبة بالجلاء

وعسير على الامة الانكليزية الوقوف على الحقيقة الا اذا قام فيها خطباء من أفرادها ومن المصريين أنفسهم يبطلون ماتذيعه التيمس واخواتها من ذوى الاغراض السافلة من أن الانكليز لم يقوموا في مصر الى الان بالواجب عليهم . ولقد سألنا شيخ الاحرار غلادستون أن يكون من أبناء جنسه المرشد لامته عن حقيقة مسئلة مصر وعن ضرورة الجلاء وأملنا أن يجيب طلبنا ويحقق أمنيتنا

ولكن ارشاد الامة الانكليزية الى ماينتظره المصريون منها وما يعتقدونه فى شرفها لا يكون الا برجال من أبناء مصر يقومون وينادون فى كل بلاد أوروبا بحقيقة أحوال مصر وأمانيها وآمالها ليزيدوا من أنصارها ويكون للوطن المصرى من الامم الاوروبية نصراء عند مطالبته الامة الانكليزية باجبار حكومتها على الجلاء

ويكفينا لاستمالة الامة الانكليزية نحو مطالبنا الشرعية أن نقول لها بكل صراحة : « لقد صار الشرقيون فى ريب من احترامك لشرفك وشك فى محافظتك على الوفاء بعهودك فهل لك أن تطالبي بالجلاء عن مصر لتحقق للعالم كله بقاءك على عهدك الاول الشريف ولقد غرر بك أيتها الامة الخطيرة بعض ذوى الغايات وقالوا لك ان الامن لم يستتب فى مصر وان الخديوى لا يستطيع حكم بلاده برجاله ليجبروك على الحكم بلزوم الاحتلال فاعتقدى ان ذلك محض اختلاق وان الامن مستتب والامة كلها مخلصة لاميرها معجبة به محبة له

والا فهل يرضى الانكليز بأن يقال عنهم انه ليس في امكانهم اعادة الامن الى ديار مصر بعد احتلالهم لها أربعة عشر عاما ؟؟

اذا قلنا ذلك للامة الانكليزية وعرفناها اننا لا نبغض الانكليزى بل نبغض المحتل من حيث هو محتل ولو كان من أقرب الناس الينا لاننا أمة حية متمدنة نريد أن نحكم أنفسنا

بانفسنا ولا نرضي أن نبقي قصرا تحت حكم وصى ننظر تقدم الامم الاخرى نظرة الكئيب التعس دون أن نستطيع محاكاتها ومجاراتها . اذا قلنا لها ذلك وأسمعناهاهذاالصوت صوت الحق كانت ولا ريب أول أمة قاضية علي الاحتلال آمرة حكومتها بالاسراع بالجلاء . لان من شأن كل أمة متمدنة تمدنا عظيما كالامة الانكليرية أن تحترم الشعوب المطالبة بحقوقها العارفة بواجباتها

واذا كان صالح مصر يقضى كما قلت بوجوب وجود خطباء من أبنائها يطوفون العواصم والمدائن فى أوروبا معلنين آراءهم مجاهرين باحساساتهم مطالبين بحرية بلادهم . فوجود خطباء مثلهم فى مصر نفسها يرشدون الامة الى الخير ويحذرونها من الوقوع في الشر أصبح أمراً محتما خصوصا في هذا الزمن الذى يعمل فيه الدخلاء على التفريق بين بعض الوطنيين وبعض والشقاق بين المصريين والاوروبيين ويكيدون للامة أعظم كيد ويدسون الدسائس لخلق القلاقل واحداث الاضطرابات

أجل . أيها السادة أجل . ان تحذير الامة من أعمال الدخلاء صار واجبا على كل مصرى شريف الاحساس مخلص النية لبلاده . وما نبلاء المصريين وفضلاؤهم بجاهلين طغمة الدخلاء بل الكل يعرفها والكل اذا لقيها يشير اليها . فلتحبطوا أيها الوطنيون الفضلاء مساعى هذه الفئة السيئة ولتردوا رجالها على أعقابهم خاسرين فالدخيل الدخيل هو العدو الالد وهو الخصم الحقيقى الذى تجب محاربته بالقلم واللسان حتى تعرفه الامة وتنبذه وتجتنبه كل الاجتناب

ولا يسلم شعب راغب في الحرية المدنية والسعادة الاجتماعية الا اذا اتحدت أفراده ومنعوا الدخيل من القاء بذور الفتن والتفريق بينهم وبين بعضهم مما يكون وراءه ضياع بلادهم وضياعهم هم أنفسهم

والحمد لله أن أصبحت مصر عارفة بحقوقها وأصبح ابناؤها عارفين بواجباتهم نحوها مستظلين جميعا — على خلاف مايشتهيه الدخلاء — براية الوطنية الشريفة الحامل للوائها عزيز مصر وأميرها الجليل عباس حلمي باشا

أراكم أيها الوطنيون الاوفياء والمستوطنون الاعزاء صفقتم وهللتم وبدت عليكم علامات البشر والسرور عند ماذكرت اسم عزيزنا المحبوب . فاسمحوا لى أن أحمد كم من صميم فؤادى واشكركم على المكانة السامية التى لاميرنا الكريم في نفوسكم الدالة على ان الشعب المصرى كله قدر هذا السيد حق قدره عارف انه حقيق بأن يحب ويخدم بصدق واخلاص جدير بأن يساعد في خدمة الوطن العزيز

ولقد كنتم من نحو شهرين تهللون وتكبرون بعيد جلوسه الكريم وكنت أنا ذلك اليوم فى أوروبا أهلل واكبر مثلكم ولكننى كنت أفكر فى تذكار آخر يعادل تذكار جلوس العزيز أهمية وخطارة . أتعلمون ماهو ذلك التذكار ؟ هو تذكار فصل السودان عن مصر . فان اليوم الثامن من شهر يناير بعينه عام ١٨٨٤ قضى نوبار باشا بترك هذا الوادى الذى لاحياة لمصر بدونه وبعبارة أخرى قضى هذا الرجل باخلال مصر نفسها

وانى استنتج من توافق هذين التاريخين تاريخ فصل

السودان وتاريخ جلوس العزيز على أريكة ملك مصر أن هذا الامير الجليل أرسل ليسترد لمصر حقوقها ويعيد لها أملاكها المفقودة . فليكن منا رجال أوفياء يساعدونه على هذا العمل الخطير وينسون أشخاصهم في جانب خدمة البلاد . فان الوطن يستغيث بكل ذى احساس شريف

ولا يجب علينا أن ننسى ان أميرنا المحبوب سهل علينا كثيراً خدمة الوطن الشريف فانه هو الذى أسمع أوروبا ان مصر ترغب بغيرة وتشوف فى نيل حريتها التامة وهو الذى أزال الخلاف القديم بين مصر والدولة العثمانية وأيد العلائق الحسنة وأحبط مساعى الدخلاء مريدى التفريق فلنساعده جميعاً فان فى مساعدته خدمة مصر وأهلها

وغنى عن البيان ان الصادق فى حب بلاده لا يعرف الا عند الحاجة والوطنى لا يسمي وطنياً الا اذا خدم وطنه فى شقائه أكثر من خدمته له فى رفعته وهنائه

ولا ريب عندى فى انكم كلكم تودون مثلى ان تكون مصر بلاداً حرة منتشرة فى سائر ارجائها من الاسكندرية

الى منابع النيل أنوار العلوم والمعارف وتصبح كما كانت مهداً للفضائل والآداب ومشرقا لشمس المدنية في كل بلاد الشرق ومرسحا للتنافس فى الصناعة والتجارة ومجمعا آمنا للاجانب ذوى المصالح فيها . طريقا سهلا للرائدين . لا ريب عندى فى انكم كلكم تحبون ان تنسبوا لمصر اذ يكون هذا شأنها . يفتخر عندئذ كل منكم أن ينادى بأعلى صوته (انا مصرى)

ولكن ألا تحبون كذلك « مصراً » وقد خيم عليها الشقاء وحل بها البلاء وسبقتها الامم وأصبحت تعد فى مصاف الشعوب القاصرة تناديكم وانتم حولها « الا فانصرنى ياأعز البنين . الا فارفعوا شأني بين الامم واجعلوا لى مكانا فسيحا بين الشعوب المتقدمة الحية » ؟ أجل . تحبونها ويجب عليكم ان تحبوها وتحنوا عليها كما يحن المرء على أمه الشفيقة اذا اعتلت ويسعى في خدمتها ويبحث عن دوائها

ولا يكن حبكم واقفا عند حد الحب وحنانكم عند حد الحنان بل ليتجاوزا ذلك الى العمل على خيرها واعلاء شأنها وثقوا ايها الوطنيون الاعزاء بان المستقبل لكم ولها

فاعملوا لسعادته وتذكروا دائما قول غمبتا الشهير « ليس المستقبل بمستعص على احد» . نعم لنعمل لسعادة الحال والاستقبال وننفذ ناموس الطبيعة لئلا نخرج انفسنا من نوع الانسان ذلك الناموس القاضي على كل فرد بالعمل حتى تستريح النفس فى السكينة والظلام . ولقد كنت أحضر في اوروبا مجتمعات يتردد عليها كثير من الغربيين ذوى الجنسيات المختلفة . فكان كل يفاخر القوم ببلاده وذويه . الامريكاني بحرية اوطانه وشرف تاريخها وحسن نظامها وكبار رجالها . والفرنساوي بشهامة أبناء وطنه وفضل جنسه على النوع الانسانى وحرية مبادئه وشرف تاريخ بلاده العظيم . والالماني والانكليزى وغيرهم كذلك وأنا أنظر الجمع وقلبي فائض حزنا وفؤادى ممتلىء كآبة وعيناى مغرورقتان بالدموع . وليس يجرى على لساني غير ذكر مصائب مصر وآلامها . فهل لنا أن نفاخر الامم يوما من الايام ببلادنا واوطاننا ؟ هل لنا أن نكون أمة حية قوية محترمة ؟

انى أؤمل ذلك من صميم فؤادى

ومستحيل علينا أن نصل الى السعادة التامة ونفوز برغائبنا الوطنية الا اذا اتحدت كلمتنا واجتمعت قلوبنا على محبة البلاد بصدق وتجرد عن الشخصيات . فلنتحد قلبا ولسانا ولا يكن مثلنا مثل عائلة اشتعلت النار فى دارها وافرادها متباغضون فبدلا من ان يجتمعوا لاطفائها اخذوا يتنازعون ما أبقته يد النار من المتاع غير ناظرين الى ان النار تصل اليهم فتحرقهم وتحرق متاعهم وتقضى على دارهم القضاء الاخير اذا لم تزل آثار الشقاق من بينهم ويجتمعوا على اطفائها

وان يوما تجتمع فيه قلوبنا على محبة البلاد وخدمتها وتتحد فيه كلمتنا يكون يوم تحقق الامال وعنوان سعادة الحال والاستقبال ويحق لنا فيه ان نقف امام الامم كافة وننادى باعلى صوتنا وبكل فخار « نحن بنو مصر الاحرار » اه

*
* *

ولقد أثرت هذه الخطبة فى نفوس سامعيها والذين قرأوها فى الجرائد اجل وأجمل تأثير . وقبل انفضاض الحاضرين من قاعة الخطبة طلب الخطيب منهم ان يقروا برفع أيديهم

على طلب الجلاء من أوروبا . فأقروا بالاجماع على الموافقة على آراء ومطالب الخطيب مما جاء برهانا ساطعا وحجة دامغة على ان المصريين كافة موافقون على عمل المترجم العظيم خلافا لما يشيعه ذوو الغايات الدنيئة

ولقد كان لهـذا القرار تأثير كبير فى الدوائر السياسية بمصر وأوروبا . ولا بدع فى ذلك فانه أول قرار أقر عليـه المصريون في مجتمع عام ضد الاحتلال الانكليزي

ما نشرت الجرائد الوطنية نص الخطبـة حتى أخذ السرور من قلوب الاصـدقاء والمنشطين اذ ذاك مأخـذا عظيما

وقد كتب مكاتب جريدة المؤيد الاسكندرى وقتئـذ وهو حضرة كامل أفندي دياب جملة نشرها المؤيد في يوم الخميس ٥ مارس سنة ١٨٩٦ هذا نصها :

افي مصر حياة

« كانت أهالى الاسكندرية مساء اليوم تنتظـر بريد العاصمة الحامـل للمؤيد كل الانتظار ليتلقوا خطبة الخطيب الفاضل والوطنى العامل مصطفى أفندى كامل ولا غرو فهى الخطبة الاولى التى أقدم على القائها شاب مصرى غيور عرف واجب الوطن وضرورة التفانى في حبه المقدس الواجب بعدأن مرعلى الاحتلال الاجنبي ١٤ عاما تنفست فيها الصدور صعداء الملل من ثقل لاترضى على احتماله الشعوب ذات الشعور الشريف

وكأنى فى ليلة الامس وأنا فى وسط جمهور تألف من كل العناصر والملل بين مصريين ونزلاء وخوارج في حفلة صفاء وأنس لاأسمع مع شدة الزحام وضيق المكان معرحبه الا زفرات فى موضعها وظهور ارتياح عام وتصفيق حاد متواصل ينبىء بأن روح الحياة وان خفيت فى الصدور فهى على أهبـة الظهور متى كان ثمة داع لظهورها وان مصر

بشعبها المحب لوطنه العزيز أشد الشعوب تمسكا بحريته التي يشتريها بكل عزيز وغال ولا شك ان دول الارض طراً تحترم هذه الاحساسات وتعمل جهدها على انصاف مظلوم يسألها بلسان قلبه تحقيق أمانيه فى زمن الحرية والمساواة

وان انكلترا لاعظم شمما وأعز نفسا من ان تكون امام عدلها ناكثة وعدها الشريف بترك بلد يحكمه قومه ويدير شؤونه أبناؤه احراراً لا وصاية عليهم ولا شك ان مظاهرة الامس تكشف لها الخفى في النفس فأن الاسلاك البرقية طيرت خبر هذه الحفلة الوطنية الى أوروبا وتناقلت جرائدها ما كان من بحث مغزاه وجوب انصاف مصر وأهلها السائلين منها وسيطا كريما

اما باقات الزهور التى قدمت بالامس لخطيب مصر فمنها تشم رائحة الحب الاكيد لشاب عاقل ينادى فى الملا انصاف وطنه وصوته الجهورى من الشعب المنصت اليه يؤمن على قوله

ولقد طلب حضرة الخطيب فى نهاية خطبته التصديق

له اذ سأل الجمع بقوله « من يطلب منكم استقلال وطنه فليرفع يده » وقد رفعت جميع الايدى ممثلة سؤلها معونة دول التمدن والانصاف وقد كان هذا التمثيل على جانب من الانكسار والاستكانة تسيل معه القلوب الحساسة رأفة وحنواً

ولاعبرة بأفراد من الخوارج الذين كانوا فى هذه الحفلة على مثل شوك القتاد وعيون الجمهور ترمقهم شزرا فان هؤلاء قد أحسوا بحرج الموقف ولم يحل دون فرارهم بوجوه الكآبة والخجل الا الازدحام وتعذر وجود الطريق وانا اذا الفيناهم قد شغلوا صحفهم بعد ذلك بندامتهم المعلومة فانا على استعداد لتسميتهم ولو انهم أشهر من ان يبينوا

وعندى ان من وخزه قلبه وتململ عند سماع أفصاح حضرة الخطيب بشأن الدخلاء ومهنتهم لهم الدخلاء الذين يعنيهم ويراد طرحهم فى زوايا السخرية والاحتقار

واني أمسك القلم عن الخوض فى عباب هذا الموضوع حتى أرى ماسيكون من هؤلاء المكدرين للسلام الكارهين

للحق العاملين بالنميمة والفساد

أما جريدة الفاردى السكندرى فقد أطنبت فى مدح خطبة المترجم الذى بحكمته وقوة بيانه الف بين القلوب الوطنية والنزلاء محبى مصر وهو الامر الذى كان له أشرف وقع على النفوس الحرة خصوصاً من شاب لا يتجاوز عمره اثنين وعشرين حولا قام نائبا عن أبناء وطنه بالدفاع عن حقوقهم

وأما جريدة الاجبشيان غازت فقد قالت عكس ما كان ينتظر منها لكنها أشارت الى ان الاكثرية دلت على حب البلاد لاستقلالها برفع أيديهم ولم تعلم أن العدد القليل ممن لم يرفعوا أيديهم الاثيمة اشارة الارتياح والقبول قد نكسوا رؤوسهم حياء وخجلا لانهم شعروا بأنهم غير أبناء البلاد ومحبيها الذين تؤلمهم آلامها وتشقيهم مصائبها بل هم الدخلاء الذين لو أنصفت لرأتهم معنا ثعالب الحرية والعدل »

أما جريدة « الاهرام» فقد قالت مانصه:

نظرة عامة

﴿ اجتماع وطني ﴾

قلنا في عدد أول أمس ان نحو ٨٠٠ رجل من سكان الثغر على اختلاف أجناسهم حضروا في مساء يوم الثلاثاء الفائت في قاعة المرسح العباسي لاستماع الخطبة التي القاها حضرة الوطني الاديب مصطفي أفندي كامل وقد توخينا في الامساك عن الكلام على هذه الخطبة الى اليوم - أن نقف على التأثير الحقيقي الذي ينجم عنها والعواطف التي تغيرها وتولدها في أفئدة المصريين وقلوب ساكني هذا القطر

وقد تصفحنا هذه الخطبة وطالعنا أهم جرائد البلاد التي ذكرتها وحادثنا اكثر الذين سمعوها أو سمعوا بها فلم نر ونسمع الا كل ما من شأنه ان يعود بالثناء على الخطيب لفصاحة منطقه واعتدال لهجته مع شدة تعلقه بوطنه واشتعال نار الغيرة والحمية في فؤاده الملتهب بدم الشباب وعلى المصريين عامة

وسكان الثغر خاصة لمظاهرتهم بشعائرهم الوطنية وعواطفهم الشريفة نحو مصر فان الاجتماع الذى جرى فى مساء يوم الثلاثاء وجمع بين العدد العظيم من المصريين والسوريين وغيرهم من الاجانب ولا سيما كتاب الجرائد منهم : انما كان برهانا اكيدا وحجة دامغة على ان رأى الجميع في الاحتلال الانكليزى واحد وأمنيتهم فى الجلاء واحدة

ولا مراء في ان النتائج التى تستنتج من هذا الخطاب ومن الصفة التي تم بها الاجتماع لكثيرة جدا ونحن لا نعددها فى هذه النظرة بل نعدد منها اهمها وهى ان مصر عارفة حقوقها واثقة بمستقبلها محبة لاميرها كارهة للمداخلة الاجنبية فى شؤونها الداخلية عازمة بالرغم عن كل دسيسة على ان لا تعيش الا بالوفاق والوئام مع الاجانب الذين ينزلون فيها معتقدة ان زمن الجلاء قد حان متكلة على شرف انكلترا وعدل اوروبا لتحقيق أمنيتها العظيمة واحباط مساعي المفسدين

ولا ينكر أحد ان الكيفية التى اختتم بها هذا الاجتماع

الوطني انما هي نشأة جديدة فى بلادنا تمكن بها الحضور من اظهار رغائبهم والجهر بعواطفهم فأن اقتراح طلب الجلاء فى مجتمع عام أمر لم يسبق له مثيل فى الشرق وتصديق الحضور جميعهم على هذا الاقتراح دليل على حقيقة مايرغب فيه سكان الثغر بل مايتوق اليه كل ساكني مصر

ونحن موردون الآن شذرات من هذه الخطبة ومعقبون عليها بما يحتمله المقام وتسمح به الظروف فقد جاء فيها بعد شكر الحضور والحث على السكينة والملاينة والاعتدال ان « مثل مصر اليوم وهى على باب السعادة المقبلة مثل مريض قارب الشفاء ينصحه الطبيب بزيادة التحفظ وعدم التعرض للهواء لئلا ينتكس بالعلة فتعود بويل عليه أشد من ويلها الاول فلنحترس جميعا معشر المصريين من التعرض الى ماوراءه تعرض الوطن نفسه الى خطر عظيم »

وهو كلام خليق بالتدبر والاستبصار وقد طالما نصحنا بالامر الذى أشار اليه حضرة الخطيب فأن أدنى حركة تبدو منا فى هذه الايام يجسمها الخصوم بمنظار الغرض

ويتخذونها حجة علينا لدى أوروبا والبعوضـة جمل فى عين من يريد

ثم استطرد الخطيب الى ذكر صفتى التسامح والتساهل اللتين عرفت بهما الامة المصرية واستمالة قلوب الاوروبيين وامتدح الاسكندرية ولين عريكة أهلها وحسن اتفاقهم مع الاجانب وحث على التمسك بهـذا الامر واختتم كلامه فى هذا الشأن بقوله: ليكن مبدؤنا دائماً «أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا» :وحبذا الدعوة وماأجدرها بالاجابة فانها تدل على الـكرم وتثبت صفاء النية والقطر فى حاجة لان يبرهن على هاتين الصفتين .

وانتقل الخطيب من هذا الـكلام الى معنى الاعتـدال فقال «انه غير ما يفهمه بعض الوطنيين فقد يفهم بعض الناس بالاعتدال الـكف عن كل عمل يخدم البلاد ويسبب سعادتها فتراهم مقصرين كل التقصير عن واجباتهم وهؤلاء مخطئون الاعتقاد لان الاعتدال لا يفيد التهاون والاهمال وما أجمـل الاعتدال مع العمل على خدمـة الاوطان وان فى مصر فئة

من الناس نسيت ان الامل داعي العمل فلبست ثياب اليأس وقضت بظنونها على مستقبل الوطن العزيز وجعلت مهمتها في الامة تثبيط الهمم» الى ان قال «وعندى ان الرجال اليائسين وان كانوا أقل من القليل يضرون بلادهم أعظم ضرر بما يقولونه ويكررونه اذ قتل العواطف الشريفة واخماد نار الغيرة الوطنية هما ولا محالة أكبر جناية تجنى على الوطن وأهله » وهي كلمات نزفها اليوم كما زففنا معناها من قبل الى بعض رجالنا الذين حسبوا حق مصر ضائعاً بطول المدة فضعفت قلوبهم ووهنت عزائمهم وهم يجهلون ان اليأس أضر ما يكون بمصلحة البلاد وقد كان من الواجب عليهم ان يأملوا من حيث ييأسون لا ان يأخذهم اليأس حيث يجب الرجاء

ثم ذكر الفئة التي هى على نقيض اليائسين فلا ترضى بالاعتدال والسكون ولو الى حين فالح بالاشارة عليها بان تعتدل في غيرتها وتخفف من حدتها فان التطرف قريب في تأثيره من اليأس وقال بعد ذلك « ولا تظنوا أن عملكم لخير بلادكم يقابل من الانكليز بالازدراء والاحتقار » وكثيرا

ما خاطبنا الوطنيين بهذا القول ولقد آن ان يعلم الذين يتجاهلون منهم ان الانكليزى لا يظهر الرضى والميل لمن يعمل منهم على عكس ما تقضى به الشهامة الوطنية وعزة النفس القومية وينطبق على مصلحة البلاد وحقوق الوطن المقدسة الا ريثما ينال منه غرضه ويقضى من استخدامه لبأنته حتى اذا نال منه ما يريد ويشتهي نبذه نبذ النواة وقلب له ظهر المجن فأن من خان بلاده مكروه حتى عند الذين ينتفعون بخيانته بخلاف المقيم على عهد بلاده المدافع عن حقوقها واستقلالها فانه محترم مكرم حتى فى أعين خصومه وأعداء بلاده

اما تداخل انكلترا فى شؤون البلاد الداخلية فقد قضى حضرة الخطيب عليه بعبارة واحدة اذ قال « وبديهى ان نواميس الوجود قاضية بسوء ادارة كل مصلحة وطنية يتداخل فى شؤونها تداخلا فعليا رجال غرباء لا يفقهون لغة البلاد ولا يعرفون شيئا من عادات أهلها واخلاقهم »

ثم ذكر الاحتلال ووعود انكلترا وثقة الجميع بكلمتها وان ليس فى انكلترا انكليزى يجسر على القول بأن انكلترا

تريد وضع يدها على وادي النيـل فان ذلك مخالف لشرفها ومصلحتها وانما الخلاف بيننا وبين انكلترا هو "ان دول أوروبا ذوات المصلحة فى مصر - تقول معنا ان زمن الجلاء قدحان منذ أعوام والمستر غلادستون زعيم الاحرار وأكبر سياسي انكلترا يقول ذلك القول عينه وبعض ابناء التاميز يقولون ضدذلك» وقد ثبت ان الدول العثمانية وفرنسا وروسيا والمانيا متفقة على سحب الاحتلال الانكليزى وان المستر غلادستون يقر بان زمن الجـلاء قدحان وأن حزبا من الانكليز يطالب في لندن نفسها حتى فى قلب دار الندوة الانكليزية بالجـلاء عن مصر والمعتمد عليه في العالم كله تقرير الامور على حسب الاغلبية والاغلبيـة معنا فنحن أذن الفائزون على شرط ان نحترم ونعمل بوطنية خالصة ونزاهة تامة

وقد أطال حضرته الـكلام بعد ذلك على استحالة نقض انكلترا الوعودها ونفى الدعوى المختلقة بعدم تأييد سلطة الجناب العالى وتوطيد الامن وأشار الى وجوب قيام خطباء مصريين يرشدون أوروبا والامة الانكليزية نفسها الى حقيقة الاحوال

في مصر . وذكر تفاخر الاوروبيين ومباهاتهم ببلادهم وتقدمهم وأمل لمصر مثل ذلك وقال « ان الرجل لا يسمى وطنيا الا اذا خدم وطنه في شقائه أكثر من خدمته له فى رفعته وهنائه »

ومن جملة ماجاء فى هـذا الخطاب « ان سمو العباس اعزه الله أرسل ليسترد لمصر حقوقها ويعيد اليها املا كها المفقودة فليكن منا رجال اوفياء يساعدونه على هـذا العمل الخطير وينسون أشغالهم في جانب خدمة البلاد فان الوطن يستغيث بكل ذى شعور حي والامـة تستنجد بكل ذى احساس شريف » ولا مراء فى ان كلمات الخطيب عن سمو العباس معربة عما فى خاطر كل مصرى وضميره فلقدشهدت الامة باجمالها بان عزيز مصر الحالى هو الذى بث فيها روح الامل واحيا مائت الهمة ونهض بها هذه النهضة الشريفة فليحذ كل فرد من افراد مصر حـذو سمو العباس والله بحسن العاقبة زعيم وكفيل

اما ماتخلل هذه الخطبة من التنديد بخطة الذين سماهم

الخطيب بالدخلاء فانه كان يقصد به فريق المارقين الذين
أضروا مصر بما اتوه فيها من اعمال التفريق ومساعي
الاذى فنحن نوافقه عليه وقد جهرنا به قبله واذا كان قد
أراد التعميم وقصد بكلماته انه يشمل فريقا معروفا من نزالة
مصر فقد أخطأ خطأ عظيما لاننا كلنا عثمانيون لكل واحد
ما للآخر وعليه ماعليه دون فرق فى المذهب والعنصر ومع
ذلك فانه ان كان من هذه الفئة قوم قد مرقوا عن الوطنية
وخدموا الاغراض الاجنبية والمطامع الانكليزية فان العثمانيين
عامة ومصر خاصة تذكر ان منهم رجالا وقفوا للدفاع عن
حقوق هذه البلاد وتضحية كل نفع خاص فى سبيل مصلحتها
العامة وان شاء حضرات القراء إلا الايضاح قلنا اننا نحن
الذين تجردنا لهذا العمل قبل ان يخطر ببال احد من سكان
مصر ان يطالب بحق او يدافع عن مصلحة وهو موضوع
لا نحب الدخول فى غماره ولكننا اشرنا اليه مضطرين تقريرا
للحقيقة ودفعا لبعض الظنون والاوهام ومع ذلك فاننا على
ثقة بأن حضرة الخطيب قد وجه كلماته الى فئة معلومة

أصبح الاجانب أنفسهم يسمون رجالها بالمارقين المستأجرين

هذا ونحن نختم هـذه المقالة بالدعاء الى الله تعالى ان يعضد مصر وينيلها امنيتها العظيمة متمنين ان تتم هذه النتيجة المحمودة على يد ابنائها انفسهم وليس ذلك بعسير على قوم يقودهم رجل حزم ووطنية مثل سمو العباس والله المستعان»

*
* *

وقالت جريدة الفاردلكسندرى الفرنسية ماتعريبه :

« لقد حضرنا بالامس فى القاعة الفسيحة الخطابة التى ألقاها حضرة مصطفى أفندى كامل فاثرت علينا اجمل تأثير

وانا نسر كثيرا لرؤية شاب مصرى عمره ٢٢ عاما تربى فى القاهرة ولم تؤهله تربيته ولا شعائر المحيطين به للخطابة فأصبح فصيح النطق والمترجم الصادق عن ابناء جنسه الخطيب الخطير الذى يدافع عن مسألة بلاده الشريفة

ويعلم العموم ان الخطيب الشاب تجول فى قسم من بلاد أوروبا ليعرف أهلها بمصر ويدعوهم الى حبها وهو يخطب اليوم فى مصر ليزيد الاحساس الوطنى الخالص فى

قلوب أبناء وطنه وليعرفهم بحقوقهم وواجباتهم ويفصح عن مطالبهم

فهل من عمل أشرف من هذا ؟ ان حضرة مصطفى أفندي كامل يؤدى هذا العمل بغيرة عظيمة قلبية ولكن الذى يدهشنا حينما نفكر في شبابه الغض هو مايرى فى لهجته من الادب العظيم والاعتدال الكثير

فهو لا يتجاوز حدود مناقشة سياسية حرة ويؤيد أبناء وطنه فى اعتدالهم ولطفهم مع كل الاوروبيين ويسألهم ان يقلدوا الافرنج فى آرائهم وأفكارهم بشأن التقدم والمدنية

وهو يبحث قبل كل شيء عن ايجاد أو زيادة حب الوطن فى قلوب سامعيه وبالجملة لا ينصحهم الا نصائح حكيمة اذا فلا يصح الا ان نشكره كثيرا ونؤمل ان عمله يأتى بالثمرة المقصودة منه وان فى كل الازمان التى كهذه الازمان يقوم فيها رجال مدفوعون بحب الوطن ينادون به فى بلادهم ويأتى عملهم دائما بنجاح وثمرة

ونحن نؤمل ان عمل « مصطفى كامل » أفندى الشريف

يأتى بهذه الثمرة المرغوبة

وان قاعة الخطابة الفسيحة كانت ممتلئة بالحاضرين وكان الازدحام عظيما على السلم والشرفات حتى وفى الشارع المطل عليه مرسح الخطابة « وهنا أتت الجريدة بملخص الخطابة » ثم قالت :

«ولما طلب حضرة « مصطفى كامل » أفندى من الذين يشتركون معه فى الرأى ان يرفعوا أيديهم علامة على طلب الجلاء من أوروبا رفع الحاضرون جميعا أيديهم فوق رؤوسهم

وان أقوال حضرة الخطيب أحدثت فى سامعيه أعظم ما يمكن من التأثير وخرجوا من القاعة ببطء يتناقشون كثيرا فى الخطبة واستمرت المناقشات فى الشوارع والقهوات بعد ذلك

ولقد قدم للخطيب كثير من الازهار وفتح اكتتاب ليقدم له هدية نفيسة تكون أثرا صناعيا نفيسا تذكارا لخطبته ولقد قوبل خبر هذا الاكتتاب بكل ارتياح وسيكون ولا

شك عظيم القيمة جدا

ونقول مرة ثانية ان خطبة حضرة « مصطفى كامل » أفندى نجحت نجاحا عظيما وعلامات الحب والاستحسان التى أظهرها له الثمانمائة نفس من أبناء وطنه هى تشجيع ثمين ومكافأة يستحقها هذا الشاب الشهم الذى ابتدأ وحده في أوروبا وفى مصر بطلب تحرير بلاده

وانه يظهر في مسألة خدمة وطنه المقدسة بكفاءة حقيقية واقتدار صحيح فى الكلام ولقد أظهر فى خطابه بالامس اعتدالا ومهارة زادا حججه قوة وبيانا » اه

*
* *

قلنا ان هذه الخطبة رنت فى الآفاق وقد طير ملخصها مكاتبو الجرائد الافرنكية واثنوا على الخطيب ثناء كبيرا . ولكن ماجورى الانكليز دخلاء البلاد أخذوا يحرقون الارّم بسبهم وشتائمهم وهيجوا السوريين عموما ضد المترجم فقام كرام القوم منهم وأرسلوا للمؤيد كتابا نشره في يوم السبت ٧ مارس سنة ١٨٩٦ وهذا نصه :

« لقد كنا ممن حضروا خطبة هذا الشاب الغيور المجتهد الذي يجب أن يسمى (الشرقي النشيط) بحق لانه ربما كان اول شرقي ضحى مصالحه الخصوصية لخير وطنه اذ الذي عرفناه بالسمع عنه انه من نابغي الحقوق مما في استطاعته ان يكون في وظيفة مهمة في الحكومة او محاميا شهيراً

واننا والحق يقال قد اعجبنا بخطبته اعجابا فائقا وصفقنا له مرارا وما الذين ينكرون على هذا الشاب نعمة الله التي وهبها اياه بالقدرة على البيان وحسن الالقاء والاعتدال سوى الانذال الجبناء

ونحن معاشر السوريين نزلاء هذا القطر لا يحق لنا التداخل في امر الجلاء والاحتلال لاننا لا نعد انفسنا غير ضيوف في مصر نزلاء على قوم كرام فأكرموا وفادتنا واوسعوا لنا في بلادهم المكانة الرحيبة ولم يكن يخطر على البال ان تقوم فئة طاغية باغية تعمل لايجاد النفرة بيننا وبين المصريين ولكنه قدر فكان ودفعت المطامع الخصوصية هذه الفئة السافلة « بل الافراد القليلي العدد » لان تتداخل

فيما لا يعنيها

وربما يخطر على بال بعض المصريين ان الرابطة بيننا معاشر السوريين المسيحيين وبين الانكليز تميل بنا لمناصبة قوم آخيناهم فاحلونا على الرحب والسعة منهم او لمعاكستهم في بلادهم بل الذي يظن هذا هو فى ضلال مبين

ولسنا فى حاجة الى اجهاد الفكرة لاقناع المصرى الذى يظن فينا هذا الظن بأنه مخطيء الحقيقة بل يكفينا لاقناعه ان نوجه افكاره الى العلاقة الحالية التي بين انكلترا من جهة وبين روسيا والمانيا وفرنسا من جهة أخرى فلماذا نحن معاشر السوريين نميل لانكلترا دون هاته الدول الثلاث نصيرات مصر على انكلترا ؟؟

ويوجد هنالك أمر آخر وهو اننا نحن السوريين فى استطاعتنا ان نجارى كل الامم فى ميدان الحياة الا الانكليز فانهم يسبقوننا ولهذا لا يكون من صالحنا أن يكونوا فى مصر لانا اذا فرضنا انهم يساعدوننا اليوم فما ذلك الا لكى يستعملونا ضد المصريين حتى اذا استقر لهم الامر كنا والمصريين سواء

عندهم بل نفضوا أيديهم منا حيث لا يستطيعون أن ينفضوا أيديهم من المصريين وهم فى بلادهم . وفى يقيننا ان الانكليز لو وجدوا أدني ميل من المصريين لاعرضوا عنا كل الاعراض ان لم يجعلونا فريسة فى طريق استمالتهم سواء أخاصنا لهم أو لم نخلص لان قانون المصلحة فوق كل شيء وهو وحده القانون المعمول به عند الامة الانكليزية واذا قطعنا النظر عن حكم المكان فسياستهم بل سياسة العقل والروية على الدوام تقضى بمودة الحزب الاكثر عددا . وهذا كله على فرض ان للسوريين رأيا في الاحتلال وهو لا يكون الا عند الانكليز يوم يكون فى مصلحتهم

هذه ملاحظاتنا بعثنا بها الى حضرتكم لتنشروها فى جريدتكم الحرة ولم يدفعنا لكتابتها الا ما قرأناه فى احدى الجرائد من الملاحظات على خطبة حضرة الوطنى الكامل فانها ملاحظات كاذبة لا يقصد بها سوى اثارة الخواطر الساكنة

اننا بلسان جريدتكم الغراء نعلن الانكليز والمصريين معا اننا قوم لا دخل لنا فى أمر الجلاء والاحتلال بل نحن

نزلاء مصر للعمل فيها ويلزمنا ان نعمل بالامانة والنشاط كما هي شعارنا ولا عـبرة بافراد مرقوا منا مروق السهم عن القوس . واذا قيل ان هذه الفئة من السوريين قلنا اذا صحت نسبتهم هذه فسوريا كغيرها من بلاد الله يوجد فيها الطيب والخبيث ومن الظلم ان يطالب الجنس بذنوب افراد قليلين من أسافله

ولقـد كان الواجب علي بعض الجرائد ان تحترم هذا الشاب وان تثني علي اعتداله وان كان لها رأى يخالف مبدأه فلا حجر عليها أن تبديه بالتأدب والاعتدال لا بالسفه والبذاءة وقلة الحياء

هذا ونحن نختم كلامنا بتوجيـه الرجاء الى حضرتـكم ان تنشروا كتابتنا هذه المذيلة بأسمائنا ونكرر القول بأننا لسـنا للانكليز ولا للفـرنساويـين ولا للنمساويـين ولا للروسيين ولا للالمـانيين ولا ولا الخ . . بل نحن قوم نسعى ونعمل لمعيشتنا بالطرق القانونية مع الدعاء بحفظ سمو الخديوي المعظم الذى نستظل بظل عدله ونعيش فى حماه

ماخلط الدخلاء وخبطوا بعد ذلك حتى قصد مكاتب المؤيد الاسكندرى المرحوم لمحادثته فى مسئلة الدخلاء وكتب لجريدته مانصه :

« نعلم كما يعلم كل عاقل ان الحر العادل لايخدم الا بلاده ولا يعمل الا لعزتها وكرامتها واذا كمل في المروءة والشهامة يعمل لخير غيرها متى كان ذلك فى وسعه واقتداره لان خدمة بنى الانسان فرض على كل انسان ولذلك لايسعنا اذا عدلنا الا ان نحمد عمل مصطفي كامل لانه يخدم قومه ويسعى لاعلاء شأن بلاده ولقد نشرنا مفصلا فى المؤيد خطبته الحكيمة التى كان لها دوى بيننا كما سيكون لها ذلك فى أوروبا والشرق لا لانها تحث على السكون والثبات وتوضيح غاية أبناء مصر فى تمنيهم الجلاء فقط بل لانها جمعت من العناصر المختلفة لسماعها ما كان فيه أوضح برهان على تمنى المصريين ونزلاء مصر التخلص من الاحتلال الذى لا ينطبق على مصلحة البلاد وأهلها بشىء وان مصر أشد البلاد تمسكا بحريتها واستعداداً لحكم نفسها بنفسها

ولم نشك ان فريقاً ممن هم أسرى بطونهم سيملأون الارض صخباً وعويلا عند سماعهم خطبة مصرى يسأل انصاف أهل بلاده وابعاد تقاليد الحرية الحقيقية عنه وقد دعاهم بالدخلاء رمزاً لافراد معروفين لدى العموم ولم يكن فى ظن أحدان هؤلاء الخوارج (اذا كان نعيهم بالدخلاء لايرضيهم) يتموجون فى حفلة صفاء تموج السيئين بقصد اقلاق الجمهور وأن جرائدهم المكدرة تحرف أقوال الخطيب الى حد الاختلاق والتمويه ولم يعلم هؤلاء المختلقون أنفسهم مكانة الباطل وان ترهاتهم لم تثمر ولن تثمر الى الابد

ولما رأيت هؤلاء الافراد يدورون في المدينة كمبشرى السوء ينفثون سموم الضغينة في صدور من لم يتلق الخطابة ولم يسمع نداء الخطيب ويفهمونهم بأن الغاية منها غير ظاهرها نشطت الى زيارة حضرة الخطيب سائلا منه تفسيراً لما التبس على بعضهم فهمه فقال :

من هم الدخلاء

« انى أعتقد أن الجمهور فهم كلامي وليس من حاجة لشرح جديد ولكن اجابة على سؤالكم أقول لكم زيادة للايضاح : انى سررت جدامن تغيظ الذخلاء ولكن تعجبت للغاية من ان بعض أصدقائى السوريين ارتابو في فهم كلامى مع انني قلت فى أول خطابي مانصه بالحرف الواحد « فداوموا أيها الوطنيون الاعزاء على اكرام وفادة ضيوفكم ونزلائكم الذين يشتركون معكم فى الاحساسات نحو هذا البلد الامين » ولا شك انى قصدت بلفظ « نزلاء » الاوروبيين والسوريين وكل نزيل . وايضاحا لكلامي أقول ان الغرباء فى مصر على ماأرى اربعة أقسام : غرباء يعملون أعمالهم الشخصية دون ان يضروا بالمصريين او ان يشتغلوا بشؤن مصر . وهذا القسم نحترمه ونجله ونساعده على سعادته لانه يقوم بالواجب عليه . وغرباء يعملون مايعمله القسم الاول ويزيدون على ذلك دفاعهم عن مصر ونضالهم عن حقوقها . وهذا القسم

نحترمه ونجله ونحفظ له فى نفوسنا شكرا وامتنانا . وغرباء يجاهرون بالعداوة لنا . وهذا القسم نناقشه مناقشة الخصوم المجاهرين بخصومتهم لبعضهم ولكن لانناقشه الا بكل أدب واحترام وأخيرا غرباء لايعدون انفسهم في مصرغرباء بل يعدون انفسهم مصريين لهم الحق فى التكلم عن مصر والبحث فى شؤونها كالمصريين انفسهم وهم لا يقصدون بهذا التداخل الا الاضرار بها والعمل ضد صالحها وهذه الفئة هي ولا محالة فئة الدخلاء التى أقصدها وأجاهر بالعدوان لها وأحاربها آناءالليل واطراف النهار بقلمي ولسانى وكل ما استطعت

وانى أسر اذا رأيت غريبا دخل مصر فقيرا ثم صار فيها غنيا وعرف لها الجميل واحبها ودافع عنها . انى احب ذلك الغريب وأتمنى له زيادة في الثروة واتساعا فى العيش والسعادة اما الدخلاء فاني آسف على انهم اصبحوا أغنياء فى مصر ومن مصر وبمصر ولا يعملون الا ضد مصر

وبالجملة اقول لكل المصريين والنزلاء عموما والسوريين

خصوصا: اخوانى اذا أردتم معرفة الدخيل في مصر الذى قصدته فى خطبتى فابحثوا عمن تألم من كلامى عن الدخلاء واعتقدوا انه هو ذلك الدخيل المقصود »

*
* *

عاد المرحوم الى مصر بعد القاء هذا الخطاب فودعه أبناء الثغر وداعا لم يره أحد غيره حيث احتشد على رصيف المحطة وخارجها نحو ثمانية آلاف نفس وفى مقدمتهم رائدو الوطنيـة وحماتها وفوق رؤسهم الاعلام الهـلالية وقدموا للمرحوم نيشانا من الفضة رسم على أحد وجهيه صورة النخل المصرى ومسلة الثغر وكتب على الوجه الآخر هذه الجملة:

برهان الاخلاص

﴿ من أهالى الاسكندرية ﴾

(للوطنى الغيور مصطفى كامل)

فتقبل الهدية شاكراً وقد أمطرت عليه باقات الازهار والرياحين وما تحرك القطار حتى هتف له هذا الجمع الـكبير

هتاف الاخلاص والحب وهو يحييهم تحيـة الابن لابائه أو الاخ لاخوانه

سار بنا القطار ونحن فى سرور عظيم فقال لي رحمه الله مامعناه :

« انى أرى ان الساعة التى يجب عليك فيها الاستقالة من الجيش نهائياً قد أذنت فقدمها غداً لتكون بجانبي حتى نعمل عملنا الوطنى باتقان ونجاح فأجبته الى طلبه وما وصلنا القاهرة حتى كتبت الاستقالة فى الحال مخاطبا قائد الجيش الفـريق كتشنر باشا (الانكليزى !) وقصـدت البريد لاسجلها وقد كان برفقتى صـديقى الحميم من أيام الطفولة حضرة الصاغ محمد أفندى حافظ

سجلت الخطاب وأبلغت المرحوم فسر كثيراً وأخذنا نضع نموذج العمل على قاعـدة متينة فقر رأينا ان أقـيم أنا بباريس ستة أشهر لأؤدى امتحان الحقوق وسـتة أخرى فى لوندره لاتقوى في اللغـة الانكليزية التى كنت أعرف منها وقتئذ شيأ قليلا. وطدنا العزم على ذلك وسألنا الله النجاح

بعد ان عاد المرحوم الى مصر من الثغر كتب كتاب شكر لاهالى الاسكندرية نشرته جريدة المؤيد وهذا نصه :

﴿ الى أهالى الاسكندرية ﴾

ابناء وطنى الاعزاء

يعجز قلمى واسانى عن ان يؤديا لكم واجب الشكر على ما أظهرتموه نحوى من العواطف الشريفة وما أبديتموه لي من علامات الود والاكرام . ولولا انى معتقد انكم لم تقصدوا بمظاهرتكم نحو أضعف خدمة الوطن الا اعلاء منار الوطنية ورفع شأن الوطن العزيز لكنت أخجل ان أمسك القلم وأسطر هذه السطور

وان الامة المصرية لذاكرة كلها مظاهرة « ٣ مارس » الشريفة التى أظهرتم فيها رغائبكم وطالبتم بحريتكم وسعادتكم الاجتماعية وبرهنتم على انكم تقدرون الوطنية الصادقة حق قدرها وتعرفون مزية السكينة والاعتدال فى خدمة الاوطان فاعملوا دائما بهذه المبادىء الحقة لنبلغ الآمال وتشرق لنا شمس السعادة والاقبال

وقد برهنتم فى هـذه المظاهرة المعدودة على انكم ألد أعداء الدخلاء فحاربوهم باقلامكم وألسنتكم حتى تتبدد طغمتهم وتفشل مساعيهم وتتحد كلمتنا وتجتمع قلوبنا

وبرهنتم كذلك على حبكم للامير الجليل . فحافظوا على ولائه وتعلقوا به فانه أخلص بنى مصر لمصر أعز الله أيامه

وما مثلى أمامكم ومثلنا جميعاً أمام الوطن العـزيز الا كمثل رجل وجـد أمه عليلة سقيمة فأحس من نفسه بالحنو والشفقة عليها فقام مناديا اخوته للعمل معه لشفاء علتها حيث وجدهم جميعاً يحسون بنفس احساسه ويشعرون بشعوره ففرح بهم وفرحوا به واجتمعوا على خير أمهم المحبوبة

فليتم لنا هـذا الاجتماع المرغوب حتى يبرأ الوطن من علته ويسلم من دائه العضال . دمتم له يا أعز بنيه واصدق حماته

مصر فى ١٠ مارس سنة ١٨٩٦

(مصطفى كامل)

﴿ الخطبه والجرائد الاوروبية ﴾

نقدم لقراء هذه السيرة المرغوبة مثالا مما كتبته الجرائد الاوروبية عن المرحوم بعد القاء أول خطبة فى الاسكندرية فقد كتبت جريدة الديبا فصلا ضافيا تحت عنوان (المصريون والجلاء) هذا تعريبه :

« القى مصطفى كامل الشاب المصرى الذى خطب فى مدائن أوروبا على مصر وكتب أخيراً الى المستر غلادستون بشأن الجلاء كتابا نشرناه هو وجواب زعيم الاحرار عليه خطبة طويلة في مدينة الاسكندرية على جمهور من المصريين طلب فيه الجلاء عن مصر

وبعد أن دعا ابناء وطنه الى السعي بجد واستمرار لنيل حرية بلادهم مع ملازمة الاعتدال والحزم واجتناب كل مامن شأنه الاضرار بمسئلة مصر قال مصطفى كامل الاقوال الآتية التى يصح ان تؤخذ بكل حق حجة على الذين يدعون أن المصريين مجردون عن الذوق السياسى الذى بدونه

لا يمكنهم ان يحكموا أنفسهم بأنفسهم (وهنا أوردت جريدة الديبا بالحرف الواحد ترجمة كل ما قاله الخطيب بشأن الاحتلال) ثم قالت : وبعد ان أتم الخطيب خطبته أقر المجتمعون على قرار معناه دعوة أوروبا الى تسوية مسئلة مصر . اه

وكتبت جريدة السياسة الاستعمارية الباريسية ما تعريبه :

« لقد حصلت أول أمس فى الاسكندرية مظاهرة وطنية اشترك فيها كل رجال الشبيبة المصرية بلا استثناء وكل ذوي الحيثيات فدلت هذه المظاهرة دلالة صريحة على حقيقة احساسات المصريين نحو الانكليز الذين لا تزال دعواهم انهم اكتسبوا محبة الاهالى ورضاهم

فأن مصطفي كامل الذى القى فى فرنسا الخطب البديعة عن مصر كان أعلن بأنه سيخطب خطبة عربية في التياترو العباسى بالاسكندرية بشأن الخطبة التى يجب على المصريين اتباعها امام الاحتلال الانكليزي وأحسن طريقة للمطالبة بحقوقهم

ولم تكد الساعة الثامنة من ذلك اليوم الموعود تأتى حتى امتلأت قاعة المجتمع أي قبل ابتداء الخطبة بزمن وكان من لم يستطع الحصول على مكان في القاعة يبذل جهده لاظهار محبته وشدة ميله للخطيب الشاب ويعمل كل مافى وسعه ليبرهن على ان مصطفى كامل انما يترجم بالحق عن احساسات الشعب المصرى

ولقد قال الخطيب فى خلال كلامه أن مبدأ المصريين هو « أحرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا » ولذا يرى أنه يجب على المصريين ان يعملوا للتخلص من النير الانكليزى مع تطمين اوروبا على نتائج الحرية التى يطالبون بها . هذه الحرية التى تظهرها انكلترا لسائر الدول بمظهر مخيف مزعج ولم يفت الخطيب ذكر العلائق الودية الحسنة التى توجد بين المصريين والاوروبيين القاطنين بمصر هذه العلائق التى تخدم مصر أجل خدمة ولقد اظهر الخطيب من احساسات الاحترام والمحبة للاوروبيين مايشعر به من نفسه خصوصا وان اكثر الاوروبيين النازلين بمصر هم اصدقاء أوفياء لها

ولما بلغ مسئلة الجلاء عن مصر حقق بكل جهده احترامه لانكلترا ولكنه أضاف على ذلك سؤاله هل من اللائق بدولة عظيمة تعتبر نفسها استاذاً ان تحتقر علنا عهودها وتخلق كل يوم حججا واهنة لأطالة أمد الاحتلال . وكذا يطلب الخطيب من انكلترا أن تترك مصر وخصوصا لان الامن موطد فيها

وبعد ان اثنى الخطيب على عزيز مصر عباس حلمى باشا اختتم الخطيب خطبته العظيمة بقول غمبتا (ليس المستقبل بمستعص على أحد)

ولقد قوبل كلام مصطفى كامل بتصفيق طويل واستحسان عظيم . ودليلا على ماللخطيب من المكانة فى نفوس مواطنيه أقر المجتمعون على ان يقدموا له هدية نفيسة تذكاراً لهذا الاحتفال . وحقا ان تحويل مصر الى بلد انكليزى المشرب يخطو خطوات ضعيفة ان كان له خطوات ومهما كرر المحتلون من الجمل الحسنة والعبارات المقبولة فان المصريين يقدرون (منافع) الاحتلال البريطانى حق

قدرها ! ! ! !

اما الجرائد الانكليزية فابتدأت من ذلك التاريخ تلقبه بالثائر المهيج المأجور كأن شعور أبناء الشرق لا يكون نحو بلادهم كما هو فى قلوب أهل الغرب عامة والانكليز منهم خاصة ! !

حادثة الجيش

﴿ تجريدة دنقله ﴾

« تفاصيل تدهش القراء »

يذكر قراء هذه السيرة من مطالعة مامر بهم انى قد قدمت استقالتى من الخدمة فى الجيش وذلك على أثر العودة من الثغر الاسكندرى بعد أن ألقى المترجم خطبته الوطنية السياسية تلك الخطبة التى ألهبت نفوس من سمعوها وأحدثت فيها شيئا جديدا ويذكرون أيضا مادار من المناقشات بينى وبين بعض الرؤساء . ولما كانت هذه الاستقالة فى ذلك الاوان

غير متوقعة عند أولئك الرؤساء وقد ترتب على طلبها أنهم
أرادوا الانتقام من ذات المترجم في ذاتي فتتقت لهم الذمم
الطاهرة أو السرائر التي لا تخون ! أن يجردوني من رتبي
ونياشيني كما يجرد السيف من غمده وينزلوني الى صف جندي
بسيط : رأيت أن أضع تحت أنظار القراء تفاصيل تبعث على
الدهش من هذه الحادثة ليعرف من لم يكن قد عرف كيف
يقدم الانكليز على الكيد للعاملين المخلصين ولكيد الشيطان
أحكم وأعظم ولترى نابتة العصر مثالا محسوساً على مبلغ عدل
الانكليز وعسى أن يذكروا هذا المثال عند الاقتضاء

*
* *

بينت في الجزء الثالث من هذه السيرة كيف كان الضباط
الانكليز العظام يضطهدون شخصي الضعيف على أثر اذاعة
نبأ العريضة السياسية التي رفعها المترجم الى مجلس نواب فرنسا
وكيف أن البكباشي جدج قد بلغ من تفننه في اضطهادي أنه
كان يتناسى اسمي كلما دعاني ويذكرني بذلك الاسم الشريف
« مصطفى كامل » ناسيا أنه بتسميته اياي بذلك الاسم الذي

أحبه كان يطربنى من حيث لا يريد ويحسن وان كان يبغى الاساءة لان ذكرى ذلك الشقيق فى وقت الضيق كانت داعية اطمئنانى . على أنه قد ترتب على مامر بالقراء وصفه اننى قدمت استقالتى الى القائم مقام هيجت بك وهو لم يقبلها

وكانت فاتحة الالطاف أن المعية السنية قد كتبت الى نظارة الحربية في شأن تعيينى فى الحرس الخديوى بدلا من الملازم الاول محمود أفندى حلمي اسماعيل الذى نقل الى الارطة التاسعة وقد كان ذلك فى شهر يونيو سنة ١٨٩٥ . ولكن الانكليز الذين يعرفون انى أخو « مصطفى كامل » شق عليهم الامر كثيرا فأرغي منهم من أرغي وأزبد من أزبد واعتبروا أن هذا الطلب من المعية السنية يعتبر اهانة أو شبه اهانة (على الاقل !) لهم وقام الفريق كتشنر باشا سردار الجيش المصرى وقصد من فوره مدينة الاسكندرية حيث قابل اللورد كرومر ورئيس مجلس النظار والله أعلم بما دار بين هؤلاء من الحديث بيد أن الذى لاشك فيه أن السردار كان يتكلم في المسألة كلام من نال منه الغيظ

والمسألة تهمه قبل كل أحد وهو لم يكن يري « أن أخا « مصطفى كامل » يخلص من يده بأى حال » . وبعد أن تحدث العميد والسردار ورئيس مجلس النظار فى هذا الشأن قصدوا سمو الخديو وطلبوا أن يصدر جنابه العالى أمرا بالغاء الطلب وكان لهم ما أرادوا وتعين مكان الملازم الاول المنقول الملازم الاول ابراهيم أفندى أدهم الذي هو الآن فى المعية من الضباط العظام

ياللشرف ويالشرفاء ! ياللحرية ويا للاحرار ! أفرأيتم أيها القراء أو سمعتم أن مثل النفوس التى تسكن جرم كتشنر وكرومر ومصطفى فهمى تتنزل من سماء عظمتها الى مثل هذا العمل ؟ ؟

تلك فاتحة المكايد وانموذج منها والى القراء انموذجا آخر يدلهم على مبلغ حرص الانكليز على الانتقام على غير ذنب وتعمد الاذى بلا سبب اننا أقمنا فى سواكن زينة باهرة فى نادي الضباط احتفالا بذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ودعونا الى شهود هذا الاحتفال كل الضباط الانكليز

وما انتظم عقد الجمع حتى ألقيت عليهم خطابا تكلمت فيه على وجوب الاتحاد وكان من الامثلة التى ضربتها بيانا لما فى الاتحاد من القوة وما فى التفرق من الضعف مثل العصى يسهل كسرها متفرقة ويصعب كسرها مجتمعة وهو المثل الذى عناه الشاعر بقوله :

كونوا جميعا يا بنى اذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا

وكان المثل فيما أذكر واضحا بيد أنه خفى على المترجم الدخيل فترجمه الى لويد باشاقومندان المحطة الذى كان حاضرا اذ ذاك انى أحرض الضباط المصريين على الضباط الانكليز خاصة والمحتلين عامة . وقد صدر الامر فى اليوم التالي بايقافى وقد جرى بسراى المحافظة تحقيق سرى أمام القائد العام لسواكن فانجلي عن براءتى مما نسبه الى دخيل السوء فأفرج عنى

ذاك ثانى النماذج على أن القوم كانوا موسوسين الى حد تصديق كل ما يقوله وسطاء السوء اذا صح أن يبنى على قولهم ظلم برىء أو الجور على طالب انصاف والله لا يهدى كيد الخائنين

والى القراء ثالث الامثلة الدالة على اطراء تلك القاعدة
كنت ملاحظ ضرب النار بسواكن ولما كانت الارطة
التى كنت تابعا لها هي الارطة الاولى رأى أحد الضباط
الذين يغارون من تقدم بلوك آخر على بلوكه فى تمرين ضرب
النار ان يدس دسيسة أمام البكباشى جدج . والمرء اذا
انقطعت الصلة بينه وبين وجدانه هان عليه كل أمر فجاء هذا
الى الميدان يحمل قلبه الضغائن والاحقاد وهى تكاد تمزقه
تمزيقا فأول مابادرنى به الفاظ لا يقبلها الا الجبان الضعيف
الجنان فلم أطق الصبر بل كلت له الصاع صاعين ولما رأيت منه
بوادر الشر استعددت لمقابلته ومقاتلته قرنا لقرن اذا اقتضى
الامر وبديهي أنهم لم يكونوا يتوقعون منى هذه الجرأة
وان كانوا يبغون أن يروها منى ليتخذوا منها سلاحا يحاربوننى
به بدليل ان البكباشي لم يكد يتصل به ماجرى ان لم يكن
عارفا به من قبل حتى وقفنى عن العمل مدعيا انى أعمل عملا
على غير نظام قانونى وانى فوق ذلك لم أحترم ضابطا أعلى
(هنا بيت القصيد) وكانت نتيجة هذا الاتهام أنى قدمت

الى محاكمة كانت السبب فى القاء النفور بين الضباط المصريين والضباط الانكليز . وكان المجلس المنعقد للمحاكمة تحت رئاسة القائم مقام سيدني بك قائد الاورطة العاشرة وفى المجلس ضباط مصريون أذكر منهم المرحومين القائم مقام محمد بك مختار والصاغ محمد افندى سامى

شمم الضابط المصرى

أبين بمناسبة ذكر انعقاد هذا المجلس فى سوابق لمحاكمتى ضرب من ضروب الشمم المصرى العسكرى لاخوانى المصريين المعاصرين والعاقبين ليعرفوا أنهم من عنصر سام شريف لايقبل الضيم ولا يعنو له ساعة من الزمان !! أبين ضربا من ضروب الشمم المصرى العسكرى لهذا الجيل وللجيل الآتى ليعرفوا انهم من عنصر سام شريف يأنف الذل ويقول دائما النار ولا العار والموت فى العز خير الف مرة من الحياة فى الذل!!

أبين فى هـذا الفصل كيف ان عزة نفس الضابط

المصرى تأبى أن تصبر على المهانة مهما كان المهين عظيما وتأبى ان تذل لغير العزة الالهية ولو وقف لها الدهر بكل سبيل !!

أبين كيف ان الشمم يصل بصاحبه الى الجوزاء ويذلل الصعاب أبين لهم كيف أن فؤاد الضابط المصرى والانفة العالية صنوان لا يفترقان !!

أبين هـذا لانى واثق ان مثل هذه القصة المدهشة لا يبعد ان تحدث فى نفوس مطالعيها شيئا جديدا وطالما كان مثل هذه النوادر من أكبر ماتصلح به الاخلاق

جرت العادة فى المجالس العسكرية بعدان يترافع جانب الادعاء وجانب الاتهام (النيابة) ويناقش كل عضو من أعضاء المجلس الطرفين فيما يراه : يخرج المدعى والمتهم ويتداول المجلس سرا (موضوع المداولة «هل المتهم مذنب أم برىء»)

وعلى هذه القاعدة اختلى المجلس للمداولة بعدان دافعت عن نفسى بنفسى ودافع حضرة البكباشى ابراهيم افندى صبرى بصفته مدعيا (ابراهيم باشا صبرى الآن) وقد كانت مرافعته فى الحقيقة لى اكثر مما كانت علىّ لانه كان من

كبار الضباط العادلين الذين درسوا اطوارى وعرفونى حق المعرفة وقد كبر عليه وقتئذ ان يحاكم « على فهمى » بلا سبب ولكن هكذا أراد عدل الاحتلال

خلا المجلس بنفسه للمداولة ولتظهر البراءة اوتحق التهمة فسأل الرئيس أقل الضباط رتبة وأحدثهم بالخدمة عهدا وهو سامي افندى فى هذا الشأن فأجابه على الفور ببراءتى فسأله

« لم تبرئه وهو مذنب ؟ »

فقال له « هكذا رأيت »

فناقشه الرئيس مغلظا له القول بلا حجة ولا دليل

فقال له مهما حاولت اقناعي فان الحق ظاهر امامى ظهور الشمس فى كبد السماء فهو برىء . برىء . برىء . »

وبعد الاخذ والرد والمناقشات الحادة تقرر احالتى على الاستيداع . هذه الاحالة التى هى اشبه شىء بسلاح يستعمله الرئيس الحربي المطلق ضد من يثقل عليه وجوده أمامه ! وقد وافق وقوع هذه الحركة قدوم السردار الى سواكن للتفتيش

على حاميتها فصادق على هذا الاستيداع وركبت اول باخرة سارت واحتشد لتوديعي قبل ان اركب جميع الضباط المصريين على مرأى من الضباط الانكليز الذين يسكنون الشاطىء المطل على مكان رسو البواخر

فكان منظر الوداع بتأثيره بمثابة انذار للانكليز بأن الحق منتصر ولوكان فردا والظالمين مخذولون ولو كانوا جيشاً جرارا . وقد شاهدت بعض الضباط من ابناء التيمس وهم جاثمون فى أماكنهم والباخرة على وشك المسير يستعينون بالنظارات المعظمة لشهود حركات المودعين ولو استطاعوا أن يجدوا آلة يستعينون بها على استماع ما قيل في الوداع من العبارات ما تأخروا لحظة من الزمان !

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه　　وصدق ما يعتاده من توهم

الا ان الظالم لا يستقر له بال من التلق وان أوهم ظاهره غير ذلك

فياليت شعرى فى أى شىء كان يفكر الضباط الانكليز وقد شاهدوا الضباط المصريين عن بعد ملتفين حول واحد

منهم ظلم بلا سبب وتحومل عليه بلا سبب ؟؟

كانوا يفكرون في عاقبة الظلم وكفى . .

*
* *

عرف القراء من هذه الحوادث المتكرره أن الاضطهاد الذى وقع على بلغ النهاية وأن خدمة البلاد تناديني مع كل وطنى أن أكون شريك أخي فى أعماله فقدمت الاستقالة على أثر عودتنا من الاسكندرية وحدث فى هذا الشأن ماحدث

ألا فليقرأ المصرى بامعان مايلى :

بعد أن قدمت الاستقالة أعلنت الاوامر العسكرية أمر التجريدة وقد كنت بالاسكندرية فعزمت على السفر الى العاصمة وقبل أن آخذ القطار استلمت اشارة برقية من مصر مفادها أن الحربية أرسلت في طلبي وأنه يجب حضورى ولما وصلت الى مصر قصدت فى صبيحة يوم الثلاثاء ١٧ مارس سنة ١٨٩٦ حضرة الميرالاي مكسويل بك كاتم أسرار الحربية وسألته عن سبب طلبي فقال « انك قدمت استعفاءك

وهاهى التجريدة على وشك أن تتحرك . أفلا تزال مصمما على الاستعفاء مع علمك أن الجيش في حاجة الآن الى ضباط كثيرين » ؟؟

قال هذه الجملة وهو باسم . فاجبته : «سأسترد استعفائي انما أرجو منك أن تساعدنى على الالتحاق بخدمة أركان الحرب لا البيادة حتى أقوم بعمل تظهر أهميته فى المستقبل: فوعدني خيراً وحيا كل منا الآخر وانصرفت . ثم كتبت الى السردار خطابا مسجلا وقد استرددت فيه استقالتي الاولى

وما هي الا عشية حتى تلقيت فى صبح الخميس ١٩ مارس خطاباً من الحربية وفيه الامر بتعيينى بالاورطة الخامسة عشرة من أورط الرديف . فتألمت كثيراً لان عملها على ماخطر ببالى لايذكر بجانب الجيش العامل . فقصدت فى الحال قومندان الاورطه ولما قابلته كلفنى « تطقيم » ٤٨٠ جندياً من أسلحة وملابس ومهمات من مخازن القلعة. فاديت ذلك فى أسرع وقت وقد عدت فى منتصف الليل مع الجنود فى يوم الجمعة ٢٠ مارس الى القشلاق بالعباسية

وما بزغت شمس يوم السبت ٢١ مارس حتى أخذ كل عامل فى عمله . وخرجنا للطابور وقد كنت أمرن الضباط وصف الضباط القدماء على ماغاب عنهم من القوانين الحديثة والتغييرات التى طرأت على نظام الجيش

وفيما أنا كذلك جاءنى المأسوف عليه الكريم الخلق البكباشى سعيد أفندى ناصر أركان حرب قسم المحروسة وهمس فى أذنى قائلا :

« جاءت اشارة تليفونية من الحربية بايقافك وارسالك اليها حالا تحت حراسة أحد الملازمين الاولين »

فدهشت من هذا النبأ كما دهش حامله الى دهشا لايقدر . دهشت لاننى لم أصنع مايستدعى ذلك . ودهش هو لانه كان من أعز الاصدقاء . ولقد كرر سؤالى عما عسى أن أكون قد أتيته على وهم أن ثمة عملا مخالفاً للقانون ارتكبته وزاد الدهش دهشاً أن الايقاف مصحب بطلب الذهاب الى الحربية مع ظروف التجريدة الحاضرة

فقصدت الحربية مع حضرة الملازم الاول محمد أفندى

زكى . سرنا كلانا هو يحمل سيفه وأنا أعزل كما هى القاعدة المتبعة فى ايقاف الضباط

دخلنا غرفة مكسويل بك كاتم الاسرار وقدم اليه الضابط الخفير خطاب قومندانية قسم المحروسة فأمرنا بالراحة فى قاعة هناك

قضينا فى هذه القاعة من الساعة الثامنة صباحا الى منتصف الساعة الثانية عشرة ثم نودينا فدخلنا غرفة وهناك وجدت السردار كتشنر باشا يرأس مجلساً عسكريا عاليا وقتيا أعضاؤه الادجوتانات جنرال رندل باشا وكل من اللوائين محمد زهرى باشا والمرحوم أحمد فضلى باشا وكان المدعى الميرالاى مكسويل بك

وما رأيت هذه الهيئة حتى أدركت فى الحال أن هناك مكيدة مدبرة ولكنى ما كنت أتصور أنها بسبب الاستعفاء

خاطبنى السردار قائلا :

« انك استقلت فى زمن الحرب ولذلك نحن نحاكمك الآن »

فدهشت وقلت على الفور بأعلى صوتى :

« انى مااستقلت فى زمن الحرب . وهذه وصول البريد يؤيد تاريخها قولى . فان تاريخ الأستعفاء سابق تاريخ صدور أوامر التجريدة . ولنفرض جدلا أنى استقلت فى زمن الحرب ثم استرددت الاستقالة قبل اعلاني بالالتحاق بأورطة ما لاني من ضباط الاستيداع فان استقالاتي صحيحة واستردادها صحيح ولا حق لاحد فى مصادرتي في هذا العمل اللهم الا اذا كان فى الامر سر سياسى ! سلوا المدعي مكسويل بك وهو يجيبكم ان أراد أن يجيب . ألم أحضر وأقابله وأسأله الالتحاق بخدمة أركان الحرب ؟؟

سلوا ضمائركم بعد ذلك هل فى المسألة مايستدعى هذه الضجة القائمة من زمن بعيد على رأسى ! ماذنبى ! ماجريرتي ! أى حدث أحدثته في القانون ؟؟

اذا كانت محاكمتى على شىء لم آته فانى أطلب مما تسمونه عـدلا أن يعطيني حق الدفاع عن نفسى ولو بتقريراً كتبه »

قلت هذه الـكلمة متأثرا منفعلا فلم يسمع السردار منها

حرفا . وانما كان جوابه على طلب اعطائي « حق الدفاع عن نفسي ولو بتقرير أكتبه » : لا : ثم التفت الى من حوله . أما رندل باشا فقد هز رأسه ويمين الله لقد كان قلبه أشد اهتزازا . وأما فضلي باشا فقد كان أفصح من زميله اذ قال نعم . نعم . ولو فطن لمغزى الجواب مانطقت به شفتاه . وأما زهري باشا فانه قال :

« دعوا الضابط يدافع عن نفسه لان التهمة كبيرة . ودعوه يحضر لنا وصول البريد عن الاستعفاء أولا واسترداده ثانياً »

قال هذا فلم يسمع منه قول لان الآذان قد صمت عن استماع كلمة الحق ولان الغرض غشى تلك العقول تنفيذاً للقضاء المحتوم

وأشار السردار كتشنر باشا في الحال الى مكسويل بك وهذا قام يخطر في المجلس حتى جاء الى ورفع النجوم عن كتفي وكأنما كان يرفع الحدقتين من العينين أو يستل لباب الجمجمة من الرأس . ووددت في تلك اللحظة التي كادت

الارض فيها تغور بي من شدة الحنق لو كنت حاملا سلاحى لاذود عني بحده تلك اليد الظالمة . تلك اليد التي تمتد الى ولا وجدان لمن مدها.

أقول وددت في تلك الساعـة لو كنت أملك سلاحى لافصل به بين الظلم والعدل . بين الغدر والوفاء . بين الباطل والحق . بين الاثم والطهر . بين الخطل والسداد. ولكن سبق السيف العذل وخرجت من هذه الغرفة وأنا لا أعي على شيء. وما زلت كذلك حتى تركت الحربيـة وسرت في الطريق وهناك وجدتني سائرا بين جنديين مدججين بالسلاح شاهرين السونكيات على البنادق وخلفنا صف ضابط يقودنا . ولكن الى أين ؟ هذا مالم أكن به داريا !

خرجت من الحربية الي بولاق ومنها الى الازبكية ومنها الى باب الشعرية ثم الفجاله فالعباسـية مخترقا ما تخلل هـذه الشوارع من الاماكن التي يقبح ذكرها . وقد استغرقت مسافة السير من الحربية الى قشلاق العباسـية أربع ساعات ونصف . اذ وصلت في الساعة الرابعة بعد الظهر والناس من

حولي يزدادون كلما خطوت خطوة. ومنهم من كان يظن أني قاتل او سارق ومنهم من كان يقول انه هارب من الحرب ومنهم من كان يقول بل انه أخو « مصطفى كامل » وهذا هو القول الحق

وقد استقبلني الضباط المصريون متأثرين لما لاقيت من هذا العدوان والظلم القانونى . بل قابلوني وهم غاضبون صاخبون لما أصابني اعتداء وافتراء . ورأيت منهم حركة هى التى كنت أنتظر أن أراها منهم . وتقدم الى أحدهم وقال :

« يا أخانا المظلوم

أنا نعتقد أن رئاسة الجيش المصرى قد مثلت اليوم رواية من أشنع وأفظع الروايات . اذ ظلموا ضابطاً مصريا بريئا وتحاملوا زورا وعدوانا على فتى ذنبه أنه أخو « مصطفى كامل » فمرنا فأنا طوع اشارتك »

فلم يسعنى الا أن شكرت لهم هذه العناية بشأنى أجزل الشكر وأشرت عليهم باستعمال الحكمة والروية حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا

ومن هناك سرت الى السجن الحربي والظاهر أن التعليمات كانت قد سبقتني الى حكمداره ليعاملني معاملة قاسية وهو ضابط ما كنت أعرفه من قبل. فاستقبلني ذلك الحكمدار كما يستقبل عشماوى فريسته وسار بي وحولى بعض الجند الى غرفة صغيرة عرضها متران وطولها متران وارتفاعها نحو عشرة فهى مدخنة لا غرفة أو مغارة من مغاور الجن فى السجن ووضع الاصفاد فى رجلىّ وتركنى على الارض لا وطاء ولا غطاء ولا زاد ولا ماء ولا أنيس ولا رجاء ثم أغلق الباب وقال للباشجاويش وهو يغلقه:

« لا تدع احدا يدخل عليه فهو مضروب بالرصاص غدا »

وقد قصد ان يسمعنى هذه الكلمة فسمعتها. سمعتها وانا ثابت الجأش مستقر الايمان ذاكر قوله تعالى « لكل أجل كتاب » . سمعتها وما كل من سمعها يعرف من معناها ماأعرف سمعتها وأنا من أعرف الناس بتأثير المقذوف حين يرتز في نخت من الرصاص فما بالك حين يرتز فى صدر انسان!!

هاجتني هذه الكلمة بعد بضع دقائق . وقد مثل لى الشيطان من صور المخاوف ماشاء ان يمثل . فكانت تتوارد على ذهنى أشكال شتى تصور أقلها يبعث على الرعب الشديد . وماذا أقول وماذا أصف مما كان اذ ذاك ؟؟

واخيرا تغلبت على كل شيء وتساندت حتى هدأت نفسى فانبعث لساني يقول كلاما أذكر منه مايلى : —

« سبحانك اللهم ولك الحجة البالغة الغالبة . أكذلك يلقى الابرياء فى غيابات السجون . ويتركون بين المحن والفتون . ؟؟ أكذلك يمثل بالاحرار الاوفياء على أعين الناس ويلقون صنوف الاهانات بلاسبب ؟؟ اللهم لااعتراض على ماجرت به المقادير ولكنه الغضب للحق يحل اللسان من عقاله . وأى شيء أدعي الى الغضب من رؤية الخصم حكما والمتصدر للانصاف ينتهك حرمة الحق انتهاكا ولا يخشى رقيبا ولا حسيبا ؟؟

أنت الشهيد على مالقيت من الظلم البين . أنت الرقيب على هؤلاء الظالمين المفسدين . أنت العليم بما فى السرائر

والضمائر . يحتكم أولئك المردة فى رقابنا ولا يرعون عهدا ولا ذماما ويقبضون على أزمة الاحكام والقبض على أيديهم ألزم وأحكم .

اللهم بك الحول ولك الطول وأنت على ماتشاء قدير

قلت كلاما كثيراً ان لم يكن هذا منه فانه شبيه ببعضه.

ولم أكد أنتهى منه حتى سمعت هزة في الباب فانفتح ودخل أونباشى (هو شرف الدين) يحمل قدحا من الماء ورغيفا وقطعة من الجبن وقال بصوت الخائف الوجل « اقبل منى ماأتيتك به» فقبلته شاكرا وسألته عن اسمه فقال : أنا فلان الذى كنت فى الاورطة الاولى وكنت أنت مدافعا عنى حينما كنت أحاكم أمام مجلس عسكرى لتهمة وجهها الى أحد صف الضباط فكان حسن دفاعك عنى خير كفيل لظهور براءتي : اخ اخ

أعطانى هديته الثمينة في هذا الوقت الذى لا تظهر فيه الا المروءة وقال لى بعد ذلك ! « انى أنجيك بنفسى فهل لك فى الهرب » فقلت له على الفور ! « ذلك لايكون أبدا »

انقضت تلك الليلة كما انقضت حتى اذا طلع النهار فتح الباب فانتقلت نفسى انتقالا فجائيا من الضيق الى السعة . ومن الوحشة الي الانس . ومن العناء الى الهناء . ومن الانقباض الى الانبساط . اذ رأيت شقيقي المترجم وافدا على كما يفد الندى على الزهرة الجافة . وقبل أن يعرف القراء ماقال لى وما قلت له أذكر أنه كان فى الاسكندرية ولما اتصل به ماجرى جاء فى الحال الى القاهرة ثم قصد أن يقابلنى فى السجن فلم يأذن له الضابط الجهنمي بذلك . وكان قد رأى أمام باب المدرسة الحربية حركة غير عادية فسأل عن السبب فقيل له ان الادجوتانت جنرال دخل المدرسة ليتخير من تلاميذها ضباطا لان الجيش فى حاجة الى الكثيرين منهم . فما صدق المترجم أن سمع هذا حتى قصد ذلك الضابط الكبير وعرفه بنفسه وطلب منه أن يرى أخاه في السجن فهش له وبش وأجابه الى ماطلب وأرسل معه بكباشيا انكليزيا

فلما وقعت العين على العين ألقيت بنفسى اليه وأردت

أن أتكلم فقاطعني وقال :

« ياأخى

ان النفوس العزيزة لترخص فى خدمة الوطن . وأنت اذا عوقبت فلا والله ماعاقبوك على ذنب جنيته أو اثم ارتكبته وانما يعاقبونك لانك أخو من يرى الحياة رهينة رفعة الوطن »

سمعت هذه الكلمة وقد أنعشتني وأرسلت فىّ قوة خفية لأأدركها . فتمالكت نفسى وتعانقنا . ثم قال انى تاركك الساعة فلا تضجر ولا تيأس . فان يوما أرى فيه الكثير من أمثال هذه المظالم لهو يوم الافراج عن الوطن . فأنت بما وجه اليك من التهم أول مثال سيقدمه الوطن على ظلم الانكليز يوم لا ينفع الظالمين ظلمهم

ثم سلم وسلمت وانصرف وانصرفت معه آمالى وفكرى وخاطري وفؤادي ولم يبق منى فى غرفة السجن الا هذا الجسم الذى كنت أنتظر مابين ساعة وساعة أن يحل به الانتقام الموعود

ثم حل الليل والهم والسهاد وحل (شرف الدين) يقوم لى بخدم أقلها يستحق عليه من المكافأة ما يشتري به المرء الف ضابط كضابط السجن هذا وما أصبح صباح يوم الاثنين ٢٣ مارس حتى فتح ذلك الجراب أو غرفة السجن واذا الضابط ومعه جند كثير يقول لى « هيا » فخرجت معه وسرت وحولى اثنان منهم يقودنا صف ضابط كما حصل عند خروجى من الحربية فى ذلك اليوم المشهود . فقلت له أنذهب الى البليجون (الميدان الذى تتمرن فيه العساكر على ضرب النار في شمال العباسية وتسكنه الطوبجية الآن) فقال كلا . انك ذاهب الى قشلاق عابدين

فعلمت أنه ماذكر تلك الكلمة عند دخولى فى هذا الجب وهى قوله للباشجاويش عند اغلاق الباب على «لاتدع أحدا يدخل عليه فهو مضروب بالرصاص غدا » الا ليؤلمنى أو ليحملنى على الحاق الاذى بنفسى لو كان مثلى يجعل لمثل قوله شأنا

وما جزته من الشوارع عند مفارقتى وجه السردار

العابث وقلبه الاسود هو وأغلبيـة أعضاء مجلسه العسكرى جزته عائدا من السجن الى عابدين اذ وصلت الى قشلاقها بعـد أربع ساعات وهناك (أى فى القشـلاق) أودعونى وتركونى

وبعد الظهر رافقت الاورطة السابعـة بملابس السفر وعدة الحرب . وقد سرت الى المحطة فوجـدت الناس عديدين والاصدقاء منهم متأثرون تأثرا بليغا وكأنهم يريدون أن ينقضوا على القطار ليأخذوني منه أخذا

سرت فى وسط العساكر لا بين رفقائي الضباط ولم يكن معى من الحواس مايعيننى على معرفة موقفهـم ازائي . وقد سار بنا القطار وأنا أفكر فى والدة بارة شريفة كان فى وجودنا شفاؤها وسيكون فى بعدنا عنها داؤها وفى أخ أقصى أماني أن أكون معـه جنبا لجنب أعينـه على ماهو بصدده من الخدم الوطنيـة العظيمة وفى هذا الشـتاء الابدى الذى حلق طائره على مصر منذ وفد عليها الانكليز

وصل القطار الى نجع حمادى ومن ثمة ركبنا البحر وأنا

مثقل بالحراس وقد دهشت من هـذه الحالة أيما دهش . لانى كنت أظن كما يظن كل ضباط العالم أن الرجـل الذى جرد من رتبه مثلا أو نزل رتبة أو رتبتين لا يمكث في هذه الحال طويلا بل يطلق سراحه ويكون له ماللجندي وعليـه ماعليه . أما هذه الحالة فانى كنت أعتقد أن وراءها ضرب الرصاص . لانه لامعنى لتقييد متهم على زعمهم هذا القيد فيحرم من الحرية الشخصية ويقطع طريقا لا يقـل طوله عن ألف كيلومتر تحت هذه الحراسة الثقيلة ولـكن هكذا قضى ظلم الانكليز فى مصر !

ماوصلت الباخرة (ألـكسندرا) الى شاطيء مدينة قنا حتى جاءني أحد الضباط وقال لى انا وصلنا الى قنا وأنا أعلم أن أخاك الاكبر (حسين بك واصف) وكيل تفتيش الري بها فهل تريد منـه شيئا ؟ قلت له لاأريد منـه الا أن أراه أو يراني ان أمكن . قلت هذا ولم أكن عارفا أن الاوامر السرية تحول بيني وبين رؤية أقـرب قريب مني . وهكذا الظلم يحول بين الاذن وما تسمع والعين وما ترى لانه حجاب

كثيف وكفي أن يكون من ظلم الانكليز فى مصر !

على هذه الحال وصلت الى أسوان ومنها الى حلفا وفى كل محطة نصل اليها أدخل الى سجنها ولا أخرج منه الا الى سجن المحطة الاخرى كأنى رسام سجون أنقل منها للناس أنباء ظلم الانكليز فى مصر !

وقد كانت خواطر الضباط المصريين عامة لاسيما في حلفا متأثرة جدا والذين كانت بوادر تأثرهم فى أتم ظهور أولئك الضباط الذين انتظروا الباخرة على الشاطىء . ولكن قومندان الارطة التى رافقتها وهو ابراهيم بك فتحى (فتحى باشا الآن) رأى أن فى امساكى بالباخرة تخفيفا لآلام المنتظرين فأبقانى تلافيا لما عسى أن يحصل اذا التقى المظلوم والشهود ! !

ولقد بقيت بالباخرة حتى اذا جن الليل خرجت الى أحد القشلاقات مع الحرس . وفى الصباح جاءنى فتحي بك وقال لى انك صرت جنديا بسيطا وقد وضعك السردار فى أورطتى فاختر لنفسك بلوكا فاخترت بلوك حضرة اليوزباشى

أحمد افندي زكى (الذى استقال من الجيش لشممه وشهامته وعدم تحمله رياء المرائين ونفاق المنافقين وهو الآن مهندس شهير ومقاول كبير وقد نجح فى عمله نجاحا باهرا) لانه كان أحد رؤسائي الضباط فى المدرسة الحربية

عملت في هذا البلوك جنديا فاشتغلت فى كل عمل يعمله الجندي ماعدا حمل الاثقال فالظاهر انها كانت امتيازاً سببته رحمة اخوانى الضباط وحنو النفوس الآبية نحو النفوس المظلومة

فكنت شريك البنائين فى السكك الحديدية وفي ورش الاشغال وغيرها .

ثم حضرت واقعتى فاركه والحفير ودخلت دنقله وانا جندي أحمل السلاح وأسير وسط الصفوف حتى يوم ٤ اكتوبر سنة ١٨٩٦ فهو يوم ظهرت شمسه مع تنفيذ عفو سمو الخديوى عنى حيث قابلت السردار كتشنر باشا فأعاد الى رتبي ونياشيني واقام اخواني الضباط احتفالات يطول شرح تفاصيلها وعينت بالاورطة الثانية فالاورطة الثامنة عشرة فأركان حرب كروسكو فأركان حرب السكة الحديدية

فضابط بالحملة ثم الاورطة الثانية فاركان حرب الحملة ثم الاورطة الثانية ثم واقعة عطبرة (مع الامير محمود) ثم واقعة ام درمان الى ان وقعت فى مرض التيفود ثم نزولى مع ارسالية المرضى ومكثت شهرين فى المستشفى العسكرى بالعباسية ثم شفيت الى ان كانت استقالتى مرة اخرى وقبولها وخروجى من الجيش حيث كان ٢٢ يناير سنة ١٨٩٩

هذه هى الحادثة بوجه الاجمال مما سيجئ مفصلا في تاريخ « مصر والاحتلال الانكليزى » الذي سأضعه بمشيئة الله بعد ختام سيرة المرحوم وكل آت قريب

*
* *

عرف القاريء ان المرحوم جاءنى فى السجن فى العباسية وقال لى ماقال وبعد ان خرج وقصد المنزل أمسك القلم وكتب لى خطابا جاء فيه بعد شرح طويل

« عليك بالصلاة وذكر الله ومحاربة الشيطان فكل ذلك خير سلاح للمؤمن . واعلم أن ربك لبالمرصاد ولا بد أن ينتقم لك ولوالدتنا ولآل بيتك ووطنك من هؤلاء الظالمين . واعتقد

ياأخى ان الوطنية تظهر فى هـذا الوقت الذى حف بالمكاره فلا تتقدم على مايهيئه لك الشيطان امام هذا الحادث واقتد باسياد البشر الانبياء والمرسلين فقد رؤوا مصاعب جمة وصادفهم من الآلام مايدك هوله الجبال كل ذلك وهم صابرون فاصبر فأن الله مع الصابرين

انى لا أبكى حتى ارواحنا في سبيل خدمة الوطن فان التاريخ ملئ بجلى الحوادث التى اراق فيها ابناءه الصادقون دمهم فى سبيل نصرته ورفعة شأنه

فليكن امامك في كل لحظة هـذا الوطن الذي عرفه وشنطون وجاندارك وجاريبلدى وكوشوت وهم ذوو الجنسيات المختلفة الذين تلقوا هـذا الدرس من شهداء خدمة الاوطان وفى مقدمتهم امراء المسلمين سواء كانوا عربا اوتركا او غيرهم

انى قرأت فى كتاب فرنسى أن نائبا اضطهد لوطنيته وهو المسيو ميرمان فدعوه الى خدمة الجندية فمكث فيها ثمانية اشهر يحمل السلاح بلا نصب ولا تعب حتى اذا قضى

الواجب وخرج منصوراً عاد الى عمله الوطني رافعاً لواء فرنسا صائحا في كل لحظة ومكان بلادي ! بلادي !

اني واثق من حكمتك التي لا تقل عن وطنيتك فكن كما انت لاتزعزعك الحوادث ولا يدخل اليأس على قلبك فانه من عمل الشيطان . .

سأمكث بمصر حتى يصدر العفو عنك قريباً

٢٤ مارس سنة ١٨٩٦ مصطفى كامل

(الحادثة واللورد كرومر)

كتب رحمه الله في يوم ٢٣ مارس سنة ١٨٩٦ خطابا مفتوحا للورد كرومر وقد نشرته جريدة الفاردي لكسندري في نفس التاريخ كما نشر المؤيد باللغة العربية تعريبه وهذا نصه !

مصر في ٢٣ مارس سنة ١٨٩٦

ياجناب اللورد

كان شقيقي على فهمي ملازماً أولا في الاورطة الاولى بسواكن ونظراً لثناء رؤسائه عليه ومدحهم فيه طلبه سمو

الخديوى المعظم لان يكون من رجال حرسه الخاص فعارض السردار فى ذلك الطلب ورفض قبوله. وفى شهر نوفمبر الماضى احيل على الاستيداع. وفى ١٥ مارس الجارى ارسل استعفاؤه من الاسكندرية للسردار قبل ان يعلم بخبر تجريدة دنقلة. وفى اليوم الثانى علم بها وعاد في الحال للقاهرة وقدم نفسه لنظارة الحربية لتلقى أوامر السلطات العسكرية وفي الوقت نفسه أرسل الى السردار كتاباً يظهر له فيه رغبته في الرجوع الى الخدمة وفى اليوم عينه عين فى الاورطة الخامسة عشرة برتبته ملازماً أولا واستمر يؤدى وظيفته مدة ثلاثة أيام الا أنه أول أمس جرد من رتبه وسجن بحجة انه هارب وان ألامور التى سردتها لسيادتكم تقوم برهاناً ضد دعوى هربه من الخدمة فان الضابط المستودع الذى يستعفى لا يعد هارباً والهارب لا يطلب من نفسه الرجوع الى الخدمة عند سماعه خبر الحرب

وانى احتج على عقاب رجل ذنبه الوحيد انه شقيقي وارجوكم يا حضرة اللورد ان تعملوا ضدى وحدى اذا رأيتم

في وجودى فى مصر أوفى أعمالى فيها ما يضر بالاحتلال

هذا وأرجوكم ان تتفضلوا بقبول عظيم احترامي

(مصطفى كامل)

وقد ذيلت جريدة الفار الغراء هـذا الـكتاب الذى صدرته بمقدمة مفيدة — بما يأتي

ونحن نؤمل ان طلب التحقيق الذى تطلبه الجرائد يقبله ناظر الحربية وان تحقيق هذه المسئلة لايكون الا فى وجه على فهمي بالذات ولاريب ان رجلا تقع عليه تهمة خطيرة كهذه التهمة وعوقب عليها مثل هـذا العقاب الشديد كما اتهم وعوقب على فهمي يجب ان يسمع دفاعه عن نفسه الذى هو من حقوقه القانونية

واذا رفض طلب تحقيق هذه المسئلة يكون للناس جميعاً الحق فى الظن بأن نظارة الحربية لاتريد ايضاح هذه المسئلة وتبيان حقيقتها وانها بمعاقبتها على فهمي لم تقصد معاقبة ضابط جنى جناية ما بل أرادت أن تضطهد في شخصه شخص أخيه الذى هو خصم سياسى وعامل نشيط . اهـ

*
* *

وقد رد اللورد على كتاب المرحوم بأن هذا العزل كان من عمل الجيش أمام مجلس عسكرى عال وأنه لا يمكنه بأى حال من الاحوال أن يتداخل فى الامر الى غير ذلك من التمحل الغير المقبول ولو كان يريد اللورد كرومر أن يمثل عدل حكومته في مصر كما يدعى وكما ملأ تقاريره العديدة بهذه التخرصات لأشار فى الحال بعمل تحقيق دقيق ولكن هكذا أرادت السياسة الانكليزية أن تنتقم من أخي في شخصى لتوقفه من طريق الارهاب عن عمله السياسى ولكن خاب فألها فقد كال للاحتلال بعد ذلك الصاع صاعين لأنه لمس ظلمهم بيده وعرف مبلغ مدنيتهم فى معاملة الأمم الأخرى

*
* *

وانا فى غنى عن القول بأن هذا الكتاب قد أحدث حركة غير عادية فى الدوائر الرسمية وكان له من الشأن في ذلك الاوان ما لايزال أثره عالقا بالاذهان ثابتاً فى صحائف الصحائف : فان القوم قد تحدثوا به كثيراً وتناولته الجرائد

كافة فعلقت عليه الاقوال الضافية الاذيال . ولا جرم ان حادثا كذلك الحادث كان جديراً ان يكون موضوع الحديث لا لذاته ولكن لانه كان مذكراً للمصريين بأن العدل بين يدى الانكليز في مصر اسم لا مسمى له على الاطلاق !

تناولت الجرائد ذلك الخطاب الرنان بالمناقشة الحادة فانقسمت فيه كعادتها الى قسمين : اذ أخذت الوطنية منها تطلب اعادة التحقيق أمام ناظر الحربية وقد عضدتها في هذا الطلب أغلب الجرائد الاوربية المحلية . وأما الجرائد الاحتلالية عربية كانت أو انكليزية فقد كان أمرها عجبا ان أخذت ذلك الحادث دليلا جديداً على نزاهة الانكليز وعدلهم وأنهم أكثر أهل الارض انصافاً !

وقد قوى الصوت المطالب باعادة التحقيق ولكن الانكليز كانوا قد صمت آذانهم عن سماع ذلك الطلب العادل لان تحقيقه كفيل بكشف الستار الكثيف الذى أسدلوه على الحقيقة الناصعة وهي براءتي وحاشا أن يريدوا ذلك !

هل سمعتم أو رأيتم أن موظفا عادلا يوقف ضابطاً على

لسان التلفون وفيما بين دقيقة يجرد ذلك الضابط من رتبه وينزل من مرتبته الى مرتبة الجندى البسيط وذنبه أنه شقيق مصطفى كامل ان كان هذا الشرف يعد ذنبا !

حاشا أن أحتقر مرتبة الجندى فانها مع العدل أشرف من مرتبة الضابط العظيم مع الظلم وانما أنا أحتقر الصوت الذى نادى بوجوب نشر العدل فى أرجاء مصر حتى اذا أظلته سماؤها كان خائناً للعهد حانثا فى اليمين !

اكرهوا الاحتلال أيها المصريون فبقدر كرهكم له يكون حبكم للوطن اعملوا جهدكم لإخراج العدو من بلادكم فلا تزالون في أرضكم ضيقة صدوركم دامية قلوبكم حتى ينجلى هذا العدو واذ ذاك ينجلي الظلم والعدوان

اكرهوا الاحتلال وألحوا في كرهه فقد ألح فى ارهاق الجسوم وازهاق الارواح . لا تزالون فوق أرضكم وتحت سمائكم على ضفاف نيلكم غرباء حتى يكون الامر لكم وزمامه فى أيديكم واذ ذاك تنالون ماشئتم من العز والسؤدد والارتقاء

اكرهوا الاحتلال فاننا أشقياء تعساء الحظ مسلوبو الكرامة مادام فينا . اكرهوه لانه قد كره لكم كل ماتحبه الامم اوتريده لذاتها ولو أراد لكم الخير لانصرف عن بلادكم بسلام !

اننا نحن المصريين لتحمل صدورنا قلوباً هي أشرف من القلوب التى تحملها صدور قوم يدعون العظمة ولو كانوا عظماء لاحترموا ما أسلفوا لنا من عهود ووعود!

واني اقص عليكم من قصص شتى قصة يأخذمنها المصرى ما لم يأخذ وان كان قد مر تحت نظره وسمعه كثير من امثالها :

كانت الاورطة السابعة التي ألحقت بها جندياً بسيطاً تعمل فى انشاء السكك الحديدية بين بلدة « سرس » وبلدة « أبى فاطمة » فكانت كلما اتمت أربعة او خمسة كيلو مترات انتقل معسكرها الى رأس هذه المسافة . فلما انتقلنا اول مرة واصطف الجند واخذنا فى المسير وكل جندى حامل بندقيته وسونكيته ورصاصه وفراشه (وغير ذلك من المثقلات) : رأيت شابا

طويلا حسن البزة على جانب عظيم من الخلق العظيم وهو من جنود البلوك الذي أنا فيه. رأيته وقد كاتفني واجتهد فى أن يأخذ طوله فى الصف حتى لايختل النظام وذلك بأن تقاصر شيئاً فشيئاً ثم مد يده الى ذلك الحمل الثقيل الذى كنت أئن تحته ونقله الى عنقه ووسطه فكان يمثل جنديين فى جندي كامثل الحب الجنسى والمروءة العالية في مصري

سار هذا الجندى وهو بجوارى فسألته عن اسمه فقال «أحمد القافلة» فحمدته وحمدت قافلة بين افرادها مثله وأصبحت أسير صنعه الجميل . وقد لبث ذلك الشهم المقدام يقدم لي هذه الخدمة فى كل رحلة من رحلاتنا العسكرية حتى حل يوم اجتيازنا لعطمور أبى « صارى » وهو يبلغ ٢٧ كيلو مترا تقريباً فقطعه وهو مقيد بهذه الأغلال الثقال وكانت الارض رملية والحر شديداً وكنا كلما وقفنا ببلد او قضينا ليلة فى قرية ذهب ليبحث عن الخضر والبقول ليقدم لى ما غاب عنى من طيب الغذاء الى غير ذلك مما لا استطيع أن أفي له شيئاً من حق الثناء الجميل

نعم ان هذا الجندي الكريم لم يتصد لخدمتى الا بأمر من ضابطه الاعلى وهو الاخ الوطني الفاضل اليوزباشى أحمد أفندى زكى ولكنه ملكنى عواطف عالية ليست مما تجري عليها الاوامر. عواطف مصرية لو صورتها ريشة الرسام لتجلت في منظر يبهر أعين الناظرين

تلك العواطف التي هى غذاء العصبة القومية يجب ان ننميها لانها مكينة كمينة فى أفئدتنا لا ينقصها الا دروس صغيرة يقدمها الاستاذ عمليا لابنائه الطلبة كما يقدم مثلها رئيس المصنع الى عماله الصناع ورئيس المصلحة الى من يشرف عليهم من الموظفين وقائد الفرقة الى جنده وما الامة الا مدارس أو مصانع أو مصالح أو جيش على رأس كل منها أستاذ أو معلم أو رئيس أو قائد . فاذا عرفت هذه الرؤوس واجباتها الحقيقية تألف ما بين القلوب وتجاذبت النفوس أهداب الحب ثم رسخت فيها أعراق الفضائل فتكونت تكونا حسنا وكان لها الذكر الجميل في العالمين

ليت شعرى ما الذى حدا بذلك الجندى الشهم المقدام

الى تضحية قوته الجسمية ودفعه الى أن جعل راحته وقفا على راحتى وأى نفس تلك النفس التى للمروءة فيها اسمي مكان؟؟

الا أن المصرى الذى لم يطرأ على فطرته طارىء لامثيل له فى كرم الاخلاق وجمال الطباع . انه زكى بفطرته ويكاد الكرم يكون جزأ منه

لا ينكر علينا صحة هـذا القول أحد وفي كل يوم يقع تحت الحواس ألف دليل ودليل على أن نفس المصرى قد ركبت فيها المرؤة تركيباً عجيباً واصبح التسامح خلته التى تفرد بها بين أفراد سائر الامم

ولما كانت الاشياء تتميز بأضدادها فأنى كما ضربت مثالا على مروءة المصرى وشهامته أضرب مثالا آخر يبين أنه متى طرأ على فطرته طارىء خرجت عن طورها وزايلتها تلك السجايا الفاضلة والأخلاق النادرة . فقدرأيت ضابطاً من ضباط الاورطة نفسها عمل عمـلا شذ به عن عواطف السبعمائة نسمة الذين هم أفراد هذه الاورطة

مرّ ذلك الضابط يوما على مطابخ الاورطة بالقرب من

نقطة « كوشه » فرأى لى يدنها مطبخاً ولما تحقق أن فيه
غذاًى ضرب القدر برجله ضربة الشجاع المقدام فانقلبت
وانقلب ما فيها رأساً على عقب ولقد أساء بذلك الى المروءة كما
أنه أساء الى واجبه لأن الجندى غير مجبر بحكم القانون على
تناول الغذاء الذى يقدم له من الجيش وانما هو مجبر فقط
على اداء واجبه العسكرى وله أن يأكل ما شاء ويشرب ما
شاء مما أحله الله للعالمين وذلك هو الحد القانوني العسكرى

ومن هذين المثالين المتناقضين . اللذين بسطناهما للقراء
نعرف ان بين صفوف الفقراء من له قلب يحمل أشرف
العواطف ويتأثر بألطف المؤثرات كما أن بين مصاف الوزراء
والرؤساء من يقبل الارض ليرقى سلما . وانه ظاهر من المثال
الأول أن من الجند من يؤدي أكثر مما يجب على الأخ
نحو أخيه وقت الشدة ومن المثال الثانى أن من الضباط من
لا يكتفى بما يأتيه من قصور بل يضيف اليه الاساءة الى المظلوم
بلا سبب . وان الاباء والذل لا يجتمعان فى نفس واحدة
وثمين الجوهر لا ينقص من قدره أن الوسط الذى يعيش

فيه وسط غير صالح

الجرائد الأوربية

(وحادث الجيش)

قد يحدث القارىء نفسه بأن هذا الحادث يمكن ان يعتبر عاديا لما أنه قد يقع أمثاله فى كل آن وليس للظلم حد محدود. نعم ان هذا الحادث قد كان يصح اعتباره عاديا أى غير مقصود بالذات لولا أن الذى وقع له أخو مصطفى كامل ألد اعداء الانكليز وكاشف الستار عن مساوئهم ومساوىء الاحتلال. فالحادث على هذا الاعتبار لم يكن عاديا أو شخصياً وان وهم أحد أنه كذلك

ولقد قامت قيامة جرائد أوربا على أثر هذا الحادث العسكرى ترغى وتزيد فاضحة الأنكليز مشهرة بما يصدر منهم من الاعمال التى لا يبررها شرع ولا قانون وقد زادت الجرائد الفرنسية على الاخص حدة وشدة فى هذا الموضوع

بعد ان وقفت على سر المسألة وعرفت كما عرف غيرها قيمة الوعود والعهود الاحتلالية وأن الايمان الانكليزية ايمان مؤقتة لا تبرر وانما هم يملأون بها أفواههم تخديراً لأعصاب الامم التي يدخلون بينها دخول المحتل المحتال على هضم الحقوق ودوس الكرامة الذاتية

ولقد بلغ من عناية الصحافة الفرنسية بهذا الشأن أن نحو مائتي جريدة فيما أذكر قد خاضت غمار هذا الحادث وبينت ما فيه من الظلم وتعمد الاساءة وكلها مجمع على ان المقصود من هذا الظلم المبين انما هو الانتقام من شخص المترجم على أمل أن يخفت صوته أو يلين جانبه ولكنه لم يكن من هذا الطراز . وأنى أقول أنه قد كان لصيحة هذه الجرائد صوت رن فى الآفاق كافة وعرف من لم يكن عارفا أن الاصلاح الانكليزي لحمته وسداه الظلم المبين وأن هذه المظاهر ظواهر لا ينخدع بها الا البسطاء

ومما يذكر فى هذا المقام أن كل الجرائد التي كتبت هذه المسألة قد نقلت ما كتبته جريدة الماتان وجريدة (السياسة

الاستعمارية) التي قالت في عددها الصادر بتاريخ ٤ ابريل سنة ١٨٩٦ تحت عنوان « انتقامات انكليزية » ما ترجمته بالحرف الواحد :

« لقد انتقم اللورد كرومر بصفة غير لائقة من المعارضة التي يبديها في سياسة مصر (مصطفى كامل) المصري الطائر الصيت

وبيان ذلك أن لمصطفى كامل أخا اسمه علي فهمي كان ملازماً اول في الاورطة الأولى بسواكن . ولما كان مصطفى كامل يخطب في فرنسا على مصر الخطب الجليلة التي صفق لها استحساناً كل انسان . كان الانكليز في سواكن يسيؤن معاملة (علي فهمي) اشد الاساءة باعتبار انه راض عن خطة شقيقه وأخيراً أحيل على الاستيداع في شهر نوفمبر بسبب واه جداً

ومن ذلك الحين أخذ علي فهمي يدرس علم الحقوق في المدرسة الفرنسية ثم رفع في ١٥ مارس الماضي استقالته اذ لم يكن يعلم كغيره بامر الحملة على دنقله فلما علم بأمرها توجه للسردارية

واسترد استقالته . وفى الحال صدر له الامر بالتوجه الى أورطته ليؤدى بها وظيفته الا أنه بعد ذلك سيق امام مجلس عسكرى (!!!) وحكم عليه في الحال بالسجن والتجريد من رتبه بحجة انه حاول الفرار من الخدمة . !

ولاشك ان كل من يطلع على هذه الحادثة الغريبة يحكم بأن الدناءة والوقاحة لم تكونا من جانب المحكوم عليه السيء الحظ !!! »

*
* *

هذه أراء الجرائد وما كتبته فى هـذا الحادث . أما أصدقاء المرحوم فقد رأى فريق منهم أنه اذا استمر فى عمله السياسى يضر بعائلته كثيراً أن لم يضر نفسه أيضاً ولذلك كان بعضهم ينصحه بأن يصافى الانكليز ومما يدهش القارىء أن هذا البعض كان يتظاهر بوطنية تفوق وطنية جاريبالدى الايطالى. وكان المرحوم يقابل قول هؤلاء الجبناء بالاحتقار والازدراء واستمر فى عمله قوى القلب عالى الرأس لان الحياة بلا وطنية ليست الا موتاً مرذولا وعاراً أبدياً !

خديث على بعد المزار
« فى الحملة الدنقلية »

لما قررت حملة دنقلة أرسل مدير جريدة « الاكاير » الباريسية الشهيرة كتاباً الى المرحوم يسأله رأيه في هذه الحملة ورأى المصريين فأجابه على سؤاله بجواب نشرته جريدة « الا كاير » فى عددها الصادر بتاريخ ٧ ابريل سنة ١٨٩٦ واليك ترجمة ما جاء فيها بعد كلام من عندها :

« وسواء كان الايطاليون في كسلا أولم يكونوا فيها وسواء كان الدراويش هم الغالبون أو هم المغلوبون فان الحديث الذى يقرأه القراء هنا والذي جرى على بعد يفيدهم أعظم فائدة . والذى تكرم علينا بهذا الحديت هو (مصطفي كامل) المصرى العظيم النشاط

وهو يشير الى كل المشا كل وكافة المصائب التى سيخلقها فى مصر التداخل الانكليزي المبغض من ابناء مصر . وهو يوضح لنا بنوع خاص حالة التهييج الاسلامى لذى هو فى الساعة الحاضرة خطر عظيم على من تعرضت انكلترا لحمايتهم

هذه الحماية التى يعتبرها المصريون مصيبة عظمى :

«احساس المصريين» ـ هل المصريون مرتاحون لامر الحملة السودانية ؟

كلا . وألف مرة كلا . يعلم المصريون اليوم ان انكلترا لا تريد بارسال الجنود المصرية فى السودان الا أطالة أمد الاحتلال الانكليزى اطالة لا نهاية لها . فهم يبكون ابناءهم وأخوتهم الذين سيضحون فى سبيل تحقيق مقاصد الانكليز وليس بكاؤهم لأقاربهم عن ضعف فى قلوبهم أو عن جبن . بل بالعكس كان المصريون يعدون أنفسهم سعداء لو كان ابناء الوطن ذاهبين لان يكتبوا بدمائهم صحيفة فخر ومجد لمصر ويردوا « لمصر المصريين » لا « لمصر الانكليز » الاراضى المفقودة ولكن المصريين تعلموا من التجريدات التعسة لعام ١٨٨٣ و ١٨٨٤ و ١٨٨٥ أن أقاربهم حاربوا ! ويحاربون السودانيين لمصلحة انكلترا ليس الا

ويقول الناس كافة هنا أنه ليس ببعيد عن ذهن الانكليز ان يكون القصد من الحملة ابادة الجيش المصري والاضطرار

عندئذ لانشاء جيش جديد مما يحتاج لاعوام وأعوام

والذى يزيد هـذه الفكرة قوة ويحمل على قبولها هو ما يحس به المشتغلون بالسياسة في مصر من أن انكلترا تفتح باب المسئلة السودانية عنـد ما تطالبها أوروبا ـ وفرنسا على رأسها ـ بالجلاء عن مصر

وبالاختصـار أقول أن المصريين غير راضـين بالحملة ويخافون أن تنخدع أوروبا أيضا هـذه المرة . والمصريون كافة يقولون اليوم ويكررون هذه العبارة : « انا نريد حقاً استرداد السودان ولـكن قبل استردادالسودان نريد استرداد مصر نفسها »

. كيف يسترجع السودان ؟ ـ لا يسترجع السودان بالحرب . ان السوادنيين هم مسلمون متعصبون فى الدين ذوو صلابة وعناد ولم يقبلوا ولن يقبلوا أبداً أن تحكمهم انكلترا . وأول نتيجة لجلاء الانكليز عن مصر تكون اسـترداد السودان بلا حرب ويكفي أن يعلم السودانيون أن الانكليز قـد تركوا وادى النيل لىعودوا تحت راية مصر التى هي

راية خليفة الاسلام .

وأنا بمحاربتنا لهم اليوم نحملهم على أن يعتبرونا أصدقاء أوفياء لانكلترا وبذلك لا يعتبروننا مسلمين

ولقد أوضح هـذه الحقيقة بكل صراحة الغازى مختار باشا ـ وهو الرجل العظيم الكفاءة فى مثل هذه المسائل ـ فى تقريره الذى كتبه فى عام ١٨٨٦ عندما أرسله الباب العالى بقصد تسوية مسئلة مصر مع السير درومند وولف .

وما هو مقصد انكلترا الحقيق ؟ وماذا تكسب ايطاليا من هذه التجريدة ؟ ـ لقد أحسنت انكلترا اختيار الفرصة . فانها لما رأت ايطاليا مغلوبة النجاشى ظهرت فى الميدان وأعلنت رغبتها الكريمة فى انقاذ ايطاليا .... وكيف ذلك ؟ بتجريدة على دنقلة .. ولكن كسلا لا تنقذ بواسطة دنقلة ! لانه يلزم على الاقل مسيرة خمسين يوما للذهاب من كسلا الى دنقلة ولا تظن أبداً ان الدراويش يتركون كسلا ويسيرون خمسين يوما للمدافعة عن دنقلة . واذا كانت انكلترا تريد حقيقة خدمة ايطاليا كان يجب أن تسير التجريدة من سواكن الى

(بربر) التى هى أهم كثيراً من دنقلة والتى هي على بعد اثنى عشر يوماً من كسلا

وعلى ذلك فلا تكسب ايطاليا شيئا من هذه التجريدة ومن الذي سيكسب اذاً من كل ذلك ؟ انكلترا وحدها!

وحيث ان التجريدة سائرة فماذا يكون ؟ يكون ولا شك أحد أمرين : أما انتصار جنود مصر واما انهزامهم . فان انتصروا فدنقلة تكون المحطة الاولى وانكلترا تظهر وقتئذ الحاجة للتقدم نحو الامام لاسترداد السودان كله . وان انهزموا تضطر انكلترا الى المدافعة عن مصر بنفس جنودها وتعمل لتنظيم جيش جديد . الامر الذي يؤجل فى الحالتين ميعاد الجلاء

ولا تنس ان المال والرجال لازمان فى الحالتين . وعلى فرض ان صندوق الدين يدفع الخمسمائة ألف جنيه المطلوبة منه فمن المستحيل ان يدفع فيما بعد غير ذلك مما يجبر انكلترا على أن تنفق من جيبها الخاص . الامر الذي يزيد الاحوال تعقيدا !

أما من جهة الجنود فالجيش المصري لا يكفي أبدا لقهر السودانيين وانكلترا مضطرة لان تكمل الفتوح بجنودها وهذا مما يزيد الامور تعقيدا علي تعقيد وينشئ المشاكل فوق المشاكل !

ومن ذلك كله ترى ان الحملة السودانية تعسة مشؤومة والحنق العظيم الذي يتظاهر به المصريون الآن ضد الاحتلال ليس فى غير موضعه

وقبل الختام أذكر لك أمرا غريباً : وهو ان انكلترا تدعى امام أوروبا انها ذاهبة الى السودان لنصرة ايطاليا وتوعز هنا لوزراء مصر ان يجيبوا على احتجاج جلالة السلطان ضد الحملة « انها لم تسير الا لان الدراويش مشغولون بكسلا عن غيرها وليس من مدافع عن دنقلة . . » أليس هـذا الامر غريبا ؟

أو ليس من الاغرب ان الايطاليين لا يزالون يظنون ان انكلترا ذاهبة الى السودان لاسعافهم ! ! !

ولنفرض ان انكلترا ذاهبة حقا لانقاذهم . أليس حقيقة

من الامور القاسية التى يرفضها العقل أن المصريين الذين سلبهم الطليان كسلا يذهبون لانقاذهم في كسلا نفسها !

(المسلمون والتجريدة) ـ انى اعتبر الحملة على دنقلة بمثابة تهييج للأمم الاسلامية بافريقيا . فان هذه الامم على جانب عظيم من التعصب والصلابة ومن مبدأ الاحتلال الى الآن لم تحج الى مكة مع بقية الامم الاسلامية بسبب اقفال طريق مصر فى وجوهها . ولذا فانها ناقمة على مصر وتنتظر الفرصة المناسبة للهجوم على بلادنا رغبة فى تأدية فريضة الحج

وانى أخاف ان الحملة على دنقلة تهيجهم وتكون بسبب ذلك مبدأ أعظم المصائب وأشد البلايا ! »

❊ انتهى الجزء الرابع ❊

(فى يوم الثلاثاء ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٠٨ ميلادية)

فهرس الجزء الرابع

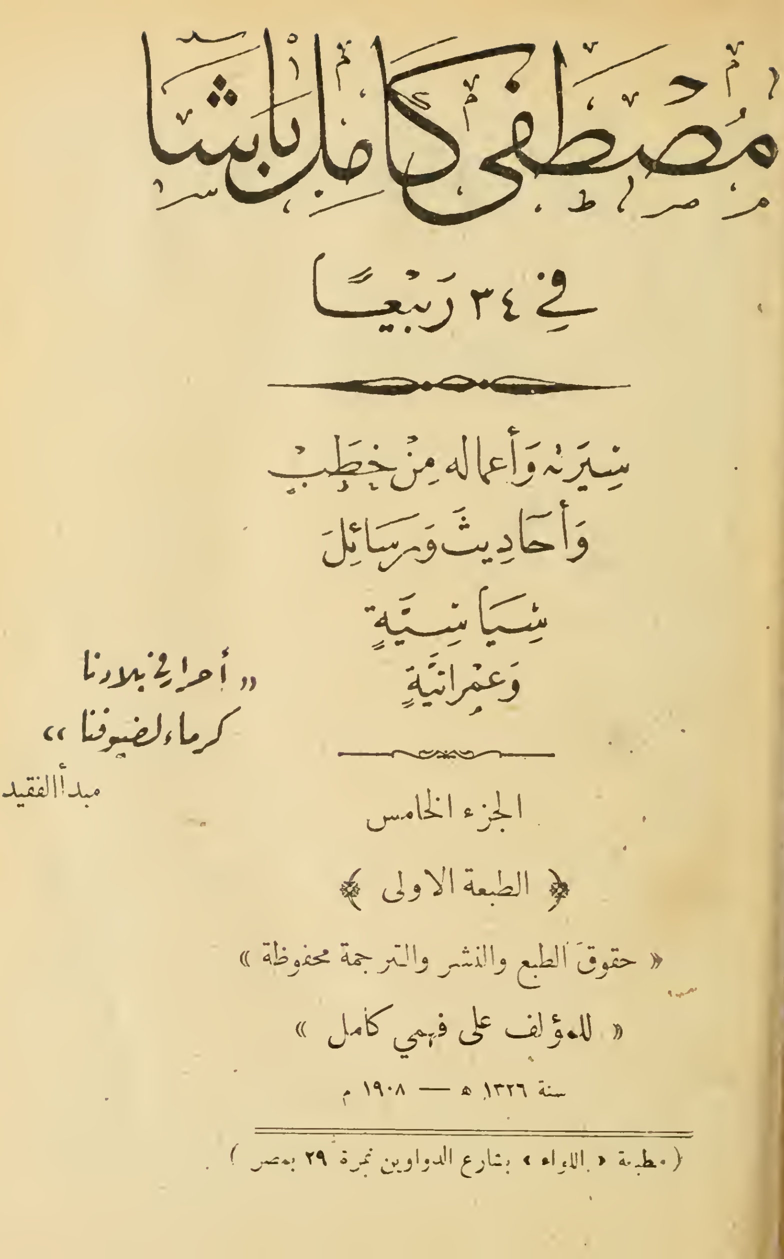
صحيفه موضوع





﴿ مصطفى كامل باشا ﴾

(في الثانية والعشرين من عمره)



مصطفى كامل باشا

في ٣٤ ربيعا

سيرته وأعماله من خطب
وأحاديث ورسائل
سياسية
وعمرانية

« أحرار في بلادنا
كرماء لضيوفنا »
مبدأ الفقيد

الجزء الخامس

« الطبعة الاولى »

« للمؤلف علي فهمي كامل »

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

(مطبعة « اللواء » بشارع الدواوين نمرة ٢٩ بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

السنة الثالثة

١٨٩٦

ظن أعداء المرحوم وفي مقدمتهم المحتلون ان حادثة الجيش التي نصبوها لي تفل من عزمه أو ترعبه فترجعه عن عمله فلا يسمع الانكليز صوت مصري يحتج ولا برهان صديق يدافع فأخذوا يكتبون المقالات الضافية موجهين الينا كل صفات الذم التي ينفر فيها الحر الكريم حتى ان احدى جرائد المحتلين صرحت بأن هذا الحادث قد اخفت معه صوت ذلك الوطني الكبير ؟

ولكن المرحوم وجسمه مصري ودمه مصري وقلبه مصري وقضيته مصرية لم يجد في هذا الحادث الا برهاناً جديداً على ان عمله مستمر وانهم لو قطعوا افراد عائلته من

الكبير الى الصغير امام عينيه أربا أربا فلا يتغير له اعتقاد ولا يجبن لة قلب ولا ينثنى له عزم

قام ذلك المصرى الشهم الكريم يقدم برهاناً على قوة ايمانه ووطيد ثباته وحبه لبلاده فأعلن بناء على دعوة الاوروبيين القاطنين بمصر انه سيلقي بالفرنسية خطابا فى مرسح زيزنيا بالثغر الاسكندري فتهافت الناس من علية القوم رؤوساوا كبرهم جاها الى سماع هذه الخطبة النفيسة التى القاها فى مساء الاثنين ٣١ ابريل سنة ١٨٩٦ والتى نالت فوق ما نال سابقوها استحساناً لم يسبق له مثيل وهذا تعريبها !

(خطبة بالفرنسية)

(فى الاسكندرية)

٤

« أيتها السيدات . أيها السادة

انى أقف بينكم متكلما وانفعال نفسى عظيم . ولقد كان بودي أن اعتذر للذين شرفونى بدعوتى الى القاء هذه الخطبة

لو لم يكن احساسي بالواجب عليّ قد دعاني لاطاعة امرهم والاذعان لرغبتهم . لجئت الى هذه الحفلة وفؤادي منشرح من انى اخاطب نخبة نزلاء الاوروبيين أولئك العاملين بالنشاط الذين هم بيننا طليعة المدنية الغربية « تصفيق شديد » (١)

ومما يزيدني سروراً انى واقف امام جمعية اصدقاء لبلادي اوفياء لها لم يقصدوا بمجيئهم هذه الليلة سماع خطيب بليغ بل جاؤوا ليظهروا علامة ودهم لوطنى ضعيف ولمسئلة مصر الشريفة

أجل أيها السادة . يتكلم الانسان امامكم بكل ارتياح وافتخار عن الاوطان ويدافع عن حقوقها المهضومة ويطلب لها مستقبلا سعيداً . فانكم كلكم تنسبون الى أوطان شريفة حرة وسعيدة وتحبون هذه الاوطان وتعشقونها عشقا صحيحا ولا استطاعة لكم على غير موافقة الذين يحبون أوطانهم مثلكم

(١) لم يتيسر فى غير هـذه الخطبة من الخطب التي مضت معرفة المواضع التي صفق فيها بالضبط الحاضرون او التى اظهروا فيها علامات الاستحسان

« تصفيق متضاعف »

وانا معشر المصريين نحب مصرنا الاسيفة بكل اخلاص ولا نود لها شيئاً آخر غير يقظتها وسعادتها . ولكن من سوء الحظ يوجد فى هذا البلد طغمة من الرجال يطعنون أشد الطعن على الوطنيين ويدعون مع ذلك انهم المدافعون عن الاحتلال الانكليزى على انهم لو كانوا حقيقة المدافعون عنه لحسبوا عارا عليه وخجلا . فان انكلترا نفسها لا تستطيع ان تبغض أو تحتقر مصريا وطنيا اذ من ضمن الاسباب التى تنتحلها لنفسها للاقامة فى مصر تربية المصريين . فهل من الجائز ان يكون المصريون حسنى التربية من غير أن يكونوا وطنيين محبين لبلادهم ؟ كلا . « علامات استحسان »

ولقد كان أولئك الذين يدعون الدفاع عن الاحتلال الانكليزي يزعمون انهم وقفونى الى الابد اذ يظنون بسذاجة لا مثيل لها ان الاجحاف الذى لحق أخيرا بأحد أخوتى يضعف قواى أو يوهن عزيمتى أو يقلل مجاهدتى فى سبيل سعادة بلادى . فأخطأوا الظن لانى بعيد عن أن أمل وسأستمر

بقدر استطاعتى في المدافعة عن وطنى العزيز سأستمر — ولا يقفنى فى طريقي الا الموت — في وصف مصائب مصر وآلامها والمنادات فى كل مكان بحقوقها المقدسـة والمطالبة بحريتها واستقلالها « تصفيق شديد متواتر »

وانا نعلم حق العلم اننا بدفاعنا عن مسئلة بلادنا الشريفة وبتقديس أنفسنا لها نعرض أنفسنا للضرر والخطر . ولـكن اعتقدوا جيدا أيها السادة ان همتنا لا تفتر ابدا لحق بنا من جراء ذلك ضرر أم لم يلحق « تصفيق واستحسان »

فليس هناك من شيء أجمل فى عين الوطنى من المجاهدة فى سبيل بلاده . فضـلا عن ان المجاهدة بالنسبة لنا ليست أمراً صعبا . ضد من نجاهد نحن ؟ أضـد الامة الانكليزية ؟ كلا ليس جهادنا ضدها . انما هو ضد فريق مـن الناس يعملون لتأييد الاحتلال الانكليزي في مصر الى الابد قضاء لاغراض شخصية أو أملا فى تحقيق اطماع

أجل انا نجاهد ضد هذه الفئة التى اعضاؤها أعداء للحقيقة وضدهم وحدهم نبذل كل قوانا فانهم وحدهم الآثمون

الحقيقيون فى مسئلة مصر . فهم ينشرون فى كل مكان عن حالتها الاخبار الكاذبة ويخلقون كل يوم حججا سافلة واهية لاطالة امد الاحتلال البريطاني وهو الحمل الثقيل الذي لا يستطاع تحمله « تصفيق »

ومن سوء حظ أولئك المشهورين بالمبالغة فى الدفاع عن انكلترا أن أعمالهم توصلهم غالباً الى نتائج مخالفة بالمرة للغرض الذى يعملون له لانه كما قال حقاً فيكتور هوجو : « للحقيقة والحرية مزية خاصة بهما وهى أن ما يعمل ضدهما وما يعمل لهما يخدمهما على السواء » . « تصفيق شديد »

أما ما يختص بالامة الانكليزية فلانستطيع الا احترامها ومهما وقع فاننا نحترمها دائماً كما نحترم كل الامم الاخرى . اذ أنه لا يصح بغض أية أمة ولا يقضى على شعب من الشعوب بخطأ بعض أفراد من أبنائه . وأنا نعلم حق العلم أنه اذا كانت الامة الانكليزية موافقة على الاحتلال راضية به فذلك انما هو لكونها جاهلة لحقيقة احساس المصريين لانها لو كانت تعلم احساسنا لأظهرت عدم رضائها باحتلال مصر كهذا

الاحتلال ولـكانت ولا محالة قضت عليه (تصفيق) . ولكن وا أسفاه قد تساق الامم غالباً في أجهل السبل على يد من تثق به أكثر من غيره !

ولئن قالوا ليس فى السياسة شىء من الشرف وأنها ليست شيئاً آخر غير الـكذب والخيانة فاننا لا نستطيع أن نتصور طرفة عين أن أمة بلغت من العظم والمدنية مبلغ الأمة الانكليزية تجسر يوماً من الايام على أن تخون علنا سريرتها وتحتقر أمام الناس شرفها (تصفيق شـديد متواتر) . فانها على نسق كل الامم غيورة على كرامتها التى تقضى عليها ولا محالة قضاء تاما اطالة أمد الاحتلال الانكليزي الى أجل غير محدود .

وكل الذين يعرفون للشرف معنى يعتقدون مثل غامبتا (أن ليس هناك سياسـة حقيقية فعالية مثمرة اذا اعتدت القوة ولو لزمن مؤقت سريع الزوال على المباديء الراسـخة للعدالة والانسانيه) . (تصفيق عظيم متواتر)

وان السياسة المؤسسة على مباديء العدالة والانسانية

هي السياسة الحقيقية بالامة الانكليزية . هذه الامة التي لا تزال محترمة معتبرة عند جماعة مقهورين مثلنا . عند الذين يريد بعض سواسها أن يضحوهم هم ومستقبلهم فى سبيل نجاح آمالهم الباطلة

وما من مرة حانت الفرصة الا وتكلمنا عن الامة الانكليزية بكل اعتدال واحترام وسيكون كذلك شأننا الى الابد نتكلم عنها بأشرف لسان اذ نحن واثقون من أن هذه اللهجة تطابق اعتقادنا وتليق بكرامتنا «علامات استحسان»

ولقد رأينا من عام ١٨٨٢ أشد المناظر وقعاً على النفوس: رأينا أكثر من ٦٠ ألف مصرى ماتوا فى التجريدات التعسة لأعوام ١٨٨٣ و١٨٨٤ و١٨٨٥ ورأينا تقهقر التعليم والتربية ورأينا انحطاط الآداب العامة وفقر الفلاح والوطن نفسه وكم رأينا من أشياء مؤلمة ومن مناظر مفتتة للاكباد ومع ذلك كله قد حافظنا على سكينتنا وبقيت ثقتنا عظيمة بالامة الانكليزية وبوعودها وبشرفها « تصفيق طويل »

واليوم يسيئون مقابلة تساهلنا وصبرنا وسكينتنا

ويخاطرون بالقاء البلاد وأبنائها فى هاوية

أجل أيها السادة. يخاطرون بالقائنا فى أعمق الهاويات وأخطرها : أنى أريد أتكلم على حملة السودان .

ما علم خبر هذه الحملة حتى شعرت الامة كلها بخطر ذلك الامر وبالمصيبة العظيمة التى تنشأ عنه ولا بد انكم شاهدتم ذلك بانفسكم فان هذه الامة التى لها من الصبر كنوز ما انفكت عن البكاء والنحيب والاستغاثة « تأثير شديد »

وليس تكدر أمتنا من هذه الحملة التى لا لزوم لها ناشئاً من الضعف والجبن وليس خوفنا من الحرب هو الذى يحملنا على القضاء عليها بل ان الذوق السليم والنظر الصائب هما اللذان يظهران لنا النتائج الخطرة التى تنتج من مشروع كهذا

ولقد قام رجال من الانكليز الذين لهم فى العالم السياسى أعظم المراكز وأسماها كاللورد روزبرى واظهروا عدم امتنانهم من هذه الحملة وقضوا عليها بأشد عبارة وأحد لهجة . فلا يقل لنا اليوم خصومنا عندما نبدى رأينا بشأن هذه الحمله أننا نريد أن نضعف همم عساكرنا أنفسهم . هذه التهمة التى

لو حقت على أحـد لا عتبرت خيانة وجنوناً « علامات استحسان »

أما من جهة استرجاع السودان فكلنا يريده وكلنا يجاهر بذلك علنا كل يوم. لاننا نعتقد اعتقاداً صحيحاً أن مصر بدون السودان تكون أحقر أرض في الارض وأفقر بقعة فى الدنيا وبطلبنا جلاء الجنود الانكليزية عن بلادنا لا نطلب فقط تحرير مصر من الاسكندرية الى وادى حلفا بل نطلب تحرير كل وادى النيل اذ لا يمكن أن يحكم النيل كله الا بحكومة واحدة « علامة استحسان »

وانا نود من صميم أفئدتنا أن نسترد المقاطعات السودانية التى هى لبلادنا روحها نفسها . واننى قـد أعلنت من جهتى هذا الاحساس عدة مرات وقلت منذ خمسة أسابيع لابناء وطنى من أهل الاسكندرية ان أعظم واجب على سمو الخديوى عباس باشا هو اعادة املاك مصر المفقودة اليها . وأنا أعيد هذه الليلة ما قلته وما أقوله دائمـاً أبداً . ولـكننا ما أردنا قط ولا نريد أبدا أن نسترجع السودان تحت قيادة

الانكليز « تصفيق شديد »

فان وجود الانكليز على رأس جيشنا يكفي وحده لعدم نجاح الحملة . يكفي لتحقيق مصيبة عظيمة . وبوجودهم على رأس الجيش يفتحون بيننا وبين السودانيين حفرة من أعمق الحفر تؤخر لزمن مديد صلحنا معهم — أولئك الذين كانوا من رعايا الخديوية المصرية

وزيادة عن ذلك أليسوا يدعون بانناسنحارب الدراويش نصرة لايطاليا ؟ أليس لانقاذ كسلا سيذهب اخوتنا ضحية ؟

أني لست ساذجاً الى حد اعتقد فيه أنه يمكن انقاذ كسلا بواسطة دنقلة أو أن السياسة الانكليزية من عادتها أو من تقاليدها مساعدة أى انسان كان . ولكن بما أن المحتلين يقولون أنه لاجل ايطاليا ستصرف دماؤنا وأموالنا فاني أتساءل هل من الانسانية أن يكلفونا ـ نحن معشر المصريين المحملين بأثقال الدين والمصائب ـ بواجب انقاذ دولة عظيمة أوروبية « علامات استحسان »

لقد كان يكون فخارنا عظيما اذا كانت وظيفتنا في العالم

انقاذ الدول العظيمة التى فى خطر. ولكن لكى يكون مقامنا هذا المقام أليس من اللازم قبل كل شىء ان نعادل اصغر الدول العظيمة ؟ « تصفيق متواتر »

ولقد كنا نود بكل صراحة ان لو كان في استطاعتنا أن نؤدي خدمة ما للشعب الايطالى هذا الشعب الشاب الشجاع الذي لا تلقى عليه مسئولية خطأ ما ولا أية جريمة ولكننا لم ننل حتى الآن استقلالنا المحدود. انا لا نزال تحت حكم وصى ! (علامات استحسان)

وفضلا عن ذلك فان الذى يجعل المصريين مضطربين متكدرين من حملة دنقلة انما هو سوء المقصد الذى يبدو عند كثير من رجال انكلترا السياسيين عندما تتكلم الدول بشأن الجلاء عن مصر. فانا لا ننكر هذه الحملة فقط لكونها داعية لتعريض كل جنودنا لخطر عظيم وان من احدى نتائجها التى لسوء الحظ تبدو لنا موءكدة انشاء جيش جديد وجعل العساكر الانكليزية تحتل مصر كلها فى الحدود كما فى المدائن ولكننا ننكر هذه الحملة بنوع خاص لأنها توءخر لزمن طويل

تحرير بلادنا « تصفيق شديد »

أجل أيها السادة . أنها تؤخر تحرير بلادنا وهو التحرير الذي نتمناه من كل قلوبنا والذى طالما وعدنا به

ولذا فانا نعتبر أنه صار من الواجب علينا ومن أقدس واجباتنا أن نرفع صوتنا في هذه الساعة العلنية ونجهر بامتناننا واعترافنا بالجميل لتينك الدولتين الصديقتين اللتين اتحدتا لانقاذنا : فرنسا والروسيا « تصفيق شديد وتهليل وضجة عظيمة »

وان ظهور فرنسا والروسيا فى مظهر صديقتين قويتين مخلصتين لمما يعزينا عن نكبتنا الشديدة وحزننا العظيم

وأنا لانشك اليوم فى أن العدالة التي تريدان مؤازرتها وتحرير مصر الامر الذي تسعيان من أجله سيتوجان بالنجاح والفوز الاخير « تصفيق شديد »

علاوة على ذلك فان بقية دول أوروبا والمانيا بنوع خاص لابد أن تنضم الى فرنسا والروسيا كما نؤمل ذلك متى رأت ان ايطاليا لا تربح شيئاً من هـذه التجريدة . ومن الآن

فصاعدا يصبح تأخير الجلاء بحملات فى السودان أمراً مستحيلا حيث يعود كل الناس عالمين بما يقصد من هذه الحملات :

ذلك لان انكلترا قد كشفت بيدها الغطاء عن مقصدها وليس هذا من الوقت الحاضر فقط بل من سنة ١٨٨٧ عند ما أراد السير درومند وولف أن يعقد مع جلالة السلطان اتفاقيته المشهورة فان جملة من المادة الخامسة كانت تشير الى ذلك بالعبارة الآتية:

« اذا كان فى ذلك الوقت « يشير الى الوقت الذى عين للجلاء أي الى عام ١٨٩٠ » يظهر خطر داخل مصر أو خارجها وكان ذلك الخطر يستوجب تأجيل الجلاء تنسحب الجنود الانكليزية من مصر بعد زوال ذلك الخطر ..... »

فيفهم اذن من اتفاقية وولف أنه كان يخشى ظهور خطر ما فى وقت الجلاء وبعبارة أخرى كان في الحسبان أمر مسئلة السودان وما يجري بيننا اليوم اذ أن خلق الاضطرابات او ايجاد الاخطار ليسا بالنسبة للسياسة الانكليزية الا أقل

ما تنتجه يد الصناعة « تصفيق مستمر »

واذا كانت تريد انكلترا بصدق نية وكرم اخلاق أن ترد السودان الى مصر فكان يكفيها لبلوغ هذه الغاية أن تنجلي عن القطر فان الجلاء وحده يعيد لنا السودان

ولماذا بقي السودانيون ثابتين على عصيانهم ضد مصر ؟ لماذا لا يقبلون أي اتفاق معنا ؟ لا ينكر احد في العالم أن وجود الانكليز في مصر هو الذي جعلهم بهذه الحالة « علامات استحسان »

وفي الواقع ان مسلمي السودان هم على جانب عظيم من الصلابة والتعصب لم يقبلوا معهما ولن يقبلوا أبدا أن يحكمهم غير مسلمين . ولكي نستميلهم لا ينبغي استعمال القوة بل يكفي أن ندعوهم باسم الأسلام وأن نرسل لهم باسم الخديوى والسلطان سفارة دينية مركبة من بعض العلماء . ويكفي لقمع نار الثورة بينهم وارشادهم ألى سواء السبيل ان ندخل هنالك عندهم حاملين القرآن الشريف بيد وراية الرسول باليد الاخرى « تصفيق طويل »

وان هذه الحقيقة مقبولة من كل الرجال ذوى الذوق السليم . فان الغازى مختار باشا ذلك الرجل الذى لا ينكر أحد كفاءته المالية وسلطته المطلقة في مثل هـذه المسائل قال بخصوص استرجاع السـودان فى تقريره المؤرخ ١٤ مارس سنة ١٨٨٦ ما يأتى بالحرف الواحد :

« يظهر جليامن الاحوال المختلفة للاضطراب فى السودان ان السودانيين لا يقبلون أى مداولة كانت ولا يرضون بأى مصالحة سلمية ما دامت الجنود الانكليزية أمامهم أو الجنود الانكليزية والجنود المصرية معا ويبقون ثابتين فى خطتهم لان أغلبهم استعمل لذلك بمهارة الاسباب الدينية التى تربطهم بعضهم ببعض والتى تسمح لهم أن يقاوموا الجنود الانكليزية والمصرية معاً وان يستميلوا اليهم بعددهم الهائل تلك القبائل التي لم تكن مخلصة لهم تماما . فينتج من ذلك أن حالة الاضطراب تستمر طويلا اذا بقي الانكليز امام السودانيين أو في اختلاط معهم .. . »

ترون اذاً أيها السادة أنه يصعب علينا ما دمنا فى صحبة

انكليزي أن نسترجع السودان !

وفضلا عن ذلك فاننا نخاطر مادمنا تحت قيادة الانكليز بفقد صفة نحن محتاجون اليها أعظم احتياج كاحتياج أوروبا أيضا لها فانه اذا كان فى العالم أمة اسلامية تأهلت بما لها من التسامح الديني المحض والاعتدال المطلق لأن تكون واسطة بين أوروبا المتمدنة وأفريقية المتعصبة هى ولا محالة الامة المصرية « تصنيق متضاعف » !

وانه من المستحيل على الاوروبيين أن يختلطوا مباشرة مع مسلمين على جانب عظيم من التعصب كالسودانيين فلكي تدخل عندهم محاسن المدنية يلزم أن نكون نحن لها عمالا ووكلاء . ولكن مادام السودانيون يروننا نهاجمهم تحت أمرة الانكليز فسينتهى الامر بهم لان يعتبرونا خونة وقوما بلا دين ويكون عندئذ مما نخافه ان نفقد هذه الصفة التى تسمح لنا بان نكون واسطة بينهم وبين اوروبا !

فماذا يكون اذاً ربحنا من هذه التجريدة ؟ لاشيء مطلقا. هل يكون من ورائها خسارة لنا ؟ يؤسفنا أن نقول نعم !

وليس من قصدى ان اوضح هنا النتائج المختلفة التى ستنتج عن هذه الحملة بل اترك هذه المهمة للجرائد

وليس من قصدى كذلك ان أتنبأ بمصائب فان المستقبل يظهر لنا — اذا سارت التجريدة ولم تقف — كيف انها تكون طائشة وتعسة . ولكن الذى يخيفنى هو مايجيش فى صدور الامم الاسلامية السودانية وامم افريقية الوسطى. فلقد مضى على هـذه الامم ١٥ عاما دون أن تحج الى مكة كبقية الامم الاسلامية حيث مصر وموانى البحر الاحمر مقفلة امامها « استحسان عظيم جداً »

ولست فى حاجة لان أبين لكم اهمية مسئلة الحج بالنسبة للمسلم المتدين فانها مسئلة أساسية ومن أقدس الفروض . وانى أخاف أن تكون هذه الحملة فى الظروف الحالية داعية لتهيج لا حاجة لنا به عند هذه الامم العديدة حيث تفضى الى الدعوة للحرب المقدسة « رجة وضجيج »

فكل هاتيك الامم اصبحت تجد من زمن طويل أن من واجبها الدينى أن تهجم على مصر وكم يكون هجوم

كهذا عظيم الخطر ! « ضجة طويلة »

وليست مصر بالنسبة لهذه الامم كبقية بلاد أفريقية فأن بلاد أفريقية الشمالية منفصلة عن وسط أفريقية خلافا لمصر واذ كان النيل هو طريق المواصلة الوحيد بين الحجاز وأواسط أفريقية كان طريق مصر بلا خلاف طريق الحج لكل الامم الآتية من داخل أفريقية « علامات استحسان »

وأذا كان الخطر هكذا عظيما فلماذا ترسلنا انكلترا الى السودان ؟ هل من الممكن أن تكسب من هذه التجريدة شيئاً ؟ نعم يمكن أن تكسب اطالة الاحتلال ؟ وهل هذا أمر عظيم ؟ أنى لا أظن ذلك .

وان كثيراً من الناس « وأنا منهم » يعتقدون ان انكلترا بسعيها لاطالة أمد الاحتلال لا تعمل شيئا آخر الا تحضير زوال مملكتها الزوال الذى لا مرد له (تصفيق)

ولقد قال لى فى باريز ايرلندى عاقل وبصير . « انت بصفة كونك مصريا يجب عليك ان تتمنى الجلاء العاجل عن وطنك ولكن انا بصفة كوني ايرلنديا عدوا لانكلترا راغب

فى رؤية سقوطها الاخير وزوال ملكها التام أتمنى ان تبقي في مصر أيضاً عشرين عاما » . « تصفيق شديد »

وانى أوافق على فكر ذلك الايرلندى لاننا اذا درسنا الحالة السياسية فى اوروبا من أول الاحتلال الى اليوم نرى ان أعداء انكلترا قد ازدادوا وان العالم كله أصبح يشك في نياتها وان موقفها صار حرجا جدا في المعمورة كلها « تصفيق شديد »

وكل عامل للجلاء عن مصر مساعد بأية صفة كانت لتتميمه يؤدى فى الحقيقة أعظم خدمة لانكلترا نفسها

وعلى هذا الاعتبار يكون كل نصير للجلاء صديقاوفيا لبريطانيا العظمى « تصفيق »

وفضلا عن ذلك فماذا تنتظر انكلترا من اطالة أمد الاحتلال ؟ اتنتظر امتلاك مصر ؟ وهل من الجائز ان تمتلك مصر ؟ وهل من الجائز أنها تصير مستعمرة انكليزية ! كلا . وألف مرة كلا . « علامات استحسان »

لاتشبه مصر بلاد أفريقية التي يكفي لامتلاكها امضاء

معاهدة بين الدول . فان لمصر مكاناً آخر في العالم

ان وراء مسئلة مصر الحقيقيه مسائل سياسية خطيرة ومهمة جدا . فوراؤها مسئلة البحر الابيض المتوسط ومسئلة أفريقية ومسئلة أسيوية ومسئلة مسيحية ومسئلة اسلامية :

(١) ان اليوم الذى تمتلك فيه انكلترا مصر « ونفرض ذلك فرضاً محضاً » تصير بذلك سيدة البحر الابيض المتوسط ويستحيل عندئذ وجود أية موازنة بين الدول وبعضها . وان بعد جبل طارق وما لطه وقبرص تمتل انكلترا بامتلاكها لمصر ـ التى هي بلاد مثرية جداً وتعد مخزنا حربيا فى غاية الاهمية ـ نفوذ كل الدول وتبقى فى البحر الابيض المتوسط القادرة الوحيدة والسيدة الفريدة . وليس بالمقبول أن أوروبا تترك نفسها اسيرة بريطانيا العظمى بل ايطاليا نفسها تصبح ذلك اليوم أول دولة معارضة لامتلاك وادى النيل ولو لصديقتها المحبة لنفسها أكثر من كل أنانى في الوجود !

(٢) ثم تزول كذلك من أفريقية الموازنة بين الدول متى وضعت انكلترا يدها على بلادنا فان لوادى النيل قيمة

أخرى غير قيمة سواه من بلاد افريقية . فبامتلاكه تحتكر انكلترا لنفسها وحدها كل التجارة الافريقية ويصير ذلك من السهل عليها خصوصاً وانها تكون سائدة الحكم من الاسكندرية الى أوجنده ويكون لا يصال تجارتها داخل أفريقية طريق النيل البديع على حين أن بقية الدول لا تكون لها الا مستعمرات تفصلها عن داخل أفريقية صحار لا يستطاع المرور منها وجبال صخرية وعرة تهشم عابريها

(٣) متى امتلكت انكلترا مصر صارت السياحة فى الشرق الاقصى متعلقة باهوائها ورغباتها . وحقاً أنه من الممكن تسوية مسئلة السياحة فى قناة السويس على الورق ولكن هل أعطيت السياسة الانكليزية هبة احترام المعاهدات والعقود الدولية خصوصاً فى الظروف الحرجة ؟ « تصفيق شديد »

ألا تهدد عندئذ مستعمرات فرنسا والمانيا وهولاندا وأسبانيا الشرقية وتستطيع انكلترا أن تقفلها في وجوه أصحابها كلما شاءت ؟

ألا يصير عندئذ فى استطاعة الانكليز أن يقفلوا أو يفتحوا قناة السويس فى وقت الحرب ؟ ألم يكف أن تكون عدن وجبل طارق ملكا للانكليز « استحسان تام »

وفضلا عن هذه المسائل الثلاث مسئلة البحر الابيض المتوسط ومسئلة أفريقية ومسئلة آسيا توجد المسألتان الخطيرتان : المسئلة المسيحية والمسئلة الاسلامية :

(٤) ان امتلاك مصر بأية دولة أوروبية يعرض بيت المقدس الى الخطر فلقد أثبت التاريخ ـ وليس لي أن أطيل الكلام على موضوع شرحته قبل فى رسالة خاصة — ان الدولة التى تملك مصر تجد من نفسها حاجة الى امتلاك الشام وان تجريدتى بونابرت ومحمد على هما أظهر البراهين الجلية على هذه الحقيقة « تصفيق عام »

ويلزم اذن عند مايصير بيت القدس ملكا لانكلترا أن نعلم فى أية حالة تصير الدنيا وأى شقاق يقسم له البروتستنت من جهة والكاثوليك والارثوذكس من جهة أخرى ؟

أما المسلمون فلاشك انهم يكونون جميعا أول المتهيجين

وأول الثائرين كما كان ذلك في عهد الحروب الصليبية . ولا يشك أحد ان هذا اليوم يكون علامة حروب لا نهاية لها فى العالم ولا مانع يمنع هذا اليوم من المجىء . لا يؤخر هذه المصيبة الهائلة من الحدوث شيء اذا وقعت مصر فى قبضة انكلترا « تأثر شديد وضجيج ودمدمة »

(٥) وفضلا عن ذلك فان مسئلة مصر هى مسئلة اسلامية محضة لان مصر بوضعها الجغرافى وبتقدم شعبها أصبحت مركز الاسلام وروحه وبامتلاكها تصير انكلترا الدولة السائدة على العالم الاسلامي كله . وحيث يصير البحر الاحمر عندئذ بحيرة انكليزية فلا مانع هنالك يمنع الانكليز من امتلاك بلاد العرب فضلا عن هذه المنية هي منية بعض رجال عظام فى انكلترا وقد أوضحتها بعض الصحف الانكليزية فى الصيف الماضى عند ما كانوا يتكلمون على تقسيم تركيا . وانى لا أبالغ اذا قلت ان امتلاك انكلترا لمصر يهيج العالم الاسلامى ويصير من جهة أخري ضربة قاضية على الدولة العثمانية . هذه الدوله التى وجودها ضرورى لازم للتوازن

الاوروبى (استحسان عام)

ولقد اعتبر كل السياسيين مسئلة مصر كمسئلة اسلامية بنوع خصوصى فانما هى أساس ما يسمونه بالمسئلة الشرقية

واسمحوا لى ان أستشهد على ذلك : ارسل في شهر يوليه عام ١٨٨٧ وزير خارجية فرنسا منشورا الى كل سفراء هذه الدولة متعلقا بمعاهدة درمندوولف التى تكلمت عنها فيما سبق يقول فيه ما يأتي :

« ان مشروع المعاهدة له فى الواقع عيبان . الاول هو أنه يقسم بين أمير المؤمنين ودولة مسيحية السيادة على مصر وهذه هى النقطة التى لفتت بنوع خاص ليس فقط جلالة السلطان بل العالم العثماني أجمع وباعتبارنا دولة اسلامية فى البحر الابيض المتوسط لا يمكننا أبداً — واني اكرر ذلك — ان نغض الطرف عن ضرر يلحق بمجموع حقوق السلطان . ضرر يكون له كما بينت ذلك من قبل رد فعل هائل .

وأما العيب الثاني الخ الخ .... » (علامات استحسان)

فمسئلة بلادنا يجب اذن ان تقرر بلا تأخير فى مؤتمر اوروبي

كما قررت كل المسائل الجزئية التى هى فروع من المسئلة الشرقية الكبيرة وكما أشار الى ذلك أخيراً بقوة ومهارة حضرة رئيس الوزارة الفرنساوية «تصفيق شديد»

وحيث أن امتلاك انكلترا لمصر أمر مستحيل ولا بد من تحقق الجلاء عاجلا أو آجلا فلنبحث الآن في ختام الخطبة عما اذا كانت هنالك عوائق تمنع حل المسئلة المصرية

ان أعداء مصر يدعون أن ثلاثة موانع تؤخر اتمام الجلاء الى الابد : (١) مايسمونه بعدم كفاءة المصريين (٢) الفوضى التى يمكن أن تصير فيها المالية المصرية عقب الجلاء (٣) التعصب المزعوم للامة المصرية

فلنتكلم أولا عما يسمونه بعدم كفاءة المصريين : لايجد الانسان من نفسه حاجة للرد على دعوى خبيثة لهذا الحد فلقد استطاعت مصر أن تحكم نفسها بنفسها من عهد محمد على الى أول الاحتلال واذا كانت قد استفادت من معاونة بعض الاوروبيين فانما هؤلاء كانوا مستشارين لها لا اوصياء عليها «تصفيق عظيم»

وان غرض الذين يتكلمون عن عجزنا الادارى واضح بحيث لا أرانى معه فى حاجة لايضاح . فان انكار كون مصر بلغت درجة الادراك اللازمة لها لكى تحكم نفسها بنفسها وانكار كفاءة المصريين لادارة شؤون بلادهم انما هما انكار للمساعى الباقية التى لا تزول وهى التى بذلتها فرنسا وأوروبا فى مصر. انما هما انكار لنور النهار « تصفيق عظيم جداً »

ولنزد على ذلك أن الوضع الجغرافي لوادى النيل — ذلك الوادى الذى تقطنه كل الامم وكل الاجناس — لا يسمح بان تحكم بلادنا بغيرنا فاننا وجدنا دون غيرنا نستطيع ارضاء كل العناصر التى تعيش على هذه الارض الكريمة « تأثير عظيم وتصفيق طويل »

(٢) والمانع الثانى الذي يقول عنه انصار الاحتلال الابدى هو الفوضى التى ربما حصلت فيالمالية المصرية عقب الجلاء . وهذه الحجة ساقطة أيضا فان المصريين ما أظهروا قط رغبتهم فى ادارة شؤون المالية بغير أوروبا بل يطلبون على عكس ذلك بقصد تطمين خواطر الدول أن تستمر

مراقبتها المفيدة . هـذه المراقبة التى تفيدنا نحن قبل سوانا « استحسان »

ولا يشك أحد مطلقاً الآن فى أن المالية المصرية تتأثر كثيراً من المصاريف الطائلة التى تدعو اليها الاعمال السياسية للانكليز مديرى حركة البلاد . ولاشك في أن المستقبل المالي يكون سيئاً اذا استمر الاحتلال . فلكى تعلم حالة المالية لا يلزم فقط ان ينظر الى ميزانية المالية المصرية بل يجب أن ينظر الى حالة الضعف والوهن التى سقطت فيهما التجارة والزراعة « استحسان »

وانا نرى اليوم بسرورعظيم الماليين حاملى القراطيس المصرية قائمين ضد المحتلين « الذين يخاطرون في كل أمر » بشأن النتائج التى أنتجها اعلان السير الى دنقلة وننتظر جميعاً بكل ثقة حكم العدالة « تصفيق »

ولكن اسمحوا لنا مع ذلك ان نقول بهذه المناسبة لأولئك الماليين الذين كانوا يعتبرون الاحتلال الانكليزى كاقوى ضمانة لهم انه لو كانت حكومة مصر حكومة أبوية

وأهلية حقيقية واذا لم تكن مصر محتلة بجيش اجنبي لم يكن يخطر على بال حكومتها ان تأخذ من صندوق الدين مائتي ألف جنيه بل ولا مليما واحداً قبل ان تقضى العدالة قضاءها. أما الآن فقد كفى وجود المصلحة الانكليزية فى هذه المسئلة لان يتعدى المحتلون على النظامات الدولية أعظم تعد رأته الى الآن « تصفيق عظيم جداً »

وفضلا عن ذلك كيف ان الماليين الذين يجودون بثقتهم على الاحتلال يخافون الجلاء مع انه اذا كانت المالية المصرية مدارة ومراقبة اليوم بانكلترا فقط فستكون بعد الجلاء بدول أوروبا جميعا? ان الذى يثق بالمحتلين لاتكون ثقته بدول أوروبا كلها الا أعظم « تصفيق شديد »

(٣) والعائق الثالث الذي يقدمه انصار الاحتلال الابدى هو التعصب المزعوم للمصريين. أجل لنتكلم قليلا عن هذا التعصب الخيالى الذى يقول أعداؤنا انه في نفوسنا. ان اعداء مصر يريدون ان يمثلونا امام اوربا بهيئة قوم متوحشين مستعدين لافناء كل أوروبي ساكن بلادنا متى رحلت العساكر

الانكليزية عنا. ولقد تطرف في هذا الادعاء أولئك الاعداء. فلقد أرادوا أن يغشوكم أنتم انفسكم ويسخروا من سلامة نيتكم حيث يكررون امامكم في الجرائد وفي كل مكان هذه الاكاذيب وهـذه الوشايات. كيف ذلك. أيتجاسرون على أن يقولوا امامكم هذه الاقوال أنتم يا أوفى اصدقاء مصر وأعز ضيوفها؟ كيف يستطيعون ان يغشوكم بدناءة كهذه في صفات أمة مودتها لكم علانية ؟ امة قابلتكم — ونقول ذلك بأعظم فخار — بأوسع كرم وسخاء. وان القول بتعصبنا انما هو أدنى اكذوبة. الامة المصرية متعصبة ! وامصيتاه ! . أما ترون بانفسكم أيها السادة أنه اذا كانت في العالم أمة صفتها الخصوصية اللطف والوداعة انما هي ولا شك الامة المصرية . فان الكثير من الاوروبيين يعيشون باعظم سكينة في القرى مختلطين اختلاطا دائما مع الفلاحين اي مع اكثر الناس تمسكا بالدين والبعض منهم يتاجرون في تجارتي الربا والخمور المحرمتين في الدين الاسلامي . كل ذلك مع مالهم مع الفلاح من حسن العلائق . فهل هذا من التعصب ؟

هل احتجتم مرة من المرار الى عضد عسكرى انكليزى ضد مصرى ما ؟ هل يستطيع خصومنا ان يثبتوا ان جيش الاحتلال يحميكم ضدنا ؟ وان وجود العساكر الانكليزية ضرورى لسلامة حياتكم بيننا ؟ كلا ايها السادة كلا . ؟ «تصفيق شديد جداً »

ليفتش أولئك الذين يتهمونا بالتعصب في كل تاريخنا وليبحثوا اذا كان الاوروبي فى زمن من الازمان اسيئت معاملته. من الجائز ان يذكرنا الخصوم بالذكرى التعسة للثورة العسكرية المشؤومة التى كانت سببا في مصائب عديدة ولكن كل رجل عاقل عادل يقول معنا ان تجاوز الحدود يقع كثيراً في المظاهرات الاهلية الكبيرة والدليل على ذلك الثورة الفرنساوية . ولقد حصلت فى كل البلاد اضطرابات وهي حاصلة الآن وتحصل فى المستقبل . وفضلا عن ذلك فان التاريخ سيوضح لنا اذا لم تكن هذه الاضطرابات أحدثت باعمال رجال كان لهم قصد مخصوص (تصفيق)

ولماذا نذهب للبحث في التاريخ برهانا على تسامحنا الدينى ؟

أليس امام اعينكم اليوم اسطع البراهين على هذا التسامح الدينى الجميل . أتظنون انه اذا كانت امتنا متعصبة اما كانت تنتهز الآن فرصة غياب كل قوة عسكرية ذات شأن لكى تقوم وتحدث أى اضطراب؟ أتظنون انه اذا كانت الامة المصرية متعصبة هل كانت تسمح أبداً لابنائها ان يذهبوا لمحاربة امة أشد تمسكا بالاسلام منها ؟ أليس الذين يدعون اننا متعصبون في الدين يظهرون انفسهم بمظهر عند مايقولون كذلك ان الامة المصرية يزداد تعلقها بالاحتلال؟ كيف اذن تكون الامة فى ان واحد متعصبة فى الدين ومحبة للانكليز! (تصفيق عظيم جدا)

ان لاعدائنا مقصدين من القول باننا متعصبون فى الدين اهاجة الامة والقاء بذور الشقاق بين الاوربيين والمصريين ولكن من حسن حظ مصر ان الامة محافظة على السكينة عارفة بقيمة الاعتدال الدينى وحسن معاملة الاوربيين « تصفيق »

فلقد تعارفت أوروبا ومصر منذ قرن ببعضهما واحبتا بعضهما فاعتبرت اوروبا مصر قطعة من ملحقاتها الضرورية

لها — كما قال ذلك واحسن القول الخديوى اسماعيل — ومصر اعتبرت كذلك وجود الاوروبيين بيننا كضمانة للتقدم والرفاهية

(تصفيق طويل)

وانا نعلم جيدا أيها السادة انكم أحسن نصراء الجلاء لانه من جهة موافق للعدالة والشرف الدولى ومن جهة اخرى لان مصالحكم قاضية به . أجل ان من مصالح الاوروبيين النازلين فى مصر ان يتحقق الجلاء لانه اذا صارت انكلترا مالكة لمصر تصير حياة الاوروبيين على شواطىء وادى النيل من الامور المستحيلة . فانكم هنا وكلاء المدنية الاروبية في العلوم والفنون كما انكم وكلاؤها فى التجارة والصناعة « استحسان عام » . واليوم الذى تصير فيه انكلترا صاحبة مصر تضع يدها على كل شيء غير تاركة شيئاً ما لاحد وتدعى عندئذ انها الوكيلة الوحيدة للمدنية أمام امم وادى النيل !

ولا تنسوا ايها السادة انكم لستم بنزلاء زراعيين يكون من فائدة انكلترا المحافظة عليكم والدفاع عنكم بل أنتم بالعكس

نزلاء تجاريون تجد انكلترا من صالحها البديهي أن تستعيضكم بابنائها انفسهم الذين هم عمال نفوذها وتجارتها . وان مثل الهند يكفى لتأييد هذه الحقيقة « تصفيق شديد »

وان المصريين جميعاً يعتبرونكم ضمانة من اقوي الضمانات على تحقيق آمالنا فانكم اذا كنتم ساعدتم فى الماضى على اسعاد مصر العزيزة بما لكم من المعارف وحسن الاختراع فاننا واثقون من انه متى زالت العواقب الحالية لتقدم تجارتنا وصناعتنا تخدمون العلوم والفنون والتجارة والصناعة اكثر من خدمتكم لها قبل . ومساعدتكم لتقدم مصر ورفعتها تكون عندئذ أعظم وأثمن « تصفيق عظيم جدا »

وانا في عملنا لسعادة بلادنا نعتمد دائما على همة ونشاط كل الذين اعتبروا ارض مصر وطنا مختارا لهم ومبدؤنا يبقي دائما «احرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا» «تصفيق شديد متواتر»

وليست محبتنا للاوروبيين بحديثة اليوم بل قد صارت محبة وراثية والذين يقولون لكم ان يوم تحرير بلادنا نتعدي عليكم لا يريدون الا غشكم فانه ليس لامة من الذوق السليم

والميل لنيل الحرية ما للامة المصرية وتعرف جيدا كيف تثبت لاوروبا التي تكون خاصتها حين ذاك اعترافها لها بالجميل . وذلك الاعتراف بالجميل يظهر جيدا بأظهار ود ومحبة اعظم من الود والمحبة الحاليين لكم انتم يا ابناء اوروبا ووكلاءها

ولقد صارت محبتنا للاوروبيين وحبا مقدسا علينا من اليوم المبارك الذى سلمت فيه مقاليد مصر ليدى محي وطننا العالى الشأن محمد على الكبير (تصفيق شديد) . فانه ادرك من اول ما ابتدأ عمله التمدنى ان مساعدة الاوروبيين لازمة لتقدم وادى النيل ورفعته وترك لنسله ولكل المصريين محبة الاوروبيين كاجمل ميراث « تصفيق شديد متواتر جداً »

وان هذه الاحساسات الشريفة تظهر جليا من كتاب أرسله محمد على فى تاريخ ١١ نوفمبر عام ١٨٤٠ الى لويس فيليب ملك فرنسا

ولا يتكلم في هذا الكتاب الاعن فرنسا ولكن فرنسا كانت وقتئذ فى مصر اوروبا كلها « تصفيق » . فهى التى كانت وحدها تمثل اوروبا كلها والفضل عائد عليها اذا كنا أحيينا المدنية

الغربية « تصفيق شديد »

وكتاب « محمد على » يبتدىء هكذا :

« أيها الملك

انى أحس بالحاجة لاظهار شكرى لجلالتكم. ذلك الشكر الذى يجيش فى صدرى . فلقد القت نحوي حكومة الملك من عهد طويل انظار رعايتها واليوم يتوج جلالتكم مآثره نحوى باعلانه للدول ان وجودى السياسى ضرورى للموازنة الاوروبية ... « تصفيق شديد جداً »

ويقول بعد ذلك امير مصر العالى الشان :

« وأخيراً مهما وقع ومهما كان الامر فانى ارجو الملك ان يسمح لى بان أقول له ان اعترافى بالجميل نحوه ونحو فرنسا سيبقي في قلبي الى الابد وانى اودعه لابنائى وابناء ابنائى من بعدى كواجب مقدس ... » . « تصفيق شديد جداً جداً »

فاذاً اودع محرر الوطن المصرى العظيم محبة فرنسا لدينا واذاً اودع لنا محبة اوروبا كلها . فتحققوا ايها السادة ان هذه الوديعة باقية كما هى وتبقي الى الابد . تحققوا اننا نعتبر دائماً

محبتكم كواجب مقدس « تصفيق متواتر »

وانا نعتقدون كل الاعتقاد ان اليوم قريب حيث نترك وراءنا ماضياً مملوءاً بالحوادث لنسير سواء ويدنا فى يدكم على طريق التقدم نحو أسطع مستقبل « تصفيق عظيم »

ومتى تخلصنا من هذا النظام الادارى الذى وجهته فائدة بريطانيا العظمى وخرجنا من هذا الشتاء الطويل الذى استمر أربعة عشر عاماً والذى كاد يميت اعضاءنا نعيد السير ثانيا واثقين من حقنا ومن حنان الشعوب كافة وعدالتها «تصفيق شديد»

وذلك اليوم يكون تقدم مصر باهراً

ومتى تخلصت التجارة من الملل الذى يسببه لها الاحتلال الانكليزى تفتح لنا ولكم آفاقا ذهبية ! « تصفيق »

ومتى تخلصت الصناعة من العوائق التى يخلقها لها انكليز الجمارك لغاياتهم تترقى الصناعة الاهلية وتعود فائدة ترقيها على أبناء مصر وعلى ضيوف مصر « تصفيق شديد »

عندئذ يعقب الازمات الكثيرة المتوالية السلام وتعقب الريب والشكوك الثقة ويعقب الموت الحياة «تصفيق متواتر»

فلنتمن جميعا أيها السادة تحرراً عاجلا لوادى النيل وسعادة أبدية لهذه الارض العزيزة. أرض الفراعنة « تصفيق شديد جدا جدا وتهليل عظيم ».. اه

*
* *

اعجب المصريون قاطبة بهذه الخطبة النفيسة لما ضمنته من دفاع حق وآيات بينات وخصوصا لانه لم يكن قد مضى على الخطبة العربية التى القاها بمرسح عباس بالثغر اربعون يوما . .

كانت للمرحوم فى القاء هذا الخطاب الذى يقصر كل كلام بليغ عن وصف بلاغته غايتان. الاولى ان يقف الاوروبيين القاطنين بمصر على رغائب الوطنيين ومبلغ حنقهم على الاحتلال بلغة هي اقدم لغة اوروبيه شائعة فى العالم الا وهي اللغة الفرنسية والغاية الثانية انه قدم بهذا الخطاب برهانا للمحتلين واذنابهم على ان ماحدث لى في الجيش وما لحقنى من ظلم لا يفت من عزمه ولا يسكت له لسانا او يقف له قلما عن الدفاع عن قضية بلادنا التى لم تكن قضية أمة واحـدة بل قضـية امم عديدة

مقبلة. فكانت كلماته رحمه الله كسهام صوبت الى افئدتهم .

قابله اسكنه الله رضوانه محررو الجرائد الاوروبية والمحلية فى الثغر على اثر القاء هذه الخطبة وحادثوه فى شؤون شتى كان محور دائرتها مسئلة مصر فكان يجيب كل سائل بأفصح لسان واوضح بيان حتي عجب الجميع بمقدرته وسرعة خاطره وصدق حبه لبلاده

وما نشر المؤيد هذه الخطبة بالعربية حتى علقت عليها الجرائد المحلية تعليقا كبيرا نقدم منه للقراء مثالا !

قال المؤيد تحت العنوان الآتى مانصه :

خطبة مصطفى كامل

« نشرنا اول امس بغاية السرور والاعجاب ترجمة الخطبة الجليلة الشائقة التى القاها حضرة الفاضل الاديب والوطنى الخطيب المشهور مصطفى افندى كامل — ذلك الشاب المصرى الذى وقف نفسه على خدمة وطنه العزيز غير مبال بما يجد فى طريقه من الصعوبات والعراقيل

ولسنا نريد فى هذه العجالة ان نلخص شيئا من اقواله لان كل تلخيص لهـا مجحف بحقوقها ولذلك كانت للمؤيد حظوة نشرها بحذافيرهـا ولو اردنا العودة الى البحث فى مواضيعها لاحتاج ذلك الى اعداد كثيرة لان مواضيع الخطبة كلها جليلة وبراهينها قوية وفائقة واستشهاداتها شائقة وصادقة ومباحثها شريفة وعالية

وبالجملة فحسب الخطيب الوطنى فخاراً ان يلقى خطبته هذه بلغة اجنبية على جمع حافل بوجوه واعيان الاوروبيين وارباب المظاهر والحيثيات من الاجناس المختلفة حتى الانكليز انفسهم حيث ظل حضرته نحو ساعة ونصف يتكلم لا يمل خطابه ولا يستراب بيانه حائزا الاستحسان ورضى جميع سامعيه الذين كانوا يصفقون له بين كل فقرة واخرى بابتهاج وارتياح زائدين بل حسب الوطنى المصرى ان يوجد من شبانه من يقوم رافعا صوته بالشكوى من الاحتلال الجائر عليه بسلب حقوقه وسط جمع من نزلاء كل الامم التى تعرف حقوق الاوطان وتناضل عنها ثم يلاقى منهم عظيم الاستحسان والرضوان

على ان المؤيد لم ينشر ترجمة خطبة الخطيب البليغة الشائقة حتى ودكل قاريء لها ممن اعجبوا بسمو مباحثها وعلو افكارها واعتدال لهجتها لو كان سامعاً مصغيا اليها ونقول ولا نخشى فى الحق لومة لائم ان هذا الاستحسان كان ايضا من كبار رجال الحكومة واعالى الطبقات بل والذين تقيدهم الرسميات حتى فى الوهم والخاطر فدلنا كل ذلك على ان الخطيب قد أثر احسن تأثير فى طبقات الامة بخطبته هذه اكثر من كل خطبة سواها بقدر ما أثر فى نفوس سامعيه من اصدقاء مصر وانصارها والمدافعين عن حقوقها

وقد دلنا هذا التأثير المشترك على ان مسئلة مصر لا يعوزها الا اناس يدافعون عنها بقوة البرهان وحسن البيان ليكون كل الناس من انصارها. وهذا شأن الحق الصراح فانه اذا لقى محاميا صريح القول جميل البيان قوى البرهان والجنان لم يترك للباطل بعده نصيراً مهما بالغ دعاته فى زخرف المقال ومهما وصلت درجة تفننهم فى خديعة الافكار بالتمويه والتأويل وكل من قرأ خطبة خطيبنا الوطنى الاخيرة — ولا

بجحف بحق له في خطبه الماضية — يعتقد ان حضرته قد كان في موقف الخطابة مساء الاثنين الماضى احسن وابين واقوى محام عن الحق في مسئلة مصر الاسيفة فلا غرو اذا اتى من سامعيه اعظم استحسان واجمل علامات الارتياح والرضوان »

وقالت الفاردالكسندرى ما تعريبه :

« لقد ألقي بالامس الوطني المصرى الشاب مصطفى كامل خطبة على المسألة المصرية والجلاء وكان ذلك في تياترو زيزينيا وقد سمع الحضور العديدون الذين كان القسم الاعظم منهم من الاروبيين بكل اعتناء الكلام البليغ الذى نطق به الخطيب ولم يبخلوا عليه بعلامات الرضى والاستحسان

وعند ما ظهر الخطيب على مرسح الخطابة قدم له جماعة من ابناء وطنه باقات كثيرة من الزهور دليلا على حبهم له وموافقتهم على خطته

فكان مصطفى كامل يتكلم فى وسط من الزهور والرياحين حيث كان يخطب بلسان بديع فى الفرنساوية وباسلوب خطابي وصوته الجهورى يؤثر تأثيراً قوياً وهنأ نفسه فى فقرة

ملؤها النباهة والفطنة على الفرصة التى اتاحتها له هذه الخطبة ليخاطب فيها الاوروبيين النازلين فى مصر والذين هم اصدق احباء وطنه والذين هم طليعة المدنية الغربية وبعد أن أشار بتلميح الى ما لحق به من الاجحاف فى شخص أخيه جاهر « مصطفى كامل » بأنه لا ينقطع عن عمله وانه يستمر فى دفاعه عن بلاده (وهنا أخذت الجريدة تبين مواضيع الخطبة موضعاً موضعاً باحسن عبارة واجل ثناء على الخطيب) ثم قالت فى ختام مقالتها الطويلة : وهذه العبارة الاخيرة من خطابه قوبلت بتصفيق شديد متواتر

والخطيب الذى كان قد خطا بعض خطوات نحو الباب ليخرج من مرسح الخطابة عاد ثانية وشكر الحاضرين الذين جلهم من الاوروبيين المستوطنين بمصر على المظاهرات الودية التى تظاهروا بها نحو مسئلة مصر وعلى موافقتهم للاراء التى شرحها فى خطابه

ثم قال : نعم ستعلم اوروبا ان الاوربيين النازلين فى مصر واثقون من الامة المصرية مطمئنون من جهتها عند ما تصير

حرة وقابضة على احوالها ومستقبلها بيدها ويطلبون الجلاء الموعود بالمعاهدات الدولية . . . . »

ولقد قوبلت هذه العبارة المختصرة بالتصفيق وعلامات الاستحسان وخرج الحاضرون من قاعة الخطابة يشرحون الخطبة على ضروب من الاستحسان .

وجاء في هذه الجريدة نفسها تحت عنوان « الوطنية فى مصر » ما تعريبه بالحرف الواحد :

لا يزال يوجد اشخاص يدعون ان لفظ الوطنية الجميل لا معنى له عند الاهالى فى مصر ونحن سعداء لان نعرف هؤلاء الناس اننا بالامس استلمنا بطاقات (تذاكر) عديدة من مصريين يعدون من ارفع الطبقات فى بلادهم

والجميع يشكروننا على مقالة المدح والثناء التى خصصناها لخطاب مصطفى كامل الوطنى المصرى الشاب الغيور . فمقابل شكرهم نوضح لهؤلاء الافراد العديدين السبب الذي حملنا على مدح الخطيب الشاب

اننا نجد من الامور الموجبة للثناء أن هذا الخطيب مع

ما لحق باخيه من الاجحاف حافظ دائما فى دفاعه عن بلاده ومطالبته باستقلالها فى خطبته البليغة على الصراحة التامة وقد اظهر نهاية الادب والاحترام عندما تكلم عن الامة الانكليزية وعن الرجال السياسيين فى بريطانيا العظمى

والاحساسات التى اظهرها مصطفى كامل في احسن العبارات برهنت على انه ابعد الناس عن التعصب وانه بعكس ذلك يؤمل ان يري بلاده سائرة في طريق التقدم بمعونة الدول ومساعدة الاوروبيين لابناء مصر

وهذه الاحساسات تدل على الشرف والوطنية والعقل والحكمة ولا يمكننا الان ننصح كل الذين ارسلوا لنا بطاقات زيارات يشكروننا فيها ان يجعلوا احساسات الصراحة التى ظهرت في عبارات الخطيب احساساتهم فهى وحدها تجعل للمسئلة المصرية اهمية وتعجل بتحقيق الآمال الحقيقية للوطنين المصريين التى يعرب عنها (مصطفى كامل) بكل فصاحة والتى اوضحها يوم الاثنين فى خطبته الجليلة تلك الخطبة التى صفق لها بكل قوة وبكل حق والتى على ما نؤمل تثمر بين المصريين

الذين يخطىء البعض الظن فيهم بقوله ان فكرة الوطنية لا وجود لها بينهم وان معناها لا يزال مجهولا » اهـ

وهذا ما قالته جريدة (الريفورم):

« سبق لى ان أتيت على تفصيل الاحتفال بالخطبة التى القاها « مصطفى كامل » منذ بضعة اسابيع . وبما ان الخطيب كان يتكلم بالعربية لم اكن مندهشاً الا من قوة مهارته وطلاقة لسانه وشاهدت بكل تشوف تأثير الكلام على المصريين الذين كانوا مزدحمين تلك الليلة فى قاعة ضيقة بالنسبة لعددهم

أما هذه المرة فقد تكلم الخطيب الشاب بالفرنساوية واختار لخطبته تياترو زيزينيا الذى كان فسيحا بالحاضرين

وعدد الحاضرين كان عظيما وبينه بعض السيدات

واغلب الحاضرين من الانصار المجاهرين بانتصارهم للاراء التى يمثلها بكل بهاء وظهور مصطفى كامل ولكن بعض الحاضرين كان لا يشترك مع الخطيب فى اعتقاد واحد وقد رأينا بين الحاضرين عددا من رجال الانكليز ومن اصدقاء انكلترا

وقد سمعوا بكل ذوق وبدون معارضة شرح آراء الخطيب الذى كان يتكلم من جهة بكل مهارة وصراحة وكان يبحث عن اقتناع خصومه لا عن جرح احساساتهم .

وان هذا الجهاد الذى يعمله مصطفى كامل لجدير حقيقة بالفخر . فلقد امكنه ان يتكلم فوق ساعة ونصف بلسان اجنبي عنه بدون أن يمل سامعيه وبدون استعمال الفاظ لا يليق استعمالها وبرعاية وتحفظ تامين .

ومن البديهى ان الذى بلغ درجة كهذه لا بد ان يكون له شأن . ولقد سمعت بنفسى خصوما مجاهرين بخصومتهم لآراء مصطفى كامل يعترفون بفضله وكفاءته

وان النظرية التى يوضحها مصطفى كامل هى ضرورة الجلاء عن مصر. وانا لا نقول انه أوجد هذه النظرية ثانية بآراء جديدة بل نقول انه بقوة أعتقاداته — ذلك لا بدمن الاعتراف به — اثر كثيرا فى دفاعه عن بلاده وحمل انصاره على الارتياح والانشراح وانصاره كانوا ليلة خطابه اكثر الحاضرين »

(وبعد ان اوردت هذه الجريدة نص الخطبة قالت في الختام):

« ان مصطفى كامل صفق له كثيراً واعتداله التام سمح لخصومه ان يسمعوا خطابه من اوله لاخره » . اه

وقالت جريدة الاجبشيان غازت التي تعد لسان حال الاحتلال ما تعريبه بالحرف الواحد :

« لقد حضر بالامس الخطبة التي ألقاها في تياترو زيزنيا (مصطفي كامل) عدد عديد والقسم الاعظم جاء ولا شك برغبة رؤية وسماع هذا الرجل الخطير ولو كان شابا والذي يقال عنه انه وطني وقد ناب واحد عن (الاجبشيان غازت) وهي المرة الاولى التي سمع فيها خطابة مصطفى كامل. ومن العدل ان نقول ان هذا الخطيب يتكلم بسهولة عظيمة جدا ويقف في كلامه من وقت لا خر ليشرب شربة ماء او ليطلب الصمت ممن في الالواج بسكون شيخ خطيب . اما من جهة الافكار التي اتى عليها مصطفى كامل فنتأسف لعدم استطاعتنا ان نثني عليه بشأنها كثنائنا عليه من قبيل كونه خطيبا فلقد برهنت خطابته على انه قارىء مواظب للجرائد المعادية

للانكليز ولذا نترك قرآءنا الذين يريدون معرفة آرائه كى يطلعوا عليها فى هاتيك الجرائد ..... »

وحسبنا من جريدة الاجبشيان غازت مثل هذه الشهادة وان لم تكن تامة لانه لم يكن ينتظر منها اكثر من ذلك !

اما الجرائد الاحتلالية الاخرى فأنها وجهت اليه اقبح السباب كعادتها حبا في ارضاء من استأجروها لمعاداة امة لا ذنب لها الا انها اكرمت وفادتها ولو كانت عاملتها بما تستحق من الازدراء والاحتقار لمدحته واطرته فوق اطرائها للاحتلال !

(الجرائد الاوروبية)

والخطبة

طير مكاتبو الشركات والجرائد الى اوروبا مبلغ تأثير هذه الخطبة عقب القائها فقابلت الجرائد الفرنسية والالمانية والنمساوية وبالجملة كافة الجرائد الاوروبية والاميريكية نبأها بمزيد الارتياح ماعدا الجرائد الانكليزية فأنها هزأت بالوطنية

المصرية كعادتها ما عدا جريدة التيمس فأنها قالت :

« انه قبل ان تحتل بريطانيا مصر كان الجهل مخيما في نواحيها ولم يكن بين اهلها من يميز الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ولكن بفضل المجهودات التي بذلتها في ترقية وتعليم المصريين اصبحت كلمة الوطنية الجميلة تذكر بينهم وقام من بينهم شاب يخطب فيهم متحمسا طالبا الجلاء. ونحن نقول لهذا الشاب وغيره ممن سيخطبون ان الانكليز يتركون مصر عندما يكثر فيها امثال مصطفى كامل الذي لا يوجد غيره الآن »

والظاهر أن الجرائد الاوروبية نقلت الخطبة أو بعض فقراتها عن جريدة « لابوليتيك كولونيال » وقد قالت هذه الجريدة بقلم الكاتب الفرنسي الشهير المسيو هنري دي جنست ما تعريبه :

« سيطلع قراؤنا في هذا العدد من جريدتنا على ملخص خطبة القاها مصطفى كامل في الاسكندرية

وان الخطة التي يجري عليها هذا الوطني في الامر

الذى انتدب له وخطبه التى يلقيها فى مصر بعد كل الخطب التى القاها في باريس والحفاوة والتكريم اللذين يقابل بهما فى كل المدائن والتأثير الحقيقى الذى له لدى ابناء وطنه لهي خليقة بأن تذكر في الرسائل البرقية العمومية اذ ليست اقل اهمية من الحوادث الاخرى التى تجود علينا بها الشركات التلغرافية جود اسراف

على ان الذين يعتقدون ان مسئلة مصر ينبغى ان تكون فى مقدمة كل المسائل الخارجية التى يشغلنا الاهتمام بها يجدون فى الامور التى اوردناها دلائل من اعلى طبقة فى الاهمية . كما أن الذين يقدمون النظر فى المستقبل يجدون معانى ذات شأن من الدرجة الاولى

ولقد استطاعت انكلترا ان توطد قوتها فى مصر لانها منذ اليوم الثانى الذى احتلت فيه جنودها القطر توصلت الى خديعة أوروبا كلها فى النهاية المقصودة من عملها والنتيجة المبتغاة من احتلالها وكانت اشاعاتها المختلقه وبلاغاتها المملوءة بالاغراض ورسائلها البرقية الملفقة مأمونة التكذيب لتمام اغضاء

المصريين عنها وعدم ارتفاع صوت بالاحتجاج من أولئك المتهمين المظلومين

واستمر الناس زمنا طويلا لا يعرفون الاحتلال الا من تقارير اللورد كرومر عن الادارة التي يديرها بنفسه والشهادات المرضية التي كانت تمنحها الجرائد الانكليزية والبلاغات الشبيهة بالرسمية التي كان يهنىء فيها الموظفون البريطانيون انفسهم بما توصلوا اليه من تحبيب المصريين فيهم

وقد تحمل المصريون المغارم الثقيلة ومضت عليهم السنون الطويلة حتى تنبهوا من غفلتهم وما ندرى أ كان ذلك التنبه من شدة الفاقة ام من اندفاع الشبيبة الذى لا يقاوم الى بلوغ الحرية غير ان الذي لا ريب فيه هو ان مصر من شمالها الى جنوبها ناهضة الآن محتجة على الظلم الشديد الذي لم تستحقه وهذه النهضة الاجتماعية في الساعة الحاضرة هى ولا شك ما يعتبره الموظفون البريطانيون الخطر الاكبر والداعي الى الخوف

وقد تثبط السياسة الاوروبية بعض مسعاهم وتقيد

احتجاجات المندوبين شيأ من حريتهم وتتغلب الوكالات السياسية على شيء من مقاصدهم وذلك نادر في الواقع غير انهم مع الصبر والاحتيال سيتغلبون على كل شيء ويسكنون كل شيء عدا معارضة الشعب المصرى لهم فانها لا تتحول ولا تتغير . ولذلك هم لا يستطيعون ان يكونوا فى مصر الا بصفة غاصبين وعندهم شعور بذلك واستشعار بأن احتلالهم للبلاد لا يكون بعد الآن الا نزاعا دائما معهم

وطالما شكت فرنسا ان ليس لها حلفاء فى المسئلة المصرية والحقيقة ان لها حلفاء بمكان عظيم من الاهمية اذا عرفت ان تستفيد منهم وأولئك هم الوطنيون الذين تنبهوا حديثا وقاموا لا بصفة معارضين يقولون مالا يفعلون بل بصفة خصوم الداء لخصومنا متحدين يتألف منهم جمهور كبير ذو دهاء واسترشاد بأحكم الافادات وابعدها عن جر المشكلات

وتمشى في مقدمة هذا الجمهور نخبة من الشبان المؤدبين تأديبا اوروبيا القابلين لجميع الافكار بانواعها المتعلمين

الناضجين للعمل القادرين على التناقش فى شؤونهم مع السياسيين البريطانيين . ويعرف مقدار الحيرة التى اوقعوا فيها انكلترا والخوف الذى احدثوه عندها من شدة اضطهادها لهم

وكان مع ذلك ينقصهم ليصبحوا حزبا حقيقيا ان يقوم بينهم رجل خطيب ذو كفاءة لان ينشىء بالنيابة عنهم وبالرضى التام منهم خطة سير يجرون عليها ويستعينون بمن يجدونه من الانصار لتأييدهم فيها . ولقد وجدوا الرجل والخطة . اما الرجل فهو المحامي مصطفى كامل واما الخطة فهي التى شرحها فى خطبته التى تقوم كلها على العبارة الآتية النافية لكل مايشيعه الانكليز عن المصريين جريا مع اغراضهم وهي:

« احرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا »

فليقرأ من شاء هذه الخطة التى هى خلاصة امانى المصريين يظهر له من مجملها فكر واحد وهو أن مصر تريد ان تتخلص من ربقة الانكليز لتعود الى التعاون المفيد مع جميع شعوب اوروبا

وان مصر لارض سدت الآن ابوابها فى وجه النجاح واستنزفت حياتها تبذيرات مديريها واصبحت بعيدة عن حنان الامومة لنفس بنيها مفترسة بالجشع البريطانى . فالذى تريده ان تعود فتملك نفسها بنفسها لتعود الى ما كان عندها من تقاليد الضيافة الواسعة . « فلا تعصب ولا تخصيص » وقد عرف المصريون انهم لن يستطيعوا ان يعيشوا الامع الاوربيين وبواسطتهم . وأول من سيستفيدون من انقاذهم انما الاوروبيون

فليس هناك نزال بين انكلترا ومصر لا يهم الشعوب ان تتداخل فيه بل نزاع بين انكلترا وأوروبا كلها من أجل قطر ذى ثروة تكفى الجميع ومركز انما حريته هي حرية البحار

تلك هي الخطة ومن شأنها ان تستميل أوروبا بأسرها الى الحزب الوطنى المصرى الذى قررها

وقد اثبت بها ذلك الحزب انه اصبح كفأ لادارة نفسه بنفسه ومن مهارته انه طمن العالم على ما يكون منه عقيب نجاته وان ما اثبت به صدقه الى الآن من البراهين لخليق بأن يتأكد الجميع أنه سيفعل ما يقوله » . . اه

اطراء المترجم

بقلم اجنبى

كتبت جريدة السياسة الاستعمارية فصلا ضافيا فى القسم المخصص من انهرها لنشر تواريخ عظماء الرجال ورجال السياسة المشهورين تحت عنوان « مصطفى كامل وعمله — فى نظر رجال السياسة الاوروبيه » وقد صدرته بوضع صورته (التى لاتنسى) كما تفعل فى تراجم أولئك المشاهير وهاهو تعريب ما كتبته :

« ان صورة هذا الخطيب الشاب الذي اقتفت الجرائد الاوروبية طول هـذا الشتاء آثار خطبه الوطنية بعناية وارتياح لجديرة بأن ترسم هنا وتلفت الانظار لما تدعو اليـه من الدهشة والاعجاب فضلا عن اننا اصبحنا فى حاجة الى معرفة ذلك العنصر السياسى الجديد الذى أخذ أهمية حقيقية بالرغم عن التهم التى يلقيها عليه اعداؤه وأصبح عظيم الشأن فى حوادث الشرق وهـذا العنصر انما هو النشأة الجديدة التى

نشأت في بلاد الدولة العثمانية عموماً وفي مصر خصوصاً والتي اكسبها التعليم الاوروبي معرفة حقوق الانسان فاصبحت اليوم قادرة على الجمع بين الوفاء الذي لاريب فيه وبين العزم الثابت في المحافظة على هذه الحقوق

وان الاجحاف المزعج المؤذي الذي يأتي به الاحتلال البريطاني في مصر وحد اماني المصريين كلها فصارت اليوم أمنية التخلص من النير الاجنبي. وكل الذين احسوا من انفسهم بشيء من القوة والشهامة والذكاء اجتمعوا وكونوا حزباً عظيماً غرضه الوحيد داخل مصر ايقاف الانكليز على مايشعر به المصريون من انهم مغيرون على البلاد لا ارتباط بينهم وبين الامة التي تبغضهم. وخارج مصر كشف الستار عن المقاصد الانكليزيه وتفنيد الاخبار الكاذبة التي ينشرها بعض الجرائد عما تسميه انكلترا بعملها التمدني في مصر وبسعيها في تقوية الخديوية

ولقد اجتهد بعض المشتغلين بالسياسة ان يدافعوا عن مسئلة مصر امام اوروبا ولكن المصريين فقهوا جيداً انه لا

يستطيع أحد الدفاع عنهم الا اذا كان من انفسهم

ولقد قبل (مصطفى كامل) في كلية الحقوق بمدينة طولوز بعد أن قضى السنين الاولى الدراسية فى المدارس المصرية ونجح فيها نجاحا باهراً. ونال من كلية طولوز شهادة الليسانس بفوز عظيم وعاد لمصر وقبل محاميا فيها واستعد للمرافعة امام المحاكم . ولم يكن الاحتلال الانكليزى فى سنة من السنين اشد وأعظم وطأة منه حين ذاك اى فى عام ١٨٩٤ التعس فانفعلت نفس (مصطفى كامل) انفعالا عظيماً من منظر بلاده الحزينة. انفعلت من حالة أميره الذى يعامله الانكليز بالوقاحة والدناءة . انفعلت من حالة ابناء وطنه وجنسه الذين يبعدون عن الوظائف العمومية ويسبون كل يوم ويطعن عليهم من جرائد يستخدمها المحتلون

انفعلت نفس هذا الخطيب الشاب وهجت روحه لكل ذلك وقام وكان أول قائم يعلن هـذا الاعتقاد الصحيح الذى كان راسخا عنـد كثير من المصريين وهو انه لا يليق بابناء مصر ان يقيموا على هذه المذله صابرين وينظروا الى هـذه

المصائب صاغرين فابتدأ عمله وسافر لاوروبا يقصد نشر الحقائق عن مصر. هذه الحقائق التى تقلبها وتغير شكلها الجرائد والشركات الانكليزية . وكانت بلاد فرنسا أول بلاد ارتفع فيها صوته فانه جاءها والقى فى طولوز — المدينة التى ترك فيها اصدقاء اوفياء — خطبة سامية جليلة نالت استحسانا تاما ودافع كذلك فى باريس بنفس الفصاحة والبلاغة التى دافع بهما عن مسئلة مصر فى طولوز

ويتذكر الناس هنا كافة خطبته الجليلة البديعة التى خطبها فى قاعة الجمعية الجغرافية وكتاباته الفائقة العالية التى كتبها ونشرها فى الجرائد خصوصا فى مجلة (النوفل رفو) التى افسحت فيها (مدام آدم) مجالا لقامه المنادى بالحقيقة والعدالة

ويعلم الناس كذلك انه هو الذى حمل المستر غلادستون على الاعتراف فى جواب شهير بأن (ساعة جلاء الانكليز عن وادى النيل آذنت منذ سنين)

ولقد سمع نداء (مصطفى كامل) واثبت اعتقاده فى

النفوس خصوصا وانه بدفاعه عن مسئلة مصر يدافع عن مسئلتنا فيها ايضا. فلقد بلغت مهارته ان جعل من الامور البديهية ان مسئلة مصر ومسئلة فرنسا فى مصر ليستا الا مسئلة واحدة وان مصالحنا مرتبطة ارتباطا لا انفصام له بمصالح الخديوية المصرية وان انكلترا باحتلالها مصر تقضى قضاء تاماً على نفوذنا ومقامنا فى وادى النيل

و (مصطفي كامل) موجود الان فى مصر حيث يعمل — ويعمل بنجاح وفوز عظيمين — ليس لاستمالة ابناء وطنه الذين يحتفلون به فى كل فرصة بل لاستمالة النزلاء الاوروبين لمسئلة بلاده . أولئك النزلاء الذين يريد الانكليز ارهابهم بتعصب المصريين المزعوم . فهو يقول للنزلاء جميعا ما معناه « انتم تعلمون ان اعداءكم ليسوا ابداً المسلمين الذين قابلوكم في كل وقت بالسخاء والجود وسمحوا لكم ان تعملوا اعمالكم الشخصية بالسكينة والاطمئنان واصبحتم بينهم اغنياء مثريين ولكن اعداءكم هم الانكليز الذين يهددونكم ويهددوننا جميعا »

وقد اعتاد (مصطفى كامل) ان يختم خطبه بهذا المبدأ الشريف المطمئن للخواطر الذي هو مبدأ الوطنين المصريين « أحرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا »

وان مصر تذكر يوم تحريرها ماهي مدينة به للخطيب الشاب الذى كان اول عامل لاستمالة أوروبا نحوها والذي اظهر بشجاعته المملوءة شرفا وحكمة وتبصرا أن المصريين كسائر الامم الاوروبية حقيقون بأن يعيشوا احراراً جديرون بأن يحكموا انفسهم بانفسهم .... اه

*
* *

بعد ان القي المرحوم هذا الخطاب عاد الى مصر وكتب الىّ خطابا جاء فيه مانصه :

« القيت فى مساء ١٣ الجارى خطابا باللغة الفرنساوية بمرسح زيزنيا بالاسكندرية ذكرتك فيه واشهدت الله على وطنيتى التى لا تزعزها قوة الجبابرة او سلطة الكياسرة بأنها سائرة فى طريقها دفاعا عن وطن لاعزلنا الا برفعة شأنه

انى اشعر ايها الاخ العزيز بانحطاط فى قواى ولذلك قد

عولت على السفر الى عزبة خالى لأرتاح هناك شهراً على الاقل
سأصدر في هذين اليومين مجموعة تشتمل على عملى مدة عام
وقد انشأ مقدمتها حضرة الصديق الحميم محمد افندى مسعود
صاحب جريدة منفيس وسأرسل لك نسخة متى تم طبعها
انى اؤمل ان سينالك عفو قريب وتترك خدمة الجيش
المصرى الذى اصبح فرقة انكليزية لا عثمانية . واؤكدلك
ان اعتقادى فى عمله خيانة للوطن المصرى . . . . . .

الجمعة ١٧ ابريل سنة ١٨٩٦ مصطفى كامل »

*
* *

ظهرت بعد ذلك مجموعة اعمال المترجم فى عام في عالم
المطبوعات في ١٠ مايو سنة ١٨٩٦ وقد عنونها « مصر
والاحتلال الانكليزي » وقد جاءنى خطاب من المرحوم بعد
ظهورها قال فيه :

« اليك عملى فى عام . ماظهر هذا السفر الصغير وجعلت
ثمنه ١٥ قرشا حتى اقبل عليه مواطنونا الكرام اقبالا يفوق
الوصف وقد طبعت منه ستة الآف نسخة وانى أؤكد لك

ان بوادر الاقبال ستضطرنى لطبع عدد آخر مثل هذا »

وفي الحقيقة فأن المجموعة قد طبعت مرتين وكان كل ما طبع منها عشرة الآف نسخة ربح منها المرحوم نحو ١٢٥٠ جنيها

وقد كان هـذا الاقبال سببا من اسباب تشجيع المترجم وبرهانا على ان فى الامة حياة كامنة يظهرهـا القول الحق والجرءة الصادقة

ولما كانت المقدمة التى توج بها هـذه المجموعة حضرة الـكاتب البليغ محمد افندى مسعود هي من الاعمال الوطنية المشكورة رأينا ان نثبتها هنا اعترافا بفضله ومثالا ناطقا على التضامن الجنسى ومحبة الوطنى للوطنى وهذا نصها :

الى ابناء مصر

هذه مصر يا أبناءها الاعزاء قـد أمضت فى اغـلال الاحتلال سـنوات عديدة ذاقت فيها مرارة الاستعباد ولم يعن لخاطر واحد منكم ان يقوم أمام الملأ الاوروبى ليوفيها

عهد الاخلاص والولاء باداء ما ينبغي لها من الواجب المفروض حتى تمهد للدخلاء سبيل الطعن في كفاءتكم وملأوا الآفاق نعيبا مزعجا للخواطر بدعواهم ان لا وطنية فى مصر تتنزل منها ومنكم منزلة الصلة المتينة بين الام الحنون والولد البار وطوحهم الاستخفاف بكم الى حد أنكروا معه صبغتكم المصرية وما حزتموه من قصبات السبق في ميادين العرفان وعزوا كل ذلك لانفسهم قحة منهم وعدوانا

وقد كاد يؤم اليأس الشديد بالامة المصرية من دوام هذه الحال الى التدرج بدون شعور لتصديق تلك الاقاويل حتى قيض الله لها ذلك المصري الصادق والشهم الغيور « مصطفى كامل » الذى طار صيته فى الآفاق وأخفت ظهوره بمقدمة الشبيبة المصرية حاملا (لواء) النهضة الحديثة تلك الاصوات المزعجة التي أجفلت منها الآذان وأسدل دونها ستر المسامع. وكان فى حين واحد برهانا ناطقا بصدق اخلاص المصريين لمصر وضربة قاضية على من يؤيد العكس جرا للمنفعة الخاصة

نبغ هذا الهمام من مدارس مصر وتوج ما اكتسبه

فيها من المعلومات الجليلة بمتابعة الدراسة فى فرنسا حتى نال الشهادة الناطقة بفضله وقوة ادراكه وشدة ذكائه وحدة فهمه . وقد كان كافة اساتذته واقرانه يعترفون له بهذه النعوت الكاملة وبما وهب من طلاقة اللسان وقوة البيان وانه الذي اذا ارتقى منبر الخطابة ذلل له القول وسخر له الخطاب وتابعه الكلام متفق القرائن مطرد السياق حتى يستميل اليه القلوب النافرة ويرد الاهواء الشاردة .

ولقد كان فى استطاعته بما فى يده من الشهادات الناطقة بفضله ان يلج أبواب الحكومة أو يزاول مهنة تؤهله لها المزايا الجليلة التى خصّ بها وفاق بواسطتها أقرانه من جيلنا الحديث ولكنه طاق المنفعة الخاصة بتاتا وآلى على نفسه الا ان يضحيها على مذبح الخدمة الوطنية ولو كلفه ذلك مهما كلف . ولذا غادر بلاده وأهله واخوانه وسافر الى الارجاء الاوروبية للذود عن حقوق هذا الوطن واستنهاض الهمم الفاترة الى المسئلة المصرية وايقاظ رجال السياسة الاوروبية من سنة تغافلهم عنها ولفت انظارهم الى ما يجلبه الاحتلال الانكليزى

من الاخطار على السلام العام والمدنية الاوروبية . وقد كان هذا الحث والتحريض والايقاظ والتنبيه موضوع كتابات جليلة وخطب مهمة ألقاها على مسمع من أكابر رجال السياسة فى أوروبا متضمنة شرح الاحوال الحاضرة فى مصر بعبارات صريحة وحجج بالغة .ولم يلق خطبة الا وقد فازت بالاستحسان العام من الحاضرين ولذا كانت تتناول الجرائد المهمة والتلغرافات العمومية أهم شذراتها وتشفعها بالشروح وتعلق عليها الآراء التى دلت على وجود رأي عام في فرنسا والروسيا وغيرهما يذهب الى الحكم بضرورة الجلاء عن هذا القطر

ولو أعار القارىء المنصف هذه التقلبات قسطاً من الالتفات واعترف ضميره باهميتها للوصول الى نيل المأمول من حل المسئلة المصرية لجزم معنا بان هذا الحل يتوقف على أمر واحد وهو التوسل الى الدول الاوروبية واستنجادها فى هذه الملمة

القارىء المنصف يعترف اعترافا لا تشوبه مدارة او مواربة بان الموجد لهذه الحركة الفكرية القوية انما هوذلك

الذى ينبغي ان يكافئه كل وطنى بالاقتداء به وسلوك منهجه القويم. وما هذا المنهج القويم؟ هو صراط مستقيم يهتدى اليه كل من اجتمعت فيه مزية الاقدام واشتعال العواطف بالوطنية الصادقة فان هاتين الصفتين الجليلتين متى منح الانسان التوفيق بتوفرهما فيه أو صلتاه الى سدرة منتهي الغايات المحمودة والمقاصد السنية وسخرتاله كل الوسائط لتذليل الصعاب وتمهيد العقبات ورفع الموانع

وقد أتيح لوطنينا الشهم ان يكون له الحظ الاوفر والقسط الرجيح منهما ولذلك نراه قد ذلل الصعوبات وكبح منها الجماح بعنان الرشد وحسن التدبير . أنظر كيف انه لما ألقى خطبه النفيسة فى أوروبا وأعلن للملأ كله ان لا منية للمصرى غير الجلاء والحرية كان الدخلاء حساده ومبغضوه يذيعون هنا عنه اخبارا تشف عن سوء ضميرهم وسواد قلوبهم ويذهبون الى استحالة عودته الى مصر أو انه اذا عاد لا يعمل شيئاً واكثروا من الخلط والخبط في هذا الموضوع . ولما عاد الى الوطن العزيز وتكلم ضد الاحتلال

بنفس اللهجة التي كان يتكلم بها فى أوروبا ثم جرد أخوه الضابط من رتبه وأنزل الى درجة العسكرى البسيط مع تحليه بالعلوم والمعارف عملا بالتقاليد الانكليزية المنسوجة على منوال خرافة « الذئب والخروف » قالوا صيحة واحدة هذا هو القضاء المبرم والبلاء الذى لا يرد . فلما ألقى هذا الوطنى الصادق الوطنية خطبة الاسكندرية باللغة الفرنساوية عقب ذلك وهى باتفاق الآراء اجل خطبه واجلها واشدها وقعا مع رشاقة الفاظها وقوة معانيها لم ينبسوا بكلمة واحدة لما كساهم من الخزى والخجل ولا بد ان يلبثوا على هذا الحال ان كان يجرى في شرايينهم مثقال ذرة من دم الشرف

علم مما سلف ان الاقدام والوطنية الصادقة شرطان لازمان للمصريين اذ بهما يقاومون جميع الصعوبات السياسية كما قاوم بهما من قبل فحول الرجال الذين انقذوا أوطانهم من ربقة الاستعباد فخلدوا فى تاريخ أممهم وتاريخ الحرية الذكرى الحسنة وتركوا للاعقاب أثراً جميلا ومثالا يقتدون به

ولا بدع اذا كان المصريون الصادقون يؤملون لوطنهم

وخطبهم منزلة فى تاريخ مصر كمنزلة أولئك العظماء في تواريخ بلادهم . فكلهم ابتدؤا كما ابتدأ وربما كان عملهم في المبدأ لم يصادف من النجاح والفوز ما صادفه « مصطفى كامل » في فاتحة اعماله الجليلة التى نقدمها اليوم للقراء متضمنة كل آثاره الوطنية فى عامه السياسى الاول

وقد احترزنا عن ايراد ما كتبته جرائد العالم من الشروح على كتاباته وأحاديثه وخطبه خوف التطويل واكتفاء بها وحدها دليلا صادقا وبرهانا ساطعا على صادق وطنيته وعظيم اقدامه

وقد أردت بجمع هذه المجموعة ان تكون للامة المصرية مثال الصدق والاخلاص والاقدام والثبات وباعثا لكل ذي احساس شريف وجنان قوى على اتباع ذلك السبيل الذي أعجب به كل العقلاء

مصر فى ٤ مايو سنة ١٨٩٦ (محمد مسعود)

مدير جريدة منفيس

*
* *

بعـد ان استراح المرحوم بعزبة خالنا وشعر بأن قواه قد عادت اليه امسك القلم وكتب في المؤيد ما نصه :

— يوم ٤ يوليو —

يالك من يوم مشهود ياهـذا اليوم ويا لك من تذكار مجيد يا هذا التذكار . ان في مثلك منذمائةوعشرين سنةمضت اشرقت في الآفاق انوار امةجديدةونودى في العالم الحديث بمبادىء العدل والانصاف وشيد للحرية والاستقلال بنيان متين واسترد الانسان حقوقه من نفس الانسان .

اجل انه في يوم ٤ يوليو من عام ١٧٧٦ اعلنت الولايات المتحدة بامريكا استقلالهـا ونادت بتحريرها من ربقة النير الانكليزى فلذلك كان هـذا اليوم فى تاريخ الحرية اعظم يوم وكان هذا التذكار فى تاريخ الانسان اشرف تذكار

ايه معشر الامريكانيين يحق لـكم ان ترفعـوا اليوم اعلامكم وتقيموا الاعياد وتحيوا ذكرى هـذا اليوم السعيد

الذي يذكركم بما اتاه آباؤكم العظام من جلائل الاعمال . بل يحق لكم ان تقوموا اليوم في وجه الامم مفاخرين وتتلوا على الشعوب آيات مجدكم وفخاركم . يحق لكم ان تباهوا العالم بتاريخكم ونجالكم واستقبالكم وعلى الخصوص باتحادكم وقوي ائتلافكم

ان ذكري هذا اليوم تبعث فى فؤادى آمالا كباراً لانها تذكرنى ان الامريكانيين ماوصلوا الى ماهم عليه من الرفاهية والسعادة والحرية والاستقلال الا باتحاد الكلمة واجتماع القلوب على محبة الاوطان . واذكر ان بنى وطنى يحسون احساساً صادقاً بالمصائب الشديدة التى تتساقط على بلادهم . ومقرر ان المصائب تجمع بين المتنافرين وتؤلف بين المتباغضين فلا ينقص ابناء مصر للوصول الى المأمول من الحرية والسعادة الاجتماعية الا الائتلاف والاتحاد . ولذا كان هذا اليوم يوم ٤ يوليو يبعث فى نفسى آمالا كباراً ويحملنى على الاعتقاد بقرب تحقق الائتلاف والاتحاد بين بنى مصر المخلصين لها المتألمين لآلامها .

ولكن ذكرى هذا اليوم نفسه تبعث فى فؤادى حزناً وكآبة لانها قريبة الذكرى من يوم مشؤم وتذكار تعس اذا ذكره المصرى ذكر المصائب الجسام . الا وهو يوم ١١ يوليو تذكار ضرب الاسكندرية .

حقا ان المقارنة بين يومي ٤ يوليو و ١١ يوليو لمن أشد المقارنات تأثيراً على النفوس . فذلك اليوم تذكار امة عظيمة اراها الانكليز من الظلم اعظم الظلم ومن الاستبداد اكبر الاستبداد فقامت متحدة مؤتلفة وطردت الانكليز من ديارها واعلنت للعالم كله تحريرها واستقلالها . وهذا اليوم تذكار ضرب أول الثغور المصرية بل قل تذكار الذل والهوان تذكار العار والشنار . تذكار الشقاق والانقسام ! فما اسعد رجلا تذكار بلاده يوم ٤ يوليو وما اشقى رجلا تذكار بلاده يوم ١١ يوليو

ان اقوى سلاح يتسلح به المطالبون بحرية بلادهم المخاطرون بأنفسهم حباً فى انقاذ اوطانهم واعلاء شأن معاهدهم هو الاتحاد فهذا السلاح المتين كان سلاح الامريكانيين وغيرهم

من الامم الحرة ويكون سلاح المصريين ان أرادوا عزاً ورفاهية وحرية واستقلالا . واحسن مثل اقدمه لبنى مصر على قوة الاتحاد هو انه لما أعلنت الولايات المتحدة استقلالها انتخب الشعب لجنة لسن الدستور . فكان وراء رئيس هذه اللجنة صورة تمثل الافق ونصف الشمس ظاهر منه والنصف الآخر محتجب تحته — وكان لا يعلم اتمثل هذه الصورة شروق الشمس ام غروبها لان علماء التصوير أقروا على ان لا تمييز هناك فى التصوير بين صورة شروق الشمس وصورة غروبها — فلما أتمت اللجنة اعمالها وسنت الدستور القويم الذي سارت عليه الولايات المتحدة من يوم تحريرها الى هذا اليوم قام فرنكلين الشهير وقال لاعضاء اللجنة ما معناه :

« ابناء وطنى — لقد كنت انظر من أول يوم اجتمعنا فيه الى هذه الصورة الموضوعة خلف الرئيس وكنت مرتابا فى امرها هل هى صورة شروق الشمس ام صورة غروبها فلما اتممنا اليوم أعمالنا بالنجاح والاتحاد ولم نختلف على شىء ما علمت انها صورة شمس مشرقة وهى شمس الولايات المتحدة

فليدم الاتحاد . قولوا فليدم الاتحاد »

ماسقت لكم ايها القراء النبلاء هذا الحديث الالا ناديكم باسم الوطن الشريف ان تخلعوا عنكم اثواب الشقاق والنفور وحب الذات وتجمعوا كلمتكم على خدمة مصر ومحبتها فان الوطن على خطر وما يدبره اعداؤه لاعظم مما رأيتم

نعم اناديكم فى هذا اليوم العظيم الذى تحتفل فيه امة عظيمة بسعادتها واستقلالها ان تعملوا كما عملت هذه الامة لا ان تثوروا بل تتحدوا قلباً ولساناً وتسمعوا الملأ الاوروبي اصوات الشكوى. ولا يكن مبلغكم من الضعف مبلغ مريض يتألم ولا يشكو أو مبلغ صاحب دار سلبها منه خصمه فتركه فيها آمناً مطمئناً يعمل ما يشاء دون ان يسأل القضاء عدلا وانصافا

انزلوا ياقوم الى اعماق نفوسكم وناجوا سرائركم واسألوا ضمائركم هل انتم فى ضير ام فى خير . وهل انتم على شقاء ام على هناء . ولئن احسنتم الاصغاء سمعتم سرائركم تجيبكم انكم أذل الامم اليوم وان الزنوج الذين كنتم تستخدمونهم عبيداً أرقاء اصبحوا أشد محافظة منكم على حقوق

الاوطان ! ! !

أما فى مصر رجال يشعرون بأن من العار الكبير أن يعيش المصرى في سعة من العيش مرتاح البال وأمه الشفوقة الحنونة تهان أعظم اهانة وتلوث كراماتها كل يوم فيقومون ويطالبون بحقوقها ويسمعون أوروبا صوت شكايتها ! !

أما نفوس ابيات لها همم
أما على الحق أنصار وأعوان

أسطر هذه السطور واسمع صدى ما يردده الخائفون اسمع هذه العبارة ! ! ! اننا نحب من صميم افئدتنا وطننا العزيز ونريد حقاً اسعاده ولكن اذا قمنا مطالبين بحقوقه اختصمنا الانكليز وخربوا ديارنا واملاكنا فلا ينالنا الا الضرر والوبال

انه لخير لكم أن ينالكم الضرر والوبال أيها المصريون ان كان فى نيلهما اياكم خدمة للاوطان

نعم ليعش الاحرار منكم فقراء ولكن ليعيشوا احراراً !

اتحسبون يا قوم ان ماترونه اليوم من المصائب والبلايا

هو منتهى ما يأتيه الانكليز فى مصر من الظلم والاذلال ان دام الاحتلال . لا تحسبوا يا قوم ان الله ينصركم وانتم على هذا الفشل !! . كيف ينصركم ربكم وقد خذلتم انفسكم ؟ كيف ينصركم ربكم وقد وهبكم شريعة تأمركم بالاتحاد والائتلاف فنبذتم أمرها ظهريا ووهبكم وطنا سعيدا غنيا كريما فاحتقرتموه وما قدرتموه قدره ووهبكم ذكاء عاليا فاستعملتموه في دنايا الامور وصغار الاشياء. أتظنون أن من وهبكم هذه النعم الكبيرة يهبكم الحرية والاستقلال على غير حق . كلا . انه لأعدل العادلين

فهبوا اذاً من رقدتكم وقوموا مطالبين بحقوق دياركم واسمعوا الامم انكم أمة تستحق العناية والرعاية . والا فان كنتم قد استسلمتم للذل والهوان واذعنتم للمذلة والاستعباد فودعوا الحياة الوداع الاخير وودعوا الحرية والمستقبل المنتظر وودعوا الامم كافة . وقولوا اننا قد ظلمنا انفسنا بانفسنا وما ربك بظلام للعبيد

هذه كلمات يمليها على فؤاد يترنم الليل والنهار بقول

الشاعر العربى :

(لا تسقنى ماء الحياة بذلة

بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم

وجهنم بالعز أطيب منزل)

مصر فى ٤ يوليو سنة ٩٠٦

(مصطفى كامل)

* * *

قلق المرحوم لعدم صدور العفو عنى فكتب خطابا الى رئيس الديوان الخديوي يطلب فيه بصفته مصريا ان يقابل سمو الخديوى لأمر يهمه وقد جاء اليه الرد بالقبول وتحدد يوم الخميس ٩ يوليه سنة ١٨٩٦ لمقابلة سموه . فقصد رحمه الله سراى رأس التين بالاسكندرية فى الساعة الثالثة بعد الظهر وقابل سمو العزيز وقد كتبت الاهرام بهذه المناسبة فى محلياتها ما نصه :

«شرف بعد ظهر أمس حضرة الوطنى مصطفى افندى كامل

بالمثول بين يدى سمو الخديوى المعظم فى قصر رأس التين العامر فى مقابلة خاصة لقى فى خلالها من انعطاف سمو العزيز ما اطلق لسانه بالامتنان والدعاء فنحن نهنىء حضرته على ماناله من رضى الامير المعظم وثقة ابناء الوطن راجين مثل ذلك لكل وطنى عامل فى خدمة القطر بالاجتهاد والاخلاص »

وما نشر هذا النبأ حتى تناقلته كافة جرائد القطر ماعدا الاحتلالية منها فأنها انتظرت اوامر الوكالة البريطانية !

اما المعتمد البريطانى فأنه قصد سمو الخديوى بعد هذه المقابلة واظهر له تألم السياسة الانكليزية من مقابلته لمصطفى كامل فقال له سمو الامير ما معناه :

« ان مصطفى كامل مصرى ككل المصريين له الحق ان يشكو الى ظلامته وانه اذا كان جنابكم قد قال بملء فيه ان ابواب الوكالة البريطانية مفتوحة لكل مصرى يشكو اويتظلم فكيف لا تكون السراى الخديوية مفتوحة كذلك وفيها تاج الامة بامرها »

وقد اغمت هذة الكلمات اللورد فعاد من حيث أتى

ولم يجد امامه ما ينتقم به الا عباد الاحتلال وسطاء السوء الدخلاء فينا فأخذوا يشنون الغارة على سمو الامير والوطنيين المصريين !

وقد كتب لى رحمه الله خطابا عقب هذه المقابلة قال فيه

« قابلت رسميا سمو الخديوى المعظم وعرضت عليه مسئلتك وقد وعدنى خيرا . اما الاحتلال فأنه متغيظ من هذه المقابلة وقد احتج عليها اللورد كرومر وسأخبرك بمشيئة الله عن كل ما دار . واملى ان العفو يكون قريبا ... .

الاحد ١٢ يوليه سنة ١٨٩٦ مصطفى كامل »

*
* *

سافر المرحوم الى اوروبا وقد خاطبنى عند سفره مكررا الامل مرة اخرى فى قرب العفو

أما العفو فأنه صدر من سمو الخديوى المعظم لرئيس الجيش كتشنر باشا وقد ذكرته نفس جريدة الاجيسيان غازت فى ١٠ اغسطس سنة ١٨٩٦ ولكن يظهر ان كتشنر باشا وهو كما عرف القراء كان رئيس المجلس الذى حكم بعزلى

جورا وظلما قد وضع الامر فى جيبه ولم ينفذه الا فى يوم ٤ اكتوبر (اى بعد شهرين تقريبا) .. !

ابحر المترجم الى مرسليا على الباخرة النمساوية فى يوم السبت اول اغسطس سنة ١٨٩٦ فودعه على رصيف الميناء خلق كثير من الكبراء والفضلاء وقدم له الوطنيون الاسكندريون باقات الازهار سائلين الله ان يكلل سفره بالنجاح فتقبل منهم هذه العواطف الاخوية بكل انشراح

وما وصل الي مرسليا حتى بعث برسالة برقية الى صديقه الحميم وصديق مصر والمصريين المأسوف عليه المسيو برشيه لينتظره على محطة باريس ولما وصل اليها رتب اعماله مع ذلك الرجل العظيم المخلص فى عمله نحو مصر والذى كان يعجب به الكثيرون من ابنائها أيما اعجاب

واول عمل عمله المترجم في هذه السياحة ان استعد لخطاب عظيم جمع فيه كل مساوىء الانكليز وقصد القاءه فى برلين عاصمة المانيا ولكنه بعد ذلك عدل عن رأيه لانه شعر بأن بلاغة الخطيب لا تؤثر فى سامعيه الا اذا كانت بلغتهم

واغلب الالمان يجهلون اللغة الفرنسية

وقد كتب الى رحمه الله خطابا من باريس فوصلنى فى فريج احدى قرى مركز المحس بمديرية دنقلة هذا نصه :

« اخى الاعز حرسه الله

أقبل وجنتيك الفا واهديك اشواقا لاقدرة لقلمى على تكييفها . وبعد فقد وصلت الى باريس أمس فاستقبلنى المسيو برشيه الذى كان فى انتظارى بالمحطة استقبالا جميلا وقد قصدت في الحال الفندق ورتبت أعمالى وفى عزمى أن ألقي خطبة ببرلين .

تركت مصر وأنا متألم من الكثيرين الذين كانوا يتظاهرون بالوطنية الكاذبة حتى اذا أصابك حادث الجيش جبنوا وقرعونى تقريعا سيؤاخذهم عليه الوطن في يوم من الأيام . ولكنى من جهة أخرى مرتاح جداً للاقبال العظيم الذى صادفته في نشر كتابى « مصر والاحتلال » فأن القوم اقبلوا عليه اقبالا كبيرا لم يحلم به اكبر المؤلفين بمصر . وفى هذا أقوى دليل على ان الوطنية الحقيقية كامنة فى القرى اكثر منها فى العواصم

وأؤمل أن يصل اليك خطابى هذا فيجدك قد شملت بعفو الخديوى وعدت الى مرتبتك الأولى . لأن سموه قد وعدنى وعداً صادقاً انه سينظر فى مسئلتك قريبا . وانى لمنتظر من مصر هذا النبأ السار بصبر نافد

لا تتأخر عن مراسلتى (وقد ذكر هنا عنوانه) ولا تقطع خطاباتك عن العائلة لتطمئن السيدة الوالدة التى قاست بسبب مسئلتك أشد الآلام والتى لا تزال مريضة بسببها وهي تنتظر رؤيتك فى أقرب آن وانى أوصيك ان لا تقدم استعفاءك مرة أخرى اذا نلت العفو الا اذا وضعت الحرب اوزارها لأنه ليس ببعيد على المحتلين وهم من الظلم على ما عرفت ان يجددوا آلامنا مرة أخرى .

ولكن هذا لا يمنعك من اخبارى اذا وجدت الفرصة سانحة والقانون العسكرى يسمح لك بذلك

وارجو منك أن ترسل الى اسماء الضباط والجنود الذين ساعدوك في غمك مهما كان عددهم حتى استحضر لهم معى من أوروبا ما يليق بمقامهم ومروءتهم من الهدايا

ولا تتخلّ عن القيام بأداء الصلاة فأن صلاحك واخلاصك للخالق سيشفعان لك عنده وانت المظلوم وسيقتصّ بعدله من الظالمين

لو كان فى بلادنا أيها الاخ المحبوب مجلس نيابى ما كنت وقعت في هذا الشرك الغادر ولكان التحقيق أعيد مرة أخرى. هذا ما يقوله اليوم كل فرنساوى من اصدقائنا هنا

وفي الختام اسألك أن تكتب لى طويلا وسأخبرك بكل شيء دمت لاخيك المخلص مصطفى كامل »

باريس الجمعة ٧ اغسطس سنة ١٨٩٦

*
* *

ماجاء يوم ٣١ اغسطس سنة ١٨٩٦ حتى احتشد المصريون والعثمانيون وكبار الفرنسيين الذين كان المرحوم قد دعاهم للاحتفال بعيد جلوس جلالة السلطان الأعظم فى « جران اوتيل » وقد القى خطاباً قال فيه !

« اننا اذا كنا نحتفل اليوم بعيد جلوس جلالة السلطان فأنما نحتفل بالراية العثمانية الاسلامية . هذه الراية التى تضم

تحت ظلها الوارف مئات الملايين من المسلمين وعشرات الملايين من المسيحيين والأسرائليين

وانه اذا كانت بلاد الدولة لم تدخل الى الآن في الدور الذى يرجوه لها كل محب لرقيها فأنها لا بد ان تدخل فيه قريبا متى استتب الامن وعرف الارمن وغيرهم من سكان البلقان التابعين لحكم الدوله ان الجزء مهما ناوأ الكل لا بد ان يغلب مهما كانت قوته وانه من الخرق فى السياسة ان يطلب الانسان لوطنه السعادة ثم يعمل بنفسه على شقاء هذا الوطن !

الم يكن في مناوأة الارمن وغيرهم للدولة ما يدعو الى اضعافها فيخسرون من وراء هذا الضعف ما هم فيه اليوم من هدوء ونعيم ؟ الم يكن فى قيام عنصر من الامة ضد بقية عناصرها حرب داخلية ؟ وقد علمنا التاريخ كيف ضاعت الممالك وبادت الامم !

انهم ينشرون فى الملاء الاوروبى مفتريات كثيرة ضد الدولة العلية وعلى الاخص ضد شخص جلاله السلطان ! وهل بهذه التخرصات الفارغة ترقى الدولة وتحجب عنها غياهب

الظلم اذا كان هناك ظلم ؟؟

انهم يقولون ان المصريين وفى مقدمتهم « مصطفى كامل » عمي لا يفقهون حال الدولة ومبلغ ما هى عليه من الظلم وان قوماً هذا شأنهم يجدون الظالمين لا يستحقون رحمة ولا عطفا ولا هم جديرون بتحرير بلادهم وسيادتهم فيها !!

عجبا ايها السادة لاولئك الافاكين الذين يريدون بهذه الافتراآءات والاكاذيب ان ينسفوا بلاد الاسلام من الوجود بأثارتهم الفتن التى تودى بجسم الدولة وتسيل دم الابرياء بلا حكم عادل ولا رحمة بشريه !

عجبا لاولئك الذين يرون الظلم في الشرق ظلما فاحشا ولكنهم يرونه فى الغرب جنة ونعيما !

عجبا لهم يتهمون المصريين بالانتصار للظالمين ونحن نرى انهم هم الظالمون ! ليقولوا لنا كيف تدخل الدولة فى دور الاصلاح اذا كانت محاطة بسلسلة من الحوادث كلما اجتازت حلقة من حلقاتها دخلت مضطرة فى الحلقة الاخرى !

ان الدولة العلية لم تجد فرصة تعمل فيها لخير الرعية غير

الحرب الدائمة وبقاء البلاد تحت الاحكام العرفية !

انى ايها السادة اقرأ عليكم هنا فقرة من كتاب وصلنى من احد اماجد الاتراك الذين يعيشون هنافى باريس دفاعا عن الحرية المبتغاة وقد اعتذر فيه عن الحضور بهذه الحفلة (لعله احمد رضا بك رئيس جمعية تركيا الفتاة) وهذانصها :

« اني ايها الاخ كنت احب انا اكون فى حفلتكم لان تمجيد الاعياد الوطنية امر مقدس عندنا وانى أرجو منك ألا تفتكر في التقصير او ان كره جلالة السلطان هو الذى حال دون حضورى ولكنه المرض المسبب عن الآلام الوطنية الناشئة من جهل مواطنينا الارمن وغيرهم هو الذى حجبنى من ايام عن الخروج من غرفتى

وانه لمناسبة ذكر المنشقين منا على انفسهم الخارجين علينا اذكرك بأنه اذا دامت اليد الاوروبية تلعب فى صفوفنا فأن مصيرنا سيء وسترى اوروبا بأسرها يوما تقشعر منه الابدان يوم ان يجبر التركى على ترك اوروبا .

فدافع ايها الاخ عنا ما استطعت فأنك مدافع في الخارج

ونحن مدافعون عن حقوقنا فى الداخل وكلانا يعمل لسلامة المملكة وبلوغها الامنية العالية التى تصبو اليها نفوسنا جميعا . . »

هذه ايها السادة فقرة من كتاب ذلك الاخ الشهم اعتذر فيها عن الحضور واظهر آلامه الوطنية بعبارة وجيزة مؤثرة وسألنا الدفاع من طريقنا لانه نافع كما يعتقد مثلنا .

وانى اراني فى حاجة لان اشرح لكم قوله « تدافعون في الخارج » فأنه على ما ارى بمثابة رد على اولئك الذين استأجرهم الأنكليز ليتهمونا بتعضيد من يسمونهم ظالمين !

نعم ايها السادة ان كل امة فى حاجة لمدافعين في داخلها عن حقوقها امام السلطة التى تحكمها ومدافعين خارجا عنها ضد الطامعين فيها الساعين فى هدم كيانها

فنحن ايها السادة اذا لم نتكلم عن داخلية تركيا فذلك ناشىء عن سببين . الاول اننا نجهل كثيرا حالتها لاننا لا نعيش فيها وليس امامنا الا شىء واحد وهو الحكم المطلق . الثانى اننا اخترنا احد الدفاعين عنها وهو الدفاع فى الخارج لنقوم بالثانى

وهو الدفاع الداخلي عن مصر التي هي وطننا والتى نعرف من احوالها ما يعرف اخواننا الاتراك من احوالهم !

وكذلك ايها السادة يكون من الطفولة والخرق فى السياسة ان نطعن على دولة هي السيدة علينا وفى يدها اضرارنا بأزاء الاحتلال البريطانى الرايض فى بلادنا ليفترسنا . هذه النظرية لا تحتاج الى برهان فقد علمتنا الايام كيف ننظم صفوفنا ونعلق الآمال بمن احسن الينا

ان الدولة العلية لم تظلمنا يوما والذين يذكرون حكم المماليك لا يعرفون شيئا من التاريخ لانهم ما كانوا من رجال الدولة بل هم لصوص وجدوا من ضعف ولاة مصر مسوغا لجرائمهم التي ارتكبوها وشوهوا بها وجه الانسانية . انظروا الى القرن التاسع عشر الذى نعيش فى آخره هل الدولة العلية اعتدت فيه على معاهدة اوأخلت باتفاق وضع بينها وبين مصر !

الا ان الحق واضح ايها السادة لا يحتاج الى دليل ولسان الحقيقة ينادي بأن المصريين فى حاجة لدولة شريفة كالدولة العلية التي امتنعت عن كبح جماح الثورة العرابية بدعوة ان دخول

جنودها فى مصر مخل بشرفها ووعودها وما اخذت على نفسها من عهود ومواثيق

الا بارك الله فى الدولة ونصر سلطانها وايد ملكها حتى نستفيد من قوتها ونعمل معها باخلاص .

ايها السادة

انى اذا خاطبت في ختام كلامي فأنما أخاطب اخوانى المصريين وارجو منهم بالحاح ان لا يلتفتوا لنفاق المنافقين ولا لاقوال الأعداء وليستمروا على التمسك بحب الدولة والاخلاص لها فان مصر بدونها ضائعة لا محالة ولا سبيل لنصرتنا الا اذا تمسكنا بها بصفتنا مصريين وطنيين واحترمنا سلطانها الذى هو سيدنا وخليفتنا نحن المسلمين فقولوا معي بصوت الوفاء

ليعش السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين وسلطان العثمانيين . ولتعش دولة آل عثمان . ولتعش الحرية في سلام » ... اه

ما نطق المرحوم بهذه الكلمات حتى دوت اركان القاعة باصوات الهتاف والاعجاب مردّدة نداءه وكأن زفرات

القلوب كانت تتكلم من شدة الاخلاص وقوة الحب

وقد قام بعد أن فرغ المترجم من هذا الخطاب الرنان المسيو ايتن سردم احد نواب فرنسا والقي خطاباً نفيساً قال فيه بعد ان شرح علاقة فرنسا بمصر والدولة العلية ما نصه:

« ان اليوم الذي فيه تذهب المناوآات العثمانية الداخلية يحل محلها الدستور والحرية . وأملي أن يكون ذلك قريب الوقوع . . »

قال ذلك النائب هذا القول وكأنه كان يتنبأ بما حدث فى هذا العام .....

وقد انصرف الجمع مسروراً مما لقى بعد ان ارسل لجلالة السلطان تلغراف تهنئة بلسان عموم المصريين والعثمانيين القاطنين فى باريس . وقد جاء الرد فى اليوم التالى على المرحوم من باشكاتب المابين بأن تهنئتهم نالت قبول وممنونية جلالة السلطان .

وقد نشرت الجرائد والتلغرافات العمومية تفصيل الاحتفال كما أرسل هافاس الى أركان المعمور تلغرافا به هذا

تعريبه !

« باريس فى ٣١ اغسطس سنة ١٨٩٦

عقد المصريون الموجودون هنا اجتماعا للاحتفال بتذكار عيد الجلوس السلطاني وقد القي «مصطفى كامل» خطابا نفيسا اثبت فيه ان سلامة مصر متوقفة على حسن علائقها بالدولة العلية . وقد عقبه المسيو « ايتن سردم » احد نواب فرنسا وتكلم على علائق فرنسا بمصر وتركيا وشرح ما يعتقده من انه متى هدأت العناصر عن مشاغباتها فى تركيا يرفرف علم الدستور والحرية على ربوعها »

مصر وفرنسا

حديثان مع المرحوم

الحديث الاول

انتهزت جريدة الليبر بارول الفرنسية الشهيرة فرصة وجود المرحوم في باريس واوفدت اليه أحد محرريها لمحادثته

وقد كتبت فى عددها الصادر يوم الاثنين ٧ سبتمبر سنة ١٨٩٦ ما تعريبه :

ان حوادث الاستانة بفتحها باب المسئلة الشرقية لفتت الانظار الى حالة مصر : فماذا يظن المصريون الآن ؟ وماذا يؤملون ؟ وما مصير مقام فرنسا على شواطىء النيل ؟

ولقد رأينا ان رأى مصرى على هذه المسائل كلها يكون مفيدا للغاية ولذا انتهزنا فرصة وجود « مصطفى كامل » فى باريس الآن لنسأله رأيه فى هذا الشأن . وهو كما لا يخفي على القراء ذلك الشاب المشهور بقوة دفاعه وشدة غيرته على استقلال مصر . وهاهي التصريحات التى صرح بها هذا الوطنى المصرى وانها تعتبر بحق ترجمة احساس الامة المصرية بأسرها

ماذا يرى المصريون الآن في مسألة بلادهم ؟ ؟

« ان المصريين لم ييأسوا من الخلاص ولكنهم ينظرون الى المستقبل بقلق شديد فأن أعمال انكلترا ومطامحها على شواطيء النيل اصبحت مشهورة عند كل انسان وليست

مسئلة مصر اليوم بمسألة الاحتلال المؤقت بل اصبحت مسئلة ترك مصر للانكليز

فهل تترك أوروبا وطننا لانكلترا ام ترده الينا ؟ اما كره المصريين للاحتلال فيتزايد من يوم لآخر . وقد علمنا الآن حق العلم أن انكلترا تستعمل كل الوسائط بما فيها « الشرف البريطانى » للوصول الى غايتها فى مصر وليس لها من غاية هناك سوى الاستيلاء على بلادنا

وان الامة المصرية اما كنة اليوم سكوتا جيداً وصابرة صبراً جميلا ولكن لا اعرف ماذا يمكن أن ينشأ عن حقدها الشديد على الاحتلال والمحتلين »

وماذا يظنونه فى فرنسا بمصر ؟؟

« يسوءني أن أقول لك جوابا على سؤالك ان احترام فرنسا فى مصر أصبح الى حد معلوم وهو ان لم يكن يتناقص فانه لا يزيد واننا ما شاهدنا من فرنسا فى مصر منذ أربعة عشر عاما الا فشل سياستها المتكرر فمثلا حينما تقررت حملة دنقلة كنا معتقدين ان فرنسا تعمل «عملاما» ضد هذا القرار .

وقد انتظرنا ذلك ولا نزال ننتظر !!!

واني أعلم ان فرنسا لا يمكنها ان تعلن الحرب لاجل مصر ولكن مع ذلك اظن انها مع محافظتها على السلم وبمساعدة الروسيا يمكنها أن تعمل كثيراً . وفضلا عن ذلك فمن عادة الانكليز — وذلك امر مشهور — ان ينصاعوا ويطأطئوا رؤوسهم متى كلمهم خصمهم بصوت عال »

وماذا يرى مسلمو مصر فى أوروبا ؟

« يرون ان أوروبا متعصبة ضدهم . اذ أنها فى كل المسائل المتعلقة بالمسيحيين تنفعل وتجتمع وتتفق للعمل فى مصالحهم وتعرف عندئذ الانسانية والمدنية والحق واعتراف المعاهدات . ولكن عندما يكون الامر متعلقاً بنا معشر المسلمين فالانسانية والمدنية والحق واحترام المعاهدات وكل شيء من هذا القبيل تجهله اوروبا !!!!

لماذا تجبر أوروبا الدولة العلية على احترام المادة «٦١» من معاهدة برلين « المتعلقة بالارمن » ومعاهدة هاليبا « المتعلقة بالكريديين » ولا تجبر انكلترا على احترام المعاهدات

المختصة بمصر ؟؟؟

هذا وقد تكلم معنا مصطفى كامل بعد ذلك على تجريدة السودان والوسائل التى يستخدمها الانكليز للحصول على المال اللازم وسنعود للكلام فى هذا الموضوع مرة أخرى

والذى يستنتج بكل وضوح من كلام هذا الشاب الفاضل والوطنى المصرى هو خيبة سياستنا فى مصر. مما يحملنا على القول بأن وزراءنا فى كل امرهم اقل مما يجب أن يكونوا ! » .. اه

الحديث الثانى

وكذلك نشرت جريدة (الاكلير) الفرنسية الشهيرة فى عددها الصادر بتاريخ ١٥ الجاري تحت عنوان (حديث مع مصطفي كامل) ما تعريبه :

« دخل الانكليز مصر القاهرة فى يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ومضى عليهم ١٤ عاما لم تسألهم أوروبا فيها الجلاء عنها احتراما لوعودهم المؤيدة لذلك بعد توطيد الامر الا بكل فتور وبلا جدوى

قد تكوّن في بلاد مصر — التي هي الصلة بين آسيا وافريقيا والتي اصبحت بوضعها الجغرافى وبمدنيتها الزائدة عن عن مدنية غيرها من البلاد الاسلامية قلب الاسلام — حزب وطنى على رأسه رجال تربوا فى أوروبا وعلى الخصوص فى فرنسا

ولقد ادرك الوطنيون المصريون بمهارتهم الشرقية اسرار السياسة الاوروبية وعرفوا الاسباب الحقيقية التى تجعلها عاجزة عن العمل على تخليص بلادهم . واخذ يتلاشى من نفوسهم أملهم فى الخلاص على يد الدول الاروبية . ولكن كانوا حزب صبر وانتظار . ولا يبعد أن يصيروا يوما من الايام حزب اعمال ذات تأثير فعال.

واننا تقابلنا مع (مصطفى كامل) الذى هو من أشد الوطنيين المصريين غيرة والذي هو ترجمانهم فى أوروبا والناطق عن لسانهم وقال لنا ما يأتى معبراً عن احساساته واحساسات ابناء وطنه بشأن تذكار ١٤ سبتمبر (أى تذكار دخول الانكليز مدينة القاهرة)

«١» يوم ١٤ سبتمبر !

أى تذكار محزن ! وأى ذكرى تعسة مؤلمة ! ؟

لقد مضى على الامة ١٤ عاما وهى مقهورة مضغوط عليها من قوم يلقبون أنفسهم بمدينى العالم. وان الانسان عند ما يفكر ان الانكليز مضى عليهم أربعة عشر عاما وهم يهدمون كل بنيان فى مصر ويحاربون أوروبا والمدنية الاوروبية على شواطيء نهر النيل ويقوضون أركان نفوذ فرنسا واحترامها ويقهرون المصريين. كل ذلك ودول أوروبا ما عملت ولم تعمل شيئاما ضد الاحتلال. يظن ان أوروبا تلاشت من على وجه الارض وان لا وجود لها اليوم

وليس تذكار ١٤ سبتمبر تذكار حداد للامة المصرية فقط بل هى أيضاً - واسمح لى أن أقول لك ذلك — عار وخجل على سياسة أوروبا ومدنيتها

« ٢ » سياسة الانكليز فى مصر

سار الانكليز فى مصر من عام ١٨٨٢ الى اليوم على سياسة واحدة ما تغيرت قط. وهي هدم السلطة الخديوية

والاستيلاء على الادارة المصرية مع العمل ضد اوروبا عامة وفرنسا خاصة ولقد كان من سكوت اوروبا ان صارت انكلترا تبالغ في التعدى على الحقوق فهي تعلن اليوم على السنة جرائدها انها تريد شراء الدين المصرى كله والغاء المحاكم المختلطة وكل النظامات الدولية ليسقط بالمرة كل حق لاوروبا في مصر

ولم يكتف الانكليز بالتعدى على حقوق اوروبا ومصر بل تعدوا ايضا علي المسلمين فهم ينشرون بلغتنا رسائل الطعن على الدين الاسلامي ويوزعون في المدارس كتبا تحقر الرسول محمدا (عليه الصلاة والسلام) ويستأجرون جرائد تطعن ليلا ونهارا على المسلمين وخليفة الاسلام

ولقد علم كافة الناس اخيرا ان اثنين من الاهالى حكم عليهما بالسجن ثمانية عشر شهرا لانهما سبا ملكة الانكليز فهل عملا شيئا خلاف الجارى في مصر ؟ كلا لان محررى جرائد اخرى « يختلفون عنهما بانهم ليسوا بمصريين وانهم يحتمون بالانكليز » طعنوا قبلهما ولا يزالون يطعنون اشد الطعن

على سلطان مصر الذى هو خليفة الاسلام . فلماذا عوقب الطاعن فى ملكة الانكليز ولا يعاقب الطاعنون على جلالة السلطان ؟ على انه يجب ان يحترم جلالة السلطان فى مصر اكثر من اي ملك كان لانه سلطانها الشرعى الذى لا يعارض احد فى سلطته الشرعية

وقد يطول بى الكلام اذا اردت ان اعدد لك اعمال الانكليز ضد المسلمين وان آخر مثل حاضر في الاذهان هو مسئلة الجامع الازهر

«٣» اوروبا ومصر

ومن يوم ان سلمت مقاليد امور مصر لمحمد على الكبير دخلتها المدنية الاوروبية وسارت في طريق التقدم معتمدة على اخلاص اوروبا والاوروبيين نحوها ولما دخل الانكليز بلادنا لم يكن فيها يومئذ مصرى واحد يمكنه ان يظن ان دولة متمدينة مثل انكلترا تعمل ضد تعهداتها وعهودها بل كان المصريون كافة معتقدين اعتقادا ثابتاً ان انكلترا تسحب عساكرها على أثر اخماد نيران الثورة واستتباب الامن فى البلاد

غير اننا نرى الامن توطد من سنين والانكليز لا يزالون محتلين ! ومن ذلك الحين فقد الانكليز ثقة المصريين . وفقهنا جميعا كنه اغراضهم ولكن اوروبا لم تفقد ثقتنا بها بل لبثنا معتمدين عليها مؤملين الخلاص على يديها . ولهذا اليوم ما عملت شيئاً مذكوراً وقد كادت ثقتنا بها تزول شيئاً فشيئاً

ولقد اصبح اليوم كثير من المسلمين (الذين كانوا فيما قبل اعظم اصدقاء أوروبا) يعتقدون ان أوروبا تحارب المسلمين كافة وبدون استثناء حربا صليبية في شكل سياسي وفي الواقع ان أوروبا حررت في القرن التاسع عشر امما مسيحية عديدة ولم تحرر امة واحدة اسلامية . وان مصر التي هي مجمع المسلمين ومحط رحالهم والتي تضرب للامم الاسلامية كافة مثال الاعتدال الديني والاتفاق الحسن مع الاوروبيين يجب ان ترد اليها حريتها

واننا نرى ان أوروبا لا تعمل ولا تتأثر الا بالجرائم والمذابح فهل تريد ايضا من المصريين ان يستعملوا هذه الاسلحة الدموية لينالوا الحرية والخلاص ???

انه لقد اصبح من الامور البديهية بل من الحقائق التى لا تنكر ان اوروبا اذا تساهلت وتركت الانكليز فى مصر بعض زمن ايضا كانت الحافرة بيدها لا عمق حفرة بين المسلمين والمسيحيين وكانت المعرضة بنفسها صوالحها وابناءها الى الخطر

« ٤ » المصريون والخديوى

مما ذكرت لك تفهم مقدار حقد المصريين على المحتلين ذلك لان الاحتلال مبغض من العموم سواء فى المدائن او فى الارياف

اما مايختص بالخديوي فمهما اراد خصومه بما يقولوه عنه كن واثقا من انه لا يزال محبوبا عند الامة فكلنا جميعاً معشر المصريين نعلم مقدار وطنيته وما خطته الحالية على ما أظن الا انتظار ظروف اوفق من الظروف الحالية ليستعد احسن استعداد للوثوب والنزال لاسترداد الحقوق المهضومة

وانه اذا اعلن فى يوم ساعة انقاذ الوطن تسير وراءه الامة المصرية كلها بلا اقل تردد . اهـ

*
* *

المستر غلادستون

(مرة اخرى)

يذكر القراء ما كان قد دار بين المرحوم وبين المستر غلادستون احد رؤسا الوزارة الانكليزية مما ذكرناه فى الجزء الرابع من هذه السيرة الوطنية ويعلمون ايضا ان المترجم لم يقتنع بما جاءه من ذلك الرجل السياسى الكبير فكتب اليه مرة اخرى الكتاب الذي ذكرناه فى محله بالجزء الرابع ايضا ولما رأى المرحوم انه لم يستلم منه ردا على كتابه الثانى ارسل اليه كتابا ثالثا وهو فى باريس هذا تعريبه :

« باريس فى ٢٨ ستمبر سنة ١٨٩٦

ايها السيد العظيم الاحترام

ان الذى يخاطبكم اليوم هو مصرى تشرف من قبل بمراسلتكم . ولما شرفتمونى فى شهر يناير الماضى بجوابكم الذى صرحتم فيه « بأن الجلاء عن مصر قد حان منذ اعوام »

كتبت اليكم ارجو منكم باسم الانسانية والشرف البريطاني ان تلقوا خطبة على مصر تذكرون فيها حكومة المملكة بأن هناك معاهدات يجب احترامها على شواطىء النيل . فلم يصلني جواب ماوحسبت ان رجائي لم يؤثر أقل تأثير على روحكم الشريفة الكريمة

واليوم أرى مع الاسف انكم لا تميلون الا الى المسيحين من بني الانسان . او ليس لنا حق كذلك معشر المصريين المسلمين في دعوا كم المؤثرة ونداءكم القوى ؟ اما انا فاظن ذلك . وخصوصا لانكم بدعوتكم للجلاء عن مصر لا تدافعون عن حقوق أمة متمدينة معتدلة فقط بل أنكم تدافعون كذلك عن مقام بريطانيا وشرفها

وان اليوم الذي تدافعون فيه عن مصر تستميلون اليكم ولا محالة كل المسلمين الذين يعتقدون الان أن دفاعكم عن الارمن انما هو تحيز للنصرانية ودفاع عنها لا عن الانسانية

وعلى هذا أؤمل أن تعيروا رجائي التفاتكم ورعايتكم ومع انتظاري لجوابكم أرجو منكم ايها السيد العظيم

المقام أن تتفضلوا بقبول صادق اعتبارى وعظيم احترامى
مصطفى كامل»

رد المستر غلادستون

فأجابه المستر غلادستون بما تعريبه :

٣٠ ستمبر

« سيدى العزيز

انى لا اظن انه وصلني منكم كتاب من غير ان اجيب عليه اما احساسى ورأيي فى مسئلة الجلاء عن مصر فقد صرحت بهما لجناب مسيو وادنجتون — سفير فرنسا فى لندره اذ ذاك — اذ قلت له ان حكومة سنة ١٨٩٢ (أي الحكومة الانكليزية التى كان يرأسها هو) مستعدة للمناقشة فى هذه المسئلة . ولكن الحكومة الفرنسية لم تجب بأى جواب مدة وجودي فى الحكومة

والان بصفتى أحد الافراد اراني مجردا من كل سلطة

تتيح لى التداخل في هذه المسئلة

وفى الختام أتشرف بأن اكون منكم العظيم الاخلاص الخاضع

و . غلادستون»

هذا ومن المفيد ن نثبت هنا صورة هذا الرد بخط المستر غلادسور نفسه ليكون اثر اتاريخيا . . . . كما اثبتنا فى الجزء الفائت صورة الكتاب الاول لذلك السياسى الكبير

Dear Sir I am not aware of possessing or of having received any uncanswered letter from you. My statements respecting the evacuation of Egypt and I declared to H. Ex. Mr. Waddington the readiness of the Government of 1892 to discuss that subject but no reply from the French Government arrived while I was in office, and I am now as a private person wholly void of any power to intervene in this matter.

I have the honour to be
Your most faithful Servt.

W E Gladstone
S. 30. 96

الجرائد الاوروبية

﴿ والمستر غلادستون ﴾

ماعلمت شركة هافاس بهذا الردحتي نشرته في الآفاق وقد علقت عليه الجرائد الاوروبية تعليقاً طويلا نقدم منه مثالا للقراء

جريدة الاكاير

قالت هذه الجريدة الفرنسية الطائرة الصيت ما تعريبه:

« ان ما اختتم به المستر غلادستون جوابه بقوله « لاسلطة له تمكنه من التداخل في مسئلة الجلاء عن مصر » ليس بالقول الحر والكلام الصريح الخالى من الغش . وان الناس يتعجبون ويذهلون من ذلك التصريح الصادر عن المستر غلادستون والفكر البارز من قريحته والمخطوط على القرطاس بيراعه وبنانه وكيفما كانت الحال فأن ذلك الامر الذى اختتم به رسالته لم يمنعه من أن يبدي حديثاً مشورات ونصائح للحكومة الانكليزية والحكومة الفرنسية أيضاً باقوال عليها

رواء البلاغة ومسحة التمثيل. فلماذا اذن يظهر الجسارة والاقدام حينما يكون فى المسألة جرامتين الى سياسة ضغط وعنف وربما جرهما الى حومة الوغى وساحة الحرب لنصرة الارمن ونجدتهم ولكنه يظهر الجبن والخوف العظيمين حتى أنه لا يتجرأ على ان يرفع صوته لنصرة المصريين على حين انه قد اعترف مرارا عديدة بعدل مطالبهم وصحة شكاويهم . أفلا يكون ذلك لان الهياج بشأن الارمن واثارة الافكار والخواطر لهم يخدم اطماع انكلترا خدمة فعالة ويساعدها على نيل مآربها ورغائبها من الدولة العثمانية على حين ان الهياج بشأن مصر لا يؤدي الا الى اظهار سوء نيات الانكليز بلاجدوى وعليه لا تكون انسانية المستر غلادستون المشهورة كما قال مصطفى كامل الا انسانية « مسيحية محضة » بل هي أقل من ذلك أى أنها انكليزية بريطانية. الا انه يجب ان تقال الحقيقة نفسها في هذا المقام ولا سيما للرجال العظام ذلك أن الناس يرتابون منذ زمان فى تلك الغيرة الانسانية والحمية البشرية »

جريدة الديبا

قالت ما تعريبه :

« أن المستر غلادستون الذى كتب أخيراً كتابا يدعو فيه الامة الفرنسية الى التظاهر بغيرة اشد مما هى عليه انتصارا لمسيحيي الارمن دعاه — اذ جاء له الدور — رجل مصرى للدفاع عن أمة أخرى مقهورة ! !.

وبيان ذلك ان مصطفى كامل المصري الوطنى كتب اليه كتاباً يقول فيه انه يجدر بشيخوخته النشيطة أن تعمل لتحرير بلاد مصر وردها الى اهلها من ايدي الانكليز محتليها بلا حق. وأن تكن المشابهة بين مسئلة مصر ومسئلة الارمن مليحة اكثر مما هي صحيحة

ولقد أجاب المستر غلادستون مصطفي كامل فاعلمه انه لما كان رئيس حكومة الاحرار سنة ١٨٩٢ داول فرنسا فى الشأن . وهو يقول أنه عرض على مسيو وادنجتون المناقشة فى المسئلة المصرية ويقول ان الحكومة الفرنسيه هي التى اغفلت هذا الامر ولم تجبه على طلبه بشيء ما

وانا نعلم كيف كان عرض هذه المناقشة يومئذ ولكن الخطبة التي القاها المستر غلادستون نفسه في البرلمان اذ ذاك بصفته الوزير الاول لانكلترا تجعلنا نحكم الآن بان حكومتنا كانت تضيع زمنها سدى لو تخابرت مع المستر غلادستون في هذه المسألة

ومع هذا فاذا كان المستر غلادستون لايزال يعتبر لزوم المداولات ويرغب في أن تحافظ انكلترا على عهودها وتقوم بوفائها فلماذا نراه لا يقبل رجاء مصطفى كامل بل يعتذر لنفسه بأنه فرد من أمته مجرد عن كل سلطة ككل افراد الانكليز!

نعم ان هذا القول يعد تواضعاً ممدوحاً ولكن هل الصوت الذي ارتفع للدفاع عن الارمن فهاج خواطر الانكليز غير قادر على ان يقول الحقيقة بشأن مصر ؟؟ »

كاتب سياسي في الاكلير

وكتب مسيو (الفونس هومبير) الكاتب السياسي الطائر الصيت والنائب عن مدينة باريس في مجلس نواب فرنسا الى جريدة الاكلير الفرنساوية الشهيرة ما ترجمته بالحرف

الواحد !

« لقد لعب احد رجال النابتة المصرية ـ مصطفى كامل ـ المشهور بنشاطه العظيم لعبة متقنة للغاية على الشيخ الموقر غلادستون . اذ كتب اليه يسأله ان يجود على امم وادى النيل الاسلامية المقهورة تحت النير الانكليزي ضد التعهدات العلنيه بشيء من تلك الفصاحة الشديدة التي يتكرم بها عن سخاء تام على الارمن المسيحيين

وقال له في كتابه مامعناه هل تقف اذاً انسانيتك عند المسيحيين ؟ الا تشمل الاخوة المسلمين ؟ هل اختلاف الاجناس والاديان يحملك على استعمال القوة البهيمية وتبرير مخالفة التعهدات والوعود العلنية ؟

ولقد رمى مصطفى كامل بكتابه رمية ذي النظر السديد وكان يجب ان يكون الجواب على كتابه قطعيا كما طلب ـ اى انه كان يجب على المستر غلادستون ان يقبل رجاءه ـ ولكن ذلك لم يكن . فان المستر غلادستون كتب اليه يقول « انه بصفته احد افراد الامة الانكليزية مجرد عن كل سلطة

تبيح له التداخل فى هذه المسئلة »

وان هذا الـ ول ليس بصريح ولا بمقبول ألبتة فان المستر غلادستون يدهش العالم اجمع اذا كان يعتبر نفسه فرداً من مطلق افراد الامة الانكليزية واذا كان يظن ان ليس له فى وطنه مكانة غير ما لكل فرد من عامة قومه

وعلى كل حال فهذا الاعتبار لم يمنعه من ان يلقى فى الايام الاخيرة بكل بهرجة نصائحه على الحكومتين الانكليزية والفرنسية

وليت شعري لماذا نراه عاملا نشيطاً عند ما يكون الامر الذى يدعو اليه متعلقاً بتسيير أمتين عظيمتين (الفرنسية والانكليزية) على سياسة قهرية الى مهاوي أخطار الحرب . وكل ذلك لاجل نصاري الشرق . ثم نراه هو ذاته خجلا لايستطيع ان يرفع صوته لاجل مسلمى مصر مع انه اعترف مراراً بأحقية مطالبهم ???

اوليس ذلك لان الدفاع عن الارمن والـ ـسيج ـ وهو الامر الذي يفضى الى اخطر الحوادث وربما نتج عنه تقسيم

لمملكة العثمانية ـ يخدمان مطامع الانكليز الآن اجل خدمة
في حين ان الدفاع عن مصر لا يظهر غير سوء نية الانكليز

وعلى ذلك فمحبة غلادستون للانسانية ـ تلك المحبة
الشهيرة ـ ليست كما يقول مصطفى كامل مسيحية محضة بل
هى اقل من ذلك رتبة وانما هي «انكليزية»

وانه يلزم الانسان ان يقول الحقيقة دائماً وعلى الخصوص
لعظماء الرجال. ولقد كان الناس يشكون فى حقيقة غلادستون
الي زمن قريب الا انها اصبحت ولا ريب فيها» اه

اما الجرائد الانكليزية فأنها كعادتها هزأت بهذا
الكتاب أيضا واعتبرته محاولة من المستر غلادستون يريد بها
ان لا يعطي للمترجم جوابا شافيا ... بخلاف الجرائد الفرنسية
فكلها ناقشته مناقشة حادة لأن جزأ منه يخص سياسة
حكومتها

*
* *

كتب الى المرحوم بعد ذلك خطابا وصلني بعد ان نلت
العفو هذا نصه!

« اخي الاعز . . . .

بعد التحية والتسليم والاعراب عن شوق عظيم .
استلمت كتابك الكريم وقد أدهشني وجودك للآن مجردا من رتبك مع ان جرائد مصر كتبت حوالى النصف من شهر اغسطس ان سمو الخديوى قد عفا عنك قبل سفره للاستانة !

املى انك ترسل لى تلغرافاً عندوصول هذا اليك لاقف على الحقيقة التى اطلب تحقيقها كما ابتغى

سياحتى في هذا الصيف كانت تكون جميلة لولا انى كثير البلبال بأمرك وهبك الله من لدنه فوزا عظيما

وقد كتبت امس كتابا ثالثا للمستر غلادستون كررت له فيه الرجاء ان يخدم مصر بالقاء خطبة كما خدم الارمن واعتقادي انه سيرد على هذا الخطاب

وقد عزمت ان اسافر الى برلين وفيينا ثم الى دار السعادة التى دعانى لزيارتها جلالة السلطان الاعظم على لسان دولة سفير باريس بعد الاحتفال بعيد جلوس جلالته

وفى الختام اسأل الله ان يمنحنى السعادتين سعادة انقاذ مصر التى نفديها بالارواح وسعادة لقياك مع الاهل فى اتم صفاء والله يديمك لاخيك المخلص

الثلاثاء ٢٩ ستمبر سنة ١٨٩٦ مصطفى كامل »

*
* *

سافر المرحوم من باريس الى برلين فى يوم الخميس ١٥ اكتوبر وقابل في الحال رجال السياسة والصحافة الذين عرفهم في العام السابق اعامه ذاك وعرفوه بآخرين لا يقلون عنهم في عالم السياسة أهمية .

وقد نشرت شركات البرق وفى مقدمتها شركة هافاس نبأ سفره الى برلين ومادار بينه وبين سياسيها بشأن مسئلة مصر

اما الجرائد الالمانية فقد استقبلته استقبالا عظيما وخصوصا جريدتا « ذى برلينر تاجبلاط » التى هي اكبر جرائد الاحرار المعدودة في منزلة جريدة الديلي نيوز الانكليزية و « ذى بوست » التى هى اكبر جرائد المحافظين وهي لا تقل عن جريدة « التيمس » فى انكلترا

حديث مع جريدة

« برلينر تاجبلاط »

اما جريدة « ذي برلينر تاجبلاط » فقد قالت بمناسبة وجود المرحوم في عاصمة الالمان ما تعريبه :

« لقد وفد على برلين فى هذه الايام اهم المشتغلين بامر تحرير مصر من الاحتلال الاجنبي وهو الوطنى المصرى الشهير « مصطفى كامل » الذى يكتب ويخطب في اوروبا منذ عامين دائب السير والعمل والجهاد فى سبيل مشروعه الشريف والآن قد جاء برلين لاستمالة شعبها نحو وطنه الاسيف

ومصطفى كامل هذا هو شاب فصيح جذاب اجتمع به أحد محررى جريدتنا وتحادث معه في مسئلة مصر وكانت المحادثة باللغة الفرنساوية حيث هو لا يعرف اللغة الالمانية

واليك الحديث الذى دار بين محرر جريدتنا وبينه :

(١) أترى اغلب المصريين كارهين للاحتلال الانكليزى

— نعم . نعم . حقا ان الامة المصرية لمتألمة كثيراً من اعمال الاحتلال الممقوتة وتؤمل من صميم فؤادها ان تخلص من ربقة هذا الاحتلال . وان الاحساس الوطني المنتشر في كل بلاد مصر وهو وان لم يكن في انتشاره وقوته كما هو عند الامم الاوروبية لكنه قوي ومنتشر لدرجة يثبت معها حب الامة لحريتها ورغبتها العظيمة في استرداد حقوقها المقدسة وان سكوت الامة المصرية لا يدل على شيء آخر غير اتصافها بالحكمة وتمسكها بالصبر

وقد يستدل بعض رجال السياسة في دول التحالف الثلاثي بالسكينة السائدة في مصر الآن على ان المصريين راضون بالاحتلال ويفتكر اولئك السياسيون انه لو كانت مصر تريد اجلاء الجنود الانكليزية عن ديارها لثارت من زمان ضدهم ولكن هؤلاء السياسيين مخطئون في هذا الاعتقاد اذ ان المصريين وطنيون صادقون المحبة لبلادهم واذا كانوا يبغضون الاحتلال بغضا شديدا فانهم كذلك يكرهون الجرائم والمذابح . اذاً فهم يريدون استرداد حقوقهم بالسكينة

والسلم وهم عالمون ان أوروبا المتمدينة لا تزال موجـودة فى العالم ولا نزال نحن معتقدين بها مؤملين فيها . ولـكن مع هذا وذاك لا انكر عليك انه اذا أهملتنا اوروبا زمنا طويلا ولم تجبر انكلترا على الجلاء فيضطر المصريون الى التظاهر بطرق آخرى غيرما لبثوا عليه السنين الطوال وحيئذ فليست المصالح الانكليزية هي التي تقع وحدها فى الخطر بل يلحق الضرر بالمصالح الاوروبية جميعاً

(٢) ماذا يظن المصريون فى خطة المانيا نحوهم وماذا ينتظرون منا ؟

لقد أمل المصريون دائما ان الحكومة الالمانية تنضم الى الدول التى لها صالح اكثر من غيرها في جلاء الانكليز عن مصر تصديقاً لتصريح البرنس بسمارك لسفير فرنسا فى برلين سنة ١٨٨٧ لما كان السير درومندوولف يشتغل في الاستانة ليتحصل على توقيع جلالة السلطان على الاتفاقية المشهورة بشأن مصر وهو قوله « ان الحكومة الالمانية مستعدة للعمل فى سبيل تحقيق الجلاء عن مصر » والمصريون

يعتبرون هذا التصريح من اهم التصريحات السياسية التى صرح بها من يوم ان احتل الانكليز مصر

وانى لا اظن ان استعداد الحكومة الالمانية للعمل فى سبيل تحقيق الجلاء الذى كان موجوداً فى سنة ٨٧ قد فقدته الآن ولو ان حملة السودان لم تقرر الا بعد رضى الحكومة الالمانية التى كانت تؤمل بتجريدها مساعدة حليفتها ايطاليا . بل يظهر لى انه من الامور المستحيلة قيام حكومة جلالة الامبراطور غليوم يوماً ضد حقوق مصر المقدسة

وها نحن نرى ان الحكومة الالمانية تعمل بالاتفاق مع الدول في مسئلتى الارمن وكريدوليس لها صالح مادي خاص فى هاتين المسألتين بل هى تعمل فيهما بقصد توطيد اركان السلام العام واحترام تنفيذ المعاهدات الدولية واذا كان هذا مقصدها الحقيقى فواجب ان تنظر لمصر . اذ لو أقام الانكليز فيها طويلا لتكدر ولا شك صفو السلام فضلا عن ان هناك معاهدات يجب احترامها أيضاً كما يجب حمل انكلترا

على احترامها

وانا نظن ان التحالف الثلاثى لو بقى على الحياد لا لنا ولا علينا لنبلغ مع ذلك امانينا لان انكلترا تبقى يومئذ منفردة امام الدولة العلية وفرنسا والروسيا – هذه الدول الثلاث التى تطالبها عندئذ ان تحترم عاجلا المعاهدات والعهود العلنية

(٣) الا تخافون ان فرنسا تغتال مصر اذا خرج الانكليز منها ؟

– كلا . فاني عرفت بكل تدقيق حقيقة احساس الامة والحكومة الفرنسيتين نحونا . وأقول جازما أن فرنسا مخلصة النية فى رغبتها لجلاء الانجليز عن مصر . اذن فهي لا تريد بأى صفة كانت احتلال مصر بعد خروج الانكليز منها وهى تقدر كفاءة المصريين حق قدرها وتعلم من جهة أخرى أن مصر بموضعها الجغرافي وبأهميتها السياسية لا يمكن امتلاك أى دولة اياها بل يجب أن تكون حرة وتبقى مفتوحة الابواب لتجارة العالم كله واصناعته

وان الانكليز يشيعون فى كل مكان أن الفرنساويين

انما يعملون للجلاء ليأخذوا محل بريطانيا في مصر ولكنها أكذوبة ساقطة وخبث النيـة ظاهر فيها جليا . فالانكليز بهذه الاكذوبة يريدون أن يغشوا المصريين وأن يبعدوكم أنتم معشر الالمانيين عن الدولة الراغبة للجلاء

واننا نؤمل أعظم الامل أنكم لا تغشون بالاباطيل حتى تساعدونا على استرداد حقوقنا الشرعية المسلوبة » . اه

وكتبت أيضاً هذه الجريدة فصلا آخر هذا تعريبه :

« من المفيد ان يعلم القراء اليوم خطة المستر غلادستون نحو المصريين خصوصا وان تذكارخطبته الاخيرة التي القاها فى ليفربول ودافع فيها أشد الدفاع عن الارمن لا يزال حاضرا فى الاذهان فلقد أرانا حضرة المصرى الغيور مصطفى كامل الذى نشرنا حديثه بالامس كل المكاتبات السياسية التى دارت بينه وبين المستر غلادستون « قد جاءت الجريدة المذكورة على نصها » ثم قالت وان خطة المستر غلادستون المملوءة شكا وريبا التى هى خطة اكثر السياسيين الانكليز تظهر جليا من هـذه المكاتبات فغلادستون الذى

يعمل منذ سنين بكل ما فى قوته واستطاعته لاجابة مطالب المسيحيين المحكومين بسلطة جلالة السلطان والذى يطعن اشد الطعن واقبحه على جلالته ليضطره الى قبول مطالب الارمن هو بذاته غلادستون — الذى هذه صفاته — نراه اليوم يختفى وراء ستار أعذار باردة عند ما طلب المصريون منه ان يذكر الحكومة الانجليزية باحترام المعاهدات وتنفيذ الوعود العلنية المختصة بمصر. تلك المعاهدات والوعود التى اخذتها انكلترا على نفسها امام اوروبا

وبديهي ان خطة غلادستون هذه وسلوكه الغريب مما امتاز به سواس الانكليز دون العالم. ويظهر منها انهم ليسوا بمخلصين نحو الارمن ولا نحو المصريين وانه لمن الأسف ان سيرى مصطفى كامل براهين كثيرة على سوء مقاصد الأنكليز نحو بلاده قبل ان تتحقق آماله الشريفة الوطنية » اه

ونشرت جريدة « الفيجارو » الفرنسية فى ١٧ اكتوبر تلغرافا وردها من لندره بتاريخ ١٦ منه هذا نصه بالحرف الواحد : .

ورد تلغراف من برلين الى جريدة المورنن بوست الانكليزية هذا فحواه

يوجد مصطفى كامل الآن فى برلين حيث يسأله محررو الجرائد المختلفة عن احوال مصر بأزاء الاحتلال . وهو يصرح انه جاء برلين ليستميل الامة والحكومة الالمانيتين لغرض تحرير بلاده وتخليصها من نير انكلترا .

ونشرت جريدة « النوفل بريس ليبر » النمساوية الشهيرة الشبيهة بالرسمية ولسان حال خارجية النمسا التلغراف الآتى واردا لها من باريس في ١٦ اكتوبر وهو :

« يتتبع الانسان هنا بكل اهتمام قيامة الجرائد الانكليزية ضد الجرائد الالمانية وقد استخلصت (الماتان) من خطاب السير جورج ومن كتاب اللورد هنرى هافلوك ان دخول انكلترا فى سلك التحالف الثنائى « الفرنسى الروسى » مما يوافق احساسات الرأى العام الانكليزى وتقول الماتان ان الامة الفرنسية ضد رغبة اتحاد الانكليز مع الدولتين وان سلوك انكلترا الجديد علامة على ما احرزته فرنسا الآن من

القوة والنفوذ وما دامت انكلترا لم توف بوعودها نحو مصر فمحال ان يقبلها التحالف الثنائي. وان الجرائد الفرنسية موجهة انظارها الآن للمسئلة المصرية وتقول ان قيامة الجرائد الانكليزية ضد المانيا واظهارها التشفي منها بعد زيارة القيصر لباريس امر لا يعول عليه . والناس هنا مسرورون من محادثة مصطفى كامل فى برلين فيما يختص بالمسئلة المصرية وسيتوجه هذا الوطنى الكبير الى فينا بعد مبارحته برلين ومنها الى بودابست فالاستانة الخ . . اه

حديث مع جريدة (ذى بوست)

كتبت الجريدة المذكورة فى عددها الصادر بتاريخ ١٤ اكتوبر ماتعريبه :

لقد حضر مصطفى كامل المصرى الى برلين وهذا الاسم مشهور عند قراء (البوست) من ذكرنا رسائله السياسية التى نشرناها عن وطنه (مصر) كثيراً وقد ذهب اليوم احد محررى جريدتنا وتحادث معه طويلا فاستبان منه آراءه

السياسية عن مستقبل بلاد النيل وهى الآراء التى تمليها عليه محبته الصادقة لوطنه ولذلك عزمنا على ان ننشر فى احداعداد جريدتنا الآتية هذا الحديث الذى جرى بينه وبين محرر صحيفتنا

وقد نشرت الجريدة المذكورة هذا الحديث فى عددها الصادر بتاريخ ١٦ اكتوبر تحت عنوان (مصر وانكلترا) وهذه ترجمة ماجاء فيها !

« لايخفي انحل المسألةالمصرية ذوفائدة عظمي لالمانيا اذ لابد لنا ان نهتم بأمر قناة السويس بعد ما تقدمت مستعمر اتنافى افريقية وانتشرت تجارتنافى الشرق ويهمنا ان تكون هذه الطريق المائية حرة . ولا يشك احد اليوم ان انكلترا تعمل لامتلاك وادى النيل او بعبارة اخرى لامتلاك قناة السويس

وبسبب هذه الاعتبارات اخذت الامةالمصرية تشتغل بمسئلة الاحتلال . هل ترضى به وتحتمله الي امد طويل بذلة وهوان . ام تتخلص من ربقة أسره ؟

ومن الامور المعقولة والطبيعية قيام كل الذين لا يرضيهم حالة بلادهم الحاضرة لغرض استمالة دول اوروبا نحوهم والعمل لتخليص بلادهم. ولهذه الغاية نفسها حرك المصريون الوطنيون الساكن من مسئلة الجلاء عن مصر بالخطب والرسائل السياسية واعتنوا بنشر افكارهم في كل اصقاع اوروبا

ولقد تكلمنا فى جريدتنا (البوست) منذ بضعة اشهر عن رسالتين مهمتين تتعلقان بالجلاء عن مصر وقلنا انهما من قلم الوطنى المصرى الشهير (مصطفى كامل) الذى وهب حياته ونفيس عمره فى سبيل تخليص وطنه وتحرير بلاده

وحيث كان يطوف في اوروبا دائباً فى عمله فقد جاء برلين لغرض التعرف فيها بارباب الاقلام ورجال السياسة حتي يوقفهم على حالة بلاده الحالية ليقتنعوا بضرورة العمل ضد بقاء انكلترا في مصر وقد فعل ذلك فى البلاد والعواصم الاخرى

وانا نظن ان قراء جريدتنا يستفيدون كثيراً من الوقوف على رأى هذا الوطنى المصرى فيما يختص بمسئلة تحرير مصر

هذه المسئلة التى سيخرج منها وادي النيل لا بساً حلة جديدة من الحياة والتى تستلفت العالم اجمع نحوها

ولقد ذكرنا بالامس ان احد محررى جريدتنا ذهب الى مصطفى كامل واستطلع افكاره عن مصر ونحن اليوم ناشرو حديثه كما كتبه لنا المحرر:

« لقد تعودنا ان نفكر دائما ان نصرآء الآراء الخطيرة وزعماء المذاهب والساعين لتنفيذ اغراض كبيرة كغرض المصريين العظيم يكونون من الشيوخ الكبار السن ولذلك دهشنا في اول الامر لما شاهدنا مصطفي كامل المصرى السائح فى اوروبا طلباً لتحرير بلاده من نير الاحتلال الاجنبى شابا لم يزل في غضاضة العمر . ولكن لا يلبث الانسان برهة حتى ينسي انه امام شاب بل يحسب نفسه مع شيخ كبير حنكته التجارب والسنون الطوال حيث يجد محدثه فضلا عن ذلك فى كل كلمة من كلامه شغفاً صادقا بوطنه وغيرة عجيبة فى العمل الذى هو قائم به وحركات رأسه المملوءة مهارة ونشاطا وبريق عينيه يثبتان من قوة تأثيره أنه مستعد لعمل

عظيم يحقق فيه القول بالعمل

وهو يقود الاحاديث مع محادثيه بحررة ما عهدت فى غيره من رجال الشرق ويجيب مخاطبه بصراحة تامة على كل سؤال وهو معتقد تمام الاعتقاد انه يعمل عملا شريفاً طاهرا ويعتقد ذلك الى حد أنه واثق تمام الثقة ان آماله لا بد أن تتحقق . وثقته فى نفسه واطمئنان خاطره يظهر ان جليا من جوابه عن السؤال الاول

(١) اى مامورية سياسية انت مكلف بها فى حضورك الى برلين ؟ ؟

« اني مكلف من تلقاء نفسى وبواجبي الوطنى بمامورية وطنية محضة يدفعنى اليها الاحساس النفسانى فانى لما فكرت في الحالة التعسة التى فيها وطنى وشعرت من نفسى بأنى انسان عليه واجبات لارض آبائه واجداده رأيت بعد التروى مع اصدقائى الوطنيين ان آتي لاوروبا . وقد مضى علىّ عامان وانا مشتغل بعملي هذا مدافعاً عن قضية بلادى ضد الانكليز المحتلين لها بالرغم عن المعاهدات الصريحة القطعية واعظم

التعهدات العلنية صراحة

ولقد وجدت اينما كنت تعضيد محبي « الحق والعدالة » وهم والحمد لله ليسوا بالقليلى العدد فى أوروبا . وانى اخاطب الامم والحكومات وسواء سمع صوتى الآن او بعد الآن حتى لو كان سماعه بعد موتى فاني عامل ما عشت لاداء واجباتى نحو وطنى وانادى كل ذوى الضمائر الحرة من جميع الامم للعمل لانقاذ مصر.

ومع كوني لا أعرف من اللغة الالمانية الا بعض كلمات فانى جئت برلين لاسمع صوت مصر المضغوط عليها لانه لا يهم الناس اللسان الناطق به الانسان مادام موضوع كلامه حقا وصدقا . وانى اظن انكم لاتبخلون باميالكم لامة جديرة بالرعاية والعناية مثل الامة المصرية

(٢) هل فقد الانكليز حقيقة ثقة المصريين واصبحتم فى يأس من أن يقوموا بوفاء وعودهم ؟

— أجل لقد فقد الانكليز ثقة المصريين وأصبحنا جميعا لا نظن أنهم يقومون يوما ما من تلقاء أنفسهم بوفاء وعودهم

وأن ثقة المصريين بالانكليز كانت فى بدء الاحتلال كبيرة لاننا لم نكن نحسب مطلقا أن اناسا متمدينين ينسبون لامة بلغت من العظم والمرتبة مبلغ الامة الانكليزية ينقضون وعودهم ويتظاهرون باحتقار شرفهم وشرف الامم الاخرى بأشد ما يمكن من ضروب الاحتقار علنا . نعم اننا ما كنا نحسب قط أن الانكليز يتاجرون بشرف البرلمان الانكليزى وبشرف جلالة الملكة وهاهم الآن أولئك الذين دخلوا مصر ليعيدوا الامن فيها ولينجلوا عنها بعد زمن قليل أصبحوا يدعون أنهم حماة النيل ! ! !

وأن سوء مقاصد الانكليز نحونا أصبح واضحا تمام الوضوح حتى الاحرار الذين يجاهرون بأنهم نصراء الجلاء هم خبيثو النية وليسوا فى الحقيقة الا (انكليزا) أقل صراحة من غيرهم وأن الحوادث الاخيرة اتحفتنا بأعظم البراهين على ذلك

فاقد كتب لي المستر غلادستون فى الشتاء الماضى كتابا سياسيا صرح فيه « بأن زمن الجلاء عن مصر قد حان منذ

أعوام » أى انه كان يجب ولا يزال يجب على الانكليز أن ينجلوا عن مصر . وبناء على هـذا التصريح العظيم الاهميـة الفريد فى بابه كتبت أخـيراً الى المستر غلادستون أسأله أن يلقى خطبة على مصر يذكر فيها حكومة المملكة بأن هنالك معاهدات يجب عليها احترامها على شواطيء النيل لان المستر غلادستون يجب عليه أن ينصح حكومته باحترام المعاهدات التى يجب عليها احـترامها قبـل أن ينصحها باجبار تركيا على احترام المعاهدات المختصة بها وبرعاياها

وقد كنت أنتظر أن المستر غلادستون يقبـل رجائي الا أنه أجابنى بأنه شخص كـكل الاشخاص المجردين من كل حيثية وسلطة فلا يسوغ له التـداخل في مسألة مصر مع أن المستر غلادستون هو بعينه وبصفته أحـد الافراد المجردين عن كل سلطة وحيثية يتداخل — ويتداخل فوق ما يلزم — فى مسألة الارمن . وهذا مما يثبت سوء نيات الانكليز حتى القائلين منهم بضرورة الجلاء عن مصر

(٣) هل احساس الخديو نحو الانكليز على مثـل

احساسات أمته نحوهم ؟

حقاً أن الخديو لا يريد الا أن يكون حاكماً حقيقياً في بلده فضلا عن كونه مصرياً يحب وطنه حباً صادقاً . وهو يريد أن يكون جالسا على أريكة ملكه وأميراً على بلده ولا يقبل بحال من الاحوال أن يكون تحت حماية أى دولة أجنبية ومنذ ما استلم زمام الخديوية أظهر علنا وبكل صراحة احساساته الوطنية الشريفة وبذلك أوجد فى مصر تياراً وطنيا يقوى ويزداد من يوم الى آخر وهذا التيار هو اليوم أقوى منه فى سائر الازمان . وكل الذين يعرفون أخلاقه وصفاته يعلمون جيداً أن خطته الحالية لا تشير الي تجدد ضعف عنده ولا تدل على تنازله عن حقوقه ولكن تدل على أنه صابر يرقب الفرص والحوادث

وانا معشر المصريين نعلم جميعا أن خديوينا المعظم يفكر دائما فى تاريخ عائلته الكريمة المجيد ولا يغيب عن ذاكرته قط مجد جده « محمد على » الذى طرد في أول هذا القرن (الانكليز) المحتلين بذاتهم . عند ما حاولوا أن يسلبوا مصر

وان عباس باشا لجدير بأن ينال هذا الفخار .

وبالجملة فانني معتقد بأن الخديو عباس باشا لا يعتبر للحياة قيمة في جانب المحافظة على حقوقه التي هي أقدس شيء عنده خصوصا اذا كانت المحافظة على هذه الحقوق مرتبطة بمحبة أمته اياه وبشرف عائلته المجيدة

(٤) هل من الجائز أن بغض المصريين للانكليز يتحول الى بغض كل الاوروبيين النازلين في مصر ؟

حقا أن هذا السؤال لمن أهم الاسئلة . فان الامة المصرية عاشت من عهد المغفور له محمد على الى هذا اليوم مع الاوروبيين على أكمل وفاق وأصفى وداد والاوروبيون والمصريون يخلصون لبعضهم في المحبة ولا خلاف يفرقهم ولقد كان دائما تساهلنا الديني أحسن موفق بيننا وبينهم ومودتنا للاوروبيين مستمرة لا تتغير والمبدأ الذى جرى عليه أبناء وطني دائما مع النزلاء هو « أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا »

ومنذ احتلال الانكليز لمصر اتفقنا معاشر المصريين ونزلاء بلادنا في المطالب والاماني . وانا نعلم علم اليقين أن

مصالحنا ومصالحهم متحدة ضد مصالح الانكليز وأملنا أن أوروبا تخلصنا من يد هذا الاحتلال الثقيل فتزداد بذلك محبتنا للاوروبيين وتعظم الفتنا مع نزلاء بلادنا منهم

اذاً فان أوروبا اذا أجابت نداءنا وحققت أمانينا ومطالبنا وحملت الانكليز —وهى قادرة — على احترام المعاهدات بقي الاتفاق والوئام بين المصريين والنزلاء الاوروبيين تامين كما هما الآن بل وأتم . أما اذا أهملت أوروبا زمنا طويلا حل المسئلة المصرية فأمتنا تضطر عندئذ للاعتقاد بأن كل أوروبا موافقة على الاحتلال راضية به وانما تبغض كافة المسلمين بغضاً دينيا ومتحاملة عليهم . وهذا يحمل الامة بالطبع على كره الاوروبيين عموما كرهها للمحتلين. وهذه نتيجة خطرة من البديهى أن أوروبا لا تعمل للوصول اليها . اه

*
* *

بعدان لقى المرحوم فى برلين كل اكرام وتعارف بكبار رجالها وفطاحل ساستها الذين صرحوا بميلهم للمسئلة المصرية والتى

كانت لاقوالهم ضجة فى الدوائر السياسية الانكليزية عول
رحمه الله ان يبرحها الى فيينا فى يوم الاحـد ١٨ اكتوبر .
وقبل ان نشرح وصوله الى عاصمة النمسا نذكر هنا مكاتبة
سياسية دارت بين المترجم وبين المسيو « جوزيف بويووسكى »
احد كبار اعضاء مجلس النواب النمساوى لفائدتها السياسية

ذلك ان المرحوم علم ان المسيو « جوزيف بويووسكى »
من كبار اعضاء مجلس نواب النمسا الاحرار المطلعين على
السياسة الخارجية اطلاعا دقيقا فرأى ان يكتب اليه خطاباً
عن مسئلة مصر هذا تعريبه :

﴿ مراسلة سياسية ﴾

باريس فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٩٦

جناب المحترم المسيو جوزيف بويووسكى

انى لم اتشرف بمعرفتك من قبل ولكنى وطنى مصرى
اعمل لجلاء الاحتلال الانكليزى ولذلك اجد من الشرف
ان اسأل بلا معرفة رجلاً حراً مثلك اشتهر بسعة علمه وعظيم
استقلاله وتمكنه من معرفة السياسة الخارجية بحذافيرها ليشرح

لى رأيه هل هو نصير الاحتلال ام الجلاء ؟

وما هى السياسة التى يجب أن يتبعها التحالف الثلاثى ؟

ورجائى ان لا تعتبروا سؤالى هذا مملا اومبهما فان الوطنية قاهرة تدفع المرء الى مخاطبة من لا يعرفه او الخروج احيانا عن الحد . وانكم انتم الذين علمتم الأمم ماهى حدود الوطنية لابد ان تعطفوا الي الوطنيين المصريين وتمدوا لهم كل معاونة فى سبيل تخليص وطن حكم عليه بالاسر والذل . كاد يذهب ضحية طمع بريطانيا وتهاون اوروبا

ثم تقبل ايها العضو المبجل اجل تحيات وعظيم احترامات

المصرى المخلص

مصطفى كامل »

وقد أجاب جناب النائب على هذا الكتاب بما تعريبه !

فيينا فى ١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٦

سيدى

تسألنى فى كتابك المؤرخ فى ٢٤ ستمبر الماضى عما اذا كنت نصيرا للاحتلال او الجلاء فجوابا على هذا السؤال

اقول لكم . انى افهم جيدا انك بصفتك مصريا وطنيا لا بد
ان تتألم لضياع استقلال بلادك وان كان يعزيك ويخفف
آلامك الاعتقاد بأن الاحتلال الانكليزى فى مصر ليس
الا مؤقتا وأن انكلترا لا تتعدى على الجنسية المصرية وان
لكم استقلالا داخليا تاما وان لكم اميرا حازما وادارة منتظمة
ولكن لكى تنال امة من الامم حريتها يلزم ان يكون
عندها بعض صفات معنوية خصوصية . واول هذه الصفات
ان تكون مستعدة لان تضحي نفسها فى سبيل الوطن

وقد ارشدني التاريخ الى ان روسيا قضت اربعين
عاما حتى استطاعت ان تملك القوقاز وان فرنسا حاربت فى
الجزائر حربا طويلة حتى استطاعت ان توقف مقاومة «عبد
القادر » لها . ولا يزال من الصعب على هاتين الدولتين تجنيد
الجنود من القوقاز والجزائر . ومن جهة أخرى فليس
لانكلترا في مصر غير ثلاثة الاف جندى مع أن للخديوى
جيشا منظما عدته ثلاثة عشر الف جندى ولديه خمسة الاف رجل
فى بوليس منظم تنظيما عسكريا . فهذه الارقام تدل على أن

اغلب المصريين راضون عن الاحتلال الانكليزى

وانا اعتقد أن الحرب السودانية لا بد وان ترفع من شأن الجنود المصريه فتكسبهم ملكة عسكريه اهلية تساعد — وذلك ما لا شك فيه — على تتمة الصفات الضرورية لمصر حتى تنال استقلالها يوما ما

وانك تسألنى ايضا فى كتابك عن رأيى فى السياسة التى يجب ان يتبعها التحالف الثلاثى تجاه المسألة المصرية . وجوابا على هذا السؤال اقول لك انى افتكر ان المسألة المصرية لا تهم دول التحالف مباشرة بل ان سياستها تتوقف على ما تخطه انكلترا فى المستقبل

هذا وانى ارجوك ان تتفضل بقبول عظيم احترامي ومزيد اعتبارى (جوزيف بويووسكى)

وقد علقت الجرائد الاوروبية على هذا الخطاب الذى نشرته جريدة الاكلير الباريسية تعليقا فائضا وفى مقدمتها الجرائد النمساوية

المسئلة المصريه

﴿ حديث سياسى ﴾

قالت جريدة الاكسترا جبلاط النمساوية :

« قابل احد محررى جريدتنا بالامس المصرى الغيور الشهير « مصطفي كامل » وسأله عن المصريين والاحتلال فأجابه بما يأتى:

« نعم اننا متألمون من الاحتلال الانكليزى لانه مسقط لكرامتنا باعتبارنا امة فضلا عن كونه مخدشا لبلادنا حسا ومعنى فاننا امة نقدر محبة الوطن حق قدرها ونعلم ان بلادنا ما دامت تحت نير الاحتلال الاجنبي ومادمنا لا ندير شؤوننا بايدينا فلا حق لنا في ان نحسب انفسنا امة من الامم التى لها حقوق محترمة ولهذا نرغب من صميم افئدتنا التخلص من الاحتلال الانكليزى . ولقد وعدت انكلترا اوروبا بالجلاء عن مصر ونطق وزراء الانكليز بذلك في تصريحاتهم العلنية المتكررة وضمنت أوروبا بالمعاهدات التى عقدتها مع الدولة العلية

حقوق الخديوية فمن الواجب احترام هذه الحقوق . واوروبا التى تسأل اليوم جلالة السلطان احترام المعاهدات يجب عليها ان تسأل انكلترا قبل كل شىء هذا السؤال

ولما كانت الامة المصرية متالمة ولها حقوق الخلاص من النير الانكليزي فترى للوصول الى غرضها سبيلين . سبيل الثورة . والسبيل السلمي

فاما سبيل الثورة فنحن لا نريده لاننا قبل كل شىء قوم مشهورون بالدعة وحب السكينة ونبغض المذابح والجرائم ومن جهة اخري فأن لاوروبا عندنا مصالح قد تضربها الثورة

وحيث كنا نحترم حقوق اوروبا ومصالحها فى مصر وربما ان الامة اذا ثارت ضلت عن سبيل الرشاد فلا تميز بين الانكليز وغيرهم من الاوروبيين اذ تقول وقتئذ « لقد تظاهرت اوروبا ضدنا بموافقتها على الاحتلال فمن الواجب اذاً العمل ضدها » لذلك اعرضنا عن سبيل الثورة الذى نكرهه بفطرتنا

وعلى ذلك قد اخترنا السبيل السلمى ورفعنا صوتنا الى

مسامع اوروبا المتمدنه بمطالبنا الحقيقية . وان الساعة قد اذنت ولا محـالة وتحتم على اوروبا ان تكره الانكليز على الجلاء عن مصر

ولقد كان الأجدر بانكلترا ان تثبت عدالتها ومحبتها للأنسانية بوفاء عهودها ووعودها والجـلاء عن مصر لا باظهار محبتها للأرمن وشفقتها ...... عليهم !!!!

ومن الوجهة الادارية نرى الانكليز قد أضروا بمصر ضرراً بليغاً حسا ومعنى فهل الانكليز لا يزالون محتلين القطر المصرى لاعادة الامن الى ربوعه ؟ ؟ ؟ كلا . فأن الامن قد تأيد فى مصر بعد مضى أيام قليلة من سجن عرابى وأنه يكون من العار العظيم على الانكليز ان يدعوا بأن الامن لم يتأيد مع احتلالهم لمصر ١٤ عاما

أو هل الانكليز محتلون الديار المصرية الآن لتقوية سلطة الخديو على اريكته ؟؟؟ كلا . فأنه لم ينل امير من أمراء مصر احترام شعبه ومحبته مثل ما نال منها خديونا الحالى عباس الثانى وان الانكليزهم وحدهم الذين يعملون في

مصر ضد سلطته فلا يستطيع أن يستعمل أول حق من حقوق الولاية والملك الا وهو حق اختيار الوزراء الذين يديرون شؤون البلاد باسمه فأن انكلترا هي التي تسميهم له وقد اعترضوه اعتراضا وقحا لما لاحظ على جيشه بعض الشيء الذى رآه وبالجملة فهو لا يمكنه اليوم أن يعمل ضد رغبة الانكليز حتى ولا يمكنه أن يزور باريس بصفة غير رسمية الا وتسبه وتتطاول على مقامه السامى الجرائد الانكليزيه البذيئة وفضلا عن ذلك فان للانكليز فى مصر جرائد ينقدونها اجرة الطعن على الامير والعمل للغض من واجب احترام مقامه فى أعين الامة ولا يمكن أن يحسب راضيا بهذه المعاملة ولكنه متبصر وصبور على أنه لا يوجد عند الامة شيء أقدس من كلمة الامير لو أراد شيئاً

أو هل الانكليز محتلو مصر لتربية المصريين وتعليمهم شؤن بلادهم ??? كلا . فأن اعمالهم جميعا تثبت عكس ذلك . انهم يقفلون المدارس في اوجه الطلاب. وهاهي مدرسة الطب اوضح مثال فقد كان عدد تلامذتها قبل الاحتلال اكثر من

مائتى طالب ولكنهم الان لا يزيدون عن التسعة! وهم يفسدون اخلاق التلامذة حيث يطلعونهم علي الجرائد الانكليزية المملوءة طعنا على الامير والوطن المصرى ويعطونهم كتب تاريخ تسب الرسول وتسخر بالعقيدة الاسلامية وبالجملة فهم يربونهم على ان ينكروا اوطانهم ويجحدوا قوميتهم كل الجحود ويكونوا خدما وعبيداً للانكليز. وفي الادارات والنظارات استولى الانكليز على اهم الوظائف حيث ابعدوا الوطنيين منهم وقربوا الاجانب والدخلاء الذين يسهل عليهم قيادتهم وربما قربوا بعض السذج والخونة من الوطنيين ليثبتوا بذلك كله ان مصر غير قادرة على أن تحكم نفسها بنفسها

أو هل الانكليز محتلون مصر لسعادة الفلاحين وخيرهم؟ كلا. فالانكليز يحتقرون قبل كل شيء المصريين احتقارهم للمعاهدات! وانى أقدم لكم مثلا على ذلك. ذهب يوما من الايام أحد عمال مصلحة التلغراف يحمل نسخة تلغراف الى مهندس انكليزى فلما قدمه اليه سأله اداء لوظيفته أن يمضى على وصول الاستلام فرفض الانكليري وكرر ساعي التلغراف

الطلب لانه لا بد أن يأخذ وصل الاستلام بمقتضى وظيفته فما كان من الانكليزى الا أن تناول بندقيته وأطلقها على المصري المسكين فسقط مضرجا بدمائه . ولم يعاقب السادة الانكليز هذا المهندس الا بنقله الى الهند ! ! !

ولا تنس المحكمة المخصوصة التى تحكم فى المنازعات التى تقع بين المصريين والعساكر أو البحارة الانكليز وهى تحكم لغاية الاعدام بلا قانون وتأمر بتنفيذ حكمها فى الحال فينفذ

وأما من حيث الوجهة المالية فلما كان الانكليز مضطرين لدفع مرتبات باهظة لموظفيهم قد أعلوا الضرائب حتى أصبحت مصاريف الادارة المصرية سبعة ملايين من الجنيهات خلافا لاتفاقية لندره التى تحددها بخمسة ملايين فقط .

وديون الفلاحين لم تكن قبل الاحتلال الانكليزي الا سبعة ملايين جنيها بلغت اليوم أكثر من اثنين وعشرين مليونا .

أم هل الانكليز محتلون مصر اليوم لمصلحة أوروبا ؟؟ كلا. ثم كلا. فأن أول غرض للانكليز من احتلال مصر هو تقويض أركان النفوذ الاوروبي لا ليعود ذلك على مصر بالاستقلال فى المستقبل ولكن ليحصروا القوة فى أيديهم. ولقد أفزعت تصرفاتهم الماليه حملة القراطيس المصرية ونراهم اليوم « أي الانكليز » يجتهدون في الغاء المحاكم المختلطة التى هى أعظم ضمانة لاوروبا في مصر

ومن جهة أخرى يجب أن لا تنسى المسئلة التجارية فأن للانكليز فى الجمرك وزنين وعيارين ولست في حاجة لان أقول لك أن التجارة الانكليزية هي المميزة بجملة مزايا خصوصية

وبالاختصار فأن انكلترا محتلة القطر المصرى لمصلحتها الخصوصية ليس الا . وان كانت أوروبا تريد تحقيق السلام وضمانة حقوقها وانصاف أمة متمدينة معتدلة كريمة فعليها وجوب حمل الانكليز على الخروج من وطننا فى أقرب وقت والسلام » . . . اه

احتفاء جريدة نمساوية

﴿ بالمرحوم ﴾

نشرت جريدة (الاكستر اجبلاط) النمساوية فى عددها الصادر بتاريخ يوم السبت ٢٤ اكتوبر مقالة إفتتاحية صدرتها بصورة المرحوم هذا تعريبها:

لقد وفد على فيينا فى الايام الاخيرة ضيف كريم ذائع الشهرة والصيت هو الخطيب المصرى الشهير (مصطفى كامل) وهو شاب غيور أخذ على عاتقه منذ سنتين واجب السعى وراء تحرير بلاده من النير الانكليزى. وهذا الشاب لا يتجاوز من العمر اثنتين وعشرين سنة ولكن مصائب وطنه صيرته رجلا محنكا خبيرا . فترك مصر وجاء أوروبا يطوف كل البلاد التى يمكنه أن يوقف الناس فيها على حقيقة ما يجرى في وادى النيل

وله علاقات كبيرة مع أشهر وأكبر رجال السياسة فى أوروبا وتعرف فى حله وترحاله بين بلاد أوروبا بكثير من

الوزراء والعلماء والكتاب ومحررى الصحف وكل الذين عرفوه أحبوه وأظهروا له دلائل الميل والوداد

ولقد برهن هذا الشاب الخطيب المصرى النبيل على شجاعته برجوعه الى وطنه في اول هذا العام بعد كل ماعمل فى اوروبا فاستقبله بنو وطنه اكبر واجل استقبال

وألقي على ملأ من بنى وطنه خطبة وطنية رسم فيها خطته فقوبلت من الجميع بالتصفيق والتهليل وعلامات الاستحسان ولكن الانكليز انتقموا من هذه المظاهرة بصفة دنيئة وهى انهم جردوا اخاه الضابط من رتبه والقابه لولا ان الخديوى المعظم المحبوب من رعيته المشهور بعدله رد لذلك الضابط ماسلب منه واعاد اليه شرفه كما كان

ولم يكن لانتقام الانكليز هذا من نتيجة سوى ازدياد محبة المصريين لمصطفى كامل من جهة وازدياد غيرة هذا الوطنى من جهة أخرى

ولقد اقام هذا الضيف الكريم فى فيينا خمسة ايام قوبل فيها من رجال السياسة بكل احتفاء واكرام وعلى الخصوص

من جناب البارون (شلومكى) — رئيس مجلس النواب النمساوى والمستشار الخصوصى لجلالة الامبراطور فرنسوا جوزيف — الذى اعتبره احسن اعتبار » .. اهـ

* * *

برح المرحوم مدينة فيينا فى يوم الجمعة ٢٣ اكتوبر قاصداً بود ابست وقد سافر من هذه الاخيرة بعد ان لبث فيها يومين الى دار السعادة فوصلها لاول مرة في صبيحة الثلاثاء ٢٧ اكتوبر

قصد رحمه الله بمجرد وصوله المابين الهمايونى ولم ينتظر الا بعض دقائق حتى استقبله دولة الباشكاتب ورحب به كثيراً وابلغ فى الحال جلالة الخليفة الاعظم نبأ وصوله فتعطف جلالته بان أرسل اليه تحياته وممنونيته من عمله.

ثم نزل في فندق «بيرا بالاس» ضيفاً على جلالة السلطان وفي اليوم التالى ورد اليه كتاب من دولة الباشكاتب مع أحد الجاويشيه يسأله فيه الحضور في حفلة السلاملك يوم الجمعة ٣٠ اكتوبر فلبي النداء وحضر الحفلة وأدى صلاة الجمعة في

الجامع الحميدى الذى يصلى فيه جلالة امير المؤمنين

وبعد صلاة الجمعة اعلمه دولة الباشكاتب بأن جلالة السلطان يود رؤيته وقد كان ذلك فى الساعة السابعة عربية (اي بعد الزوال بساعتين تقريباً)

ولما تمثل في حضرة جلالة السلطان قال له جلالته :

« انى كنت اظنك رجلا كبيراً ولكنك لاتزال فى حداثة العمر فبارك الله فيك »

فأجابه المرحوم على الفور :

« ان شعور المسلمين جميعاً نحو الخليفة والخلافة كبير جداً ويستوي فيه الصغير والكبير »

فقال له جلالته :

« اين تعلمت ؟ »

فأجابه المرحوم :

تعلمت فى مصر وقضيت امتحانات الحقوق فى فرنسا ونلت شهادة فيها من مدينة طولوز التى هى احدى مدائنها الكبيرة »

فقال له جلالة السلطان :

« انك اذا محام »

فاجاب المترجم :

« نعم يامولاى . انى محام عن قضيتين مهمتين قضية مصر خصوصاً وقضية المسلمين عموما اما قضية مصر فالعالم الاوروبى مستعد يساعدنا فى حلها وانصراف الاحتلال عنها ولكنها مسئلة يعرف كل المصريين ان جلالتكم صاحبها وسيدها واملنا عظيم فى ان خليفتنا المعظم المحبوب يبدأ بما يحقق امالنا »

فتبسم جلالته وقال :

« انى احب لك ان تزور الاستانة كثيراً وان تتعلم اللغة التركية » (لان الواسطة بين جلالته والمرحوم في المخاطبة كان دولة الباشكاتب)

فحنى المرحوم رأسه وقال :

« ان حب الخليفة لاخلص حب وسيكون ما اراد بمشيئة الله »

فأذن له جلالته بالانصراف . وعند ماتقدم لتقبيل يده

الكريمة قال له :

« انك ستكون كبيراً جدا فى زمن قريب مادمت على هذا الاخلاص »

فلهج لسان المرحوم بالدعاء لجلالته وخرج مسرورا فرحا مستبشرا

عاد المرحوم الى الفندق بعد ان ودع الباشكاتب وكتب الىّ خطابا جاء فيه مانصه :

« استلمت تلغرافك المنبيء بل المنعش بالعفو عنك فى فيينا التى برحتها فى ٢٣ الجارى لانه جاءنى فى باريس حيث كنت فى برلين وكان عامل الفندق الذى كنت فيه قد تغير فلم يعلم عنوانى المتروك لدى العامل القديم

وعند ماوصلت الى فيينا دعانى شوقى لقراءة أنبائك الى اعلام الفندق فبعث الى بما لديه برسمي

ان احسن ساعة قضيتها فى حياتي ساعة استلام هذا النبأ الذي لا بد أن يكون وقعه الحسن افاد السيدة الوالدة كثيرا اني الآن بالاستانة وسأبرحها بمشيئة الله بعد عشرة

ايام على الاكثر

ومما يسرك اني ضيف جلالة السلطان وقد تشرفت بلقياه ولاطفني فى الحديث كما حضرت حفلة السلاملك وأديت فريضة الجمعة (اليوم) فى حضرة جلالته بالجامع الحميدي

هذا وسأفيدك عن كل شيء وخصوصا مادار بيني وبين جلالته بالتفصيل وارجو منك ان تبذل مافي وسعك لنيل اجازة حتى انعش الروح بلقياك . واذكرني دائما كما تذكر مصر في صلواتك فان الله يجيب نداء الصالحين .

ادامك الله لاخيك المخلص مصطفى كامل» .

الاستانة . الجمعة ٣٠ اكتوبر سنة ١٨٩٦

وفى صبيحة يوم الاحد اول نوفمبر سنة ١٨٩٦ جاء اليه رسول من قبل دولة الباشكاتب يرجوه مقابلة دولته فى المابين فقصده في الحال وقابل دولته فاستقبله بكل بشاشة وابلغه تحية جلالة السلطان وقال له :

« ان جلالة الخليفة الاعظم يمنحك الحرية التامة فى

مقابلة من تشاء كأنك في بلدك او فى اى بلد اوروبي » ثم سأله دولته بعد ذلك عما عنده من الرتب والنياشين فقال له المرحوم انى لا احمل لقبا ولا وساما ولا احب ان احمل شيئاً منها لأنى حر والاحرار لا يميلون لهذه الالقاب . وانك تؤذيني كثيرا اذا لقبت او وسمت لان وطنيتى خالصة لا تبتغي اجرا ولا تسأل فخراً .

فضحك الباشكاتب وقال له :

ليت فى الشرق الكثيرين من مثلك

وقصد فى الحال جلالة السلطان ليبلغه ما قاله المترجم ثم عاد حاملا صندوقا صغيرا من الذهب والفضة وقال للمرحوم :

« ان جلالة مولانا وسيدنا امير المؤمنين يهديك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويعجب كثيرا بمبادئك وشمائلك على غضاضة شبابك وأمرنى جلالته ان احمل اليك هذه الهدية من خليفة المسلمين » قال له هذا وقدم اليه الهدية بلها المرحوم وقال :

« انى اشعر الان بارتياح كبير حيث رفعنى جلالة السلطان الاعظم والخليفة الاكرم الى منزلة فوق ما استحق لان عملى مهما كان فى نظر جلالته كبيرا فهو ليس الا قياما بواجب يحتمه على الدين والوطنية

واني اؤكد لدولتكم ان هذا الصندوق الصغير الكبير لاشرف عندي من اكبر رتبة في العالم لانه رمز على صلة الاخلاص بينى وبين عرش الخلافة الذي افتكر دائما فى دوام قوة ورفعة سلطانه . فليدم الخليفة وليدم الاخلاص »

قال هذا رحمه الله وصافح الباشكاتب وما وصل الى الفندق حتى اخذ قرطاسا وكتب لى ما نصه :

اخى الاعز حرسه الله

اقبل وجنتيك واهديك اشواقى الاخوية الخالصة . وابشرك بأن جلالة السلطان اهدانى علبة سجاير من الذهب مرصعة بالاحجار الكريمة وموضوعة داخل صندوق صغير من الذهب والفضة . وقد سلمها الى دولة الباشكاتب اليوم بعد ان ابلغنى سرور جلالة السلطان وارتياحه من عملى

وكان جلالته كما ابلغنى الباشكاتب يود الانعام علىّ برتبة او نيشان ولكنى اظهرت عدم رغبتى فى شيء من ذلك حتى لا تروج بضاعة الاعداء ضدى ويتهمنى ابناء وطنى العزيز بالعمل حبا فى الظهور ونيل هذه الالقاب الكاذبة

زارنى الكثيرون من كتاب الجرائد وحادثونى فى شؤون بلادنا التعسة السيئة الحظ والتى نؤمل لها فى مقتبل الايام كل سؤود وخير عميم

ادامك الله لاخيك المخلص

« مصطفى كامل »

الاستانة فى يوم الاحد اول نوفمبر سنة ١٨٩٦

*
* *

ما وصل المرحوم الاستانة حتى طيرت شركتا روتر وهافاس للعالم اجمع نبأ وصوله وكذلك عند ما قابل السلطان وعند ما اهداه الهدية النفيسة وقد انتهز كذلك مكاتبو الصحف الكبيرة وجوده حتى وفدوا اليه وحادثوه فى شؤون مصر . وقد رأينا ان نثبت فى هذه السيرة من هذه الاحاديث

اثنين احدهما دار بينه وبين مكاتب جريدة فرانكفو رتر كورييه) الالمانية الشهيرة. والثانى مع مكاتب جريدة «نيويورك هرالد» الامريكيه وهى اهم جريدة فى العالم لاستقلالها وتجردها عن غايات السياسة الاوروبية .

حديث جريدة
﴿ فرنكفورتركورييه ﴾
(الالمانية)

قال مكاتب هذه الجريدة تحت عنون « حديث عن المسئلة المصرية — مصطفي كامل فى الاستانة » ما تعريبه :

« الاستانة في ٣ نوفمبر سنة ١٨٩٦

تشتغل دوائر الاستانة السياسية الان بمسئلة تحرير مصر وهي المسئلة الخطيرة التى لا يبعدان تظهر بعدقليل فى مقدمة المسائل الدولية العظيمة الشأن . وفضلا عما لهذه المسألة من الاهمية فى اوروبا فأن الوطنيين الصادقين من المصريين اخذوا

على عهدتهم النداء بحقوقهم واظهارها دائما على المرسح السياسى وذلك ما زاد اهميتها

ولقد حضر الى الاستانة منذ ايام ذلك الخطب المصرى الشهير الناطق بلسانهم والمترجم عن رغائب ابناء بلاده الا وهو « مصطفى كامل »

ذلك الشـاب الذى خلق لان يكون خطيب قومه لمـا وهب من القوة والغيرة العجيبين ولما هو عليه من الفصاحة المتدفقة وملـكة التأثير على النفوس ولما فى نفسه الشريفة من المحبـة الشديدة لوطنه . وما جاء الاستانة (مصطفي كامل) وزار فيها رجال السياسة حتى قوبل من كل الدوائر السياسية بغاية الاجلال والاكرام . وعلى الاخص فى المابين السلطاني فأنه قوبل باجمل ما يقابل به سياسى من الحفاوة. والتكريم.

ومن الصعب ان يقرأ الانسان من هذا الحين النتائج التى تنتج عاجلا عن عمل « مصطفى كامل » ولـكن مقابلته لرجال السياسة ذوى الحكمة والشأن فى العواصم الثلاث « باريس وبرلين وفيينا » ومحادثاته مع سائر الجرائد الشهيرة

وحضوره بعد ذلك لعاصمة ملك جلالة السلطان لمن الامور التي يدرك اهميتها كل انسان .

ولقد قابلت هذا الضيف الجليل وتحادثت معه طويلا على احوال مصر والشرق . فوجدته على جانب عظيم من اللطف والدعة واسع الفكر خبيرا بكل مشكلات السياسة وهو يتكلم اللغة الفرنساوية كاحد نجباء الفرنساويين النابغين تحت سماء باريس . كل ذلك فضلا عن معرفته التامة بالعوائد الاوروبية الحميدة وعدم اهماله العوائد الشرقية الكريمة فهو يقابل زائريه ببشاشة تسلب القلوب وتستميل نحوه ونحو بلاده كل انسان !

واني اقول بكل صراحة واندهاش ان لمحادثة هذا الرجل الشهير والخطيب المؤثر لذة مخصوصة تبقى حلاوتها زمناً طويلا ولا يزول تذكارها . اما حرارته في حديثه فهي حرارة غريبة صادقة يمتاز بها سكان الجنوب من بلاد اوروبا وهى حرارة كلها وطنية صادقة واحساسات عالية

ولقد سألت « مصطفى كامل » رأيه عن حركة الخواطر

فى العالم الاسلامى فأجابنى جوابا صريحا أنقله لقراء جريدتنا كما هو :

« لا تظن ياحضرة الكاتب ان المسلمين يكرهون المسيحيين أو فى نفوسهم شئ من البغضاء لهم . وان الذين يصرخون فى أوروبا بتعصب المسلمين الدينى انما يضرون أعظم الضرر بمسيحيي الشرق فاذا تساهلت أوروبا زمنا طويلا وأغضت عن الكتابات والخطابات العدائية ضد الاسلام اضطر المسلمون عندئذ أن يجزموا بأن أوروبا قاطبة متعصبة ضدهم محاربة لهم حربا دينية

وأن نتيجة انتشار اعتقاد كهذا الاعتقاد فى العالم الاسلامى لعظيمة الخطر على العالم كله

وماذا تقولون معشر الاوروبيين اذا قام اليوم علماء الاسلام وقلدوا قسوس الانكليز وألقوا فى الجوامع والمساجد الخطب الدينية ضد النصرانية والنصاري وحرضوا هذه الامم التى يبلغ عددها ثلاثمائة مليون من النفوس ضد المسيحيين ؟؟

ولقد رأيت بنفسك يا حضرة الكاتب فى الحوادث

الاخيرة برهانا واضحا على عدم تعصب المسلمين ضد المسيحيين فهل نال أحداً من الاوروبيين شئ من الاذى ؟؟؟ كلا ثم كلا انما بغض الارمن وان كان شديداً فانه طبيعي لان هؤلاء القوم الذين كانوا في رغد تام من العيش وفي نعمة زائدة لم يجدوا وسيلة يظهرون بها امتنانهم للدولة العلية غير الثورة والجرائم والمذابح !!! فاؤلئك المجرمون هم المسؤلون وحدهم عن مصائب اخوانهم الارمن الذين ماتوا أبرياء وذهبو اضحية عمل فريق منهم

واذا كانت أوروبا تريد حقيقة العمل للتوفيق بين المسلمين والمسيحيين فعليها أن تجبر انكلترا على احترام المعاهدات وحقوق السلطان فى مصر التى هى من الخلافة الاسلامية روحها وقلبها . واعتقد يا حضرة الكاتب أنه متى انحلت مسئلة مصر لا يكون لانكلترا فائدة من الآن فى دس الدسائس للدولة العلية .....

أو ليس من الغرائب أن أوروبا المتمدينة تهمل حمل انكلترا على احترام حقوق السلطان فى مصر ثم هى بنفسها

أوروبا التى تسأل السلطان نفسه احترام المعاهدات؟؟؟؟

أما الجواب على سؤالك لى عن نفوذ خليفة الاسلام المعنوى بين الامم الاسلامية فقطعى لاريب فيه. وان للخليفة الاسلامى نفوذا هائلا لا يدركه الفكر بين كل الامم الاسلامية. واذا كان يوجد فى أوروبا أناس يقولون عكس ذلك فانهم يغشون أوروبا ليلقوها في هاوية خطر عظيم

ويكفينى أن أقول لك أن كلمة واحدة من جلالة الخليفة تكفى لتسيير الامم الاسلامية كلها فى أى سبيل يشاء. فليتيقظ لذلك الامر محبو السلام فى أوروبا !!!

الحديث الثانى

كشف الغطاء عن دسائس الانكليز

(السياسة ذات الوجهين)

وهذا هو حديث مكاتب جريدة نيويورك هرالد فى الاستانة :

« الاستانة فى ١١ نوفمبر

ان لزيارة « مصطفى كامـل » الخطيب الوطني المصرى الشهير للاستانة أهمية يدركها كل انسان خصوصا وانها جاءت فى الزمن الذى يشتغل فيه كل رجال السياسة بمسئلة مصر. هذه المسألة التى لا يبعد أن تقوم قيامتها قريبا ويشتغل العالم كله بها

ومن المقاصد التى جاء مصطفى كامل هنا لاجلها هو أن ينفى كل الاراجيف التى يشيعها بعض الناس بأن المصريين غير صادقين تماما فى ولائهم لجلالة السلطان كما يزعمون مثل ذلك عن الخديوي المعظم لغايات لا تخفى

فهو ينادى ويحقق كما يعتقد أنه بالرغم عن أقوال الوشاة لا يوجد أدنى فتور فى علائق الخديوية المصرية للعرش العثمانى واذا كان مصطفى كامل عنوان الشبيبة في مصر وممثل الوطنية الكامنة في صـدور النشأة المصرية الذين هم رجال المستقبل فى مصر فقد قابلته وتحادثت معه فى أحوال وطنه وشؤونه وهاهو الحديث!

ما هى احساسات المصريين نحو الانكليز ؟؟

ان عموم المصريين كارهون للاحتلال الانكليزى وهم يعتقدون اليوم أن غاية السياسة البريطانية امتلاك كل وادى النيل . ولذلك فقدوا الآن ما كان عندهم من الثقة في وجود الانكليز . وبالاختصار فقد تعلمنا من الاحتلال الانكليزى أن نعتقد بأنه لا شرف ولا ذمة فى السياسة

ما هى رغائب الوطنيين المصريين أو الحزب الوطنى فى مصر ؟؟

أن الحزب الوطنى فى مصر هو عبارة عن الامة بأسرها تجاه الاحتلال فرغائبه هى رغائبها. وأهم هذه الرغائب تحقيق الجلاء عن مصر من غير احداث أي اضطراب أو اى أمر من شأنه تكدير الامن العام

ولهذا الغرض قمنا نستلفت انظار أوروبا الينا بالقلم واللسان ولسنا بغير القلم واللسان نريد أن نخاطب أوروبا ونستفزها للنظر فى مصلحة بلادنا.أما الانكليز الذين يدعون أنهم احتلوا مصر لتأييد الامن فيها فانهم يعملون جهد

استطاعتهم لاحداث اضطرابات فى البلاد فهم يجتهدون فى اهاجة خواطر المسلمين ضد المسيحيين والمسيحيين ضد المسلمين وينشرون رسائل تطعن على الدين الاسلامى وتدعو المسلمين لاعتناق النصرانية ويطعنون فى جرائدهم على خليفة الاسلام الذى له فى مصر سلطة معنوية لا يحدها العقل . كل هذا مع احتقارهم لسائر النظامات والقواعد الشرعية

ولذا كان عمل كل وطنى صادق في مصر موجها الى تسكين خواطر الامة التى من الجائز ان تثور يوما بسبب تحريضات شيعة الانكليز

ولكن قل لى لماذا يرغب المصريون فى الجلاء والانكليز يشيعون انهم فى ارغد عيش تحت سلطتهم ؟ ؟

— اننا نعمل للجلاء او تحرير وطننا أولا لاننا نشعر بواجباتنا وحقوقنا ونعتقد ان من واجباتنا القيام بمثل هـذا العمل الشريف وأن فينا من الحياة مايكفي لتمتعنا بكل حقوقنا

اما ما يشيعه الانكليز من اننا سعداء تحت سلطتهم فهذا كذب قام بدحضه البرهان اذ الحقيقة ان المحتلين فرقوا مصر

احزاباً حساً ومعنى

هل لك ان تقول لى ماهي خطة مصر بازاء الدولة العلية

(الجواب على هذا السؤال وعلى الذى بعده هما ولا شك بيت القصيد من هذا الحديث)

أن سياسة مصر نحو الدولة العلية — وهى السياسة التى يجرى عليها الوطنيون المصريون — هى سياسة حسن التقرب منها وتوطيد العلاقة الحسنة على قدر الامكان بين التابع والمتبوع

فالتاريخ ينذرنا بألا نتبع سياسة أخرى غير سياسة المحاسنة لانه ذا كان الانكليز فى مصر الآن فالسبب فى ذلك ولا شك هو النفور والخصام اللذان كانا مستحكمين قبل الاحتلال بين جلالة السلطان والخديو السابق توفيق باشا. ولقد نجح الانكليز فى التفريق بينهما بالسير على سياسة ذات وجهين . فأفهموا جلالة السلطان وقتئذ ان خديو مصر عدو له يعمل لاسقاط جلالته عن عرش الخلافة ليجلس هو عليه كما سعى لذلك من قبله جده الاكبر (محمد على) وافهمو المرحوم

توفيق باشا من جهة اخرى ان السلطان يعمل ضده ويسعي لعزله عن كرسى الخديوية ليعد مصر ولاية عثمانية كما كانت عليه قبل العائلة الخديوية

فلما قامت مسئلة عرابي راى الانكليز من تمام المهارة ومن وسائل توسيع خرق الشقاق ان يبرهنوا للخديو على كراهة السلطان له فسعوا عند الخليفة سعي الصديق حتى حلوه على تقليد عرابى بالنيشان العثمانى الاول !!! ومن هو عرابى ؟؟؟ هو الذى كان يدعي يومئذ بانه المدافع عن حقوق السلطان فى مصر . وهذ الامر اوغر صدر المرحوم توفيق باشا والقاه فى حضن الانكليز. وهاهم الانكليز الآن يعملون جهد استطاعتهم للشقاق والتفريق بين الجناب الخديو وجلالة السلطان ولكن مانعهده فى اميرنا الحالى من التبصر والحكمة والوطنية يحقق لنا انه يعمل دائما لتأييد سياسة المحاسنة والتقرب من الدولة . وهى السياسة التى في اتباعها سلامة الكرسى الخديوى والوطن المصرى

ايضاح جديد عن حملة دنقله

سألت مصطفى كامل السؤال الآتي :

هل يمكنك ان توضح لى السبب الحقيقي للحملة على دنقله ؟ ؟

فاجابنى برأى سياسى جديد فى هذه المسألة . وهذا جوابه :

ان مرمى السياسة الانكليزية من يوم احتل الانكليز مصر هو الاستيلاء على السودان . فهم يرغبون امتلاك هذا الوادى المملوء بالخيرات والنعيم وهم ادركوا ان من ملك السودان يملك مصر وانهم اذا اضطروا اجابة لقرار اوروبا للانجلاء عن مصر يبقي السودان تحت سلطتهم

ولا يخفي ان السودان بلاد لا ديون عليها لاوروبا كمصر فامتلاك الانكليز لها يجعلها مستعمرة انكليزية مطلقة وكل اعمال الانكليز من يوم الاحتلال موجهة لهذه الغاية

فلما احس ابناء التاميز فى سنة ١٨٩١ أن فرنسا والروسيا تشتغلان بوضع اساس اتفاق لحل المسألة المصرية وخافوا أن

هاتين الدولتين تعضدان النجاشي بالضباط والاسلحة فيسير بجيشه الجرار الى السودان ـ وهم يدركون عواقب ذلك ـ اوقعو بين ايطاليا والنجاشي ولم يكن ثم غرض لهم الآن ان يمنعوا ملك الحبشة من التقدم في السودان وقد نجحت سياستهم نجاحاً عظيما والقت ايطاليا بنفسها بين يدى الاحباش وما عملت شيئاً غير كونها خدمت سياسة الانكليز ومشروعاتهم الخفية بمالها ودماء ابناءها

ولمهارة الانكليز في سياستهم انتهزوا فرصة انهزام الايطاليين وقرروا حملة دنقلة بحجة مساعدة ايطاليا المنهزمة لينالوا بهذه الحجة رضى التحالف الثلاثى عن الحملة وموافقته عليها.

ونرى الانكليز يريدون الآن تمثيل آخر فصل من هذه الرواية بطلبهم ابتياع كسلا من ايطاليا !!!

وبمثل هذة الاعمال تسخر انكلترا من اوروبا باسرها حيث لم تعمل هذه عملا ما لاخراج تلك من وطننا العزيز!

*
* *

احدث هذان الحديثان تأثيرا كبيرا فى الدوائر السياسية

الكبرى وجاء للمرحوم على اثرهما كتب عديدة من رجال السياسة يهنئونه على هذا الفوز ويؤكدون له ان مسئلة مصر مهما طال عليها الزمان فلا بد ان تأخذ حقها العادل من العالم المتمدين ومن هؤلاء الذين خاطبوه الدكتور هفمان زنيفر رئيس حزب الشمال بالبرلمان الالماني فقد قال له :

١٨ نوفمبر سنة١٨٩٦

سيدى

انى قرأت اعمالك الاخيرة وتبعت كل خطواتك السياسية دفاعا عن بلدك العزيز فوجدتها لم تصدر الا من وطنى مخلص زكى نشيط فأهنئك بهذه الدرجة التى تدهش كل من وقف عليها وعرف ان سنك هي سنك (كانت سن المرحوم وقتئذ ٢٢ عاما)

وانى اوافقك على وجوب جلاء الانكليز عن مصر لا لان الالمان يكرهونهم كما يشاع عنا بلا حق ولكن لمسئلة التوازن العام ولمصلحة قناة السويس بل لمصلحة انكلترا نفسها انا مستعدون لمساعدتكم متى كنتم عقلاء فادأبوا على الدفاع

من طريقه الشرعى فكل من سار على الدرب وصل وتقبل يا سيدى خالص احترام   الصادق المخلص

« ه . زنيفر »

وكتب اليه كذلك المسيو كانى فورشللا النائب الايطالى المتطرف الشهير كتابا هذا تعريبه :

« ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٦

ايها المصرى المحترم

انك باعمالك تلفت من جديد العالم الى تاريخ مصر القديم والجديد وتعيد ذكرى الفراعنة الذين لبسوا قبل بنى البشر تاج العلم ودخلوا جنة الصناعة ! انك لا تقل فى نظرى عن اوروبى ذى رأس كبيرة محنك وربما فضلت عليه بنشاطك الفائق الذى لا يقل عن نشاط البخار فمن باريس نسمعك وكذلك من برلين وفيينا والاستانة تذكر بلادك حتى خيل لنا ان العالم كله معك. نعم العالم كله معك. لان مسئلة مصر هي مسئلة العالم كله وخصوصا مسئلة ايطاليا التى اعتمد ملوككم الحديثين على ابنائها فى الرسم والبناء وتنظيم الجند والبوليس

فلا تحرم ايطاليا من زيارتك فأن الاحرار يحبون على الدوام رؤية الاحرار من اى جنس كانوا . واعتقد ايها الوطنى الغيور ان ابناء ايطاليا الذين درسوا الوطنية عن جريبالدى لفى أتم استعداد لمعاونتكم على حل مسئلة مصر ان لم يكن اليوم فغدا وليس الغد ببعيد وتقبل عظيم اخلاصى

« ك . فورشللا »

هذه الكتب وامثالها مما كانت تشجع المرحوم فوق شجاعته فكان قلبه كله املا فى حل مسئلة مصر كما ان قلوبنا كذلك لان الحق مهما طال عليه الخفاء فلا بد ان يعلو يوما ويعود الى حقيقته الاولى

المسألة المصرية

كتبت جريدة « الاندبندنس بلج » الشهيرة فصلا مطولا فى عددها الصادر بتاريخ ٢٣ نوفمبر بمناسبة زيارة المترجم للاستانة العلية . هذا تعريبه :

« لقد اهتمت الجرائد الاوروبية فى الايام الاخيرة بزيارة « مصطفى كامل » للاستانة العلية . ذلك الوطنى المصرى المشهور بخطبه المؤثرة فى مسئلة الاحتلال والجلاء

وقد اشيع انه فى مدة وجوده فى الاستانه العلية ابلغ مسامع جلالة السلطان آراءه فى مسئلة جلاء انكلترا عن وادى النيل . وأن هذه الاشاعة تكون ذات اهمية لو تحققت خصوصا وانها جاءت فى وقت ثبت فيه اتحاد فرنسا والروسيا وعزمهما الاكيد على العمل لتحقيق تنفيذ العهود الصريحة التى تعهدت بها انكلترا عن مصر . اى تحقيق الجلاء

ويؤكد الثقات من رجال السياسة ان مصطفى كامل شرح رأيه لجلالة السلطان بأنه ينبغى ان جلالته يرسل مذكرة سياسية الى الدول يذكرها فيها بضرورة حل المسألة قبل كل مسئلة سواها . فأن انكلترا هي اول الدول الساعية اليوم في تنفيذ التغييرات الجديدة فى الدولة العلية . وبعبارة أخري هي اكثر الدول عملا في تأييد حقوق المسيحيين . وهذه الصفة التى لانكلترا اليوم تسمح لجلالة السلطان ان يجيب على مطاعنها

بأن يطلب منها الاعتراف امام اوروبا بحقوقه على مصر

وان عملا كهذا من جلالة السلطان يقابل ولا شك بالاستحسان ما دام جلالته واثقا من عضد المانيا زيادة على ما عنده الآن من الثقة بعضد فرنسا وروسيا. ومعلوم لدى العامة والخاصة ان جلالة الامبراطور غليوم الثانى يحترم جلالة السلطان عبد الحميد احتراما زائد بحيث لا ينكر احد مودته لخليفة المسلمين واختصاصه اياه بالمحبة الاكيدة

ومما يفيد ذكره الآن هو ان الجرائد الالمانية الشبيهة بالرسمية وبعض الخطباء الرسميين اثبتوا فائدة الاتفاق الثلاثى الذى جري بين فرنسا والمانيا والروسيا فى مسئلة الشرق الاقصى . وان معضلة سياسية من اهم المعضلات قامت اليوم ولها بالمسئلة المصرية ارتباط شديد الا وهى مسئلة النفوذ الاوروبي في مياه بحر الصين والاوقيانوس الباسيفيكى فأن اليابان تعمل اليوم عدة تجهيزات ضد الروسية وقد خصصت قسما عظيما من الغرامة الحربية التى دفعتها لها لصين لانشاء دوارع حربية واساطيل خطيرة

ومما لا امراء فيه ان الروسيا تتم بعد ثلاث او اربع سنوات سككها الحديدية فى سبيريا لكى تستطيع اذ ذاك ارسال الجنود باسرع وقت فى كوريا وسبريا الشرقية ولكن هل الجنود وحدها كافية ؟؟؟

او ليست انكلترا قادرة على منع السفن الروسية من اجتياز قناة السويس ؟ وحيث كانت اليابان دولة بحرية مؤلفة من جملة جزائر فغير ممكن اخضاعها بغير الاساطيل القوية والسفن الحربية المستعدة بعد طرد جنودها من سبيريا وكوريا اذن فكيف يتثنى للروسيا ان تغلب اليابان اذا لم تكن قادرة على اجتياز قناة السويس التى هو اقرب الطرق للوصول الي المحيط الباسيفيكى ؟؟

فيستنتج من كل ذلك ان للروسيا بالرغم عن انشاء السكك الحديدية فى سبيريا مصلحة عظمى فى حل المسألة المصرية التى من ضمنها مسئلة قناة السويس ولذلك تتفق في مسألة مصر مصلحتها مع مصلحة فرنسا صاحبة الهند الصينية وتتفق كذلك مع مصلحة المانيا بالنظر لما لها من التجارة

الواسعة فى الشرق الاقصى ولمالها من المستعمرات في افريقية الشرقية

وضف الى ذلك العداوة الشديدة التى ابتدأ لهيبها بين المانيا وانكلترا من نحو سنتين والتى لا يستبعد معها ان نرى الاتفاق الثلاثى بين فرنسا والمانيا والروسيا يتحقق في مسألة مصر كما تحقق في مسئلة الشرق الاقصى

ولقد تكلمت الجرائد الاوروبية عن امكان حصول هذا الوفاق الثلاثى . والرأى العام الفرنساوى يظهر ارتياحه لحصول هذا الوفاق في مسئلة مصر اذلا يمكن حصول الموازنة بين فرنسا وانكلترا في البحر الابيض المتوسط مادامت انكلترا محتلة لمصر ويرون فى المانيا ان ليس بالبعيد حصول هذا الوفاق فى مسئلة مصر خصوصاً وان « غليوم الثاني » يجتهد في اسقاط شأن خصمه التجارى الوحيد. اي الانكليز

ولقد فهم الوطنيون المصريون كل هذه الامور وعملوا للانتفاع بهذه الظروف السياسية حتى يبلغوا غاياتهم المقصودة اى يتخلصون من النير الانكليزى . وبالجملة فان مصر هى

المسألة الدولية الشاغلة لكل الافكار . وهي مسئلة المستقبل القريب

ويكفى لمن اطلع على ما جرى أخيراً في مجلس النواب الفرنسوي عند ما سئل ناظر الخارجية الفرنساوية عن ماهية الاتحاد الفرنسوي الروسى وعن نواياه فى مسئلة مصر أن يتحقق الاتفاق التام الكائن بين فرنسا والروسيا فى مسئلة مصر ولم يكن من الممكن أن المسيو هانوتو يصرح زيادة عما صرح فان الحكومات لا تستطيع مطلقا المجاهرة بنواياها واسرارها امام مجالس النواب . ولكن ما قاله المسيو هانوتو يكفي كما أوضحنا لاثبات اتفاق الدولتين الفرنساوية والروسية على مسئلة مصر وعزمهما الاكيد للعمل على اجبار انكلترا أن تخرج من مصر

ومن كل ماذكرناه يدرك طالب الحقائق مقدار الخطأ الذي وقعت فيه كل دول أوروبا لتركها المراقبة الثنائية تنحل طبقا لرغائب الانكليز

هذه المراقبه التى كانت أعظم ضمانة لحيادة قناة السويس

والناس كافة يحسون فى أوروبا بهذا الخطأ ولا بد من اجبار انكلترا يوما ما على الجلاء من مصر . فان فى تحقيق الجلاء فائدة عظيمة جداً لكل أوروبا » ... اه

*
* *

بعد أن مكث المرحوم في الاستانة الى يوم الاربعاء الحادى عشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٩٦ استأذن من جلالة السلطان بالعودة الى مصر فأذن له جلالته وبرح الاستانة حيث وصل القاهرة في يوم الاحد الخامس عشر وقد كتب المؤيد بمناسبة وصوله مانصه بالحرف الواحد:

« حضر الى العاصمة مساء أمس حضرة الفاضل الغيور مصطفى أفندى كامل على أثر عودته من الاستانة وقد استقبله الجم الغفير من أصدقائه وخلانه على المحطة مهنئيه بسلامة الوصول

ويسرنا أنه لقى من تعطفات الحضرة الشاهانية مدة وجوده في دار السعادة ما هو جدير به من الرعاية والالتفات وقد تفضل جلالة مولانا السلطان الاعظم فأنعم عليه بهدية ملوكانية فاخرة وهى علبة سجاير من الذهب مرصعة بماس

وعليها الطرة الشريفة ترصيعا بالجواهر والاحجار الكريمة أيضاً وقد وضعت فى صندوق صغير فى أحسن حلية من الذهب والفضة . ولا شك أن للتعطف بمثل هذه المنح الخصوصية اعتباراً سياسيا وشأنا عظيما يفوق الانعام بالرتب والنشانات أضعافا مضاعفة

ومما يذكر هنا أن حضرة الفاضل المومى اليه كان ممتعا فى الاستانة العلية بالحرية التى كان عليها فى عواصم أوروبا وكان مكاتبو الجرائد الاوروبية الشهيرة يتوافدون عليه للتحدث معه فى الشؤون السياسية كما كانوا يتوافدون عليه فى باريس وبرلين وفيينا بحرية تامة ورخصة شاملة من جلالة مولانا السلطان ونحن الآن نهنئ حضرته بسلامة العودة وبما لقى من آيات النجاح فى كل خطوات سياحته خادما أمينا لوطنه أكثر الله في البلاد المصرية من أمثاله ونجح مقاصد كل خادم أمين لقومه وأمته وبلاده » ... اهـ

وما وصل المرحوم المنزل واستراح حتى كتب لى تلغرافا هذا نصه :

« مصر فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٦

الملازم الاول على فهمى بالاورطة الثانية بمروى

وصلت العاصمة فدنى متى تحضر   كامل »

وقد بعثت بالرد فى الحال بأني سأكون بمصر فى أوائل فبراير عام ١٨٩٧

ثم ورد لى منه رحمه الله كتابا هذا نصه :

« أخي الاعز ....

ألف تحية وألف سلام . وصلت البارحة الى العاصمة فاستقبلنى الاخوان أحسن استقبال وقد وجدت جميع افراد العائلة فى أجود صحة وبعثت لك توا بتلغراف أنبأتك فيه بوصولي وسألتك متى تحضر لمصر وقد استلمت التلغراف الذى ورد منك اليوم وسأعد الأيام بالدقائق والساعات حتى يجيئنى منك ما يبشرنى بقيامك الينا . بلغك الله السلامة وحفظك لاخيك   مصطفي كامل »

الاثنين ١٦ نوفمبر سنة ١٨٩٦

*

* *

ما انتشر ما كتبه المؤيد عن وصول المرحوم من دار السعادة وعن وصف هدية جلالة السلطان حتى قصده الكثيرون من محرري ومندوبي الجرائد الاروبية والمحلية ونظروا الى الهدية نظرة اعجاب وحادثوه في شؤون سياسية مختلفة ونشروا عنه ما ارتاحت اليه نفوس جميع الوطنيين

اما جرائد الاحتلال المأجورة فقد أشبعته سباً وشتما كأنها تريد ان لا يكون لمخلوق وطن حيث لا وطن لها . وقد اتهمته بتهم كثيرة اقلها انه مجنون معتوه الى غير ذلك من الكلمات التي يخجل فاقد شعوره من التفوه بها

وقد كتب الي رحمه الله كتابا جاء فيه :

« وما سمعت في حياتي من انواع الشتائم وصنوف السباب مثل ما سمعت بعد عودتي من السياحة في هذه المرة فقد صادفت اصواتا اجنبية عنا ودخيلة فينا تنادي في كل مكان بأني خيال لا حقيقة وانه لا وجود للوطن المصري . فاقرأ هذه السطور بين اخوانك الضباط وقل لهم اننا في زمن لا يستحي فيه مأجور ولا ينزوي فيه دخيل . فهم يأتون الى

مصر جياعا فيذكرونها كل لحظة بالخير وانها وطن العالم ولها اسخى الايادى على كل عاجز مقعد حتى اذا ما شبعوا وصعد بخار غذائها المحيي الى رؤوسهم ضلت عقولهم وعميت عيونهم فيرون جميل الامس قبيحا اليوم ويذكرون نهارنا ليلا ويدعون أنهم وعاظنا وقادتنا

قل لهم بالله عليك ـ ان الوطن المصرى موجود ولكن الوطنيين الصادقين قليلون حتى يكادوا يكونون عدما

قل لهم ان الذى البسكم سلاحكم وتوجكم بهذا الشرف شرف الدفاع عن حوزة الوطن هو الوطن نفسه . وان الذ ساعة تمر على الوطنى فى ساعات حياته هى ان يرى بعينيه دمه يسيل ثمنا وفداء لاخوانه ابناء الوطن

قل لهم ان فى البلاد احتلالين انكليزيا ودخيلا وبقدر محاربة الاول يجب محاربة الثانى اضعافه لانه الدخيل الذى دخل ليدعى انه منا واما الانكليزى فلا يغير جنسيته ودينه وعوائده لانه يجد المجد فيها والشرف في ذكرها والتغنى بها

قل لهم ان اخالك رأي الامم والاوطان جسمين

لا يفترقان لان الاول من الثانى وابن نعمته وغرس فضله واحسانه ولا ينكر الاحسان الا كل لئيم جبان

قل لهم ان الرجل الذى يأخذ باليمين حلاوة ليرد بالشمال نارا ليس من البشر بل من حشرات نشأت بين الاوساخ فكانت العاطفة البشرية فيه سما زعافا

قل لهم ان الانكليز يعرفون عن خبرة ان العلم بيننا لا يزال فى تسنين لم يبلغ الحلم بعد فهم يبثون فينا وسطاء السوء ونذراء الشر واهل الضلالة ليضلوا من صغر عقله وجبن قلبه ضلالا كبيراً

قل لهم ان الضابط الذى يقرأ أقوالهم بعد ماقرألا يصح ان يكون مدافعا عن الوطن لان الوطن يطلب نفوسا تضع الكرامة موضعها وتفرق بين العدو والحبيب . نعم ان الوطن يقول بلسانه المؤثر « ان ابنائى هم الذين يقفون بنى وبين كل ساع في اضرارى » وليس هناك ضرر اعظم من دخيل ينكر على الابناء حب ابيهم كما ينكر هؤلاء الدخلاء حبنا لوطننا

قل لهم كل ذلك وسيسمعون يوما صوت الوطن ان لم

يكونوا قد سمعوه من قبل ! انه لصوت مؤثر محبوب ! !
وابلغهم عنى تحية الاخ لاخوانه.

وارجوك ان لاتحرمنى من كتبك السارة فأنى في حاجة كبري لرؤياك بعد الذى اصابك ولأقص عليك مارايت فى غيابك والله يبقيك ويؤيدك لاخيك المخلص

مصطفى كامل »

السبت ٢١ نوفمبر سنة ١٨٩٦

حيلة المحتلين

﴿ فى اقتراع المرحوم ﴾

(للجندية)

عمد المحتلون من شدة حنقهم على المرحوم وتغيظهم من عمله كأنه لم يكفهم ظلمهم اياى ذلك الظلم الذى استغاث منه الظالمون الى طريقة جديدة من اختراع اواخر القرن التاسع عشر وهى اقتراعه للجندية مدة غيابه فى اوروبا وقداستعملوا في هذه الحيلة طرقا شتى واليك البيان ...

فى السابع من شهر سبتمبر سنة ١٨٩٦ بدأ مجلس قرعة القاهرة فى اجراء عملية القرعة فأوعز الانكليز اليه ان يقترع المرحوم غيابياً ويجنده جندياً لان رئيس المجلس المذكور كان من ضلع الانكليز يعمل كل ما يرضيهم وكان لانكليز يعتقدون ان الصلة بين سمو الخديوى والمرحوم كبيرة وانهم رؤوا ان ما عملوه معي لم يؤثر على المرحوم فى شيء بل زاده نشاطا فى خدمة الاوطان وعمل اضعاف عمله فى العام الفائت فلم يجدوا غير هذه الحيلة التى يقضون بها عليه القضاء الاخير بواسطة من لا يهمهم منا الا غرضا يقضونه او مأربا ذاتياً يصلون اليه !

جاء دور قسم الخليفة فى الاقتراع وهو القسم الذى ولدنا فيه وقيدت اسماؤنا فى سجلاته فأوعز المجلس او رئيسه (طبعاً) الى مأمور القسم بعمل كل ما فى وسعه لتبليغ اعلان اقتراع المرحوم لاحد افراد عائلته حتى اذا مضى ثلاثة اشهر على هذا الاعلان كان اقتراعه واجبا كما تقتضيه القوانين

سلم مأمور القسم اعلان اقتراع المرحوم ضمن جملة

اعلانات لمشايخ الحارات وقد كان شيخ الحارة التى كنا نسكنها رجل اسمه الشيخ محمد زايد

جاء شيخ الحارة الى المنزل وسأل الخادم عن المرحوم فأخبره انه فى اوروبا وانه سيحضر قريبا فاعتمد على قرب حضوره ليسلمه الاعلان لانه كان قد فهم من الاوامر التى صدرت اليه ما فعل

سأل رئيس مجلس القرعة عن هذا الاعلان خاصة بعد بضعة ايام من المأمور وهذا سأل شيخ الحارة الذى ابلغه انه جرى مجراه وعلى ذلك اطمأن بال واسطة المكيدة وابلغ رؤساءه الانكليز بما كان فهشوا له وبشوا وما دروا ان تدبير الله اعظم وان الله لا ينصر الظالمين

عاد المرحوم من سياحته وماجاء السابع من شهر ديسمبر حتى جاءه اعلان من القسم بأن يذهب الى مجلس القرعة لانه حل ميعاد تجنيده حيث لم يبدأقل معارضة بعدالاعلان الذى ارسل اليه .

ماقرأ المرحوم هذه النميقة حتى فقه انهم نصبوا له احبولة

جديدة فكلف فى الحال احد اخوانه اعضاء الحزب ليستحضر له قانون القرعة وذيله ولما احضرهما قرأهما المرحوم فوجدانه يجب عند عملية الاقتراع بأى قسم اعلان ذلك بالوقائع المصرية وتعليق اسماء المقترعين بلوحة فى القسم التابعين له وارسال اعلانات ليد المقترعين او من لهم بهم اى علاقة من اهلهم او من خدمهم .

ما وقف المرحوم على هذه الفقرات من قانون القرعة حتى دعا شيخ الحارة وسأله امام اثنين من أصدقائه عما اذا كان سلم اعلان اقتراعه لأحد فى غيابه وعما اذا كانت أسماء المقترعين علقت فى القسم فقال شيخ الحارة على الفور « ما حصل شئ من هذا » فاستكتبه المرحوم نص ما قال وأشهد عليه الصديقين كتابة وحفظ الورقة فى جيبه

قصد رحمه الله فى اليوم الثانى مجلس القرعة وقابل رئيس المجلس فابتدره هذا قائلا بازدراء « انت مصطفى كامل » فجلس المرحوم على كرسى وجده خاليا وقال له نعم وماذا تريد ؟ فاندهش الرئيس وقال انك الآن جندى فيجب أن تقدم

الضمانة اللازمة للمجلس حتى نأمن من وجودك يوم التجنيد النهائى فناقشه المرحوم بشدة وقدم له الشهادات التى تعافية ومعها نقود البدلية ولكن صاحبنا هز كتفيه وقال هذا لاينفعنا فقال له المرحوم افعل ماشئت وتركه وانصرف فكتب فى الحال رئيس المجلس للحربية وهذه كتبت للمحافظة .

كتب المحافظ خطابا لقسم الخليفة يشدد فيه بوجوب القبض على المرحوم وارساله حالا للمحافظة ولكن مأمور القسم لم يعمل بنص هذا الكتاب الغير القانونى وقصد المرحوم في الحال فوجده مع الكثيرين فى قاعة الضيافة فقام المرحوم واختلى به فى مكان آخر وعرف ما يبتغيه وشكره شكراً جزيلا ووعده بالذهاب الى المحافظة في اليوم التالى

في مساء هذا اليوم جاء تاجر من تجار الاسكندرية بصفة خاصة ليقول للمرحوم وهو لا يعرفه أنه سمع من حكمدار بوليس الاسكندرية أن المحتلين مصممون على تجنيده مهما كلفهم ذلك وأوصاه أن يأخذ الحيطة فى ذلك . فقصد المرحوم تواً مكاتب شركة هافاس فى القاهرة والمسيو كافيو

مدير جريدة « الجورنال ايجبسيان » الفرنسية وأبلغهما فحوى المسئلة فأرسل مكاتب هافاس تلغرافا مفصلا لمركز الشركة بباريس هذا تعريبه :

« ان المحتلين يريدون تجنيد مصطفى كامل السياسى الشهير مع أن قوانين البلاد تستثنى من القرعة حاملى شهادة الحقوق والقادرين على دفع البدلية وهو ممتع بالصفتين

وان ما ينتحلونه من اعذار كاعلانه فى غيابه واتمام الاجرا آت القانونية لس بصحيح . وانى اؤكد للرأى العام الاوروبى أن هذه المسئلة لو تمت على رغبة الانكليز لأثارت فى مصر حركة تكون نتيجتها وبالا على مصالح كل دول أوروبا لان هذا الرجل من أكبر زعماء الحزب الوطنى الذى وقف نفسه لتحرير مصر واخوانه فى هذا العهد أشداء . وغداً سيقصد محافظ العاصمة الذى شدد في طلبه ليترافع امامه في قضيته بل قضية مصر بأسرها »

وفى صباح اليوم التالى ظهرت جريدة « الجورنال ايجبسان » خلافا لعادتها لانها كانت تظهر عادة بعد الظهر

مصدرة بمقالة فى هـذا الموضوع بلغ فيها كاتبها المسيو كافيو منتهي الشدة وحذر الحكومة والمحتلين من هذا العمل .

قصد المرحوم قبيل ظهر اليوم التالى المحافظة وقابل المحافظ الذى ابتدره بعـد أن جلس بقوله « ان القانون يحتم علينا تجنيدك لأن مـدة المعارضة التي خولها للمقترعين بعد اعلانهـم قد انقضت » . فأجابه المرحوم ولكنى للأسف لم أعلن ! فبهت المحافظ عند سماع هذه الجملة وقال له اذا كنت لم تعلن فليس فى هذا أسف من قبلك بل بالعكس فيه لك كل فلاح وسرور » فقال له المرحوم « انى آسف لأن المحتلين ورجالهم المنافقين لم يستطيعوا أن يصلوا الى بغيتهم ! »

فقال له المحافظ « واين برهانك على أنك لم تعلن ؟ » فأجابه المرحوم « نصوص القانون التى حتمت اعلاني أو اعلان أحد من بيتى وتعليق اسمى بالقسم ونشر اقتراع القسم فى الوقائع المصريه وحيث أنه لم يحصل شيء من ذلك فلا حق لكم في استدعائى أولا الى مجلس القرعة وثانيا الى المحافظة ! » فدعا المحافظ عقب هـذا مأمور القسم وشيخ الحارة وسأل الاول عن مسئلتى

النشر في الوقائع وتعليق الاسم بالقسم فأجابه ان هذه القوانين مهملة من زمن بعيد !

وكذلك اجابه الثاني وهو شيخ الحارة انه لم يعلن المرحوم لانه كان غائبا !

ماسمع المحافظ هـذين القولين حتى تأكد ان اقتراع المرحوم لم يكن صحيحا فأمر بتجديد اعلان اقتراعه على الطريقة القانونية وقد عفت عنه شهادات الدراسة

هذه هي الحادثة باسرها التي ذاعت في كل العالم المتمدن وما علمت الجرائد المحلية وفي مقدمتها جريدة المؤيد حتى زفت هذه البشرى للوطنيين الذين فرحوا فرحا كبيرا

اما الانكليز واذنابهم فانهم قضوا ليلتهم في حزن لانهم رجعوا من الحيلة بخفي حنين ولم يبق لهم الا سخط العالم باسره عليهم

وقد جاءني من المرحوم بعد هذه التفاصيل خطاب قال لي فيه بعد كلام طويل :

« لا تحتقر الناس ولا تنسى المثل العربي القائل « نواة تسند زيرا » والمثل الفرنساوي القائل « يحتاج المرء غالبا لمن

هو اصغر منه » فان الذى انجانى من هذا الحادث هو شيخ الحارة وان معافاتي من الجندية ليست من فضل شهادة عالية او نقود تدفع بدلا بل من فضل صدق هـذا الشيخ الذى ينظر اليه الناس بعين صغيرة ولكنه فى نظرى اكبر من محافظ العاصمة ورئيس مجلس قرعتها

ولا تنسى ايضا ان الله ينصر عبيده المخلصين وان الاحابيل التى ينصبها العدو لابد ان يقع فيها. وانى اسر كثيراً كلما رأيت الاحتلال حانقا على متألمـاً من عملى لان في ذلك دليلا قويا على نجاحي في هـذه القضية الـكبرى قضية مصر والمصريين .... مصطفى كامل »

الاربعاء ٩ دبسمبر سنة ٩٦

وقدا نتعشت كثيرا من هذا الكتاب ورددت على المرحوم من بحره ذاكرا له عمل شرف الدين اونباشى السجن الكريم معي وعمـل الجنـدي « احمد القافلة » فى حادث الجيش فلولاهما لمت جوعا اوتعبا . الا بارك الله فى هذه النفوس العالية التى عشقت المروءة فلازمتها والمروءة زينة الانسان وام

الحنان . ومرضية الرحمن فلا خاب من اتصف بها فى كل زمان ومكان .

ابتدأت سنة ١٨٩٦ بحادثى وانتهت بهذا الحادث فكان مبدأها حنظل وختامها مسك والحمد لله على كل حال .



استقبل المترجم رحمه الله هذا العام وهو فى فراش المرض من كثرة الاشغال والتنقل من جهة الى جهة فى خدمة مصر ولم يبل منه الا فى ١٤ يناير من تلك السنة وقد وصف له الاطباء مدينة حلوان تبديلا للهواء فقضى فيها أسبوعين أى لنهاية شهر يناير ولما عادت اليه قواه وشعر أنه فى صحة تمكنه على استئناف الجهاد فى أعماله الوطنية عاد الي العمل وكتب الى بعد أن طال الزمن خطابا هذا نصه !

أخي . . . . .

بعد التحية الاخوية أنبئك أني شفيت من مرض لازمني خمسة أسابيع وكان سببا فى عدم مكاتبتك ولكن والحمد لله قد عادت الى قواى وأشعر اليوم بصحة جيدة وقدرة على العمل أكثر من قبل

وأملي أن خطابي هذا يصلك حيث تكون قد نلت الاجازة بالحضور الى مصر ورجائي أن تخبرنى تلغرافيا عند قيامك حتى أسافر لأستقبلك بأسوان. حفظك الله لاخيك

الاثنين أول فبراير سنة ١٨٩٧ مصطفي كامل »

وصلني هذا الخطاب في وقت كنت فيه بين الشك واليقين من السفر الى مصر فقصدت قومندان الاورطة الثانية التى كنت بها وقتئذ وسألته عن سفرى فقال « انه لا يمكن الآن » فأرسلت فى الحال تلغرافا الى المرحوم أعربت له فيه عن حسن صحتي وسرورى التام من شفائه وانه ليس فى الامكان سفرى الآن الى مصر فجاءنى منه خطاب هذا نصه !

أخى . . . .

بعد التحية . . . . انى كنت أود أن أراك قبل سفرى الى أوروبا لان أصدقائي فيها الذين يخدمون المسئلة المصرية باخلاص رؤوا ان الفرصة مناسبة لوجودى بها الآن حتى تدخل مسئلة مصر ضمن البروجرام الدولى الذي سيوضع بعد انتهاء الدولة من مشاكلها الحاضرة

هذا وربما برحت القطر في يوم السبت ٦ مارس المقبل أو ١٣ منه . وعلى كل حال أرجو منك أن تؤخر قدومك الى أوائل يونيه أذ أكون قد عدت من هذه السياحة التى أؤمل أن تكون مهمة للغاية . . . . دمت لأخيك المخلص

الاربعاء ١٧ فبراير سنة ٩٧ — مصطفى كامل»

دعوة للامة الالمانية

انتهز المرحوم فرصة يوم تذكار ميلاد الامبراطور غليوم الثاني فى ٢٧ يناير من هذه السنة وأرسل دعوة للأمة

الالمانية نشرتها جريدة « برلينرتاجبلاط » الالمانيـة الخطيرة في ٨ فبراير وتناقلتها عنها كافة الجرائد الالمانية وغيرها من جرائد العالم المتمدين وهذا تعريبها :

« اني أتقدم للامة الالمانية فى هذا اليوم التاريخي الذى تحتفل فيه بالعيد السعيد لتذكار جلالة الامبراطور غليوم سائلا اياها معونة بلادى ومساعدة وطنى السيء الحظ

واني أعلم علم اليقين أنه لـكى تجرى أمـة من الامم فى سبيل سياسى يلزم زمن طويل وعمل عظيم ولـكنى أعلم أيضا أن الحقيقة لو كانت معلنة على لسان رجـل واحـد تـكفى وحدها للتأثير على الضمائر والافـكار. ولاشئ يشجع النفوس الميالة للحرية مثل ميل الامم الحرة الى نشر الحرية بين سائر بنى الانسان وانا نعلم جيداً أن الامة الالمانية لاتستطيع مطلقا الا المناداة بحرية مصر والمساعدة على الوصول اليهـا وان بلادنا لجديرة حقيقة بالرعاية والعناية من الامم الحرة لانها برهنت على شدة احترامها للمدنية والانسانية . وما وجود الاحتلال الانكليزى فى ربوعها الا برهان ساطع على ثقتها بدول أوربا

حيث أنها بثقتها هذه قبلت توسط انكلترا فى اعادة الامن الى البلاد بعد ثورة عرابي

ولقد تأيد الامن فى مصر في العام الاول من الاحتلال ولم يعد هناك حاجة ما لوجوده الا تخريب وادى النيل حسا ومعنى

فعوضا عن تأييد سلطة الخديو وهو السبب الاول للاحتلال صار الانكليز اليوم لا يعملون الا على تقويضها الى حد انهم اصبحوا يعضدون الرجال الذين اشترتهم انكلترا والذين هم قليلون جدا كما هم محتقرون للطعن على سمو الخديو والتظاهر ضده

فأولئك الانكليز بأعينهم الذين كانوا يعتبرون سابقا سخط العرابيين على الخديو توفيق جريمة لا تغتفر اصبحوا اليوم يعتبرون محبة سمو الخديو (عباس حلمي) جريمة الجرائم

وهم دون ان يأتوا باى نافع لمصر نفسها ما عملوا الا على تخريبها وتدمير معالمها فلقد بلغ فقر الفلاحين لازدياد الضرائب مبلغاً لا يحده الفكر واضحت اليوم غايات الانكليز الشخصية

ذات المفعول الاسمي وباتت العدالة اسما بلا معنى وبلغ الظلم العسف تحت حكم انكلترا الي حد أن الانكليز صاروا الآن يحرقون الناس جهارا وهم احياء ....

ولما رأت الامة المصرية مقدار احتقار الانكليز لكل الحقوق الشرعية وشعرت تمام الشعور بالآمها ومصائبها انطقت بحكمها النهائي على الاحتلال الانكليزى بأن قضت عليه شر قضاء فلقد اعلنت مصر باعلى صوتها باقلام كتابها الفضلاء وعلى السنة خطبائها ونوابها الذين تنتخبهم انها لا تستطيع مطلقاً تحمل الاحتلال الانكليزى وانه يجب ان تعيش امة حرة وان تحقق اوروبا لها هذه الحرية الى الابد

وان القضاء على الاحتلال الانكليزى من الامة المصرية بهذه الصورة الجهرية لقضاء ذو قيمة عظيمة فى نظر العالم بأسره فأن امة تستطيع بما لها من الكفاءة والمدنية أن تحكم نفسها بنفسها دون ان يضر ذلك بمصالح الدول المتمدينة يجب ان تحرر ويجب ان تعيش حرة

نعم ان مصر يجب ان تحرر ويجب ان تعيش حرة ليس

فقط لانها تستحق هذه الحرية بل ايضا لان فيها المصلحة السامية لكل العالم فلقد رأى الناس طرا ان انكلترا تهدد مصالح مصر ومصالح اوروبا الاساسية واصبحت بريطانيا العظمى بلا ريب تعمل اليوم على خرابنا وامتلاك بلادنا فماذا تنتظر اوروبا اذا ؟؟

ان هذا السؤال يلقى صراحة على الامم الاوروبية وهو هل ترضى بأن تقتل امة حية علنا فى آخر القرن التاسع عشر ؟؟ كلا انا لا نظن ذلك . ولذا اخذنا على عهدتنا مناداة الامم الاوروبية وقد جئت اليوم انادى الامة الالمانية العظيمة السطوة

لقد تعهدت انكلترا لاوروبا بأسرها ان تنجلى عن مصر متى استتب الامن فيها . وتعهدت الدول نحو بعضها بالمحافظة والدفاع عن سلامة مصر واستقلالها . فلماذا تترك انكلترا تحكم بلادنا ؟ ان تركها تحكم وادي النيل لمسبة علنية لاوروبا ولمسبة كبيرة للمدنية الغربية

وبديهى ان لكل امة تريد الاستقلال والتخلص من النير

الاجنبي الحق فى رفع لواء الثورة والعصيان وازهاق النفوس وأسالة الدماء وللامة المصرية كذلك هذا الحق الشرعي الذى لاريب فيه. ولكن أليست امتنا اجدر حقيقة بالرعاية والمساعدة اذا كانت هي حتى الان مبتعدة عن سبيل الثورة لوثوقها بعدالة اوروبا

انا منذ سنين عديدة حافظنا امام شعوب الارض على السلم وبرهنا على اننا امة تريد من صميم فؤادها نيل الحرية وتعمل للوصول اليها بدون اسالة الدماء

فأمة هذا شأنها من المدنية وهذا شأنها من الوثوق بالمدنية هى بلا محالة جديرة بانعطاف الامة الالمانية نحوها ومساعدتها لها .

ولقد تحققنا من ظروف عديدة ان فرنسا وروسيا تريدان مساعدتنا على تحرير وطننا اما المانيا فقد بقيت على الحياد . فلم لا تتحد مع جارتيها فى تحرير مصر ذلك التحرير الضامن للسلام والعدال والانسانية ! !

لقد صرح فى يوم ١٦ نوفمبر الماضى باعلى صوته من

منبر خطابة مجلس الريشتاغ البارون فون مارشال وزير الخارجية الالمانية بأن « من مصلحة المانيا السير مع فرنسا وروسيا بالاتفاق فى جملة مسائل سياسية خارجية كما جرى ذلك فى مسألة الصين واليابان » وبديهى أنه ليس هناك من مسألة تتحد فيها مصلحة المانيا مع مصلحة فرنسا وروسيا مثل المسألة المصرية

فساعدينا اذاً أيتها الامة الالمانية على استرداد حريتنا واستقلالنا

الا أيتها الامة الالمانية! الا أيتها الامة المتمدينة العظيمة ان الانكليز محتلي بلادنا يتثلونك لنا بآلة فى ايديهم وبمدية يقبضون عليها للقضاء على حياتنا وتفيس عمرنا مع ان الحقيقة والتاريخ يبرهنان لنا على ضد ذلك

كلا . انتم لستم اذاً اقوياء لتتركونا نموت !

كلا . انتم لستم اذاً احرارا لتحكموا علينا بالعبودية للانكليز !

مصر كلها تؤمل فى هذا اليوم السعيد انكم تتحدون

مع الدول الراغبة انصافنا وتعملون معها على رفعنا الى مكانة الشعوب الحرة

ونؤمل جميعاً ان تذكار ميلاد جلالة الامبرطور غليوم يعود على العالمين بالسلام وعلينا معشر المصريين بالحرية والسعادة الحقيقية » مصطفى كامل »

مصر في ٢٧ يناير سنة ٩٧

ولقدعلقت جريدة « برلينر تاجبلاط » على هذه الدعوة بقولها ماترجمته :

« ان هذه الدعوة الصادرة من الوطنى المصرى الطائر الصيت ستزيد ولا ريب فى ميل المانيا للامة المصرية وانه وان كان هناك فرق بين ميل شعب لآخر وبين عمله على معونته بالفعل . الا ان الناظر للسياسة التى سار عليها فى هذه الازمان رجال السياسة الانكليزية من اجتهادهم ورغبتهم الاكيدة في اهتضام حقوق امة الترنسفال التى هي اقرب الامم الينا يرى انه من الامور الطبيعية اضطرار رجال السياسة الالمانية للعمل على طرح المسألة المصرية على بساط الحل

ومساعدة المصريين كما يعلم الانكليز أن فى استطاعة المانيا الانتقام ممن يتعمد اهانة احساساتها اومس مصالحها السياسية او غير السياسية بسوء ما

ولذا فاننا نعتقد ونرى ان دعوة (مصطفى كامل) للامة الالمانية أتت فى اوانها وصادفت احسن فرصة سياسية لها » اه

ما انتشرت هذه الدعوى كما قلنا حتى علقت عليها الجرائد الاوروبية تعليقا يوافق سياستها ومصلحتها وكانت اغلبيتها فى صفنا. ومن هذه الجرائد المتحابة جريدة الاكاير فقد كتبت ماتعريبه :

« لقد لفتت خطبة السير ميخائيل هيكس بيتش وزير مالية انكلترا انظار أوروبا الى المسئلة المصرية فانه بالرغم عن اهتمام الناس جميعاً بحوادث كريد وبسوء العلائق بين تركيا واليونان لم يترك الرأى الاوروبى مسئلة مصر بل بقى مشتغلا بها واهتم بتصريحات وزير المالية الانكليزية عنها

ولكن بقية دول أوروبا غير فرنسا والروسيا كانت الى الآن امام حوادث وادى النيل ومسئلة جلاء الانكليز عنه

كمتفرجات لا يعنيها الامر

ولقد كان من المهم جداً معرفة آراء جرائد المانيا الخطيرة بشأن مسئلة مصر. وقد اطلعنا في جريدة « برلينر تاجبلاط » التي تعد من أهم واعظم جرائد المانيا على دعوة للامة الالمانية بعث بها من عاصمة الديار المصرية الوطني المصري المشهور (مصطفى كامل) وهذه الدعوة تشرح حالة المصريين الحقيقية التي وصلوا اليها في عهد الاحتلال الانكليزي وتسترحم المانيا أن تتفق مع الدول التي ترغب انصاف المصريين برفع وطنهم الى منصبة الشعوب الحرة

وقد علقت عليها جريدة (برلينر تاجبلاط) على هذه الدعوة (واتت عليه كما نشرناه) ثم قالت :

وهذه الاقوال الصادرة من الجريدة البرلينية ذات أهمية عظمي . وفي الحقيقة أنه ليكون من الامور الطبيعية التي لاغرابة فيها أن المانيا تنضم الي الدول الراغبة انصاف مصر لتحمل الانكليز على احترام المعاهدات الدولية المختصة بمصر وننضم نحن كذلك اليها لتحقيق سلامة واستقلال جمهورية

افريقية الجنوبية . أي جمهورية الترنسفال

ولكننا من الظروف الحالية يجب علينا معشر الفرنسويين ان ننظر للاشياء كما هي ونعمل لحل مسئلة مصر معتمدين على انفسنا » اه

جرى على هذا القول اغلب الجرائد الفرنسية . اما الجرائد الالمانية فأنها بلا استثناء ايدت هذه الدعوة بكل صراحة مما هاج الانكليز فحملت جرائدهم حملة منكرة على المانيا ونسبت الدسائس لرجال ساستها بمناسبة قيام صحفها بنصرة المسئلة المصرية وتأييد هذا الصوت العالى الذى خرج من وادى النيل فملأ الأفاق دفاعا عن قضية مصر العزيزة وابنائها الكرام .

اما اذناب الانكليز فى مصر فعادوا وقتئذ الى رقصهم الاول وكانو يحملون تارة على سمو الخديو وتارة أخرى على الوطنيين المصريين ويلقبونهم بالمأجورين والطائشين المهووسين وكنا نقرأ هذه الاساليب التى لو كانت ضد أمة أخري لقامت من فورها والقت بهم فى اليم او نسفتهم فى الهواء

نسفاو لكن هكذا تطعم العبد الكراع فيطمع فى الذراع ! ولن يعود عنك بسلام الا اذا علمته كيف يكون عقاب الطغام اللئام !

*
* *

برح المرحوم العاصمة فى يوم الجمعة ١٢ مارس وابحر منها فى يوم السبت ١٣ منه فودعه الكثيرون من اخوانه الذين قرؤوا الوطنية وعرفوا لذة الوطنية وداعا يشف عن الحب الجنسى ورابطة العهد الاخوى .

ومما يذكرهنا انه كان بين المودعين فى هذه الاونة رجل غريب أمريكانى اسمه « جولد بنك » قد قدمه للمرحوم احد كبار رجال الحكومة فى الاسكندرية . فانتهز هذا الامريكاني هذه الفرصة وسأل المرحوم ثلاثة اسئلة وهي :

اولا — لك ان تتكرم على بأجمال السبب الذى دفعك الى المناداة بحرية مصر ؟

ثانيا — اذا لم تستطع فرنسا خاصة وأوروبا عامة ان تجبر بريطانيا على الجلاء فما تكون خطتك وخطة مواطنيك العاملين ؟

ثالثا — هل لك حاجة فى أمر كالاقوم بها خدمة لهذا البلد الكبير المظلوم ؟

فاجابه المرحوم على الفور :

اولا — انى من صغرى مغرم بقراءة التاريخ فكانت سير عظماء الرجال الذين خدموا بلادهم تستوقف حواسى وكنت أجد من نفسى ارتياحا للاستمرار على القراءة كما كنت احفظ الاناشيد الحماسية لاول مرة حتى انى اذكر أنى نطقت بالشعر قبل الوقوف على علم العروض وقبل أن أحسن ضبط الكلام على القواعد النحوية

واني عند ما كنت صغيرا كان المرحوم ابي يحدثنى مع اخوتى الكثير من قصص الحماسة وأحاديث الصبا والفتوة فكنت أشعر عند مايصل بنا الى انتصار رجل على رجل او آخر في حيلة شريفة ان قوتى اكبر من جسمي وأنى على أهبة الوثوب والهجوم من شدة سرورى وانتصار حواسى للمنتصر الظافر

ولما كنت مصريا صميما رأيت بجميل وحق أن أقف

قلمي ولساني دفاعاعن بلد جليل — أوام شفيقةحنون لاحياة لنا الا بوجودها عالية الشان سامية المقام وأني سأبقي ابنها البار الوفى حتى اخر نفس أنفسه في هذا العالم .

ثانيا — اننا نبني نجاحنا في عملنا على أمرين . الاول خارجي وهو فرصة انتهاز الحوادث الدولية . والثاني داخلي وهو نشر العلوم والمعارف بين اخواننا المصريين والتشهير بهفوات الاحتلال الانكليزي لترقى العقول ونبغض القلوب في الغاصبين وبذلك تقترب الامة شيئاً فشيئاً من الوطن حتى تلتف حوله وتصير واياه جسما واحداً لاقدرة لاية طائفة من الناس او اية حكومة مهما كانت قوتها أن تعبث بكيانه او تفصل اجزاءه .

ثالثا — أشكر لك كثيرا الخدمة التي عرضتها على بامريكا وأملي ان تحلوا تلك العقدة العتيقة التي حرمت العالم صوتكم في المسائل الاوروبية حتى نسمعكم صوتنا في دياركم على نفس النغمة التي اسمعتم بها العالم صوتكم يوم ان كنتم مثلنا

وكذلك أؤمل ان لاتشهد السماء مرة أخرى دماء البشر

تجرى فى سبيل الخلاص من ظلم بريطانيا وان يكون الانكليز ابقى على كرامتهم من ان تلوثها بعد تلك الايمان الغليظة ايدى بعض سواسهم الذين يريدون أن يسطر لهم التاريخ ماليسوا أهلا لعشر معشاره !!

فقال له الامريكانى بعد هذه الكلمات : « بارك الله في شعب أنت منه ولترق أمة هذه مبادئها وهذا صراطها فاعمل ودع غيرك يعمل فان ما أخذ لا يرد التماسا ولكن بالصوت العالى والنخوة التى تقلق الظالم فى غدوه ورواحه. واعتقد ان الانكليز أسهل الامم في رد الحقوق متى وجدوا من ذويها الأباء والكرامة والشمم المحترم ! »

جرت الباخرة الى الشمال حتى ميناء تريستاومنها ركب القطار الى فيينا

وصل الى فيينا فى ١٩ مارس ومكث فيها سبعة ايام قابل فى خلالها الكثيرين من رجال السياسة والصحافة وقد دار بينه وبين المسيو الدكتور ريزنر النائب النمسوى والحكيم الشهير حديث نشرته جرائد فيينا وتناقلته شركات البرق الي

انحاء المعمور وهذا تعريبه:

« سأله المرحوم : ماذا تكون خطتكم اذا عرضت مسألة مصر على بساط البحث ؟ فقال : اني أعلم أن الكثيرين من اخواني أعضاء البرلمان يميلون الى طرح مسألتكم على بساط البحث رغما عن العلائق الودية التي بين حكومتنا وحكومة جلالة الملكة فكتوريا . ومتى طرحت نكون في جانب العدل الذى يقضى بحرية مصر ووضعها تحت ضمانة الدول أجمع لانك تعلم أن أهميتها تنحصر فى قناة السويس التى تربط مصلحتين كبيرتين احداهما بالاخري. مصلحة أوروبا الصناعية وأسيا المحتاجة لصناعتنا وانه قبل أن يبحث الصانع عن سوق ليروج فيها صناعته يجب عليه أن يبحث عن أسهل وأسرع طريق يعبره ليوفر النفقات الكثيرة على نفسه ومعامليه وليجد الطالب حاجته من هذه الصناعة فى كل وقت. وليس لأوروبا عامة وللنمسا خاصة طريق للشرق الذي نروج فيه بضاعتنا أكثر من بضاعة جميع الدول الا قناة السويس .

وغير ذلك فانه لا يصح أبدا أن تملكه دولة بحرية لانها

ترعب وقتئذ العالم أجمع وتصبح سيدة الكونين تفعل ما تشاء وخصوصا الدولة الانكليزية فانه فضلا عن كونها أقوى دولة بحرية فانها كذلك من أكبر دول العالم التجارية . نعم ان بضائعها غالية لا تروج بكثرة كبضائعنا ولكنها على كل حال مقبولة محبوبة

ثم لا تنسى أن مصلحة النمسا دائما فى جانب مصلحة الدولة العلية التى لها السيادة على مصر لانه فضلا عن العلائق الودية التى أساسها الجوار والمنافع المتبادلة فانه ليس للنمسا ميدان تجارى فسيح أكبر من بلاد الدولة .

— وهل لا تبنون شيأ من المصلحة فى حل المسئلة المصرية على التحالف الثلاثى ؟

نعم ان التحالف الثلاثي قوى وما تريده احدى دوله الثلاث تريده الأخريان . ولكن ماذا نعمل وايطاليا تظن بالانكليز خيراً ولها أمل فى امتلاك شئ آخر على الشواطئ الافريقية بمساعدة بريطانيا. وكذلك المانيا فان مصلحتها فى رأس الدولة العلية فهي لذلك واثقة من امتداد نفوذها الى الجسم شيأ فشيأ !

وهل تظن أن بريطانيا تساعد ايطاليا او ان المانيا تعمل يوما من الايام عملا يذكر خدمة للدولة فى مصر ؟

اني لا اظن ان انكلترا تساعد ايطاليا على بغيتها مادامت من دول التحالف لان كل ميناء يضم الى دولة من دول التحالف الثلاثى هو فى الحقيقة قوة بحرية جديدة للتحالف نفسه . وانكلترا لا تبنى مستقبلها كما بنت ماضيها الا على قوة البحر فهي من هذه الوجهة لا تساعد على ظنى ايطاليا واذا ساعدتها حتى تجذبها قليلا اليها فتأمن نوعا شرها فى التحالف فانها تعطيها شيأ لا يذكر كما أعطتها مدينة مصوع التى يسمونها مصوع الطليان ولكنها في الحقيقة مصوع الانكليز !

اذن أنت واثق من ان التحالف الثلاثى لا بد ان يتكاتف فى يوم من الايام أكثر من تكاتفه الحاضر وعلى الاخص متى تحقق بعض الدول الذى لا يزال يحسن الظن بالحكومة الانكليزية انها حكومة أنانية ومصلحة ذاتية.

نعم انى واثق من ذلك ولا بد أن تكشف المانيا سياسة

انكلترا يوما من الايام . وذلك عند ما تتقابل المصلحتان فى الشرق الاقصى او على الاقرب في الدولة العلية . فان المانيا دولة ناشئة نشيطة تعمل لتعيش مثل بقية الدول ولما كانت لا تملك اسواقا تروج فيها بضائعها عمدت الى الدولة العلية ووجدت من جلالة السلطان ارتياحا فألقت مرساها هنالك وها هى آخذة فى ترويج اعمالها فى بلاد الدولة بحالة سريعة للغاية ما كانت تخطر قبل وقوعها على بال أى سياسى فى العالم

هنالك متى دخلت فى قلب الدولة وتمشت الى المياه الاسيوية تلعب انكلترا دورها مهما كلفها ذلك من الدم والمال لتقفها فى طريقها .

أتظن ان هذا اليوم قريب الوقوع؟

ان قربه وبعده متوقفان على درجة السرعة التى تسير بها المانيا في داخل الممالك العثمانية .

وهل تظن يا جناب النائب ان الحرب تقع بين المانيا وانكلترا بسبب هذا التزاحم ؟ وماذا يكون مركز النمسا وقتئذ ؟

اني لا اظن وقوع الحرب ابدا لانها تكون خسارة كبرى على العالم وجميع السواس مجمعون على بذل الجهد في تجنبها مهما كانت خسارة بعض الدول مع السلم . ولكني لا اشك ابدا في ان النمسا تنضم الى المانيا بكل قواها متى رأت ان الخطر محدق بالتحالف الثلاثي وهو ما يحتمه علينا هذا التحالف المتين .

وهل يكون لمصر حظ يذكر عند قيام النزاع بين المانيا وانكلترا في يوم من الايام ؟ انى لا أعرف درجة الامة المصرية من الاستعداد حتى احكم لها او عليها ولكني أؤكد لك انها اذا استمرت على ما نسمعه عنها من السير في طريق الاستنارة بضوء العلم واتحادها كان لها على كل حال نجاح مأمول سواء حدثت بين الدول حوادث او لم تحدث

فقال له المرحوم : وما قولك في دولة وقف سواسها تحت رايتهم التي هي عنوان شرف المملكة واقسموا بها وبتاج بيت الملك على ان لا يبقوا في مصر طويلا ثم ما لبثوا ان سخروا من ايمانهم ناسين شرف الراية والتاج ؟

انى من الذين يحترمون القسم ولو كان في البر به خسران كبير لانه اذا كان الحنث فى القسم يتناول اسم الراية والتاج واحترامهما عندنا من احترام الله فلاشرف بعدئذ فى الوجود انك طبعاً تقصد بهذا الدولة البريطانية التى اقسم سواسها انهم لا يمكثون بمصر الا ريثما يستتب الامن ويعود النظام. ولكنى اؤكد لك انه مهما طال الزمان على الاحتلال الانكليزى فى بلادكم فلا بد ان ينجلي يوما من الايام . فلاتيأسوا ولا يكون لمخالفة الاقسام والعهود تأثير سيء فى نفوسكم فأنه قبل ان تكون المسئلة مسئلة قسم فهى مسئلة المصريين . فأعتمدوا على انفسكم ولا تنتظروا من اوروبا الاشارة من شر الحوادث تستخدمونها فى اشغال ما يرهب خصومكم .

انى ما رأيت مصر وربما كانت هذه اول مرة تشرفت فيها بمخاطبة مصرى اعده اليوم من اصدق الوطنين اصدقائي فى العالم ولكنى احبها مما قرأته عليها قديما وحديثا ولمركزها الجغرافي السياسى . واؤمل ان اراها قريبا فى ابهي حلة من حلل السعادة والاستقلال الابديين » .. اه

وبعد ان انتهى من حديثه هذا دعاه المترجم الى وليمة كبيرة اعدت له ولاخوانه من افاضل النواب والصحافيين فى مساء يوم الاربعاء ٢٤ مارس « بنزل متروبول » وما جاء وقت تناول الطعام حتى وفد المدعوون وكان عددهم ٨٧ ذاتا والمترجم واقفا لاستقبالهم بكل تكريم وترحاب وبعدان تناولوا العشاء وقف المترجم وقال :

« ان مصر ايها السادة تشكر لكم من صميم افئدة ابنائها اجابتكم دعوة مصري منهم جاء الى بلادكم العزيزة اكثر من مرة وخالط رجالكم المعدودين الذين انتم من ثمرتهم سائلا بكل الحاح وحق نصرة مسئلتنا التى تنحصر فى كلمتين « احتلال مؤقت لا يمكث الا ستة اشهر . له اليوم ١٥ عاما — اى ٣٠ ستة اشهر »

اذا كان ايها السادة حبل الكذب طويلا فلا بد ان يكون لهذا الطول حد :! واذا كان الكذب شعار المتمدنين فماذا يكون شعار المتوحشين المتعصبين مثلنا كما يتهمون !!

ان لي الحق ايها السادة اذا قلت ان العصر الحاضر

عصر ظلم وافتيات على الحقوق لا عصر عدل وانصاف ورد الحقوق الى اهلها

ان المصريين مشهورون من قديم الزمان بالدعة والاعتدال ولهم مآثر على العالم اجمع ان انكرها الانكليز فلا ينكرها التاريخ الذى هو اعدل شاهد يحكم بيننا وبين امة ظلمت رايتها التى اقسمت بشرفها والتاج الذى يجب احترامه فقدمتهما ضمانا على صدقها عند ما دخلت بلادنا ووعدت بالانجلاء عنها عند ما يتوطد عرش الخديوية ويستتب الامن

فها هو الامن مستتب والامة بأسرها ملتفتة حول الامير الذى لا ابالغ اذا قلت انه اول امير شرقى بل من احسن امراء اوروبا ميلا للعدالة والحرية ونشر العلم وكفى ان يكون المنهل الذى ورده فاستقى منه هذه المبادئ العالية نمسويا فأنه من غرس معلميكم فلكم الفخر في التاريخ والشكر من المصريين

اني لا اطيل شرح عيوب الاحتلال فقد شرحت ذلك كثيرا ولكنى اسأل ضمائركم الحرة ان تكونوا اصوات

عدل في المسئلة المصرية فأننا نعترف على الدوام بالجميل لمن يؤيدنا كما تجدون منا الى ابد الآبدين اصدقاء اوفياء يذكرونكم بكل خير ويجدون فيكم تلك الروح الشريفة التي اودعتموها في نفس اميرنا المحبوب الا وهى روح الحرية واحترام ارادة الشعب.

وفى الختام اكرر لكم بلسان مصر والمصريين عظيم الشكر على الود الذى اظهرتموه نحونا لتكون مصر للمصريين . . . ! » اه

وقد رد عليه المسيو ريزنر بكلمات كلها انعطاف وود بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن جميع اخوانه ومما قاله :

« انه مما يسلينا نحن الاحرار انه لا يزال للحق انصار يعملون لنصرته على الباطل وليس بين مسائل العالم السياسية الكبرى الحاضرة مسئلة حقيقة بالعناية والحل السريع كمسئلة مصر فأن المصريين برهنوا على انهم اهل مدنية عالية وان الذين يقولون ان سكوتهم ناشىء عن جبن ليسوا الا مهيجين لعواطفهم . والمستقبل كفيل بأن يرد اليهم بضاعتهم

ماداموا متمسكين بهذه الصفات الحسنة وما دام للانكليز تاريخ يحتم عليهم احترام وعودهم » ..

وقد اختتم كلامه بالتأمين على كلمات المترجم وامل لمصر مستقبلا باهرا وشكر المرحوم شكرا وافرا .

*
* *

سافر المرحوم من فيينا الي بوادبست عاصمة المجر فى يوم الجمعة ٢٦ مارس بعد ان ودعه على المحطة جميع اصدقائه النمسويين نصراء المسئلة المصرية .

وما وصل رحمه الله الى بوادبست حتى وجد فى انتظاره افراد عائلة كبيرة من كبار عائلات المجر كانت وطدت بينه وبينها العلائق المتينة مدام جوليت آدم الكاتبة الفرنسية الطائرة الصيت .

وبعد ان قصد الاوتيل واستراح استضافته هذه العائلة عندها فى ضواحي بوادبست وعرفته بمئات من كبار عائلات المجر فاختلط رحمه الله برجال السياسة والصحافة فى هذه العاصمة الشهيرة اختلاطا كبيرا ومن بين الذين تعرف بهم

رئيس الوزارة المجرية المشهور بحبه الاكيد للعثمانيين وقد وعده ببذل كل ما لديه لخدمة المسئلة المصرية

اما ما نشرته الجرائد المجرية عن المرحوم واعماله والمسئلة المصرية واهميتها فهو مايملأ كتابا ضخما وانا نكتفي هنا بنشر مثال مما نشرت فقد كتبت جريدة « ما جيأد نوك لابجا » الشهيرة مقالة فى ٤ ابريل صدرتها بصورة المترجم هذا تعريبها:

مصطفى كامل

من هو هذا الرجل الذى لا يعرفه احد منا ؟

مصطفى كامل هو بطل المصريين وعليه يعلقون أملهم في ازاحة نير الانكليز عن عواتقهم

مصطفى كامل هو ذلك الوطنى الكبير الذى اوجد الحركة القومية وهو الذى يريد ان يخرج بلاده من احتلال الانكليز الذي لامبرر له الآن .

والمصريون شيخهم وفتاهم رجالهم ونساؤهم واطفالهم يشرفون اسم هذا الوطنى الكبير .

مصطفى كامل رجل معروف فى فرنسا والمانيا — ولقد نشر مقالات عدة فى جرائد مختلفة بكى فيها حظوطنه مصر وقد تلقت كلماته قلوبا حساسة وعواطف شاعرة

احتل الانكليز مصر سنة ١٨٨٢ عن رضى كل الدول الاوروبيــة وكانت مهمتهم ان ينشروا الامن وان يوطدوا عرش الخديوية وان يحسنوا الحالة المالية التى كان اختلالها عظيما فاضحا

ولـكنهم اثقلوا ظهر الامة المصرية البائسة بالضرائب الفادحة وسلبوا منها كثيرا من حقوقها فى الاستقلال الداخلى ولقــد استعاضوا الموظفين الوطنيين بأنجليز او بوطنيين يوافقونهم على هوى سياستهم وانهم يجنون على السلطة الخديوية كل يوم جناية خليقة حقا بالسياسة الانجليزية — ويقتلون الصناعة الوطنية خدمة للصناعة الانجليزية وبالجملة فانهم يقاومون كل الوسائل التى يمكن ان تؤدى بمصر الى استقلالها .

وعلى ذلك فانه ليس من غرائب الدهر ان يصيح المصريون فرحا لخروج ذلك الوطنى المصري الذى عـبر عن ضمائر

مواطنيه رغما عن احتفاف طريقه بالمكاره . وقد جعل غاية سياسته تحرير وطنه . ثم انه لم يعرف الملل ولا الكلل في جهاده لاكتساب اعوان لافكاره من الاوروبيين حتى غدا لا ينزل بلدا أوروبية الا ويجد نفسه بين من يشاركونه فى عواطفه ويعضدونه في مراميه مع اعترافهم بسامى غرضه

وهاهو اليوم فى مدينتنا هذه الجميلة يبحث عن منافع سياستنا وسيعود الينا فى يوليه القادم وفى نيته أن يدعو الناس الى اجتماع حيث يلقي عليهم خطابا طويلا فى المسألة المصرية

وقد رأينا من واجبنا أن نعرف قراءنا بهذا الضيف الكريم الذى يجاهد في سبيل حرية بلاده وأنا نعتقد أن الصحافة المجرية ستذكر كثيراً من أخبار هذا الرجل العظيم القدر الكريم الطباع »

*
* *

سافر المترجم من بود ابست الى برلين فى ٥ أبريل سنة ١٨٩٧ وقد قابل توا رجال الصحافة والسياسة الذين عرفهم من قبل وقد دار بينه وبين جريدة البرلينر تاجبلاط الشهيرة

حديث نشرته في ٧ أبريل سنة ١٨٩٧ هذا تعريبه :

مصطفى كامل في برلين

« المكاتب — ماهى الحالة الحقيقية السياسية فى مصر الآن؟

المرحوم — انها لحالة فوضى عمومية فى ادارة البلاد وقلق شديد في افكار الشعب المصرى. فلقد اصبح بين المصريين وحكومتهم — كما يوجد بينهم وبين الانكليز — هاوية عميقة جدا . فان حكومة بلادنا - ورجالها من صنائع الانكليز — تعمل فى مصر كل ما ينافى رغبة الامة فكم من مرة طلب مجلس الشورى وهو الهيئة النيابية عن القطر اجراء اصلاحات في الادارة والتعليم فالحكومة بدلا من ان تخضع لرغبة الشعب كانت تقابل المجلس باللوم بكل خشونة وتجرى ضد رغائبه ومطالبه . والفضل فى ذلك لتعضيد الانكليز فأصبحت الامة المصرية اليوم لا احترام لها لحكومتها اما سمو الخديو فهي تعلم أنه رئيسها الوحيد الذى يحترم ادارتها

ويحبها ويرغب فى خيرها وسعادتها فلذلك تري مصر كلها مجمعة على محبته منتظرة أن تنال على يده مستقبلاسعيدا

ومصر الآن بلاد قائم البرازالمعنوى بها دائما بين الشعب والحكومة وحكومتها تعتبر نفسها مجرد آلة فى يد الانكليز وسمو الخدتو يرى بعينه مصائب وطنه ولا يستطيع الى دفعها سبيلا حتى انه يرى في بعض الاحيان جماعة من مأجورى الانكليز يتجاسرون على الطعن في مقامه الرفيع

اما النزلاء الاوروبيون فقلقهم مثل قلقنا فهم يرون انفسهم مهددين من الانكليز الذين بدؤا فى هدم ما بنته يد أوروبا في مصر واعلنوا بعبارات ملؤها الكبرياء انهم سيقضون على المحكمة المختلطة بعد عامين . وليس بعد هذا تهديد لمصالح أوروبافى مصر .

فقال المكاتب . وهل ترى علاقة بين مسائل تركيا ومسئلة مصر ؟

قال . لا ريب فى ذلك. فان الواقف على ماجرى بين تركيا وانكلترا منذ بدء الحوادث العرابية الى اليوم يعلم يقينا

ان غاية انكلترا الوحيـدة من حوادث الشرق واضطراباته هي تحويل نظر أوروبا عن مصر

ثم أفاض في بيان الشأن الذي كان للانكليز في ثورة عرابي وعملهم سرا على تأييده وسعيهم في اشهار عصيانه ومنع جلالة السلطان من ارسال جيش عثماني الى مصر وما بذلوه بعد ذلك من المساعي لوقوع النفرة بين جلالة السلطان وبين الخديو السابق.

فلما تبوأ سمو الخـديوي الحالي الاريكة الخديوية تغير مجرى الامور اذ أدرك سمو الامـير أن الجفاء بين مصر وتركيا عقبة في سبيل انقاذ مصر من مخالب الانكليز — فجرى على غير تلك الخطة فسعي الانكليز في الاستانة نفسها ضـد الجناب الخديوي فلم يفلحوا ولما رأوا ذلك هاجوا ضد السلطنة والسلطان ليشغلو أوروبا عن مصر. وفوق ذلك فأنهم يريدون بأعمالهم في الشرق أن يدخـلوا في أذهان المسلمين أن أوروبا عدوة لهم متعصبة ضدهم مما يثبط بلا شك همـة كل ذي وطنية في مصر ولـكننا أدركنا قصدهم فلم نيأس من مستقبل

بلادنا المرجو. على أنه من المهيجات للخواطر ان أوروبا بأسرها تترك انكلترا تخدعها مثل هذا الخداع

ثم تكلم عن الاكتتاب الجاري فى مصر لمساعدة الحكومة العثمانية فقال: انه وان كان المصرى لا يعرف الا وطنا واحداً وهو مصر فمن الامور الطبيعية المحضة أن يساعد المصريون جيش الدولة والخلافة ويظهروا بذلك امتنانهم للدولة لانها لم ترد أن تكون آلة في يد الانكليز »..اه

وقد أردفت هذه الجريدة الخطيرة الحديث المذكور بكلام جدير بالنظر والامعان فقالت: « أن مصطفى كامل مصيب في كلامه على سوء مقاصد السياسة الانكليزية وشدة خبثها ولكننا نؤمل مع ذلك أن المصريين لا يفقدون صبرهم فانهم سينالون ما يطلبون عاجلا أو آجلا بواسطة دول أوروبا وبدون قتال وعراك

والمصريون اذا تمسكوا بالصبر لم يتعبوا بسرعة من حالتهم وانتظارهم فتحق لهم كلمة الشاعر الشهير « التاج لمن صبر وانتظر » .

وبعد أن لقي رحمه الله صدراً رحيبا من رجال السياسة الالمانية واستعدادهم لمساعدة المسئلة المصرية بعد أن تقف المشكلة التركية اليونانية التى قامت فى ذلك الاوان والتى خشى منها على السلم في البلقان قصد باريس فوجد فى صحافتها حركة غير عادية على أثر مقالة نشرتها جريدة الايجبسيان غازيت ونقلتها عنها جريدة «الليبرتيه» وكلها طعن على المرحوم بصفة خاصة وحزب مصر بصفة عامة وقد عزت اليه والى سائر أعضاء الحزب المصري السعى فى اثارة الخوطر فى مصر والتحريض على احداث ثورة . فبادر رحمه الله فى الحال الى تكذيب هذه التهمة فى نفس جريدة الليبرتيه التى أحلت ما كتبه اليها محل الاعتبار والقبول . وهذا تعريب ما كتبه !

اعانة المصريين للدولة

﴿ تكذيب صريح ﴾

جناب مدير جريدة الليبرتية

قرأت ما نقلتموه عن جريدة الايجبسيان غازيت

الانكليزية التي تصدر بثغر الاسكندرية وأتهمتنا فيه نحن الوطنيين المصريين بالسعى في اثارة الخواطر والتحريض على احداث القلاقل والاضطرابات ولو علمتم جنابكم أنها جريدة الاحتلال وان اختلاقها علينا أصبح أشهر من نار على علم مانقلتم عنها شيأ. لاننا اذا كنا ندافع عن حقوقنا المسلوبة فذلك بالاعتدال والسكينة والطرق المشروعة واننا ما فكرنا أبداً في الاعتداء على النظام لان هذا يضر كثيراً بمسئلتنا الحيوية ولان نفوسنا الوطنية تدرك مصالح أوروبا فى مصر .

وانى أرجو جنابكم أن تسمح لى بأن أصرح جهارا بأننا لم نفكر قط في الطرق الثورية للوصول الى تحرير وطننا العزيز لكن الانكليزهم الذين يلقون بذور الشقاق فى مصر ويسعون بما لديهم من الوسائل الى احداث الاضطرابات فيها فلم يفلح سعيهم لاننا قاومنا حركاتهم بكل قوتنا .

أن مصر الآن شرعت في جمع اعانة وطنية للجيش العثمانى وليس سبب ذلك البغضاء للمسيحيين مهما كانوا بل ان الذى بعثهم على ذلك واجباتهم لخليفة المسلمين لا سيما

الواجب الوطنى

نعم أقول ان واجباتهم الوطنية هي التى بعثتهم على ذلك اذ يهمنا أكثر من غيرنا سلامة المملكة العثمانية لان سلامة ممالكها هى الاساس التى تبنى عليه حقوقنا الشرعية ضد عمل الانكليز ولا يجب أن ننسى أن كل ما نبديه من مساعدة تركيا ننظر ونراعي فيه المسئلة المصرية ضد الانكليز

وانه اذا كان يسوء الحكومة الانكليزية ان نكون وطنيين مخلصين للدولة العلية التى مسئلتنا مسئلتها فنحن لا يهمنا ارضاؤهم لانهم خصومنا الغاصبون وسنسير فى طريقنا الذى رسمناه لانفسنا وجعلنا اساسه المطالبة بالجلاء رضوا او لم يرضوا !

انا نعلم قبل كل شىء اننا في حاجة الى مساعدة اوروبا فكيف اذا نحرض على الثورة ضدالاوروبيين الذين يعيشون فى مصر . وهل لجريدة الاجيسيان غازت او غيرها ان تدلنا على شخص قال او جريدة كتبت بما يؤخذ منه التحريض علي الاضطراب ! !

المسئلة مسئلة شعور نحو الدوله فاذا تظاهرنا اليوم بمساعدتها فى حرب بنيت على غير اساس الشرف بل على المطامع فأنما نمثل ما مثلته الامم الاخرى من قديم الزمان وهو عطف الاخ على اخيه في زمن الشدة

ان الذين يحرضون هم الانكليز انفسهم لانهم كيف ينسبون الى المصريين التهيج والاضطراب عند ما يتضافرون لمد الدولة بالمال في الحرب التركية اليونانية ولا ينسون انهم هم اصل هذه الحرب وانهم هم الذين حرضوا اليونان ولا يزالون يمدونها بكل شيء ان لم يكن فى الجهر ففى السر !

هذا وتقبلوا . . . . . الخ

١٧ ابريل سنة ١٨٩٧ مصطفى كامل »

« وقد علقت جريدة الليبرتيه على هذا الكتاب بما تعريبه :

« انا نشرنا هذا الكتاب ليقف قراؤنا على الحقيقة التى شوهها الانكليز والتى تنطق بها كلمات هذا الوطنى المصرى الذى نرحب به و نفتح صحف جريدتنا له ولكل غيور على

الحق الذي نحن من اكبر نصرائه » . . اه

*
* *

لما رأى المترجم اقبال المصريين على اعانة الدولة فى الحرب اليونانية جمع المصريين المقيمين فى باريس وألف لجنة لجمع الاعانة وأرسل لجريدة المؤيد أول دفعة ومعها كتاب نشرته فى عددها الصادر يوم الجمعة ٣٠ ابريل سنة ١٨٩٧ تحت عنوان: (المصريون فى باريس — والاعانة العسكرية الشاهانية) وهذا نصه :

« دعوت اخواننا المصريين هنا الى حفلة يوم الاثنين الماضى (١٩ ابريل سنة ١٨٩٧) وجرى الكلام بيننا على مشروع الاعانة العسكرية الشاهانية في مصر ثم اتفق الحاضرون على ان نقدم شيئا للاعانة العسكرية يكون عنوانا على مشاركتنا لابناء وطننا فى اشرف شعار لنا . وقد اجتمع مبلغ ٣٥٠ فرنكا ها انا أبعث به اليكم . نعم ان هذا المبلغ قليل ولكنه دليل اشتراك الشبيبة المصرية فى اوروبا مع الامة المصرية فى هذه المظاهرة الوطنية السلمية

وقد رأينا مع ذلك ان نرسل تحياتنا وتشجيعاتنا بصفتنا مصريين عثمانيين الى الجيش العثمانى فأرسلنا تلغرافا لدولة ناظر التشريفات الشاهانية ذكرنا فيه امر اجتماعنا مؤكدين تعلقنا كبقية المصريين بالعرش الشاهانى المجيد . داعين للجيش العثمانى بالظفر والنصر .

وقد ارسلنا ايضا تلغرافا لجناب رئيس تشريفات جلالة الامبراطور غليوم نشرته وتناقلته جرائد المانيا كلها وهذا نصه :

« رئيس تشريفات جلالة الامبراطور غليوم الثانى ببرلين

ان ابناء وطنى المصريين يرجون من جنابكم ان تكونوا لدى جلالة الامبراطور الترجمان المعرب عن عظيم اعترافهم بالجميل وشكرانهم العظيم لجلالته على الخطة التى تفضل باتباعها نحو الدولة العثمانية

وان هذه الخطة هى دليل الميل والمودة التى تحملنا على الامل بأن مصر (وطننا العزيز) ستنال من جلالة الامبراطور عناية عالية والتفاتا خصوصيا وان سلام العالم كله يتحقق بأن يرد الى مصر حريتها واستقلالها

وانى اتشرف بأن ارفع الى جلالة الامبراطور على يد جنابكم هذا الشكران الواجب واعرب عن هذه الاماني الكبيرة »

٢٢ ابريل سنة ١٨٩٧ (مصطفى كامل)

انتهى الجزء الخامس في يوم الاحد

٤ ذي الحجة سنة ١٣٢٦ هجرية

الموافق ٢٧ ديسمبر سنة

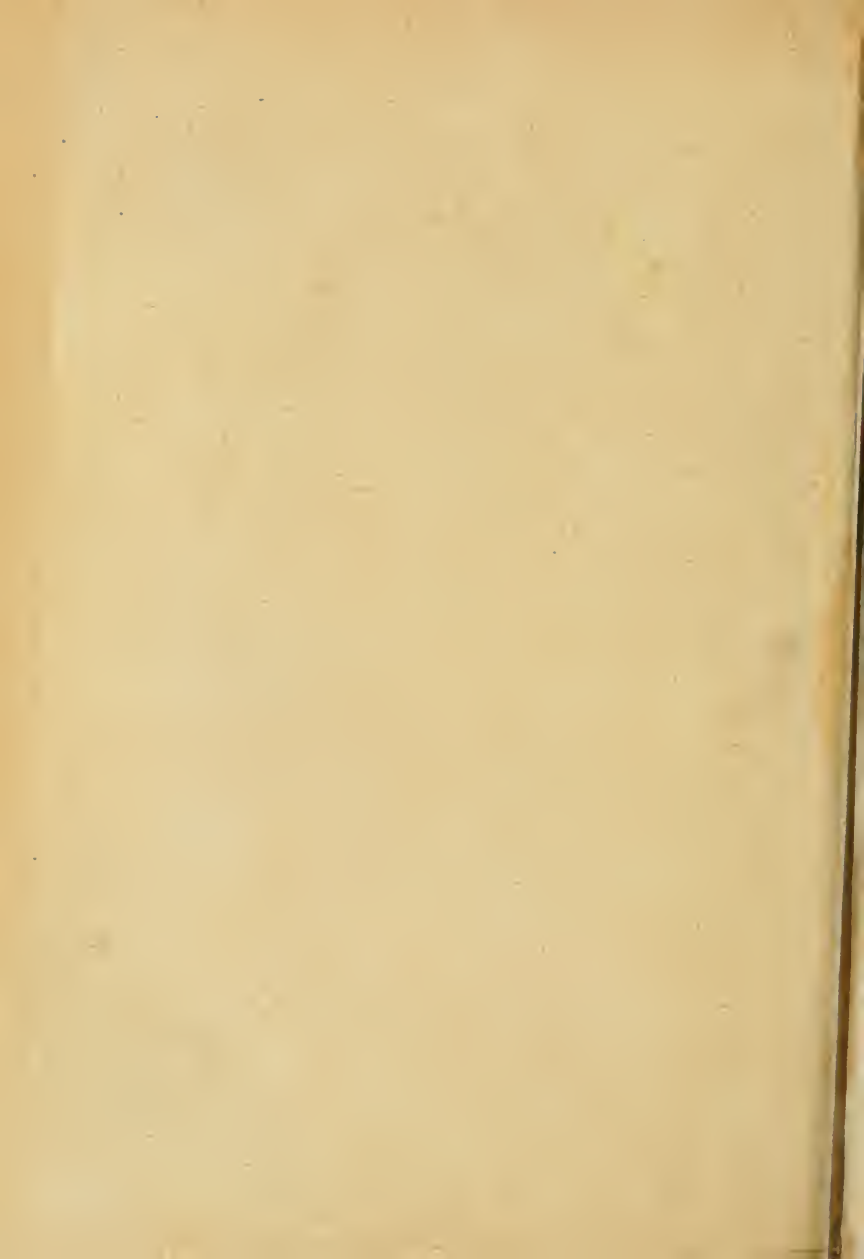
١٩٠٨ ميلادية

فهرس الجزء الخامس

صحيفه　موضوع

صحيفه   موضوع

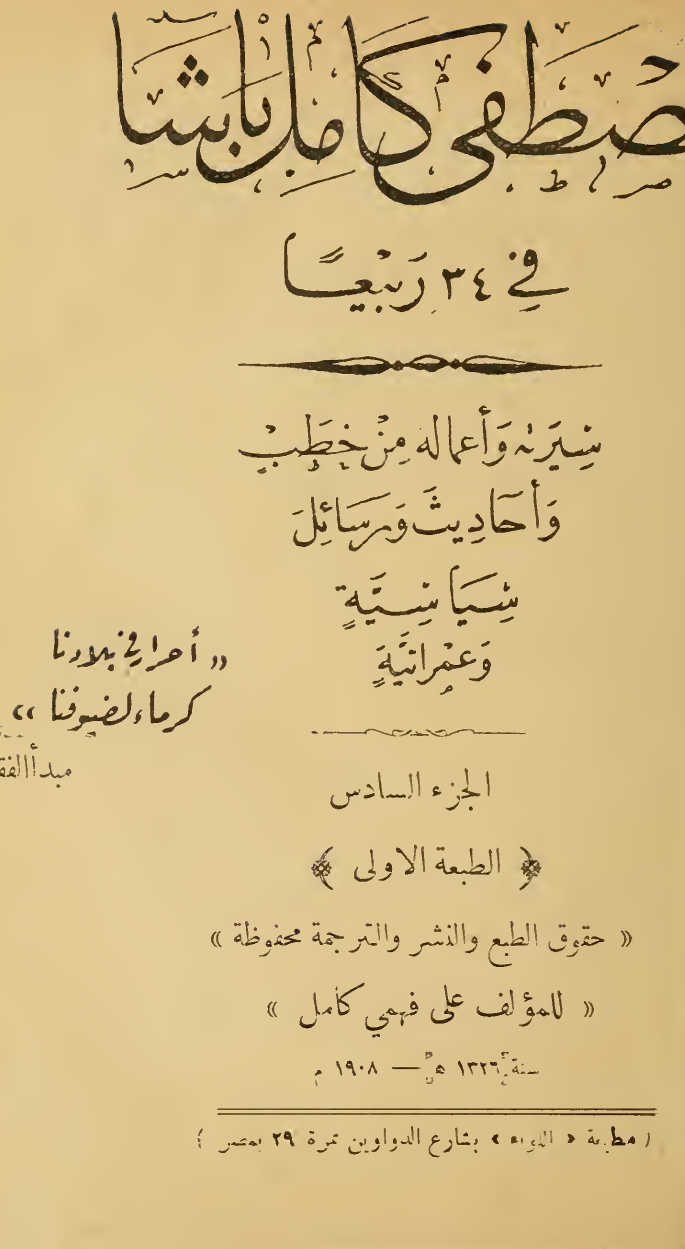






مصطفى كامل باشا

(فى الثالثة والعشرين من عمره)



مصطفى كامل باشا

في ٣٤ ربيعاً

سيرته وأعماله من خطب وأحاديث ورسائل سياسية وعمرانية

« أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا »

مبدأ الفقيد

الجزء السادس

﴿ الطبعة الاولى ﴾

« للمؤلف علي فهمي كامل »

سنة ١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م

(مطبعة « اللواء » بشارع الدواوين نمرة ٢٩ بمصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

عرف القراء أن المترجم كان في شوق الى مرآى بعد حادث الجيش وقد تكاتبنا في تحديد يوم عودتى الى مصر اذ أعلمته أنه أرجئ الي شهر يونيه سنة ١٨٩٧ . وعلى ذلك سافر الى أوروبا بأمل العودة الى الوطن قبل هـذا التاريخ ليمتع نفسه برؤية ومحادثة أخ ظلم بسبب الوطنية وذاق من العذاب ألوانا وأصنافا انتقاما من أخيه المطالب بجلاء الاحتلال الغاصب . ولـكن جاءت الرياح بما لا تشتهى السفن وذلك أنه صدر الى الامر بغتة بالسفر الى مصر للالتحاق بالأورطة الثامنة عشرة فوصلتها في الثانى من شهر ابريل سنة ١٨٩٧ وأنا أكاد أطير لرؤية وطن خرجت منه مكبلا مظلوما وعدت اليه وأنا أشد ما كنت له اخلاصا واشتياقا

وصلت الى العاصمة فعلمت أن المترجم سافر الي أوروبا فنابنى من الكدر ما نابه عند ما علم بقدومى ولم نتقابل . لان

كلينا كان يعـد الدقائق لرؤية أخيه و « ما كل ما يتمنى المرء يدركه »

عاد المرحوم في ١٢ مايو سنة ١٨٩٧ ليرانى وأراه فوجدنى قد سافرت الى السودان قبـل عودته بأربعة أيام وقد كنت عينت أركان الحرب بمدينة كروسكو فأرسل الى تلغرافا يسألنى فيـه الحصول على أجازة ولو مـدة أسبوع. ولـكن الاعمال الحربية حالت دون الترخيص لى بما أريد

وقد أرسل الىّ رحمـه الله فى تلك الايام الهـدايا التى استحضرها معـه لاخوانى الضباط والجنود الذين ساعدونى على قضاء مشاق حادث الجيش

وافقت عودة المرحوم من أوروبا يوم عيـد الاضحى فأرسل فى الحال تلغرافا الي عطوفة باشكاتب المابين الهمايونى هذا نصه :

« أرجو منكم ان ترفعوا الى جلالة مولانا أمير المؤمنين أجل وأصدق تهانئنا بعيـد الاضحى المبارك وانتصار الجنود الشاهانية المظفرة

وان جميع المتعلقين بعرش الخلافة العظمى يؤملون ان جلالة السلطان يحن لأنين مصر المسلوبة الحقوق بسلطة الاحتلال الانكليزى فيشترط على دول أوروبا جلاء الانكليز عن مصر مقابل جلاء العساكر الشاهانية من بلاد اليونان ليتم بذلك فوز تركيا وخلاص مصر   مصطفى كامل»

مانشر هذا التلغراف حتى هاج اليونان القاطنون بمصر فكتبت جريدة الفارد لكسندرى التى صاحبها أحد كبار اليونانيين الوطنيين تعليقا على هذا التلغراف اتهمت فيه المترجم بكرهه الشديد لليونان بدليل أنه يطلب من جلالة السلطان بقاء الجنود التركية فى أراضى تساليا مادام الانكليز فى مصر

أما المترجم فقد رد على ما كتبته جريدة الفارد لكسندرى بكتاب بعث به لجريدة الريفورم الفرنسية التى تطبع بمدينة الاسكندرية هذا تعريبه :

نحن واليونان

الاسكندريه في ١٦ مايو سنة ١٨٩٧

« حضرة مدير الفار دالكسندرى

لقد قرأت بكل استغراب فى عدد أمس من جريدة الفار العبارة المختصة بالتلغراف الذى أرسلته الى باشكاتب جلالة مولانا السلطان ولاشك أن الذى ترجم اليكم من العربية هذا التلغراف أخطأ في فهم مرادى

فانى مافكرت قط فى أن الانتقام من محتلى بلادى أي الانكليز يكون بأن تسحق الجنود العثمانية اليونانيين فى اراضى تساليا ..

ولكن مالاريب فيه هو ان حل المسئلة التركية اليونانية لايتعلق فقط بالدولتين المتحاربتين بل أيضا بدول أوروبا وانى أظن ان فى الظروف الحالية لجلالة مولانا السلطان اعظم فرصة لاقامة المسئلة المصرية فان الدول الاوروبية التى تريد أن تجبر جلالته على احترام رغبتها وسحب عساكره الشاهانية من تساليا يجب عليها أيضا — وذلك مالاينكره

أحد — أن تجبر انكلترا على الجلاء من مصر

فلماذا تتداخل أوروبا في المشكلة التركية اليونانية ولا تتداخل فى المسئلة المصرية ؟

لماذا تريد أوروبا أن تحمل جلالة السلطان على احترام رغبتها ولا تعمل هي على اجبار انكلترا على احترام حقوق جلالة السلطان فى مصر ؟

هـذا هو رأيي وهـذا هو فكرى ولعله لايرضيك ولعلك يا جناب المدير لاتوافق على آرائنا وافكارنا . ولكنه يجب عليك أن تحترمها كما اننا نحترم احساساتك وآراءك فانت ترى الاشياء من حيث المصلحة اليونانية وانا أراها من حيث المصلحة المصرية . ومن العدل ان يكون كل منا لوطنه . لا لغير وطنه

وأن اليونان بالرغم عن المحبة التى يتظاهر بها عدد منهم لمصر لايمكنهم ان يطلبوا منا أن نرى كما يرون ونفكر كما كمايفكرون وعلى الخصوص أن نحن" لبلاد اليونان اكثر من حناننا لمصر !!

وبقطع النظر عن كل هذه الاعتبارات السياسية وعن احساسات امتنا فاننا نعجب حقا بوطنية اليونان اذ أن كل مصرى محب لوطنه لايمكنه مهما كانت آراؤه السياسية واحساساته الا ان يحترم كل المدافعين عن وطنهم من أية جنسية كانوا ويعجب بهم

ومما لاشك فيه ان مصلحة المصريين في الظروف الحالية هى ومصلحة اليونان على طرفى نقيض. ولكن هذه الاعتبارات كلها لايجب ان تخلق أشكالات لالزوم لها

واني أول من يشير على أبناء وطنى بمعاملة اليونان الآن – وهم منهزمون – باللطف والرقة ... اذ خير مايتمنى لمصر من حيث روابطها بالاوروبيين هو أن يعيش أبناؤها فى اتفاق مع النزلاء الاوروبيين المخلصين لها

وانى أرجو منك ياحضرة المدير ان تتفضل بقبول فائق احترامي مصطفى كامل»

مصر والدولة العلية

لما قامت مسئلة الاعانة العسكرية فى مصر أخذ اعداء المصريين خاصة والمسلمين عامة يشيعون فى كل انحاء أوروبا أن المصريين متحرشون ضد المسيحيين مستعدون للوثوب ضدهم وثبة المتوحشين .

وقد تجسمت هذه الاشاعات وكبرت حتى قلق الكثيرون من محبي مصر فى أوروبا وخافوا من حدوث حركة دينية فى مصر تكون عواقبها وخيمة على حال البلاد ومستقبلها

ولما رأى المترجم انبثاث هذه الاشاعة ورواجها كتب مقالة طويلة على مسئلة مصر وعلاقاتها بالدولة العلية ودسائس المحتلين فيها أبان بها حقيقة احساس المصريين وارسلها الى جريدة (برلينر نويست نخرشتن) وهى من اشهر وأهم جرائد العالم وتصدر فى برلين مرتين فى اليوم وتعتبر لسان حال بسمارك في عاصمة المانيا . وهذا تعريبها :

« لقد لفتت اخيرا جريدة (برلينر نويست نخرشتن) أنظار أوروبا

الى احتلال انكلترا لمصر . وأبانت ضرورة عقد اتفاق بين فرنسا والمانيا والروسيا لمعارضة الاحتلال الانكليزى فى مصر تحقيقا للجلاء السريع وانه لرأي حق وصواب فأن الظروف الحالية أحسن الظروف لوقوف المطامع الانكليزية عند حد محدود . فلقد تساهلت أوروبا كثيرا مع الانكليز وصار من المحتم عليها الآن أن تجبرهم على احترام المعاهدات الدولية واحترام الحقوق الشرعية للأمة المصرية

وان البرنس بسمارك نفسه الذى خبر الانكليز أكثر من كل سياسى فى العالم — هو أول من يوافق بل ينصح بجلاء الانكليز من مصر. وقد صرح بهذا الرأي جملة مرات وعلى الخصوص وقت المداولة فى معاهدة درومندوولف الشهيرة :

ولم تبق مسئلة الترنسفال ريبا عند أحد في المانيا بشأن ما تدعيه الحكومة الانكليزية من احساسات العدل والحق والانسانية التى تقود سياستها. على أن سلوك الانكليز فى مصر أشد ظلما منه فى الترنسفال

وأنه لمن الواجب على أوروبا ألاّ تجعل أنظارها محولة فقط للمسئلة التركية اليونانية بل يجب عليها أن تنظر أيضاً نحو انكلترا. هنالك يعرف السياسيون فى أوروبا اهمية المسئلة المصرية فى الظروف الحالية . اذ ليست مسئلة الترنسفال هي الشاغلة وحدها للسياسة البريطانية بل ان هذه السياسة الماكره تؤمل اليوم أكثر من كل يوم وضع يدها بصفة نهائية على جميع بلاد وادى النيل .

وفى الواقع فان الانكليز — قد عرفوا فى كل بلاد العالم بأنهم أمهر من يخلق الاضطرابات — يريدون انتهاز فرصة اشتغال أوروبا بالحرب بين تركيا واليونان لتهييج المسلمين في مصر ضد اليونانين واليونانين ضد المسلمين ليحدثوا اضطرابا على شواطئ نهر النيل تكون لهم به الحجة التى ينتظرونها من زمن طويل للاستيلاء على بلادنا . وهم يظنون أن أوروبا لاشتغالها بمنع حدوث حرب عمومية لاتقدر الآن على مقاومة مشروعاتهم ورد اطماعهم

واذا دلت أعمال الانكليز على هذه الرغبة فمن واجب

رجال السياسة فى أوروبا ورجال الفكر والاحساس ان يعلنوها صراحة ويقضوا عليها أشد قضاء . ومن الواجب علينا معشر المصريين أن ننذر أوروبا بما ينويه ضدنا الانكليز فمهما كانت اشتغالات الدول اليوم فحتم عليها أن تلتفت لاحوال وادى النيل .

ولقد أراد كتاب الانكليز وصنائعهم أن يسهلوا على أصحاب الدسائس عملهم الدنئ فأخذوا يتسلحون بالسلاح القديم البالى وأعنى بسلاح التعصب الدينى ! فأشاعوا ولا يزالون يشيعون أن المصريين على وشك القيام بثورة دينية ضد المسيحيين عموما واليونانيين خصوصا . وان القائمين بنشر هذه الاشاعة يغشون ولا محالة أوروبا بأقبح وجوه الغش وأدناها فأن المصريين عرفوا عند سائر الامم بأنهم أمة هادئة حرة معتدلة . واننا لنفتخر بهذه الصفات ونحافظ عليها بكل ما فى استطاعتنا. ومن البديهي أنه ليس لنا اليوم أقل مصلحة فى العمل ضد ماضينا ولا فى القيام بما يفقدنا ميل أصدقائنا في أوروبا وعملهم لحل مسئلتنا. على أنه ليس لنا فى مصر غير عدو واحد هو

الاحتلال المغتال لوطننا . فليس لنا غرماء سواء من اليونانيين أو النزلاء الاوروبيين .

وأى مصلحة تدفعنا ضد المسيحيين ؟؟

ليس لنا مصلحة فى معاداتهم اما من يدعي ان الاكتتاب للاعانة العسكرية هو نتيجة كراهتنا للمسيحيين فمخطئ خطأ كبيرا خصوصا وان أغلب النزلاء الاوروبيين فى مصر ميالون لتحرير وطننا مجاهرون بهذا الميل الشريف .

*
* *

وأهم معنى سياسى فى الاكتتاب لاعانة الجيش العثمانى هو القيام بمظاهرة من الامة بأسرها ضد الاحتلال الانكليزى. فأن المصريين يعلمون علم اليقين أن كل دسائس انكلترا فى الشرق ترمى الى امتلاك وادى النيل وان الانكليز لم يستطيعوا استمالة جلالة السلطان الاعظم اليهم ضد الخديو المعظم وضد مصر وبلاد العرب واعلان سيطرتهم على الاسلام كله

فقد أعلنت السياسة الانكليزية عداءها للدولة العلية من عام ١٨٩٤ أي من ذلك اليوم الذى خالف فيه الخديو

(عباس حلمي) سياسة المرحوم والده وعمل بكل همة واقدام على توثيق العلائق بينه وبين جلالة السلطان الاعظم واذ أبان التاريخ أن الدولة العلية خدعت عام ١٨٨٢ بالانكليز وعملت من حيث لا تشاء على احتلال الانكليز لمصر فمن الضروريات ان تكون الدولة العلية نفسها الآن أول دولة عاملة لجلاء الانكليز عن مصر. وليس من شيء يقف تقدم الانكليز في مصر ويعطل عليهم سياستهم مثل تقوية السلطة الشرعية للمعاهدات الدولية المختصة بمصر . ويعلم الناس أجمع أن كل هذه المعاهدات جرت بين الدولة العلية وبين دول أوروبا . فما دامت مصر معتبرة قطعة من الدولة العلية فليس للاحتلال الانكليزى أدنى قوة شرعية بل وليس له أدنى صفة شرعية في وجوده .

يظهر اذاً جليا من ذلك أن المصريين هم أول المهتمين وأول من يجب عليهم أن يهتموا بالمحافظة على سلامة الدولة العلية . فالذين ينتقدون اكتتابنا للجيش العثماني يجهلون تماما حقيقة مركزنا وحقيقة واجباتنا وحقيقة احساساتنا ومن الجائز

أن بعض سواس أوروبا يكونون ضد الدولة العلية فى بعض مسائل سياسية أو غير سياسية ولكنهم جميعاً معها ويجب أن يكونوا كذلك في مسئلة مصر . خصوصا وأن مصر لم تتألم قط من سيادة الدولة العلية عليها اذ لها عائلة مالكة خاصة بها واستقلالها الداخلى تام وخاص بها . ومع ذلك فسواس أوروبا لا يجهلون مطلقا انه يصير من الصعب جدا حل المسئلة المصرية اذا اتفقت تركيا مع الانكليز على احتلالهم لوادى النيل .

*
* *

يتضح للقاريء من هذه الكلمات ان مقاصد المصريين كافة سلمية معتدلة وان نيات الانكليز بعكس ذلك . فهم الذين يوافقهم ان يعملوا لاحداث اضطراب وقلاقل ولكن صار من اللازم اعلان هذه النيات للملأ كله باستمرار وبلا توان . اذ الموقف عسير والساعة حرجة . ومن العار على اوروبا ان تترك الانكليز ينتهزون فرصة اشتغالها بامر خطير ويهزمونها فى مصر هزيمة تكون ولا شك فريدة فى بابها

باريس في ٥ مايو سنة ٩٧ مصطفى كامل »

ما نشرت هذه المقالة حتى علقت عليها جرائد العالم وفى جملتها جرائد مصر . وقد سألت جريدة الريفورم الفرنسية التى تطبع فى الاسكندرية بعد ان نشرت نص هـذه المقالة الاسئلة الآتية :

« الم يقصد افراد الامة المصرية باكتتابهم للجيش العثمانى التظاهر بكراهة النزلاء الاوروبيين عموما. وهل كان اكتتابهم لسلطان مصر ام لامير المؤمنين ؟

هل الوطنيون المصريون يوافقون على مذابح ارمنيا؟ »

فارسل المترجم جوابا على اسئلة هذه الجريده وقد نشرته فكان نشره احسن واشد وقعا عند نخبة الاوروبيين نزلاء مصر . .

وهذا نص الجواب المذكور :

مصر في ٢٧ مايو سنة ٩٧

« يا حضرة المدير

لقد قرأت بمزيد العناية الملاحظات التى ابديتموها على الرسالة التى كتبتها جريدة (برلينر نويست نخرشتن) . واني

اجيبكم الان بكل امتنان على اسئلتكم

واسمحوا لى قبل كل شيء ان اظهر لكم مقدار سروري باعترافكم بما عند الطبقات المفكرة من الامة المصرية من مبادى الاعتدال والحرية

انكم تسألوننى عما اذا كان افراد الامة المصرية قد اكتتبوا لسلطان مصر أم لامير المؤمنين . فاجيبكم انهم اكتتبوا في آن واحد لسلطان مصر ولامير المؤمنين : اذ لا يستطيع اى انسان كان ان يلوم مصر الاسلامية على ميلها لابناء دينها وانعطافها نحوهم. او لم تتظاهر اوروبا المتمدنة نفسها في ظروف عديدة بالميل للمسيحيين؟ اما جعلت من مبادىء سياستها الاساسية مساعدة كل المسيحيين فى الشرق بكل الوسائل ؟

على ان انعطاف مسلمي مصر نحو ابناء دينهم لا يدل على كراهتهم للمسيحيين اذ لو كان الامر كذلك لا لتصقت باوروبا نفسها تهمة التعصب المسيحي وبغض المحمديين

اما من جهة الكراهة التى تظنون وجودها فى نفوس

افراد المصريين ضد النزلاء الاوروبين فاصرح لكم بكل صدق واخلاص ان هذه الكراهة لا وجود لها البتة. فأن اقل المصريين ادراكا يعلم ان الانكليز في مصر اعداء لمصلحة كل الاجانب وان مصلحة المصريين ومصلحة الاوروبيين مشتركة ضد مصلحة الانكليز وما على الاوروبيين الا أن يميزوا مصالحهم من مصالح الانكليز ويظهروا ان ليس لهم مصلحة مشتركة مع المحتلين ليعيشوا دائما في سلام مع المصريين

ومع ذلك فأني اضيف على ما تقدم انه لو طال امد الاحتلال لتولدت عند امتنا كراهة الاوروبيين فأن الناس اجمعين يعلمون ان اوروبا تستطيع لو ارادت اخراج الانكليز من مصر فاطالة أمد الاحتلال مع قدرة اوروبا على الجلاء تحمل الناس على الاعتقاد بأن اوروبا كلها راضية عن الاحتلال مؤازرة للدولة البريطانية على شواطىء نهر النيل . وبالجملة يحمل الناس على الاعتقاد عندئذ بأن اوروبا كلها عدوة للاسلام

وان مسلمي مصر يرون كل يوم تداخل اوروبا لصالح المسيحيين فمتى يرون تداخل اوروبا نفسها لمصالح بلادها !

لتبرهن بهذا العمل على انها غير متحيزة لدين دون آخر ؟ ؟
اما سؤالكم الاخير فيكفيني ان أجيب عليه بهذا الجواب :

ان المصريين ينتصرون للتقدم والمدنية ولكنهم لا يرون في كل الاضطرابات التي جرت في الشرق شيئاً آخر غير الدسائس الانكليزية. فأن تركيا لو كانت تريد ذبح المسيحيين في بلادها لكانت اتت هذا العمل من زمان طويل يوم كانت تخافها دول اوروبا باسرها

ولقد صرحت جريدة التيمس نفسها لما رأت فشل الدسائس الانكليزية في المسئلة الارمنية ـ في عددها الصادر بتاريخ ٩ أبريل الماضى أن « المسؤلية العظمي في مصائب ارمنيا واقعة على رؤس الثوريين من الارمن»

واللورد سالسبولرى يستعمل الطريقة بعينها في المسئلة التركية اليونانية « حيث القى مسؤلية مصائب اليونان على المائة نائب الانكليزى الذين عضدوا الملك جورج »

وفى الختام أقول أن المصرى الذى ينصح أبناء وطنه بمعاداة النزلاء الاوروبيين يعمل ضد اسمى مصلحة للوطن

المصرى وضد القواعد الاساسية للدين الاسلامى

هذا وانى أرجو منكم ياجناب المدير ان تتفضلوا بقبول فائق اعتباري مصطفى كامل »

*
* *

لما وجد المترجم أن الصحف الافرنكية الخارجية والداخليـة اكثرت من الصخب فى مسئلة الاعانة المصرية وان الانكليز بدسائسهم المشهورة يوعزون الى كل من وصل اليهم سلطانهم أو بريق ذهبهم بالتشويش على الاعانة وتسمية المصريين تارة بالمتعصبين وأخرى بالكارهين للاوروبيين . رأى رحمه الله ان يلقى خطبة بمدينة الاسكندرية موضوعها « مصر والدولة العلية » فسافر الى الثغر الاسكندرى فى يوم الخميس ٣ يونيه سنة ١٨٩٧ لهذا الغرض .

وما نشر نبأ القاء هذه الخطبة فى يوم الثلاثاء ٨ يونيه حتى قصـد الثغر وجهاء وكبراء الاقاليم وقد ضاقت بهم الفنادق على كثرتها

وما جاء منتصف الساعة التاسعة مساء يوم الثلاثاء حتى

كان المكان مزدحما ايما ازدحام وهذا نص الخطبة :

مصر والدولة العلية

﴿ خطبة بالاسكندرية ﴾

في ٣ يونيه سنة ١٨٩٧

ه

« سادتي وابناء وطنى الاعزاء

أنى بفؤاد ملؤه الفرح والسرور أقف الليلة أمامكم متكلما عن شؤون الوطن المحبوب ومصالحه . وأنى لاقابل انعطافكم نحو اضعف خدمة البلاد بمزيد الحمد والشكران واستميحكم العفو اذا قصرت اداء هذا الواجب فاني انما أسر بهذا الانعطاف وبهذه المظاهرات لا لانها موجهة لشخصى الضعيف بل لانها اكبر دليل عاني على حياة الشعب المصرى وأقوي حجة تكذب دعوى القائلين بأن مصر وطن لا وجود للوطنية فيه وأن أبناء وادى النيل يقدمون بأنفسهم الى الد اعدائهم وطنهم واقدس ميراث لآبائهم وأجدادهم

أجل أيها السادة . انكم باجتماعكم اليوم هـذا الاجتماع الوطني ترفعون كثيراً من مقام الوطنية المصرية وتخففون من آلام مصر العزيزة التي قاست وتقاسي أشد العذاب على مشهد منكم يا أعز بنيها ويا نخبة انجابها . فـكل اجتماع وطني تذكر فيه مصر ويطالب بحقوقها ويعلن ابناؤها اخلاصهم لها هو في الحقيقة مرهم لجراحها ودواء لدائها . فاذكروها ما استطعتم فان في ذكراها ذكرى آلامها وذكرى الآلام يجر حتما الى ذكر عوامل الشفاء . اذكروها كما يذكر الولد الحنون أمه الشفيقة وهي على سرير المرض والعناء . أذكروها بآلامها وان كان غيركم يذكر بلاده بمجدها ورفعة شأنها . أذكروها فانكم مادمتم مقدرين لمصائبها عارفين بحقيقة آلامها دام الامل وطيداً في سلامتها ودام الرجاء . اذكروها فمن المستحيل أن يرى العاقل النار في داره والداء في شخص أمه ويهمل النار ويهمل الداء . ومن المستحيل كذلك أن يكون الوطن على خطر ونحن نيام وان يعمل الوطني الاجنبي لامتلاك بلادنا وسلب حياتنا بل لاستعبادنا واسترقاقنا ونحن سامدون

لاعمل ولا حراك

ـ القوا أيها السادة بانظاركم قليلا الى الامم الحرة تجدوا كل فرد فيها يدافع عن وطنه ويذود عن حوض بلاده أكثر من دفاعه عن أبيه وأمه بل هو يرضاهما ضحية للوطن ويرضى نفسه قبلهما قربانا يقدمها لاعلاء شأن بلاده ويعد الموت لاجل الوطن حياة دونها الحياة البشرية ووجودا دونه كل وجود! فلم لا يكون المصرى على هذا الطراز ووطنه اجمل الاوطان واحقها بمثل هذه المحبة الشريفة الطاهرة

اسألوا التاريخ ايها السادة ماواجب أمة دخل الانكليز ديارها خدعة وعملوا ويعملون لامتلاكها وسلبها كل سلطة وكل قوة يجبكم التاريخ ان واجب امة هذا شأنها ان تعمل بكل مافى استطاعتها ضد مغتصبها وان تبذل فى سبيل خلاص وطنها كل ماتمتلك من مال ورجال

أجل . كل احتلال أجنبي هو عار على الوطن وبنيه والعار واجب أن يزول

ولست أقصد بهذا الكلام أن أسألكم باسم الوطن

اعلان ثورة دموية ضد محتل البـلاد . كلا ثم كلا . ان أقل الناس ادرا كا لمصلحة مصر يعلم علم اليقين أنها منافية لـكل ثورة وكل هيجان وانما أسألكم أن تعملوا بكل الوسائل السلمية على استرداد الحقوق المسلوبة منكم وأن تعملوا لان تحكم البلاد بأبناء البلاد

نعم انى أعلم أن الاحتلال قوى السلطة عظيم الرهبـة شديد العقاب وان العمل ضده موجب للعذاب مسبب الفقر والفاقة ولـكن في الرضى بالاحتلال الخيانة والعار . وفى العمل ضد الاحتلال الشرف والفخار ! !

فياذوى النفوس الآبية وياذوى الضمائر الحية . اطلبوا الشرف ولو مع الفقر . اخـدموا الوطن ولو اسقطت على رؤسكم الصواعق . كونوا مع مصر ان سعيدة فسعداء وان تعيسة فتعساء . قولوا لعدوها فى وجهه أنت عدو لنا ولصديقها أنت صديق لنا . لا تحبوا من يرميها بنبال الموت بل امنعوه عنها ان قدرتم ثم ردوها فى صدر راميها ان استطعتم . وان لم تستطيعوا فكونوا معها لا مع المعتدين

وان لمصر غير المحتلين اعداء آخرين هم آلات الاحتلال آلات الفساد فأن ذكرتم الاعداء فاذكروا الخونة فهم ألد الاعداء وأى الاعداء هم ؟؟ أولئك الذين أنكروا الوطن والوطنيـة وائتمنوا على مصالح الامة فعرضوها بها للدمار . أولئك الذين ابرتهم مصر فقابلوا برها بالسوء وصاروا اليوم فى أيدى المحتلين ضـد الوطن العزيز آلات الدمار . آلات الخراب . أولئك الذين كلما صعدوا درجا من درجات المناصب نزلت نفوسهم دركا وفقدوا نصيبا من الشرف وسمو الاحساس . أولئك الذين يبيعون الوطن على مشهد من الامم ويسيرون بين الناس حاملين لواء الخيانة والعار . أولئـك الذين اذا مد اليهم الوطن يد الاستغاثة مدوا اليه سيوفا ليقطعوا بها يده الشريفة .

هؤلاء هم الخونة وهم اشد الاعداء ضررا . ويعلم الله ان الدم الذى يجرى فى عروقهم هو دم فاسد ليس بالدم المصرى الصادق وانهم مهما ذاقوا من لذة الحياة الظاهرية فسينالهم

العقاب اقسى العقاب ولو من انفسهم متى حاسبوا ضمائرهم

نعم. سيعاقب الخائنون على خياناتهم فكم رأينا فى التاريخ رجالا خانوا اوطانهم وساعدوا الاعداء على امتلاك بلادهم فعوقبوا على خياناتهم لا من ابناء وطنهم فقط بل ومن نفس الاعداء الذين خدموهم وساعدوهم . هذه سنة الله فى خلقه يقتل القاتل عقابا على عمله فكيف بمن يعتدى على خيانة امة باسرها ويعتدى عليها بالسلاح الذى سلمته اياه ليدافع به عنها

نعم سيعاقب الخائنون وسيحمل ابناؤهم من بعدهم علم الخيانة على رؤسهم وسيبقون فى التاريخ مثلا كبيراً للابناء والاعقاب

وان ذكرتم الاعداء فاذكروا المنافقين. فهم خونة تفننوا فى اساليب الخيانة يظهرون امامكم بمظهر المخلصين وهم يدبرون مع الاعداء المكائد والدسائس . فهم ذوو وجهين وذوو لسانين فاحذروا واعلنوا امرهم ليخيب مسعاهم وتحبط اعمالهم

وان ذكرتم الاعداء فاذكروا الدخلاء وكلكم تعرفون من هم الدخلاء

تكلمت في العام الماضي عن الدخلاء فهاجوا وماجوا وادعوا انني قصدت بالدخلاء كل السوريين وقاموا ببث الفتن والدسائس بغية احداث خلاف كبير وانشقاق عظيم فها انا اليوم اتكلم عنهم باعلى صوتي واقول ان لمصر في السوريين اصدقاء كثيرين وان الدخلاء هم الفئة المعروفة التي انكرت وطنها وجاءت مصر في طلب الرزق فاكرمها المصريون واحسنوا اليها فقابلت الاحسان بالاساءة والبر بالسوء واعلنت عداءها للوطن واهله وقامت في وجه كل مصرى يطالب بحقوق بلاد ويذود عن عرض قومه ووطنه

وهل جماعة الدخلاء في حاجة للتعريف ؟ اليسوا القائمين امام الامة بالمطاعن عليها وعلى كل رجل صادق من ابنائها وعلى اميرها الشرعى وخديويها المحبوب ؟ اليسوا هم المقبحين للوطنية المشرفين للخيانة العاملين على خراب مصر وضياعها

مالهم اذا ذكرنا لفظ الدخلاء نادوا بالويل والثبور وهم كل يوم ينصحون بتسليم البلاد لاعدائها ويوجهون لمقام الخديوية المصرية ولمقام السلطنة العثمانية ادنى الشتائم واقبح

انواع السباب ؟

ما لهم يتميزون من الغيظ وهم اذا رأوا الانكليز سجدوا لهم ولبثوا خشعا ركعا ينشدون ثناءهم ويرتلون آيات وطنيتهم واذا قام فى الوجود مصرى يحب بلاده محبة الانكليز لبلادهم طعنوا غايه الطعن القبيح ووسموه بصفات العته والجنون ؟

ما لهم يسخطون على البلاد واهلها اذا حقرتهم البلاد ومقتتهم وهم الذين ملوءا الصحف تنديدا بالدولة العثمانية ونشروا الملحقات فى ايام الاعياد معلنين قرب سقوط الخليفة عن عرش الخلافة منذرين بقرب انحلال الدولة وتقسيم املاكها مدعين مع ذلك انهم يخدمون العثمانية والعثمانيين. ونراهم اليوم وقد انتصرت الدولة خير انتصار وظهرت بمظهر القوة والحياة ينوحون ويندبون ؟

ابعد هذا يستغربون اذا سميناهم بالدخلاء وسألنا الامة اهانتهم واحتقارهم ؟

ماظهرت في العالم المصرى دسيسة الا وكانوا المدبرين لها ماقام مجرم بالطعن على خدمة البلاد الصادقين الا وكان صنيعة

لهم . أو ليسوا هم الذين اشاعوا وملؤا الارض اشاعة ان المصريين قوم متوحشون متعصبون في الدين يريدون الفتك بكل النزلاء الاوروبيين ؟ أو ليسوا هم الذين اشاعوا هذه الاشاعة الساقطة البعيدة عن الحقيقة بل المناقضة لها كل المناقضة ؟

اى تعصب ديني فى مصر ؟ لا ريب ان كل الذين جابوا انحاء العالم يعترفون معي أن المصريين هم اعظم اعتدالا من كثيرين من الامم المتمدينة . الم يقم اليونانيون هنا باعظم مظاهرة ضد الدولة العلية وهم عائشون بيننا في ارض عثمانية اسلامية ؟

هل اعتدى عليهم احد من المصريين ؟ هل نادت الامة ضدهم واوقفت مظاهراتهم ؟ كلا . ثم كلا . ما اعتدى احد عليهم بل تركوا وشأنهم واعجب الكثير منا بوطنيتهم وان كنا جميعا ضد اعمالهم ورغائبنا مخالفة لرغائبهم ! !

أو لو كان فى مصر تعصب ديني كان اولئك الدخلاء يستطيعون المقام في هذه البلاد ؟ اروني امة من الامم المتمدينة

او المتوحشة ترضى ان يعيش فى بلادها غرباء وظيفتهم الطعن عليها والمجاهرة بالعداوة لها والعمل ضدها سرا وجهراً ؟

قاتل الله الدخلاء لهم فى كل يوم بل وفى كل لحظة دسيسة جديدة . فهم اليوم يغررون بافراد من الاقباط يريدون بهم احداث عداوة وشحناء بين المسلمين والاقباط اى بين اخوة تجمعهم جامعة الوطن العزيز. فهم يوحون اليهم ان المسلمين فى مصر غرباء وان البلاد للاقباط وحدهم وانهم وحدهم سلالة النسل المصرى القديم واصحاب البلاد الحقيقيون وانهم أحق من كل انسان بالمناصب والوظائف السامية. وهي دسيسة لا تقوم لها قائمة ووشاية يرفضها التاريخ قبل بنى الانسان فمسلمو مصر مصريون لا محالة والقسم الاكبر منهم من سلالة المصريين القدماء . والا فهل تلاشت الامة المصرية القديمة حتى لم يبق منها الا نصف مليون ؟ ليسألوا التاريخ هل مسلمو مصر غرباء عنها او من ابناء البلاد الحقيقيين ؟ يجيبهم باحسن بيان ان بعض عمال مصر طلب مرة من الخليفة ان يوقف دخول المصريين فى الاسلام لان الجزية قلت وبيت المال فى حاجة

لها فاجابه ان الرسول ارسل لينشر الدين والنور فى العالمين لا لان يجمع الجزية من الناس . وهنالك الف دليل تاريخى على ان القسم الاكبر من مسلمى مصر مصريون من نسل الفراعنه الاولين . فهل يغير اعتناق الدين الاسلامي الدم المصرى والجنسية المصرية؟ كلا. ثم كلا. ان الذى يقوم بقضية كهذه هو فى الحقيقة قائم بدعوة المسيحيين ضد المسلمين

وعلى فرض أن مسلمي مصر ليسوا من سلالة المصريين القدماء فهل استيطانهم مصر وتناسلهم فيها منذ عشرة قرون مضت لا يعطيهم حق الجنسية المصرية والوطنية بها ؟ وهل يعتبر الامريكان الذين ليسوا من سلالة أهل أمريكا الاقربين غير أمريكيين ؟

على أنه مهما دبر الدخلاء من الدسائس فأن المصريين عامة أرشد من أن ينخدعوا بها وعقلاء الاقباط خاصة أصدق وطنية وأشرف احساسا من أن يكونوا آلات فى أيدى هؤلاء الاعداء الممقوتين :

وانى أسأل الاقباط الصادقين قبل المسلمين أن يقاوموا

هؤلاء الدخلاء وأن يحققوا امام العالم كله ان الامة المصرية على قلب واحد وانها متحدة ضد اعدائها . فمصلحة الوطن قاضية بذلك

— أيها السادة. أعداء الوطن عديدون ومصائب الوطن عديدة : وبديهى ان ازدياد الاعداء يزيد من واجبات الوطنيين المخلصين لبلادهم . فلا تظهر الوطنية الحقة الا في أوقات الخطر . ولا تعرف الهمم العالية الا عند المصائب . وغنى عن البيان ان الامة المصرية بأسرها كارهة للاحتلال راغبة فى الجلاء والحرية وقد أظهرت هذه الرغبة فى ظروف عديدة وجاهرت حينا بعد حين . الا أنها كسائر الامم فى حاجة لان يرشدها أبناؤها المتعلمون ورجالها الخبيرون . ويسرنى كما يسر كل مصرى صادق ان النابتة المصرية عارفة بواجباتها نحو الوطن العزيز فهم أبناء الوطن وهم رجال المستقبل وبهم تحيا البلاد وبهم تقوم

— ولكن هنالك فئة من المصريين لا أنكر اخلاص رجالها للوطن العزيز ولكن أنكر عليهم اليأس الذى

يتظاهرون به في كل وقت وفي كل مكان . فهم ما عملوا ولا يعملون للبلاد عملا نافعا ولكنهم جعلوا اليأس علة عدم العمل وعلة الكسل فان سألتهم لم لا تقومون بعمل عمومي نافع للبلاد أجابوك « نحن يائسون من مستقبل الوطن معتقدون بظلمة الايام الآتية » فبالله كيف يستطيع طبيب أن يحكم على عليل بعدم الشفاء قبل إن يفحص داءه ويعطيه الدواء ؟ على أننا نرى الكثير من الاطباء لا ييأس أبداً من شفاء المريض حتى فى آخر لحظة من حياته . فكيف ييأس رجال من بنى مصر من مستقبل البلاد ! وهم ان كانوا قد خبروا داء مصر فيعلم الله ويعلم الناس انهم الى اليوم ما قدموا لها الدواء !

كيف نيأس من المستقبل والمستقبل بيد الله وحده وكثيرا ما تأتى الحوادث فى السياسة بخلاف المنتظر وبغير حساب ؟ ألم يكن الكثير من المصريين ومن غير المصريين في يأس من مستقبل الدولة العلية ويعتقدون أنها على مقربة من الموت . فهاهى اليوم قد ساعدتها الحوادث التى ساقها الاعداء مؤملين البطش بها فظهرت بمظهر القوة والحياة وأصبحتم جميعا فرحين

بسلامتها معتقدين حسن مستقبلها

كيف نيأس من المستقبل وقد أرانا التاريخ أمما حكمها الاجانب قرونا طويلة ثم قامت بعد الذل والاسترقاق مطالبة بحقوقها وأخرجت الاعداء من ديارها واستردت حقوقها وحريتها .

هى النفوس الصغيرة التى يخلق عندها الامل بكلمة أو بتلغراف ثم يستولي عليها اليأس بكلمة أو بتلغراف . اما النفوس العالية الكبيرة فيدوم فيها الامل ما دام الدم فى العروق وما دامت الحياة

وأي حياة ترضاها النفوس الشريفة مع اليأس ؟ أيجمع المرء فى جسم واحد الموت والحياة . اذ اليأس موت حقيقي وأي موت.

كيف نيأس ونحن جميعا عالمون بأن ما يظهر طويلا فى حياة الافراد هو قصير فى حياة الشعوب فعشر من السنوات في حياة الانسان طويلة حقا ولكنها فى حياة الامة قصيرة جدا على أنه اذا كان اليائسون معتقدين بصحة أفكارهم فعار عليهم

أن يقوموا فى الامة بوظيفة تثبيط همم الآملين. والآملون فى البلاد كثيرون بل الامة كلها مؤملة خيرا في المستقبل . وان لم تظهر الى الآن أعمال الآملين فستظهر بعد قليل وسترى الامة المصرية وأمم العالم أجمع ان للوطن المصرى أبناء مخلصين يقدرون الوطنية قدرها ويعرفون لمصر حقوقها ولا يخافون الاحتلال وقوته بل يجاهدون فى سبل خلاص البلاد منه أشد الجهاد وأحسنه

ولا غرو فان سبل خدمة الوطن عديدة وأن أهمها اعلان الحقيقة فى كل بلد وفي كل زمان. فالحرية بنت الحقيقة وما انتشرت الحقيقة فى أمة الا وارتفعت كلمتها وعلا شأنها فالحقيقة نور ساطع اذا انتشر اختفى الظلم والظلمة وانتشرت الحرية والعدل فكما ان الافراد لاتسلب حقوقهم ولا يعتدى اللصوص على أمتعتهم الا في ظلام الليل الحالك — فكذلك شأن الامم لاتسلب حقوقها ولا يعتدى العدو على املاكها الا اذا كانت الحقيقة مجهولة فيها وكانت هي عائشة فى الجهل والظلام

فيا ايها المصريون المخلصون لمصر انشروا الحقيقـة فى أمتكم وفى الامم الاخري . قولوا للمصرى انه انسان من بنى الانسان له حقوق الانسان تروه رجلا كرجال الامم الحرة يحمل لواء الوطن بكل قوة واقدام . قولوا للفلاح المصرى أنه خلق انسانا كـكل انسان وأن الله أعطاه في الحياة حقوق اكبر الافراد وأن له صوتا لو رفعه سمع فى الملأ الاعلى وأنه ماخلق لان يعمل لغيره بل ليعمل لوطنه ولنفسه تروه عندئذ أشـد الناس دفاعا عن حقوق الامة والوطن . قولوا للامة المصرية انها أمة كسائر الامم من اقدس حقوقها ان تحكم نفسها بنفسها وأن لاتنفذ رغائب غيرها وأن تكون فى بلادها علية الـكلمة قوية السلطة لا يرد لها رأى ولا يخالف لها أمر: هنالك تجدون الامة حية والشعب قويا ولا ترون أولئك الذين يهزؤن برغبة الشعب ورغبة نوابه ويسخرون من رغائب الامة ومن مطالبها

أنشروا الحقيقة عن مسئلة مصر فى كل بلد وفي كل ناد فليس المصريون وحدهم هم اصحاب الحقوق فى مسئلة مصر

ضد المحتلين بل معهم أمم كثيرة من أمم أوروبا لها فى مصر مصالح توافق مصالحهم ولا توافق مصالح المحتلين . وخير مايعمل لمصلحة مصر هو ان تنضم الامم الاوروبية الى الامة المصرية ضد الاحتلال الانكليزى ففى ذلك الخلاص وفى ذلك السلام

ولسنا أيها السادة بانصار دولة دون دولة بل نحن انصار الوطن المصري وطن الآباء والاجداد وموطن الابناء والاعقاب فان ظهرت دولة من الدول بمظهر المحبة لمصر والميل لمساعدتها كنا اكبر اصدقائها وأعظم انصارها . فمصلحة وطننا قبل كل مصلحة . وهي هى المصلحة الوطنية التى تفرض علينا أن نشكر من صميم فؤادنا الذين رفضوا من سياسي أوروبا العمل مع الانكليز ضد مصر والذين وقفوا الانكليز عند حد الاحتلال في البلاد . وهي هي المصلحة الوطنية التى تفرض علينا ان نشكر كل رجل من أى أمة كانت يدافع عن حقوق وطننا ويساعدنا على استرداد حريتنا وحقوقنا الشرعية

واذا كان بعض الرجال المخلصين للوطن العزيز يخافون

الظهور امام قوة الاحتلال بمظهر المجاهرين ضده ولا يستطيعون أن يقوموا أمام الامم مدافعين عن بلادهم منا ضلين عن حقوق شعبهم فعليهم فى مصر نفسها واجبات وطنية يضيق المقام عن عدها . ولكنى اقف قليلا واذكر منها بنوع خاص واجب تربية الامة وتعليمها

نعم ان هذا الواجب اكبر واجب وطنى والبلاد مطالبة بالقيام به فقد أصبحت المدارس على خلاف رغائب الشعب وآماله وأصبحت الامة فى حاجة الى مدارس أهلية ترشدها الى مصلحة البلاد الحقيقية وتعلمها ماللامة من الحقوق وماعليها نحو الوطن من الواجبات

لم لا يقوم كبرآء مصر ووزرآؤها السالفون بأمر تأسيس المدارس الاهلية وتربية الامة؟ لم لا يعقدون الشركات لهذه الغاية ويخصصون أيامهم الاخيرة لهذا العمل الشريف؟ رأينا عظيما منهم قام بمسئلة الاعانة العسكرية واجهد نفسه في هذا الامر وله من الامة والوطن جزيل الشكر والثناء فلم لانراه يقوم مع الكبراء الآخرين بمسئلة اعانة عمومية

لتأسيس مدارس أهليـة والبلاد فى أشد حاجة اليها ؟ يا أيها الـكبراء ويا أيهـا العظماء . ويا أيهـا الاغنياء ما الفخار بالرتب والالقاب ولا بسكنى القصور العالية والتحدث بما كان وما ربمـا سيكون . بل الفخار كل الفخار في العمل آناء الليـل وأطراف النهار لخدمة البلاد واعلاء شأنها. فما الحياة بأيام تمر وسنين تكر بل بالعمل وبالخدمة الوطنية

وما الحياة بأنفاس نرددها ان الحياة حياة الفكر والعمل

واذا كان رجـل ضعيف الصوت مثـلي يسأل السادة الامراء والسادة الاغنياء العمل فى الشيخوخة والقيام فى آخر العمر بتتويج خدمتهم الوطنية فذلك لاني أعتقد أن الـكثير منهم قضى حياة شريفة وخدم البلاد بصدق واخلاص.فهى هي البلاد بنفسها تسأل خيرة رجالها على لسان أضعف أبنائها أن يبقوا مثلا طيبا للشبيبة والناشئين وأن ينشروا فى الامة نور التربية ونور الحقيقة وأن يبثوا فيها روح الوطنية وروح الرجاء

نرى الكثيرين من الاغنياء يهتمون بأمر توظف أبنائهم

ولا يرون الشرف الا فى الوظائف فمتى يسمعون أنين الوطن وشكايته من هذا الداء العضال. داء السعي وراء الوظائف

اتركوا الابناء معشر الآباء فى الحياة الحرة . اتركوهم يخدموا الوطن ويخدموا أنفسهم فى غير دائرة الوظائف . اتركوهم أحراراً غير مقيدين بقيود الرواتب . ابعثوا بهم الي الخارج ليدرسوا التجارة والصناعة ويؤسسوا فى البلاد المعامل والمصانع تزدادوا بذلك شرفا وفخرا وتزدادوا أمام الله وأمام الوطن مثوبة وأجرا

والا فان أهملت تربية الامة وبقى الكبراء منعكفين فى ادارة شؤونهم الخاصة واستمر الآباء يلقون بالابناء الى مهاوى التوظف فى الوظائف وبقيت التجارة والصناعة فى كساد ودامت الامة فى حاجة الى استجلاب لوازمها الضرورية من غير بلادها . دام الانحطاط ودام التأخر ودام الخطر

وان مايردده الواقف أمامكم تردده مصر وهي فى قيود العذاب ولو كان المجال واسعا لأطلت المقال فى هذا المقام

ولكن أترك الافاضة فيه لغيرى من أبناء الوطن الصادقين

ـ ايها السادة . ظهرت مصر فى الايام الاخيرة بمظهر من الوطنية الحقة بديع جليل : قامت الامة المصرية باسرها الا نفرا قليلا بعمل اكتتاب عام للجيوش العثمانية فطعن الاعداء عليها وانتقدالمنتقدون وقالوا انهذا الاكتتاب دليل على ان الشعب المصرى متعصب تعصبا دينيا وادعوا ان مصالح مصر لاتوافق مصالح الدولة العلية في شيء على ان الاكتتاب للدولة العلية هو اكبر مظاهرة وطنية قامت بها الامة المصرية حتى الآن

أما التعصب المزعوم فاننى لست فى حاجة للرد على متهمى الامة المصرية بتهمته . ولكن مالا بد من المجاهرة به هو ان مصلحة الوطن المصرى مخالفة لكل ثورة ولكل هيجان وانهاقاضية علينا بمعاملة الاوروبيين بالمعروف والحسنى فليس للمصريين في مصر غير عدو واحد هوالاحتلال وهو عدو الاوروبيين جميعا . فمصلحتهم متحدة مع مصلحتنا ضده

واذا كنا ننصح ابناء الوطن العزيز بحسن معاملة

الاوروبيين فانا كذلك نسأل عقلاء الاوروبيين أن يكونوا دائماموفقين بين قومهم وبين أمتنا وأن لايتهموا أمة — اول صفاتها الاعتدال — بالتعصب الدينى

ولو فرض انك قلت كل يوم لرجل اشتهر بالحلم ومكارم الاخلاق « أنت شرير . أنت شرير » انقلب عليك هـذا الرجل بعد قليل بالسوء والشر مهما كان حلمه وكرم خلقه . كذلك حال الامة . فان مصر مـع اعتدالها العظيم وتسامحها الكبير تسمع كل يوم من بعض النزلاء الاوروبيين الذين تكرمهم وتحسن اليهم انهامتعصبة فى الدين وانها متوحشة تريد الفتك بهم. فاذا دامت هذه التهمة قائمة انقلبت مصر يومامن الايام ولا محالة الى متعصبة فتاكة . على أن الذى يتهم مصر بالتعصب الدينى هو المتعصب ولاشك فى دينه ضدها!

وكم من مرة أعلن المصريون انهم لايريدون لاحد من الاوروبيين سوأ وأن من مبادئهم الوطنية حسن معاملة الاوروبيين والمحافظة على ودهم أشد المحافظة . فعلى كتاب النزلاء الاوروبيين وعقلائهم أن يوفقوا بينهم وبيننا. وهاهم

رون الليلة نخبة الامة المصرية وفضلاءها يوافقون على هذه الاحساسات ويؤيدونها . فهل يطلبون بعد ذلك دليلا جديدا على حسن نوايا الشعب المصرى؟

— ليعتقد المسيحيون والاسرائيليون انهم اصدقاء المسلمين ما داموا ضد المحتلين او انهم لا لنا ولا علينا . وان المصرى الذى يعتدى على حقوقهم او على شخص احدهم يلام من كثير من المصريين الذين يعتبرونه اتى فعلا تنكره مصلحة الوطن العزيز ومبادىء الدين الشريف

وانه ليحلو لى حقا ان اشكر فى هذا المقام السادة الاسرائيلين والمسيحيين الذين اظهروا لمصر في الايام الاخيرة المحبة والانعطاف ولم يقبلوا عنا تهمة التعصب المزعوم

واذا كان الذين يتهمون المصريين بالتعصب الدينى يتهمونهم هذه التهمة لانهم اكتتبوا للجيش العثمانى فقد اخطأوا خطأً بيناً ولم يدركوا اهمية هذا الاكتتاب وفائدته

اما من الوجهة الدينية فليس لعاقل ان يلوم مصر الاسلامية على مساعدتها للخلافة الاسلامية فحكومات

اوروبا نفسها اعلنت وصرحت بأن اساس سياستها فى الشرق مساعدة المسيحيين بكل الوسائل وهي قد تمسكت بهذا المبدأ وتناهت فيه حتى سمعنا من رئيس وزراء الانكليز ومن كثيرين من سياسى اوروبا «انه يستحيل على اوروبا المسيحية ان ترد شبرا من ارض مسيحية الى حكومة اسلامية» ورأينا المسيحيين في عيد البابا قاموا افواجا بالاكتتاب وقدموا له الهدايا والنفائس فتظاهر المسلمين بمحبة ابناء دينهم وبالميل لمساعدتهم امر طبيعى ضرورى . وهو لا يدل اقل دلالة على وجود تعصب دينى فى مصر . والا فلو كانت مظاهرتنا للدولة العلية دليل هذا التعصب فتهمة التعصب الدينى ملتصقة ايضا بدول اوروبا نفسها ولا مناص لها من ذلك

أما من حيث الوجهة السياسية. فمظاهرة الامة المصرية نحو الدولة العلية هي مظاهرة قوية ضد الاحتلال الانكليزى واشتراك أفراد الامة على اختلافهم فى الاكتتاب للجيش العثمانى هو اقتراح عام ضد الانكليز فى مصر. وان التقرب بين مصر والدولة العثمانية الآن وفي كل وقت من شأنه أن

يسر أصدقاء مصر الحقيقيين . فما دامت الدولة قوية سليمة دام أمل المصريين فى الخلاص كبيراً عظيما

نحن نسأل الذين ينتقدون على اكتتابنا للدوله العليـة لماذا غير الانكليز سياستهم نحو الدولة العلية من عام ١٨٩٣ ؟ لماذا قاموا من ذلك الحين ضدها بعد أن كانوا يعلنون للملأ أنهم أصدقاؤها وأحباء جلالة السلطان ؟ أليس ذلك لان جلالة السلطان لم يرض العمل معهم ضد مصر وضد أميرها أليس لانه قدر آمال المصريين ورغائبهم حق قدرها ؟

هبوا أن لا علاقة بين مصر والدولة العلية غير العلائق العادية بين الامم . أليس من واجباتنا الوطنية أن نعترف بالجميل لدولة رفضت القضاء على حياتنا ومساعدة أعدائنا ضدنا ؟

ها هى الامة المجرية لا تزال الى اليوم أشد الامم ميلا ومحبة للدولة العلية . لان الدولة أكرمت ثوارها عام ١٨٤٩ حينما التجؤا اليها بعد أن قاموا بثورتهم ضد النمساويين وهزمتهم الجيوش الروسية. وقد بلغ حب هذه الامة للدولة

العلية واعترافها لها بالجميل مبلغا بعيدا جدا . حتى أنه لما أخذ النمساويون البوسنه والهرسك أرسلت نظارة الحربية النمساوية بفرقة بحرية الى البوسنه لطرد العساكر التركيـة منها . فلما وصل الجنود البحريون ورأوا الجنود العثمانية ألقوا بأسلحتهم الى الارض وقالوا «انا لا نرمي رصاصنا في صدور أصدقائنا»

وقد ذكر لى الـكثير من أهل المجر أمثالا عديدة تدل على محبتهم الاكيدة وميلهم الشـديد للدولة العلية وما ذلك الا اعتراف لها بالجميل

فاذا كانت هذه الامة الحرة الشريفة عارفة بالجميل فهل ينسى المصريون وهم أقرب الناس للدولة العليـة عنايتها بهـم وعدم قبولها لمطالب اعدائهم ؟ ؟ ؟

ولنسأل أولئـك المنتقدين . ماذا كانت تكون حالة مصر السياسية لو كانت انهزمت ولا قدر الله الجنود العثمانية ؟ لا ريب أن كل عاقل يحكم بأن انهزام الدولة العلية لا قدر الله كان يأتى عنوان انحلالها وتقسيم أملاكها وضياع مصر الى الابد في يد المحتلين . فـكيف اذا لا يعمل المصريون لتقوية

الدولة ومساعدتها لترد الاعداء من بلادها وتحفظ سلامتها واستقلالها ؟

ينتقد علينا أولئك المنتقدون قائلين « لقد كانت مصر فى عام ١٨٤٠ ضد الدولة العلية فكيف هى تتظاهر اليوم بالميل لها ؟» أما الجواب على هذا الانتقاد فبسيط جدا . نعم كانت مصر ضد الدولة العلية فى عام ١٨٤٠ وكانت مخطئة خطأ كبيرا . نعم أخطأ (محمد على) الكبير وعرف قبل موته أنه انخدع وأخطأ . فمعاداة مصر للدولة العلية خطأ عظيم فى السياسة وخطأ آخر بمصالح مصر وبمصالح الدولة معا . ومع ذلك فهل معاداة مصر للدولة عام ١٨٤٠ من شأنها أن تبقى الى الابد ؟ أليست الامم كالافراد تجمعها المصلحة ووحدة المنفعة؟ ألم تحارب فرنسا الروسيا عام ١٨٥٤ وأصبحتا اليوم متحدتين ؟ ألم تحارب المانيا النمسا وتحارب النمسا ايطاليا واتحدت بعد ذلك هذه الدول الثلاث ولا تزال متحدة ؟ ألم تكن انكلترا صديقة لتركيا وأصبحت اليوم أكبر عدوة لها ؟.

ألا يري أولئك المنتقدون أن في انتصار الجنود العثمانية على اليونان انتصارا للدولة العلية على الدسائس الانكليزية ؟ ألا يرون أن اتفاق المانيا مع تركيا أساسه الانتقام من الانكليز والعمل ضدهم ؟ ألا يرون أن فى هذا الاتفاق فائدة كبرى لمصر ؟

— أيها السادة . ان ما قامت به الامة المصرية من المظاهرة نحو الدولة العلية هو خير عمل وطنى عمله المصريون وانى بكل ارتياح وافتخار أحيي من أعلى منبر الخطابة هذا جيوش جلالة السلطان وجرحى هذه الجيوش الفخيمة الذين دافعوا عن الدولة والملة خير دفاع ودفعوا عن مصر بهذا الدفاع اخطارا كبيرة ومكائد عديدة كانت تدبر لها .

— ايها السادة . التعلق بالدولة العلية اقدس واجب تفرضه على المصريين الوطنية الحقيقية فلنحافظ ما استطعنا على هذه الصلة القوية ولنتعلق بعرش الامير المحبوب . ففى التعلق به سلامة الوطن العزيز . ولننشر نور العلم ونور الآداب فى الامة ونور الحقيقة بين الامم جمعاء . ولنقاوم الخونة والمنافقين

والدخلاء . ولنتفق كلمة ومبدأ ونتحد قلبا ولسانا ولنجعل مصلحة الوطن العزيز نصب اعيننا ليلا ونهارا لنبلغ بذلك السعادة الاجتماعية والجلاء والحرية » اه

ما انتهى المرحوم من خطابه هذا حتى صفق له الحاضرون تصفيقا حادا

وما اقترح عليهم في الختام الاقرار على الالتماس من جلالة السلطان الاعظم ان يحل المسئلة المصرية بمعاونة أوروبا حتى رفع الجمع الايدى بلا استثناء ودوت اصوات الموافقة والاستحسان وهذا نص القرار .

القرار بالاجماع

« المصريون المجتمعون يوم ٨ يونيه بمدينة الاسكندرية لاظهار امانيهم ورغائبهم يحتجون ضد الاحتلال الانكليزى أشد احتجاج ويحققون للنزلاء الاوروبيين انهم لا يريدون لهم سوأ ولا يرغبون الا ان يعيشوا معهم بسلام . ويسألون

جلالة السلطان الاعظم أن يطلب من دول أوروبا الاتفاق مع جلالته على حل المسألة المصرية وتحقيق حرية مصر الى الابد »

*
* *

حضر هـذه الخطبة الوطنية السياسـية الكثيرون من النزلاء الاوروبيين وفي مقدمتهم وكلاء الشركات البرقية ومكاتبو الصحف الاوروبية . وقد طير وكيل شركة هافاس التلغراف الآتى لانحاء العالم عقب سماعه الخطبة وهذا تعريبه!

« الاسكندرية في ٨ يونيه سنة ١٨٩٧

القى اليوم (مصطفى كامل) خطبة سياسية امام مجتمع من المصريين يفوق الالفى شخص حضروا وفودا من كل انحاء مصر

وقد أشار الخطيب بالاتفاق بين المصريين والاوروبيين اتفاقا سلميا ضد الاحتلال الانكليزى . وأوصى المصريين باحترام النزلاء الاوروبيين وحقوق أوروبا فى مصر . وأظهر أن انتصار تركيا وزيادة نفوذ السلطان من شأنهما تسهيل حل

المسئلة المصرية

وقد أقر المجتمعون بارتياح تام على قرار احتجاج ضد الاحتلال الانكليزى . حققوا فيه للنزلاء الاوروبيين أن الأمة المصرية لاتريد الا أن تعيش معهم في سلام وسألوا جلالة السلطان أن يطلب من دول أوروبا الاتفاق مع جلالته على حل مسئلة مصر »

وقد زادت على ذلك شركة هافاس ماقاله المترجم من « أن المصريين يشكرون سياسيي أوروبا الذين يعملون لمساعدة مصر والذين وقفوا الاحتلال عند حد الاحتلال »

اما مكاتبو الجرائد الالمانية فقد أرسلوا الى جرائدهم ببرلين تلغرافات بمعنى تلغراف هافاس غير انهم اضافوا على ذلك ماقاله الخطيب بخصوص المانيا ومساعدتها للدولة العلية وما ينتظره المصريون منها في المسئلة المصرية ضد الانكليز

*
* *

أما الجرائد المحلية فأن الوطنية منها ذكرت الخطبة بما تستحق من عبارات الثناء واليك مثال منها :

المؤيد

« ازدحم المكان حتى لم يبق قيد شبر لوقوف أحد ولذلك رجع كثيرون عن باب التياترو حيث لم يجدوا سبيلا لدخولهم او سماع كلام الخطيب . ومع هذا فقد كان الصمت تاما والاصغاء يكاد يكون استهواء للمسامع بل والجوارح والتصفيق بين كل فقرتين حاداً متكرراً »

الاهرام

« نمتدح الخطيب النادر المثال على ما أظهره من الوطنية والحمية ونقول عن خطبته بلسان كل من سمعها بأنها كانت من أفضل الخطب التى القاها واجلاها بيانا وأحسنها القاء وأفصحها عبارة وانها كانت فوق هذا كله غاية فى الاعتدال والنزاهة والتأدب وسداد البراهين بارك الله في همته وزاد توفيقه في خطته »

لسان العرب

« نثنى اطيب الثناء على الخطيب ونمتدح لهجته ووطنيته أحسن مدح ونسأله ان يكرر مثل هذه الخطب في القوم

فهو يقضى من واجب وطنه ويجيب داعي ضميره نحو أمته واخوانه »

الفارد لكسندرى .

« قد اندفع الناس افرادا وجماعات لسماع الخطبة التى القاها الوطنى الكبير « مصطفي كامل » فى مرسح زيزينيا تلى المسئلة المصرية فكنت ترى هذا الملهي الجميل الكائن في شارع باب شرقى تتموج فيه الاهالى من لابسى الطرابيش وحاملي العمائم مزدحمين بين الكراسى وفى الالواج ووقوفا على الاقدام حائلين بين المنافذ والابواب حتى كان الازدحام شديدا فلم يخل منه مدخل التياترو

وعند الساعة التاسعة مساء حضر الخطيب ووقف في المرسح فقوبل بتصفيق شديد وقدمت له عدة باقات من الازهار كما تقدم لمشاهير الممثلين فى الليالى الخاصة بهم . وشاهدنا على الاخص باقة من الزهور بديعة الشكل تدل على حسن ذوق صانعها وهذه الباقة قدمت له باسم اهل الاسكندرية ثم افتتح الخطيب موضوعه واطال فى الكلام مدة ساعة ونصف

بين تصفيق شديد كان يدوى فى نهاية كل جملة من جمله وكان التصفيق يمتد فى بعض الاحيان حتى يضطر الخطيب الى الانقطاع عن الكلام . اما صوته فحسن جهورى ذورنة قوية ولذلك كان يسمع من كل ارجاء الملهى حتى ان كل من فى هذا الجمع العظيم مع كثرته استطاع أن يعى كل اقوال الخطيب التى كان يلقيها بعبارات فصيحة خالية من شوائب التعقيد . »

هذا مثال مما قالته الجرائد الوطنية اماجرائدالاحتلال فأنها سكتت لاول مرة لان موقفها امام البراهين القاطعة التى حوتها الخطبة اصبح احرج من مركز الغاصب السالب الذى ادرك كل كائن حوله مبلغ غصبه وسلبه . ولو انها ام الكبائر لا تخجل من نصرة الباطل على الحق ولو كان واضحا ! !

كتب الى رحمه الله خطابا قال فيه :

« ان عودتى من أوروبا الى مصر أفادت كثيرا فقد رددت على الجرائد التى اتهمتنا لبذلنا الجهد فى مساعدة الدولة

العلية . وكذلك ألقيت خطابا فى مدينـة الاسكندرية كان له أحسن وقع وقد ذكرت فيه كل ما رأيته هاما ومفيدا

أملي أن لا أغيب عن مصر زمنا طويلا فأني قد وطدت العزم على السفر الى الاستانة فأوروبا بعد أيام قلائل وسأخبرك بما سيكون .

وغرضى من السفر اليها مرة أخرى مواصلة الجهاد فى مسئلتنا الكبرى لان من حسن السياسة تحين الفرص ولا فرصة أحسن من هـذه الفرصة التى توالت فيها انتصارات الدولة العلية المحروسة على اليونان رغم أنف مساعديهم محتلى ديارنا :

أوصيك أيها الاخ العزيز أن لا تندفع في السياسـة اندفاعا فأنك مقيد بقانون شديد صارم والذي نجاك من حبائل الاعداء ينجيك كذلك من ترك خدمة هذا الجيش البائس المهان بسلام

أرسل اليك مع هذا صورتي التى رسمت أخيراً فى أوروبا لترى منها صحتى التى تعجبك والتى كانت تكون

اقوى منها اذا كنت قد حظيت بلقياك ردك الله سالما
وأدامك لأخيك المخلص مصطفى كامل»

السبت ١٩ يونية سنة ١٨٩٧

*
* *

السفر مرة أخرى

الى أوروبا

فى هذا العام

سافر المترجم مرة اخرى فى هذا العام الى أوربا ليواصل جهاده فبرح العاصمة في يوم الخميس ٢٤ يونيه بعد أن ودعه على رصيف المحطة أعضاء الحزب الوطنى العديدون وقد أبحر في يوم السبت الى الاستانة العلية مودعا بالكثيرين من أهل الثغر الذين تمكن حبه من أفئدتهم فوصل دار السعادة فى صباح يوم الثلاثاء ٢٩ يونيه

وتوجه الى المابين الهمايونى ثانى يوم وصوله حيث قابل عطوفتلو تحسين بك باشكاتب المابين ورفع بواسطته فروض

الاخلاص وواجبات التهاني بالانتصارات العسكرية الى جلالة مولانا السلطان الاعظم

نزل رحمه الله فى الاستانة بفندق سمر بالاس الكائن بترابيا وقد كثر زواره من رجال السياسة الاوروبيين وفى مقدمتهم مكاتبو الجرائد الانكليزية الكبرى واخذوا يناقشونه في عدة مسائل اهمها المسئلة المصرية فكان يجادلهم بالتى هى أحسن

وبعد أن قضى رحمه الله اسبوعا في دار الخلافة ممتعا بتعطفات جلالة الخليفة الاعظم استأذن وسافر الى بودابست عاصمة المجر فوصلها في السابع من شهر يوليه وما عرف صحافيوها الذين تعارف بهم من قبل حتى رحبوا بقدومه احسن ترحاب

وقد كانت باكورة اعماله فى هذه المرة بهذه المدينة الزاهية الزاهرة ان انتهز فرصة حلول ذلك اليوم المشؤوم يوم (١١) يوليه الذى كان وقتئذ التذكار الخامس عشر لضرب مدينة الاسكندرية الذى هو كما نعلم جميعا احق ايام الحوادث

بالحداد الوطنى العام وبعث بتلغرافين احدهما لجلالة السلطان الاعظم والثاني لرئيس الوزارة الانكليزية اللورد سالسبرى وهذا تعريبهما :

لجلالة السلطان

من بوادبست فى ١١ يوليه الى الاستانة العلية

« جلالة مولانا السلطان المعظم

انى فى هذا اليوم يوم ١١ يوليو الذى هو التذكار الخامس عشر لضرب الاسكندرية اتشرف بأن اتضرع لجلالتكم الملوكانية ان تخففوا الآلام الشديدة التي تقاسيها مصر بلادنا العزيزة بأن تطلبوا من أوروبا جلاء الانكليز عنها

وان بقاء مصر محتلة بالانكليز لخطر عظيم على الخلافة نفسها . فيا أيها الخليفة الاعظم انقذ بلاد مصر والا فموتها موت للاسلام مصطفى كامل »

لرئيس الوزارة الانكليزية

من بودابست فى ١١ يوليه الى لوندره

جناب رئيس الوزارة الانكليزية

« أني فى هـذا اليوم يوم ١١ يوليو الذى هو التذكار الخامس عشر لضرب الاسكندرية أرى من الواجب على تذكير جنابكم بالوعود التى قدمت باسم التاج الانكليزى والشرف البريطانى للجلاء عن وطننا

واذا كانت مصر محتلة ظلما وعدوانا ضد رغبتها وضد مصالحها الحيوية فهي تعتبر يوم ١١ يوليو هذا تذكار حداد لها وتذكار عار على انكلترا . ومادام الاحتلال الانكليزى باقياً فهذا العار يحمله كل فرد من الانكليز أمام المدينة والتاريخ والعالم أجمع مصطفى كامل »

وقد نشرت جرائد بودابست هذين التلغرافين وكتبت فصولا ضافية عن المسئلة المصرية وألحت على أوروبا أن تعمل لاجلاء جنود انكلترا عن وادى النيل تحقيقا لسعادة أهله ابقاء المصالح الدولية المشتركة آمنة من اعتداء الانكليز عليها

وهم قد اشتهروا بحب الذات اشتهارا شعب بالطمع والجشع وهذا مثال مما كتبت !

البستر لويد

قالت هـذه الجريدة المجرية الكبيرة بعـد أن نشرت التلغرافين ماتعريبه :

« انا نحن المجريين الذين توارثنا فى دمائنا ابناء عن أباء حب الوطن وتمجيـد الوطنية نعطف بكل جوارحنا على مطالب المصريين ونهنئهم بوجود رجال بينهم مثل «مصطفى كامل» الذى نسميه بحق «كوشوت مصر» ونسأل ممالك أوروبا كافة أن تؤاذر المصريين مؤاذرة فعلية باجبار الانكليز على الخروج من مصر وتركها لاهلها لانه من العار أن تظهر أوروبا المتمدينة فى مظهر الكاذب فى سياسته أمام أمم الشرق

ان مركز مصر ليس كمركز أي بلد شرقى أخر فهي ذات فوائد كثيرة للعالم ولها مزايا فوق كل مزايا أخرى »

ماجيارنوك لابجا

وقالت هذه الجريدة ماتعريبه :

« نرحب بعمل مصطفى كامل حبيب المجر ترحيب الوطنى بالوطنى ونقول للانكليز أنكم تحسنون كثيراً الى أنفسكم بترك مصر قبل أن توغروا صدور الدول عليكم اذا استرسلتم فى البقاء فيها . وان بلدا مركزه هو مركز مصر لا يصح أن يكون العوبة فى يد دولة واحدة. وأن أملنا كبير في أن مصلحة الدول المشتركة فى مصر تجبر الحكومة الانكليزية على الوفاء بوعودها. وأنا نعتقد أنه مهما طال الزمان على هذا الاحتلال المضر بالعالم أجمع فلا بد من جلائه يوما من الايام . ولذلك فلا يصح أن ييأس المصريون من نجاة واستقلال بلادهم مادام فيهم مثل (مصطفى كامل) الوطنى المشتعل وطنية وحبا لبلاد الفراعنة العظيمة » .. اهـ

وكذلك ضربت الجرائد النمسوية على هذه النغمة وقامت جرائد الانكليز أو المنتمية للانكليز تدعى أنه موعز للمترجم بهذا من جلالة السلطان وكانت تقيم الدليل على ذلك بما أهداه جلالته الى المترجم فى العام الفائت. ولكن الحقيقة التى تنطق مهما ناوأها نصراء الباطل ردت عليهم رداً مفحما اذ كتب

المستر سيمون الشهير بمبادئه الديمقراطية كتابا لجريدة « ذي نيويورك هرالد » قال فيه :

« ان العالم المتمدين يسمع في هذه السنين الاخيرة صوتا رنانا وطنيا من الشرق هو صوت ابن الفراعنة « مصطفى كامل » هذا الصوت الذى أسمعه بكل تلذذ وأقرأه بكل امعان . ومما يدهش أن الصحافة الاوروبية عامة والانكليزية خاصة لاتعير هذا النداء الحق مايستحقه من التشجيع بل بالعكس نرى اكثرها تتهمه شخصيا بمآرب غير وطنية !!!

وقد أردت بما أكتبه في جريدتكم المحترمة أن أكون أحد المشجعين لهذا الوطني المحبوب وأقدم للعالم مناقشة بسيطة في المسئلة المصرية :

« نعلم جميعا أن قول مصطفى كامل من حيث هو قول سياسي . يخص مسئلة ذات أهمية سياسية تجارية دينية . فليس اذاً من الصواب أن نناقش شخصه ولا نناقش قوله !!

يقول مصطفى كامل أنه مصري ونحن لا ننكر عليه ذلك ويقول أنه يدافع عن بلاده طالبا وفاء الانكليز بوعودهم

سائلا أوروبا صاحبة الحول والطول والكلمة العليا في كل ما له مساس بالسياسة العمومية أن تساعده فى تحقيق أماني مواطنيه. ونحن بأزاء هذا القول يجب علينا أن نقول له « انك صادق فى دعواك ولا نسألك الا انتظارا » لان انكلترا بمهارتها تخلق كل يوم مايبعد عنها المناقشة فى المسئلة المصرية لانها مسئلة الهند أولا ومسئلة الشرق ثانيا. فهذا الطريق أو بعبارة أخرى قناة السويس لم تحفر لتكون وقفا على الانكليز بل لتكون طريق رحمة تجارية للعالم كله .

خلقت انكلترا مسئلة الترنسفال لتشغل المانيا وخلقت مسئلة الارمن واليونان لتشغل تركيا كما تسعى لحفر بئر للروسيا فى الشرق الاقصى. وكل هذه المسائل تعطل كثيرا عرض مسئلة مصر على بساط البحث واعطائها حقها بين الامم الحرة التى تتقلب فى نعيم بينما هي تتجرع آلاما جساما

ان مصطفي كامل قائد حركة وطنية فى مصر فبقدر سرعة هذه الحركة من العلم والعرفان وتمثيل حالتى الوطن للناشئين (حالة الشقاء : وحالة الرخاء) تقرب ساعة تحرير

ذلك الوطن الجليل !

انى أسمع الانكليز يقولون بألسنة خدامهم «ان مصر لم تحكم نفسها فى التاريخ يوما واحدا وانها دائمة فى اغلال الذل وأطواق الاستعباد محكومة ذليلة . فلم يخالفون اليوم هذه السنة ويطلبون أن يكونوا سادة فى بلادهم !!! »

هـذا ما يقوله الانكليز وهو قول يضحك كثيرا اذا لفتنا نظرنا الى قول (مصطفي كامل) الذى يقول :

«لو فرضنا أن التاريخ سلبنا نعمة السلطة والحكم فلتكن انكلترا آخر من يتمتع بهما وليست الامة المصرية الا أمة من الامم التى جاءها الدور لتحكم مصر »

نعم قال مصطفى كامل هذا القول وهو غاية فى رقى التعبير وسلامة الذوق ولا عجب فأن الوطنية الحية تملى على اللسان ما اذا خطه القلم ظهر حقا ناطقا لان الوجدان الشريف لم يتعود الكذب

وانا كذلك أقول انهم اذا ضحكوا من قول (مصطفى كامل) وسألوه أين أسلحة مصر وبواخرها وذهبها لتتغلب

أمته على انكلترا وتملك مصر فالجواب عندي أن بواخر مصر نيلها وأسلحتها ارادة أبنائها وذهبها جمال وضعها فليتخذ أبناؤها فوق هذه المواهب من العلم دروعا ولينازلوا الانكليز بثبات الساكن الصابر فان قائد المركب في حاجة لعقل سليم وجسم سليم ليقود مركبه والا فهي بغيرهما غارقة !

ان الوطن بيننا نحن الاوروبيين الراقين عظيم جليل محترم مقدم على الدم والابن والمال فما بالنا نحتقره عند غيرنا ولا نود الا أن نحتكر العواطف الشريفة لأنفسنا !! اذا كنا وهذه أوطاننا من السمو والرقي نشكو دائما من حكوماتنا اعتقادا منا لسبب من الاسباب أو نظرية من النظريات انها تسوقنا الى خطر يحف الوطن !!

ألا فلنتركهم يذكرون أوطانهم كما ذكرناها فأن أحب شيء الى رجل راق شريف العواطف أن يرى جميع بني الانسان مهما تعددت نحلهم وأديانهم وخلاتهم عائلة واحدة عقد الصلة بينهم أشرف كلمة اليها نسبنا ألا وهي « الانسانية »

وقد علقت جريدة ذي نيويورك هرالد على هذا الكتاب

بما تعريبه :

« ان غرض مصطفى كامل شريف وقد قدمناه لقرائنا بلسان جريدتنا فهو رجل اذا تكلم اسمع العالم صوته ومن عرف انه ليس بغني كبير ولا وزير حكومة ذات سلطان لقال معنا انه نابغة ككل عظماء الرجال الذين يهديهم التاريخ من حين الي حين الي الامم البائسة المظلومة فيهدونها الى طريق السداد .

وانا نؤكد لقرائنا ان ابن وادى النيل اذا لم يدافع عنه ضد سالب خيراته يرتكب اشنع جريمة فى الوجود . لانه ذو زرع ثمين ومحصولات كثيرة فضلا عن مركزه السياسى ووضعه الجغرافى !!

وانه اذا كان المصريون الى اليوم في نظر بعض السواس لايستحقون ما يبتغونه من سعادة لانحطاط قوائم العلمية فأنا نؤكد من جديد ان (مصطفى كامل)الذي حادثه مراسلنا بالاستانة فى العام الفائت لا يقل عن اعظم عظيم من عظماء امريكا وأوروبا . انما لسوء حظ مصر انه جاء فى الزمن الذى بلغ فيه حب الحياة المادية مبلغا عظيما فأصبحت المدافع

والمدمرات تستخدم لاغتيال الحقوق لا لنصرة أمة مظلومة على أمة ظالمة !!

ولكنا مع ذلك نقول له ماقاله المستر سيمون وهو ان خطوة الى ألامام ولو كل قرن فى سبيل نجاة الوطن لاجل من لاشيء . فسر ومواطنيك الى حيث تجدون بمشئة الله مصر رمسيس سيدة مهيبة محترمة ! . . . » . . أهـ

*
* *

مكث المترجم في مدينة بودابست لغاية ٣ يوليه ثم سافر الى فيينا حيث امضى فيها بضعة ايام قابل في خلالها رجال السياسة والصحافة ليحملهم على خدمة المسئلة ثم برحها الى باريس

*
* *

وقد ارسل الى رحمه الله من بوادبست كتابا هـذا نصه :

. . . .

« . . . . لو تعلم ما انا فيه من السرور

والنصب لشاركتني فى الاول وودت لو تشاركني في الثانى اما السرور فأنى اشعر بميل الكثيرين من ساسة أوروبا وعلى الخصوص ساسة التحالف الثلاثي الى حل المسئلة المصرية واما الثانى فلأنى اقضى جل وقتى فى التحبير والتحرير وقد شعرت بضعف في قواى. واراني فى حاجة لصديق قوى وطنى بجانبي

هذا وقد عرضت اخيرا على أخوانى أعضاء الحزب أن نختار عضوا أخر من ذوى الحمية والعمل ليكون بجانبي ولكن لم نجد من يقبل السفر لهذه المأمورية الشاقة واذا وجدنا فغير كفء بالمرة

ولذلك فأنى منتظر بصبر نافد يوم خروجك من الجيش لتكون عضدى في هذه الخدمة الشريفة

فاتنى أن أخبرك أنى تعرفت بالكثيرين من فضلاء الاتراك وقد وجدت بعد الاختلاط بهم ومحادثتهم أن بين صفوفهم رجالا ملمين تمام الالمام بحالتنا واقفين على كل مايعمله الانكليز معنا. والاعجب من ذلك ان واحدا منهم شرح لى قصتك فى الجيش وما انتابك من الظلم والغدر فى السنة

الماضية . فحيا الله هذه الامة المجيدة واخرجها سالمة من شراك الاعداء

وفي الختام اقبل وجنتيك . ادامك الله لاخيك المخلص

مصطفي كامل »

برح المترجم بودابست كما قدمت وما وصل الى باريس حتى أذاعت الصحافة الفرنسية نبأ وصوله هناك وسارعت جريدة الاكلير . فأجرت معه حديثا نشرته تحت هذا العنوان

الاحوال فى مصر وتركيا

﴿ حديث مع المترجم ﴾

« لا يوجد بين المصريين الذين أخذوا على عهدتهم هذا الواجب المحمود وهو ايقاظ غفلة السياسة الاوروبية من سباتها العميق تجاه المسئلة المصرية ومنازلة الاحتلال الانكليزى للقطر المصري بجميع الوسائل الشرعيـة من أظهر الجد فى العمل والنشاط فى الدأب مثل (مصطفى كامل) فان هـذا الوطنى المصـرى قد وصل أخيراً الى باريس عائداً من

الأستانة العلية واذ أنه تمكن في خلال هذه الرحلة من محادثة أفاضل الرجال بين عثمانين وغيرهم فى الشؤن المصرية . فقد سألناه أن يعرب لنا عن الحالة الحاضرة بالقطر المصرى وتركيا فأجابنا بما يأتى:

﴿ قال مصطفى كامل فيما يتعلق بمصر ﴾

— أما ما يختص بمصر فلم يحدث تغيير في حالتها الاولى اذ لا يزال الانكليز يحاربون كل ما كان مصريا أو أوروبيا بمعنى أن أوروبا بأسرها أصبحت محتقرة فى نظرهم بالقطر المصري ولا شك فى أنها اذا ابثت محافظة على سكوتها هذا تجاه الاحتلال الانكليزى فأن نفوذها يمحى شيأ فشيأ وتعلوه غبرة الانحطاط والتلاشي ويتألم أبناؤها النزلاء كما نتألم نحن. وسيحاول الانكليز في السنتين الآتيتين الغاء المحكمة المختلطة ولست أدرى اذا كانوا يستطيعون تحقيق هذه البغية وانما اقول انهم اذا توصلوا الى ازالة معالم تلك المحاكم فأن أوروبا تفقد كل حياة ووجود فى القطر المصرى

ويذهب الكثيرون فى الدوائر الانكليزية وغيرها الى

القول بأن اليونانيين الكثيرى العدد في القطر المصرى ولهم معظم القضايا التى تقدم الى المحاكم المختلطة ربما يساعدون انكلترا على الغاء المحاكم المختلطة وتحرير ذلك انهم بالنظر الى كثرة قضاياهم نرى أن معظم ايرادات هاته المحاكم منهم فاذا تحولوا نقصت الايرادات نقصانا فاحشا يتخذه المحتلون حجة لنيل مقصدهم. ومن المحتمل لدينا أن تكون هذه الفكرة وعدا من الوعود التى عللت بها الوزارة اليونانية الحكومة الانكليزية فى مقابل ما نالته من مساعدتها أثناء الحرب

وانى لم أطل الكلام في هذا الموضوع الا لكى أطلعكم على مكنونات الدسائس الانكليزية الموجهة للمحاكم المختلطة التى هي أكثر التأسيسات في مصر فائدة وموافقة للصبغة الدولية العمومية وضمانة لحقوق أوروبا ضد الانكليز فى القطر المصرى . أما نفوذ فرنسا فيما بيننا فلا يزال موضوع جهاد متوال من الانكليز ولذا ترون أن المصريين الذين هم أصدقاء الفرنساويين فى كدر من جراء ذلك وهم ينتظرون كثيرا من فرنسا ولكن طال الانتظار ولا بد لى هنا من ملاحظة أن

المطاعن الموجهة ضد الاسلام من بعض الكتاب الفرنسويين كان لها التأثير المؤلم فى القطر المصرى

وأما ما يتعلق بالنفوذ السياسى القنصلى لفرنسا فانى آسف مثل بقية ابناء وطنى من وقوفه عند الحد الذى كان عنده وهو مجرد التأمل فى الحوادث وتدوينها ولست اقصد بهاته الكلمات الطعن على المسيو كوكردان والتنديد بموقفه اذاء تلك الاحوال بل بالعكس فان هذا الوزير حائز لميل المصريين وهو محترم منهم الى الغاية ولكنه لا يستطيع سلوك خطة سياسية شخصية . نعم انى لست من الواقفين على اسرار السياسة الفرنسية غير انه يظهر لى كما ظهر لكثيرين ان موقف فرنسا فى مصر يجب ان يكون مؤسسا على هذا المبدأ وهو مؤازرة الجناب العالى الخديو

فان سموه هو الممثل لحقوق الشعب المصرى وحقوق أوروبا ايضاً ولا يذهب عن خاطر أحد أن الخديوية المصرية مقبولة مكفولة من أوروبا فينبغي والحالة هذه أن تقوم اوروبا بالذود عن حياضها ووقايتها من كل مساس يكون مصدره

أوروبا على العموم وفرنسا على الخصوص ولو كان الجناب العالى مؤيد الجانب من فرنسا لتمكن من تغيير كل وزير لا يخدم البلاد بصدق وتحسنت الحالة عما هى عليه الف مرة

والامر الذى لا يختلف فيه اثنان هو أن الجناب العالى لا يزال محبوبا من جميع المصريين وكلما أشتدت حملات الانكليز على حقوقه وحاولوا أن ينقصوا من قدره في أعين الامة كبر في انظارهم وعلا شأنه دائما . والشعب المصرى لا ينسى أبداً أنه مدين للخديو عباس باشا لكونه أيقظه من سبات الخمول وأن ثباته ونشاطه ووطنيته وجميع فضائله قد بثت فى روح كل مصرى أن الانكليز ليسوا في القطر المصري بصفة اصدقاء أوداء بل بصفة مغيرين وستبقى الخديوية الممثلة فى ذات صاحب السمو عباس حلمى باشا مرتبطة فى مصر بنفس تلك العواطف والميول الخ الخ

فى الاستانة العلية

« وقد بارحت الاستانة العلية وأنا على اعتقاد وطيد بأن انتصارات الجيش العثماني قد اسكرت بخمرة الفرح جميع

الشعوب الاسلامية فى أقطار العالم ورفعت في أعينهم شأن جلالة السلطان الاعظم ونفوذه . فاذا كان اهالى أوروبا يعتبرون جلالة السلطان مسؤلا عن كل مايقع من الحوادث فى ممالكه وبلاده فان المسلمين ايضا ينسبون شرف تلك الانتصارات وفخرها الى ذات جلالة السلطان الاعظم ولاريب فى أنه لايذهب عن خاطر أوروبا أن مركز جلالته تجاه العالم الاسلامى أصبح وطيداً جداً

ومما زاد فى عجبى واندهاشى هو سوء الظن والاعتقاد الذى بنته أوروبا فى قلوب المسلمين نحوها اذ من المستحيل اليوم اقناعك أحد المسلمين بصدق اخلاص أوروبا نحو العالم الاسلامى أو انها لاتتحيز ضد الاسلام وهذه مسئلة تساليا جاءت مثبتة لذلك الاعتقاد وموطدة له عقب كثير من المسائل غيرها وهو يعتبر مجاهرة أوروبا لجلالة السلطان بان أوروبا المسيحية لاتسمح باعادة أرض مسيحية الى حكومة اسلامية اعلانا للعالم الاسلامى بانها لاتريد سوى الشر والضير للحكومة العثمانية والاسلام . هذا فضلا عن نظر المسلمين

وقتئذ لكل مشروع يتعلق بالاصلاحات بعين الغضب والازدراء ولست أود الكلام على النظام فى تركيا اوعلى عدل الاصلاحات وانما أردت أن اقفكم على ماوصلت اليه حركة الافكار بين الشعوب الاسلامية

ويوجد فى الشرق حزبان يرى احدهما ان أوروبا عدوة لدودة له ويرى الثانى عكس ذلك . أما الاول فيقوى عنصره كل يوم وتزداد شوكته والسبب في ذلك سلوك أوروبا وفي الواقع أن المسلمين كثيرا مايتساءلون عن اسباب انقسام الدول الاوروبية وانشقاقها بشأن اتخاذ الوسائل اللازمة لاكراه اليونان على الجلاء عن كريت .واسباب اتحادها واتفاقها على اخراج العثمانيين من تساليا وكيف ان أوروبا كثيرا ماتفتخر بمحافظتها على مجموع املاك الدولة العلية ووقايتها من التجزء ثم هي تباشر تبديد اجزائها وتمزيق اعضائها مستندة على المبدأ المذكور بعينه !!

﴿ المسئلة الدينية ﴾

« يلومون السلطان لانه يحض المسلمين على الاتحاد ويسعى

فى جمع شتات المسلمين ووضع زمام الاسلام فى قبضته. اما أنا فارى الدول الاوربية تحض المسلمين على ذلك اكثر من جلالته وتدعوهم الي الانضمام والاتحاد يدا واحدة فأن أوروبا لم تخاطب المسلمين فى امرما الا وكان كلامها باسم النصرانية وهي لم تتكلم قط باسم التمدن الاعم على افراد البشر من مسائل الدين. ولكى امثل لكم الحالة التى وصلت اليها خواطر المسلمين اذكر لكم الجملة التى فاه بها جلالة السلطان الاعظم لمكاتب جريدة نيوفرى بريسه النمسوية التى تصدر فى فيينا حيث قال « أوروبا تحاربنا حربا صليبيه في شكل سياسى» وقد اعرب جلالته بهذه الجملة عما يخالج افئدة افراد المسلمين في العالم باسره

وقد نسيت اوروبا فى الغالب ان الواجب فى الشرق مراعاة الرأى العام الاسلامي ولا يخفى أن المقصد الذي تسعي وراءه اوروبا انما هو تحصيل السعادة والهناء للاقوام المسيحيين العائشين فى الشرق وتوطيد دعائم السلام في الممالك المحروسة وعلى ظنى أن هذا المقصد لا يمكن نيله الا بتسكين

الخواطر الهائجة وتمكين روابط الاتفاق بين المسلمين والمسيحيين ولا توجد دولة غير انكلترا تستفيد من سوء ظن المسلمين باوروبا ومن النزاع بين المسلمين والمسيحيين فى الشرق .
وتقضى مصلحتها ايضا ان تمحو ذكر مصر من اذهان أوروبا بحادثة من الحوادث في الاستانة العلية وقد يمكن ان يلحق المصريين القنوط بسبب ما تقدم لانهم بما انهم مسلمون ربما اعتقدوا انهم فقدوا ميول اوروبا وعضدها

وجملة القول ان البحث فى المسائل الشرقية على مبدأ الدين من اكبر الوسائل لتوليد الاحقاد والضغائن وتأجيل توطيد السلام العام فى الشرق الي زمن مديد فينبغي ان تكون أوروبا والحالة هذه عادلة نحو جميع الناس بلا فرق وهي اذا اخذت على عهدتها الزام الغير باحترام الحقوق والعهود من الواجب عليها ايضا أن تسوى المسئلة المصرية وتبرهن للعالمين الاسلامي والمسيحى على صدقها واخلاصها وعندئذ لا يتسنى لأى مسلم أن يرتاب فى ذمة أوروبا ونياتها » .. اه

هذا وقد عضد المسيو « ادوار فلدتوفل » الكاتب

الفرنسى الطائر الصيت هذا الحديث بمقالة نشرتها جريدة لابيه (السلام) تحت عنوان :

سياسة الدول الاوروبية
(والسلام)

قال فيها ما تعريبه :

« من واجبات الكاتب المحرر أن يتمسك دائماً بمحبة وطنه والدفاع عن مصلحته ولكن يجب عليه ان يخدمه بحكمة وتعقل لا أن يكون متعصبا لرأى دون رأى فى اعماله

ولذلك فأنى ارى من واجباتى ان احكم على حوادث الشرق بمقتضى الآراء السديدة الحكيمة التى رواها «مصطفى كامل » فى حديثه الاخير مع احد محررى جريدة (الاكلير) فلقد قال هذا المصرى ان اكبر عائق لنجاح السياسة الاوروبية فى الاستانة وفي مصر واعظم ضرر لمصالح النوع البشرى على العموم صادر عن الخطة السيئة التى اتبعها الاوروبيون نحو الديانة الاسلامية فانهم بدلا عن ان يخاطبوا الدولة العلية باللسان الذى يخاطبون به الدول الاخرى تراهم يخاطبونها باظهار

العداء للاسلام

وان الانتقاد على هـذه الخطة يخالف الحق ولا محالة فبأى حق يصح لنا ان ندعى عنـد ما نطالب أمة من الامم بشيء من الاشياء ان عقيدة هذه الامة فاسدة لانها ليست عقيدتنا التى نظنها صحيحة كاملة ؟ ان هذا الادعاء لباطل كل البطلان . فأن كل العقائد أساسها الفضيلة ومهما تغيرت الفضيلة بتغير البلاد والبقاع فهى هي الفضيلة بعينها ومن المستحيل ان يحكم الانسان على دين بأفضليته على دين آخر فلقد كان عيسى يهوديا وصار اله المسيحيين . وبنى ابراهيم بيديه الكعبة ثم صار بيتاً مقدسا للمسلمين وجاهد (لوتر وكلفان) جهادا شديدا ضد الدين الكاثوليكى ولكن من كانا يعبدان ؟ كانا يعبدان المسيح . . . الخ

فبديهى اذاً ان (مصطفى كامل) مصيب في فكره فعار علينا أن نلوم الامم المغايرة لنا فى الدين بمعبودها وعقائدها . اه

وقد كتبت جريدة (الديبش كولونيال البأريسية) فى هذا المعنى ما تعريبه :

« اذا لم يستطع الانسان أن يسافر ليستفيد فليطلب الفائدة ممن سافروا وجابوا البلاد والاقطار

وقد تشرفنا بالمحادثة طويلا مع كثير من المصريين الذين يجيئون باريس لتبديل الهواء أو لاشغالهم الخصوصية وتحدثنا على الخصوص مع (مصطفى كامل) الشهير بمقاومته للاحتلال الانكليزى . واننا نكون مغيرين لوجه الحقيقة اذا قلنا اننا بعد هذه المحادثات نفتخر بالجنسية الفرنساوية فأن الانسان متى تحدث مع بعض رجال السياسة الشرقيين يحس أن فرنسا لم تربح في الحوادث الاخيرة شيأ مذكورا بل خسرت من سلطتها ومقامها ما لم يكن لها فى الحسبان وأنه لمن المسائل المؤلمة حقا ان تصبح فرنسا على هذه الحال وقد كان لها النفوذ الاول بين الامة الاسلامية على العموم والامم العثمانية على الخصوص. ولقد اتخذت الحكومات الاوروبية فى المداولات الاخيرة خطة من شأنها أن تحمل العالم الاسلامي بأسره من السلطان العظيم الي الفلاح الحقير على الاعتقاد بأن أوروبا تحارب الاسلام (حربا صليبية) جديدة . وهذا الاعتقاد كان

سببا كبيرا فى تجديد الضغائن الدينية والملية التى كانت زالت بالمرة من قلوب المسلمين وقد كان لفرنسا فى العالم الاسلامى أصدقاء كثيرون فعليها أن لا تهمل أمر ما دخل نفوسهم من هذا الاعتقاد لما لها من المصلحة فى ذلك

وبديهى أن اعتقاد المسلمين والعثمانيين بتعصب أوروبا وفرنسا ضد الاسلام يضعف كثيرا من المحبة الابدية السرمدية التى كانت قائمة بين المسلم والفرنساوى . على أننا اذا كنا فقدنا محبة المسلمين فلا يستطيع أحد أن يثبت أننا نلنا ثقة المسيحيين فى الشرق بل أضعنا محبة أولئك وهؤلاء لاننا جرحنا عواطف المسلمين وما دفعنا ضرراً عن المسيحيين»

*
* *

وما نشرت مقالة هذا الكاتب الحر حتى قامت قيامة أعداء الدولة ومصر بل أعداء الاسلام والمسلمين ناسبة صدور هذه المقالة وأمثالها لرجاء المترجم والحاحه الى غير ذلك من الاقاويل التى تدل على مبلغ حنقها من أعمال المترجم التى ضمت اليه أصواتا كثيرة لخدمة المسئلة المصرية والتى كانت تشجع

المرحوم فى عمله الطاهر الشريف وقد كتب رحمه الله مقالة الى جريدة البرلينرتاجبلاط الالمانية الشهيرة نشرتها في ١٧ أغسطس وهذا تعريبها!

خطة الانكليز

في مصر

انى أستميح قراء «البرلينرتاجبلاط» الاذن لا حادثهم اليوم فى شؤون مصر بلاد الفراعنة وبلاد العجائب. فان هتمام المانيا بالمسئلة المصرية في هذه الايام يضمن لى أن الرأى العام الالمانى يقضى قضاءه العادل على هذه الاساليب الغريبة التي يستعملها الانكليز فى مصر. أولئك الذين سموا ويسمون أنفسهم بممدنى العالم البشرى وحماة الانسانية.

ماقرأ أحد تاريخ المصريين القدماء الا استغرب غاية الاستغراب من عنايتهم الزائدة بامر القضاء والعدل. فقد ادركوا أن قوام الهيئة الاجتماعية المنتظمة المتمدينة اعطاء كل ذى حق حقه ورفع راية العدل والانصاف بين الناس بلا

تمييز ولا محاباة وهـذه الحقيقة الثابتة التي أدركها ورفع شأنها آباؤنا الاولون هي فى هذا العصر أول الحقائق والعدل هو اساس المدنية الغربية لامحالة . والانكليز يقدرون العدل في بلادهم قدره ويفتخرون الفخار العظيم بسمو شأنه في ديارهم ولكنهم قد لا يبصرون الحرف الاول من حروفه ولا يفقهون له معنى فى بلاد مصر . فلا عدل فى مصر الا وهو مشوب بالسياسة ولا قضاء الا وهو مشوب بها كذلك

والقاعدة الاساسية للعدل فى عرف الانكليز أن يحكم على المصري متى كان عـدوا للاحتلال وأن يبرأ الانكليزى حتى ولو جنى افظع جناية وأن أمورا تجري على هذا الاساس يجب أن تعرف فى أوروبا ويجب أن يقضى الرأى العام الاوروبى عليها قضاءه الشديد وتحتج ضدها ضمائر الشعوب المتمدينة . .

فلقد رأينا العدل آلة سياسية بيد الانكليز وأنى لا اضرب على ذلك غير مثال واحد وهو مثال قضية المؤيد الشهيرة فان هذه الجريدة جريدة مصرية تصدر فى القاهرة باللسان العربى

الذى هو لسان مصر ويحررها رجل مصرى الخ الخ . رأى الانكليز ان هذه الجريدة تحارب الاحتلال بسلاح الحقيقة الساطعة فاضطهدوها وساقوا مديرها للمحاكمة بحجة انه ساعد على ازاعة تلغراف رسمي بنشره فى جريدته . وقد أحدثت هذه القضية فى مصر تأثيراً كبيرا وكانت المسئلة الوحيدة حين ذاك الشاغلة لافكار المصريين والاوروبيين عامة . وقد برأت المحكمة الجزئية صاحب المؤيد براءة جاءت ضد رغبة الانكليز وجاءت بعد تهديدات طويلة عريضة هددوا بها القاضى المصرى العادل واستأنفوا القضية مؤملين نيل عقابه فكان استئنافهم للقضية استئنافا للبراءة مما شرف القضاء المصرى وبرهن على أن فى المصريين رجالا لا يخافون الاحتلال بل يأتون العدل بكل قوة وثبات. فلما يأس الانكليز من استعمال قضاة مصر المصريين آلات لرغائبهم وحبا للانتقام والبطش وهدم قواعد العدل عينوا عقب هذه البراءة المزدوجة ثلاثة قضاة من الانكليز فى محكمة الاستئناف ليزداد عدد الانكليز بها وليكون الحكم على اعداء الاحتلال أمرا سهلا هينا !!!

اما من حيث الوجهة الانسانية فلا قيمة لحياة المصرى في أعين الانكليز فالاعتداء على الحياة البشرية فى مصر مبدأ من مبادئ ابناء التاميز — ممدنى العالم وحماة الانسانية — وليحكم القارئ على ذلك بهذه الامور ـ

سأل يوم من الايام عامل من عمال التلغراف مهندسا انكليزيا كان حاملا اليه تلغرافا ان يمضى وصل التلغراف كما هى العادة فى مصر فرفض الانكليزى ذلك. فكرر موظف التلغراف الطلب اتباعا لاوامر المصلحة فعدّ الانكليزى ذلك منه سوء أدب يستحق العقاب عليه فقام بغاية السكون وتناول بندقيته وصوب رصاصتها فى صدر المصرى المسكين حيث سقط يتخبط فى دمه كأنه حيوان صغير حقير والانكليزى ساكن الفؤاد. ولا بد أن القارئ يتساءل عند قراءة هذه المسئلة » وأى عقاب نال الانكليزى ؟ » فاجيبه ـ لاشىء! لاشىء أبدا انما نقله اخوانه الانكليز الى الهند ! !

وقد رفض طلبة الازهر مرة ان يسلموا مريضا منهم الى السلطة العسكرية فحاصر البوليس مدرستهم الكلية بامر

قائده الانكليزى والقي الرصاص عليهم حيث جرح كثيرون ولم ينل الضابط الانكليزى اقل توبيخ بل لايزال موظفا كبيرا آمنا مطمئنا .

وفى الشتاء الماضى اشتهرت قصة حريق البلينا التى ذهبت فيها ارواح ثمانية اشخاص حرقا بالنار ومآل هذه الحادثة أن عصابة لصوص اعتدت على ضابط بوليس وقتلته فأخذت الحكومة تبحث عنها حتى أشعرها يوما من الايام أحد الاهالي بانه احتال علي رجال العصابة واغلق عليهم قاعة فى دائرته فارسلت الحكومة رجالها وبوليسها وسألت هؤلاء الرجال أن يخرجوا من القاعة فامتنعوا فوجدت الحكومة أن لا استطاعة لها على اخراجهم وأن خير عمل يعمل في هذه المسئلة هو احراقهم جميعا فامرت ـ او أمر الانكليز ـ بايقاد النار فى القاعة على من فيها فاحرقت واحرق الثمانية الذين كانوا فيها وقام الحريق دليلا ساطعا متلألئا على ماهية العدل في مصر تحت سلطة الانكليز !!

والى القراء امر آخر حدث اخيرا وهاجت له ضمائر

المصريين كافة ونزلاء مصر غير الانكليز. وهو ان عسكريا انكليزيا قتل صبيا مصريا كان يرميه بالحصي. ولما سيق العسكرى الى مجلس المحكمة الانكليزى اعترف بجريمته ولكن — . . . برأه المجلس براءة لا ريب فيها وانى أقسم للقراء ان هذا الامر الفظيع بل هذه الجريرة البهيمية أتى بها الانكليز ابناء الانكليز لا الصينيون ؟ ؟ ؟

ولقد احدثت براءة هذا القاتل فى مصر تأثيرا سيئاً جدا في الرأى العام ورفعت ام القتيل قضية مدنية امام المحاكم المختلطة وتقدم لسمو الخديو وفد من اعيان الاسكندرية رفع لجنابه ما عم الناس من الكدر والانفعال بسبب تبرئة مجرم يستحق الضرب بالرصاص

فهذه صحيفة من صحائف احوال مصر اذا قرأها القارىء وتمعنها عرف كنه ما يجرى على شواطىء وادى النيل . وهذه الامور التى أتيت عليها يعرفها فى مصر المصرى والغريب ولكنها مجهولة كل الجهل في أوروبا . وأن الواجب على كل رجل متمدن وقف على هذه الامور ان يحتج ضد الاحتلال

الانكليزي لمصر

واني اعرف أنه لا يزال فى المانيا بعض رجال يعجبون بحرية الانكليز في انكلترا فيا أيها المعجبون بالانكليز أن أردتم حقا أن تعجبوا بهم كل الاعجاب فأختبروا اعمالهم فى غير بلادهم تجدوهم يجنون افظع الجرائم ويعتدون على حقوق الامم وعلى حياة الافراد ثم يتركون احرارا بغير عقاب . . .

ففى استطاعة احقر الانكليز أن يعتدى فى مصر على ارفع المصريين بدون أن يعاقب اقل عقاب. ولكن اذامس مصرى احد الانكليز كان اكبر الجناة واعظم المجرمين. وقد اسس محتلو مصر محكمة مخصوصة واسعة السلطة والارادة لا قانون لها ولا مرد لاحكامها تحكم على من يعتدى من المصريين على احد العساكر اوالبحارة الانكليز وليس للمصريين من يحميهم من الانكليز! فهى هى المحكمة المخصوصة التى تكفي وحدها لتعريف أوروبا احوال مصر وسير الانكليز فيها . اذ هي افصح وابلغ من كل الخطباء!

بازيس في ١٦ اغسطس سنة ١٨٩٧ مصطفى كامل »

وقد تناقلت هذه المقالة كافة الجرائد الالمانية واثنت فيها على كفاءة المصريين وسألت حكومتها ان لا تترك الفرصة تمر بلا عمل يذكر فى المسئلة المصرية الى غير ذلك مما آلم الانكليز كثيرا !

ما جاء مساء يوم اول سبتمبر سنة ١٨٩٧ حتى غص الفندق النازل به المترجم بجماهير المصريين والعثمانيين الذين دعاهم كعادته للاحتفال بعيد جلوس جلالة السلطان وكان بينهم عدد كبير من رجال السياسة والصحافة فى باريس وبعد ان تناولوا طعام العشاء وقف المترجم بينهم خطيبا فقال :

خطبة في باريس

٦

اخوانى الاعزاء

هذه الليلة التى تفضلتم بتشريفي فيها هى من اكبر ليالى العالم الاسلامي فقلوب المسلمين كافة والعثمانين عموما تخفق الآن بالفرح والسرر وابناء وطننا في مصر خاصة يحتفلون

اليوم بعيد جلوس جلالة السلطان عبد الحميد على اريكة الملك اكبر واعظم احتفال ويبرهنون بذلك للامم جمعاء على تعلقهم الاكيد بعرش الخلافة المقدسة . ولذا كان احتفالنا في باريس على قلة عددنا ذا شأن خاص فهو جزء من ذلك الاحتفال الكبير بل هو دليل من دلائل اجماع المصريين على محبة جلالة الخليفة الاعظم والتعلق بالدولة العلية

وهذه هي المرة الرابعة التى صادف وجودي فى باريس يوم عيد الجلوس الشاهاني واحتفلنا به كل مرة احتفال الصادقين الاوفياء وكم تحدثنا فى اجتماعاتنا بشؤون الدولة واحوالها ومصائب مصر واحزانها ولكننا ما شعرنا في عيد من الاعياد بمثل ما شعرنا به هذه المرة من الفرح والسرور فعيد اليوم فى الحقيقة عيدان عيد جلالة الخليفة وعيد الجيش العثماني . نعم هو عيد الفخار والانتصار عيد احياء القوة العثمانية واعادة جلال مجدها العسكري . وكلكم تعلمون مقدار تأثير انتصارات الجيوش العثمانية في العالم الاسلامي والعثماني فلقد شرحت صدر كل ذي احساس صادق وجمعت كلمة العثمانيين حول جلالة السلطان وكلمة المسلمين

حول جلالة الخليفة

والذي شاهد حركات الامة المصرية ايام الحرب وسهرها الليالى منتظرة الاخبار بتشوف وشغف لايدركان — عرف ما للدولة العلية من الحب فى افئدة ابناء النيل وعرف ما لجلالة السلطان الاعظم من المكانة فى القلوب وعرف انه باطلا يعمل الدخلاء ضد جلالته . فمطاعنهم سهام ترد اليهم فى صدورهم وجلالة السلطان ارفع شأنا واسمي مكانة من أن تصل الى علو مقامه مطاعن هؤلاء الدخلاء

ففرحنا بعيد جلالة السلطان الاعظم كبير شديد وتعلقنا بالدولة العثمانية متين اكيد وانا نحيي اليوم من صميم الفؤاد جلالته تحية الابناء المخلصين ونحيي الخلافة المقدسة تحية الحنان والولاء ونبتهج ببقائها قوية متينة بالرغم عن مكائد اعدائها العديدين

واني لا ابالغ اذا قلت ان مسلمي الارض قاطبة انظارهم موجهة نحو الخلافة المقدسة وقلوبهم مجتمعة حول رايتها الشريفة فلقد قامت الاحتفالات بالانتصارات الشاهانية فى كل بلد

وفي كل واد وتردد صدى فرح المسلمين فى جميع الاصقاع والانحاء وهو امر خطير تهتزله اليوم انكلترا على عظمتها وجلالها . وامر لم يكن له من قبل مثيل . واني لست ممن يتمنون اجتماع العالم الاسلامى ضد العالم المسيحي واهراق الدماء بل اني اتمنى واجاهر بهذه الامنية وهي ان يسير العالم الاسلامي باسره فى طريق النور والعلم وان يجتمع كله حول الخلافة العظمى لصد اعدائها ورد اعتداء المعتدين. واني اعتقد ان كل العقلاء لا ينكرون علي المسلمين واجباتهم نحو الخلافة ولذا كانت كتابات الذين يبغضون الاسلام وبنيه ضد اتحاد المسلمين كتابات حقد وبغض لا يعتد بهما

واذا اتحد اليوم العالم الاسلامى اتحادا سياسيا فانما اتحاده ضد الانكليز وهم يعلمون ذلك علم اليقين فطالما طعنوا على جلالة الخليفة الطعن القبيح وطالما دسوا ضد الخلافة الدسائس وقاموا ببث الفتن فى انحاء الدولة العلية . بل عرضوا على دول أوروبا اسقاط الخليفة عن عرش خلافته وتقسيم الدولة العلية حماها الله . فهم اليوم الاعداء وفى رأيي أنهم كانوا دائما

الاعـداء وألد الاعـداء . فلا عجب ولا غرابة اذا قام اليوم مسلمو الهند بثورة ينتقمون بها لوطنهم الاسيف ولعقيدتهم التى طعن الانكليز عليها في شخص جلالة الخليفة الاعظم .

ولقد ظن الانكليز أن جلالة السلطان (عبد الحميد) هو المحرك لهذه الثورة والملهب لنارها ولكن باطلا مايعتقدون.

انا ننزه جـلالة السلطان عن أن يدس الدسائس ضـد الانكليز ويحاربهم بهذا السلاح الدنىء الذى يحاربونه به. وانا ننزه كذلك ثوار الهنـد عن أن يكونوا آلات صماء . فأن احساسهم لشريف وجدير بالاحترام ونفوسهم التى سئمت ماهم فيه هي التى دفعتهم ضد الانكليز وماهم الا من بنى البشر يحسون ويشعرون لهم قلوب ولهم ادراك ولهم ارادة — اذا شاؤا — فعالة .

ومن غريب أمر السياسة الانكليزية انها مع تظاهرها بكراهة تركيا وبغضها تعمل فى الاستانة لاستمالة جلالة السلطان وتود لو أصدر جلالته قراراً يأمر فيـه ثوار الهند بالسكينة والخضوع للانكليز كما فعل المرحوم السلطان عبد المجيد عام

١٨٥٦ حين ثار الهنود ثورة (سباه) الشهيرة

وقد تحققت أثناء زيارتى الاخيرة للاستانة ان الانكليز لما فشلت سياستهم فى الشرق وانتصرت الدولة العلية انتصارها الباهر ورأوا من أوروبا الارتياب فى نياتهم ومن المانيا تعضيد تركيا ضدهم . اخذوا يعملون ويستعملون رجالهم وصنائعهم فى الاستانة لتحسين العلائق بين دولتهم والدولة العثمانية . شأنهم مع الظافر المنصور.

فكلكم تعلمون أن الانكليز كانوا أصدقاء لفرنسا أيام نابليون الثالث قبل حرب السبعين ثم لما انهزمت فرنسا كانوا أصدقاء لألمانيا وأعداء لفرنسا . وتذكرون كذلك انهم تظاهروا فى مبادئ الحرب الصينية اليابانية بالميل للصين ثم لما تم الظفر والنصر لليابان كانوا معهاضد الصين هذه سياستهم فى كل وقت وفي كل زمان! !

ولكن تيقنوا أيها الاخوان ولتتيقن الامة المصرية كلها أن جلالة السلطان الاعظم لا يتفق أبداً مع الانكليز ما داموا محتلين لمصر اذ احتلال مصر مسبة كبيرة من الانكليز للدولة

العلية . وكونوا على ثقة من أن جـلالة السلطان مهتم بمسئلة بلادنا اهتماما تاما ولا تحسبوا سكوته الظاهرى اهمالا لها بل ان جلالته أول العارفين بمكانة مصر من ملكه الجليل وبأنها روح الاسـلام وقلبه وضياعها خراب للدولة و الخلافة فهو مفكر في أمورها واقف على أحوالها يفرح كثيراً بكل نهضة تقوم فيها ويسر حقا بقيام المصريين للدفاع عن حقوقهم والمطالبة بها. واعلموا أيها الاخوان أن ساعة الخلاص آتية لا محالة عاجلا أو آجلا . يوم يلبي جـلالة السلطان نداء مصر ويرفع صوته وتنضم اليه دول لهـا فى مصر المصالح الخطيرة . يوم يعـلم الانكليز أنهم مضطرون للجلاء وأن لا مناص من الجلاء

واذا كنا نحتفل اليوم بعيد جلالة السلطان فانما نحتفل والامل ملء افئدتنا وانظارنا شاخصة نحو مصر العزيزة ويودي لو اقصر حديثي معكم اليوم على هذا التذكار السعيد. ولـكن هناك تذكار آخر أراه قريبا منا واشخصه امام عيني مكتوباً بحروف الحـداد الا وهو يوم ١٤ سبتمبر القادم التذكار الخامس عشر لدخول الانكليز مدينة القاهرة عاصمة

مصر التعسة . نعم أرى هذا التذكار واحس بآلام شديدة لذكراه . آلام تختلج الفؤاد وتزاحم الفرح والسرور فالبسوا ثياب الحداد ذلك اليوم كما لبستم اليوم ثياب الفرح والهناء واندبوا حظ بلادكم التعسة وخففوا من آلامها بالعمل لخدمتها والتفانى في سبيل خلاصها

فمن كان وطنه وادى النيل عار عليه أن يسلمه لسواه ويعيش حقيراً ذليلا غريبا فى دياره اجنبيا فى ربوعه وربوع أبائه واجداده. ولطالما ردد الفلاسفة ان كلمة الحق تصل الى آذان الافراد والامم وتبلغ اعماق القلوب لو بعد قرون . فنادوا اذاً بتحرير الوطن المصري فأن لم يسمع صوتكم اليوم فهو مسموع بعد اليوم

ولا تظنوا أيها الاخوان انكم تكونون ابرياء من اثم ضياع مصر اذا سكتم عن المطالبة بحقوقها ولم تعملوا لاخراج الاجنبى من ديارها . فقد يظن الكثير فى مصر ان الذي لا يخون وطنه ولا يخدمه ولا يدافع عنه بريء من جريمة مصائبه غير مسؤل عن الاخطار التى تتساقط عليه . كلا. أن

الذي يري النار بعينه ويقف عند حد المشاهدة فلا يعمل لاطفائها هو شريك فى الاثم لمن اسعرها . فكيف بنا ونحن نرى الاجنبي يعتدى على حياة أمتنا ووطننا ويهتك عرض بلادنا ويسلبنا اموالنا وحقوقنا ويستذلنا ويحسن للحيوان الاعجم اكثر من احسانه لنا . فحياة ذليلة للموت خير منها والموت فى سبيل الحياة الشريفة خير من حياة ذليلة

واذا كنا معشر الشبان لم نجر على بلادنا هذه المصائب الجمة . فلاجرم أننا اذا أهملنا الامر كنا الجانين على ابنائنا من بعدنا . فلقد سلمنا اباؤنا مصر وفيها بقية حياة فهل يليق أن نسلمها لابنائنا ميتة لاحراك بها ؟ ان مصر لعليل أنتم تعرفون دواءه فقدموه لها ولو قطعت ايديكم بالسيوف ومزقت افئدتكم بالخناجر

وانكم لو ناجيتم سرائركم وتنزلتم الى افئدتكم وتساءلتم من المسؤل عن احياء مصر هل الشيوخ ام الشبان . هل الذين بلغوا غاية العمر وقضوا حياتهم ام الذين لهم الشبيبة والقوة والحياة ونشؤا على مبادىء الوطنية الحقة وتربوا على محبة مصر

العزيزة ورأوا غيرهم من ابناء الامم الحية يضحى في سبيل بلاده كل نفيس وعزيز. لاريب أن ضمائركم تجيبكم انكم انتم وحدكم أى كل رجال الشبيبة المصرية المسؤلون عن احياء مصر وكفاكم من الشيوخ رضاؤهم عنكم وعن اعمالكم

وقد يحسب الواحد منكم نفسه صغيرا حقيرا من الهيئة الاجتماعية المصرية فيقول «ومن أنا حتى ادافع عن بلادى واطالب بحريتها واسعي لسعادتها» وهو فكر خطأ فكل مصرى مسؤل عن حالة مصر ولكل مصرى الحق في خدمتها بل عليه واجب خدمتها واعلاء شأنها . وجميع المصريين سواء امام مصر . وحنانها لكل فرد من ابنائها لا ينقص عن حنانها للآخر . وقد جاءنا التاريخ بالامثال العديدة على قيام افراد من آخر طبقات الهيئة الاجتماعية باكبر الاعمال واشرفها . وقد ارانا التاريخ فتاة حررت فرنسا وطنها وطردت الانكليز من ربوعه . وهذا (كوشوت) محرر المجر بدأ صغيرا حقيرا لامقام له في بلاده ولا مكانة. ولكن وطنيته الطاهرة وفؤاده المتقد غيرة على وطنه وخلوه عن الغرض الشخصى جعلته في

تاريخ بلاده وفي تاريخ الامم رجلا من عظماء الرجال ومثلا كبيرا . والتاريخ مملوء بذكر الرجال الذين نهضوا من الطبقات الفقيرة الى اسمى المراتب بوطنيتهم الصادقة واحساساتهم السامية

فاعملوا اذا والامل ملء قلوبكم ولا تيأسوا طرفة عين بل ليزدد عملكم بازدياد الخطر . شأن ذوي النفوس الشريفة والمقاصد العالية

واني لست في حاجة لان ألفت أنظاركم الى ما ترونه في أوروبا من مظاهر الوطنية الجليلة ومن معالم الحياة الحقيقية فهذا العمران العظيم ناطق بابدع بيان بأنه من ثمار الوطنية وكل ما في هذه الديار من عدل ونظام وحرية واستقلال ونعيم كبير وملك عظيم هو من مبدعات هذا الاحساس الشريف الذي يسوق أفراد امة باسرها الى العمل لغرض مشترك ومطلب واحد ولا ريب عندي انكم كلما دخلتم مدافن عظماء الرجال وزرتم قبورهم قبرا قبرا اعجبتم بهذه الوطنية العالية التي رفعت مقام هؤلاء الرجال وخلدت لهم الذكر الجميل

ولا ريب انكم اعجبتم بهم وغبطتموهم فقدعاشوا كرماء اوفياء لاوطانهم وماتوا مشرفين أعالى الاقدار والمقامات وبقيت اعمالهم دروسا ومثلا للابناء والاعقاب . ولا ريب انكم امالتم ان يظهر فى المصريين كثير من امثال هؤلاء الرجال حتى تبلغ مصر مبلغ هذه البلادمن عزة الكامة وقوة البطش والسلطان

ولا جرم ان انفع درس يحتاج اليه المصرى من أوروبا هو الوقوف على قوةالاحساس الوطنى فى البلاد على اختلافها فأهل هذه البلاد على تفرق مشاربهم وأهوائهم يحبون بلادهم حبا شديدا ويستقبل الفرد منهم الموت في سبيل خدمة بلاده

ومن أجل ما ذكره التاريخ من احساسات هؤلاء القوم نحو بلادهم أن قائدا فرنسيا أحس فى عام ١٨١٥ باقتراب منيته حينما هزم نابليون الهزيمة الاخيرة واحتلت عساكر الدول الاوروبية المتحدة أرض فرنسا . فدعا اليه احد اصدقائه وقال له « ان لى عندك امرا اسألك بحرمة فرنسا أن تؤديه بعد موتى » فقال له صديقه « وماذاك ؟ » فاجابه القائد قائلا « اذا انجلت العساكر الاجنبية عن ارض فرنسا العزيزة فزر قبرى

وناد باعلى صوتك : « لقد انجلى الاجانب عن بلادنا فنم آمناً مطمئنا . عندئذ تسكن روحى ويتم لي الموت بسلام »

هذا مثل صغير يكفي وحده لتعريفكم كيف قامت هذه البلاد وبماذا تقوم

واذا كانت فخامة ملك الامم المتمدينة ورفعة مقامها وحرية افرادها وسعادة ابنائها أمورا من شأنها تنشيطنا على العمل لتحرير مصر وابلاغها هذا المبلغ البعيد فهنالك امم أخرى تنذرنا بسوء المصير اذا استسلمنا للمحتلين واهملنا أشرف واجب علينا في الحياة . فالهند وراءكم وايرلندا امامكم تنذرانكم اناء الليل واطراف النهار بالخراب والدمار والمجاعة والعار والموت اذا رضيتم بالمذلة وسلمتم البلاد للمحتلين . فحاسبوا انفسكم وأسالوها اتفضل العار على الشرف . والذل والهوان على العز والرفعة . والموت على الحياة ؟؟

ان امتن اساس لخدمة الوطن العزيز هو الوفاق والاتحاد ولكن بين الصادقين الذين يضحون حياتهم محبة لمصر وعملا لانقاذ مصر

فلقد عرفنا بعض رجال كانوا يتظاهرون بالوطنية والغيرة على مصالح مصر ثم ظهر امرهم وكشف الغطاء عما فى سرائرهم ولم يبق ريب فى انهم اضر على مصر من اعدائها الظاهرين

والحمد لله ان عدد المنافقين فى مصر ليس بالكثير كما يتوهمه البعض ولكن مهما كان عددهم قليلا فلنحذرهم كل الحذر ولنضم صفوفنا بعضها الى بعض ونلتف جميعا حول الوطن العزيز الحامل لواءه الشريف خير امير وافضل مصرى سمو خديوينا المعظم (عباس حلمى باشا) فهو روح الوطنية فى مصر وهو اول من يغار على حقوق بلاده المحبوبة . وقد نال حفظه الله بما له من الوطنية والحكمة والذكاء وحب العلم والتقدم محبة شعبنا المصرى وثقة العالم المتمدين واحترامه . وحقق بذلك لمصر مستقبلا ساطعا منيراً . فلنصدقه كل الصدق ولندافع عنه أحسن دفاع ولنخلص له بالقلب واللسان ولنقسم بالله والوطن على محبته وولائه مادام على هذا الاخلاص لمصر

واني اسألكم فى الختام ان تنادوا معي :

لتحي مصر !

لتحيي تركيا !

ليحيي العباس !

ليحيي جلالة السلطان عبد الحميد الذي نعيش جميعاً تحت ظل رايته المقدسة . . اهـ

وقد نشرت الجرائد الاوروبية على اختلاف نزعاتها ملخص هذه الخطبة النفيسة وعلقت عليها ماشاءت سياستها.

وقد قالت جريدة الجولواوقتئذ « ان المصريين أمة على جانب عظيم من النشاط والجد وهم مخلصون لرابطتهم الدينية الاسلامية اخلاصا حقيقيا لاتشوبه شائبة المدنية الكاذبة ولا يكدر معناه الجميل الغايات السياسية الدنيئة وانا نعتقد أنهم ماداموا على هذا الاخلاص فلن يجد العدو الى قلوبهم سبيلا »

اما شركات البرق فانها كعادتها نشرت فى العالم ملخص الخطبة مما كان له عند جميع المصريين اعظم وقع وقد لاحظ الكثيرون أن الشتائم لم تهطل عليه فيما مضى هطولها فى هذه المرة ولكنه رحمه الله ما كان يكترث بسبابها بل استمر في طريقه معتمدا على قوة الحق وقلوب الامة التى متى عرفت

الحقيقة واتحدت لخدمتها كانت قوة لا قدرة لقوة مهما كانت أن تقف فى طريقها

سافر المترجم بعدئذ الى برلين فمكث بها عشرة أيام وقد كتبت الجرائد عنه شيئاً كثيراً مما يحتاج فى نشره الي مجلدات ضخمة . وقد نشرت شركة هافاس بمناسبة هذه الحركة ما يأتي.

« أن جميع السياسيين الاوروبيين كادوا يتفقون على حل مسئلة مصر وقد انضم اليهم بقوة ساسة المانيا »

*
* *

دسيسة احتلالية

بعث أحد الاحتلاليين الى المسيو شيونفرت الكاتب الالمانى الشهير بكتاب يقول له فيه ان الذين يدافعون عن مصر وفى مقدمتهم «مصطفى كامل» ليسوا من جنس مصرى الى غير ذلك من الاقاويل التى لاغرض منها الا التشويش على دفاع المخلصين ودفع الكاتب الالمانى الى كتابة ما يعرقل مساعى حماة مصر. وقد كان كتب جناب الكاتب كتابا بهذا المعنى ونشره في جريدة فوسيشه زيتنغ في ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٩٧

وما قرأ المرحوم كتابه هذا حتى رد عليه لساعته بما تعريبه :

الحقيقة لا تعدم انصارا

وياته في ١٥ اكتوبر سنة ١٨٩٧

ياحضرة المدير

اسمح لى ان أرد على ما كتبه مسيو (شيو نفرت) في جريدتكم ونشرتموه فى عدد ٣٠ سبتمبر الجارى بشأن (الوطنية المصرية)

يدعى المسيو شيو نفرت أن المصريين القائمين بالدعوة الى الوطنية هم من أصل أجنبي وليس لهم بالفلاحين أدنى علاقة .وقد تكرم حضرته بأن عدنى من رجال الفئة المترفعة عن الامة البعيدة الاصل منها أى ممن لايجرى فى عروقهم الدم المصرى الحقيقى

وهي دعوة باطلة كل البطلان لان كل المصريين القائمين بالدعوة الوطنية العاملين ضد الاحتلال الانكليزى الساعين وراء تحرير مصرهم مصريون من سلالة المصريين الحقيقيين

وأغلبهم أبناء الفلاحين

أما أنا فافتخر وأتشرف بانى ابن ضابط شهم أبوه فلاح مصرى

يظهر اذا جليا اننا لسنا من تلك الفئة الغنية الغريبة الاصل عن الفلاحين ولسنا كذلك بظلمة الفلاحين فى الماضى لانهم اما اخوتنا واما آباؤنا

اما اكتتابنا للجيش العثمانى فما هو الا ثمرة وطنية يانعة صادقة نعم هو ثمرة الوطنية الحقيقية لاننا نعلم علم اليقين أن انكلترا لا ترمي بكل دسائسها ضد تركيا الا الى مصر

واننا بسرورنا وباحتفالنا بالانتصارات التركية نسر ونحتفل بهزيمة السياسة الانكليزية أي باجمل وابهى شيء يتمناه على الدوام كل مصرى وطنى »

« واني أختتم كتابى للدكتور (شيو نفرت) بأنى أجله اعظم اجلال غير أني مندهش جداً من أن رجلا مثله يقول عن الفلاح المصرى انه لا يعنى بشؤون بلاده

فاذا كان الدكتور (شيو نفرت) يقضى علينا بأننا

اجانب عن الفلاح لاندرك مابفؤاده فكيف يستطيع هو أن يعرف هذا الفؤاد ويدرك مابه ويتكلم عن عدم عنايته بشؤون الوطن ؟

هذا وتفضل بقبول احترامى مصطفى كامل »

وقد علقت عليه تلك الجريدة بما تعريبه :

« ان على هذا الكتاب مسحة الحق والاخلاص ونحن لانشك ان المسيو شيونفرت قد اقتنع بما فيه ولذلك نرجو من قراءنا أن يمحوا ماعلق بأذهانهم من كتابه فأن هذا الرد صادر من صاحب الدار وهو ادرى بما فيها وعلى الاخص مايخصه منها »

*
* *

عاد المترجم الي الوطن فوصل العاصمة فى ١٠ اكتوبر وقد استقبله الكثيرون بكل ترحيب وتعظيم ماعدا جرائد الاحتلال فانها اختلقت عليه ماشاءت واتهمته بالتطاول على الجناب العالى الخديوى ودولة شقيقه الى غير ذلك من المفتريات !!

لم يمض يومان حتى وقع فى مرض انهك قواه واقلق بال مصر وكان الفضل فى شفائه لمدينة حلوان التى اشار عليه بها الاطباء وما أبل من مرضه في اواخر شهر نوفمبر حتى عاد الي عمله السياسى وكتب الىّ بعد طول الانتظار وقلق البال كتابا هذا نصه:

من مصر الى بربر

فى يوم الجمعة ٣ ديسمبر سنة ١٨٩٧

أخي . . . . . .

. . . .

انك لاشك قلقت كثيرا حتى بعثت بثلاثة تلغرافات بعد عدة خطابات سائلا عن صحتى على الاخص وصحة العائلة على الاعم . لانه مضى على نحو ثلاثة أشهر لم أكتب لك فيها كلمة .

انى كنت فى مرض شديد يئست معه من حياتى وقد أصابنى بعد وصولى الى العاصمة بيومين وهو مسبب عن كثرة الاتعاب التى صادفتها فى هذا العام والتى أؤمل

أن تكون ناجحة لانها كما تعلم صادرة باخلاص لا أمل لى في شئ من ورائها سوى عودة مصر الى زهوها ورجوع السيادة فيها لابنائها المخلصين

سأبتدئ بمشيئة الله بعد أيام فى وضع كتاب على المسئلة الشرقية يكون فيه نفع للمشتغلين بمسئلة الدولة ومسئلة مصر ولى وطيد الامل ان يأتى كتاباً مفيدا والله الموفق

لاتتأخر عن مكاتبتى كثيرا ولا تنس أن ترسل الى تلغرافا عند قيامك لمصر حتى أسافر للقياك بالاقصر

أن الدسائس التى يدبرها الاعداء ضدنا كثيرة ولكن الله سينصرنا عليهم نصرا عزيزا

. . . .

*
* *

كان رحمه الله بينما يحادث الصحافيين ويناقش الداخلين والخارجين ويقنع اليائسين يبعث بمقالاته المؤثرة المفعمة اخلاصا وحماسة ووطنية وحقا الى الجرائد الاوروبية الكبيرة وغير

ذلك فأنه بدأعقب شفائه بتأليف كتاب المسئلة الشرقية الذي هو اول كتاب في بابه وضع باللغة العربية ...

ومما يذكر هنا ان الكتب السياسية بين المرحوم وبين من عرفهم من اساطين السياسة الاوروبية اخذت ترد عليه بكثرة . وقد كان رحمه الله كتب الى رجل كبير فرنسى له مقام خاص ومركز سياسى يذكر بالاحترام كتابا وقد رد عليه جنابه بكتاب هذا تعريبه :

« باريس فى ٦ ديسمبر سنة ١٨٩٧

صديقي العزيز — ورد لى كتابك الاخير فتلوته بكل امعان . واني اشكرك شكرا جزيلا على تفضلك بمراسلتى مابين حين وحين فقد كنت متشوقا الى ورود هذا الكتاب لاقف منه على حقيقة الاحوال فى مصر فأن الانكليز قد ملأوا أوروبا اخباراً غريبة جداً بشأن مصر وسمو أميرها

أشاعوا ان فى مصر حزبا كبيرا عظيم النفوذ قوى الكلمة ينتقد جهارا على اعمال سمو الخديو ويعاديه علنا ويود

لو انتقل ملك مصر من يديه ونسبوا واضع القصيدة الهجائية (١) في سمو الخديو الى هذا الحزب ممثلين اياه لاوروبا رجلا كبيرا وشاعرا طائر الشهرة. وقد ود الانكليز بذلك تغرير سياسي اوروبا وافهامهم ان الامة المصرية ميالة الى الاحتلال الانكليزى معادية لاميرها

ولا يفوتك أن انتشار مثل هذه الاشاعات والاساطير يضر كثيرا بمسئلة مصر فى أوروبا ويكون كالضربة القاضية على آمالكم الحقة ومطالبكم الوطنية الشريفة ولست انكر عليك ان هذه الاشاعات السافلة قد أثرت تأثيرا سيئا على افكار كثيرين من اصدقائى انفسهم مع انهم يعلمون من عهد بعيد أن الامة المصرية شديدة التعلق بأميرها وان سمو عباس باشا يمثل بينكم الوطنية الحقيقية وان آمالكم وميولكم تطابق اماله وميوله

ولما جاءني كتابك اطلعت عليه كثيرين من المشتغلين بمسئلة مصر فأدركوا سر الاشاعات الانكليزية وفطنوا الى أن

---

(١) وهي القصيدة التي كان ذم بها بعضهم سمو الخديو وجرى بشأنها تحقيق

الانكليز عاملون فى اوروبا على اضعاف ميل السياسيين والكتاب لسمو خديويكم كما أنهم يعملون فى مصر على اضعاف سلطته الشرعية !

ولقد فرحت كثيرا بما قلته لى عن محبة الاهالى لسمو الخديو وشدة تعلقهم به وسرنى ماوصفته لى من استقبال سموه في سياحته الاخيرة فى الوجه البحرى مما يدل بلا ريب على فساد مزاعم الانكليز

ولكنى مندهش كل الاندهاش من انكم معشر المصريين لا تعرفون أن تنتفعوا من مثل هذه المظاهرات الشريفة فانها مرت ولم يدر بها أحد من المشتغلين بمسائل مصر انفسهم . مع اننا نرى الانكليز يجسمون كل أمر ضدكم وهم لم يخجلوا من ان يمثلوا لنا غلاما سافلا لا شأن له ولا اعتبار كرجل رفيع الشأن قوى الكلمة وكشاعر طائر الصيت . فلم لا يهتم فضلاء المصريين بالتعرف برجال الاقلام والسياسة في اوروبا ويكاتبونهم فى كل فرصة ويعرفونهم الحقائق ؟؟ ان ذلك اكبر خدمة يستطيع المصرى أن يؤديها لوطنه في هذا العصر

عصر القلم واللسان

نعم انى أعرف انك انت واصدقاءك تقومون بهـذا الامر خير قيام ولـكن أمة عددها عشرة ملايين يجب ان يدافع عنها وينشر الحقيقة عن شؤونها عدد اكثر بكثير منكم واضعاف اضعافكم

ولعلك تقول لى انكم اشتغلتم بنشر الحقيقة فى هذه السنين الاخيرة لـكنكم لم تروا لهـذا العمل نتيجة فأجيبك على ذلك بأن هذا الرأى فاسد كل الفساد . فان أمة مثل أمتـكم تود نيل حريتها واستقلالها لا يصح لهـا أبدا أن تمل العمل خمس او عشر سنين بل يجب عليها ان تعمل بثبات واستمرار على الدوام مهما لاقت من الصعاب وقام فى طريقها من العقاب بل أقول يجب عليها أن تزيد مجاهرة بارائها ورغائبها كلما زادت الاخطار .

وانى أذكرك ايها الصديق بقول الشاعر الالمانى وهو « ان كل قطرة ماء تنزل على الصخرة تحفر منها شيئاً »

فقطرة الماء وحدها لا تحفر الصخرة كلها ولـكن نزول

القطرة بعد القطرة تحفر الصخرة كلها فكذلك العمل ضد الانكليز في مسألة مصر فأن كل عمل بانفراد كقطرة ماء تنزل على صخرة الاحتلال

ولا أريد أن أطيل الكلام معك فى هذا الموضوع لانك بعد السياحات الطويلة والمقابلات العديدة قد أدركت ذلك بل وعرفت ما فوقه ولكن قبل الختام اذكر لك ما اجمع عليه السياسيون هنا بشأن مصر وهو ان مسئلة بلادكم الجميلة حية قائمة ذات الشأن الاول فى المسائل السياسية ولكن على المصريين واجبات اذا قاموا بها نالوا بغيتهم وهى واجبات ثلاثة

اولها ـ اتحادهم كل الاتحاد حول اريكة سمو العباس واعلان العدوان لكل طاعن فى سموه فأن فى القضاء على السلطة الخديوية القضاء الابدى على حقوق الامة المصرية . وخديويكم اجدر امراء مصر بالحب والاجلال لا سيما وانه مبغض من الانكليز وهم لا يبغضونه الا لانه محب لكم

ثانيها ـ تعزيز مركز سمو الخديو المعظم فى الاستانة

فأن جلالة السلطان صاحب الصوت الاول بين دول أوروبا في مسألة مصر ولا بدله من أن يأخذ بالثار في مسئلة بلادكم التي خدعه الانكليز فيها اكبر خداع. فيجب عليكم ان تكونوا على تمام الصفاء والوفاء في علاقاتكم مع جلالة السلطان. واني اعلم ان هنالك دسائس عديدة تدس ضدكم وضد سمو اميركم ولكني اعتقد انه يسهل عليكم ان تبددوا هذه الدسائس وتحافظوا على ميل الخليفة لكم

ثالثها - جعل الرأى العام الاوروبي واقفا على الدوام على احوالكم فأن ممالك أوروبا اليوم مسيرة بحركة الرأى العام وطالما رأينا الحكومات مشتغلة بمسائل مهمة فتتركها بالرغم عنها للاشتغال بمسائل اخرى تثيرها الجرائد والرأى العام وتتناقش فيها المجالس النيابية فأن كانت مسألة مصر في الجرائد والمنتديات وكنتم دائما على مرسح السياسة الاوروبية قائمين بابطال الاشاعات والاراجيف الانكليزية فانكم تنشؤن لمسئلتكم اهمية كبرى ويزداد انصارها كل يوم وتتوالى الضربات عندئذ على هذه الصخرة الاحتلالية الضخمة

تلك هي الاراء التي يراها كل سياسى خبير وقد قضى على الوفاء لشخصك بذكرها والاطالة في بيانها وعساها أن تقع لديك ولدى اصدقائك ومن يرى رأيك من المصريين موقع الاعتبار .

هذا وتفضل ايها الصديق بقبول سلام من يدعو معك بحرية مصر وخلاصها القريب . . اه

(الامضاء)

*
* *

ختم رحمه الله هذا العام عام ١٨٩٧ بمقالة فائضة نشرتها جريدة « البرلينر تاجبلاط » الالمانية باللغة الالمانية هذا تعريبها :

﴿ الخديوية المصرية ﴾

« لقد وجه الانكليز أكبر عنايتهم من أول يوم احتلوا فيه مصر للقضاء على الخديوية المصرية ومحو آثارها من الوجود فاستعملوا وهاهم يستعملون اليوم أكثر من ذى قبل كل الوسائل لجعل خديو مصر بلا نفوذ فعلي فى بلاده

وقد كان المرحوم الخديو السابق توفيق باشا مدينا للانجليز بتداخلهم لمصلحته أثناء الثورة العرابيـة وكان يرى ضياع سلطته وقوته الشرعية بمساعي الانكليز ولكن لم يكن يستطيع الاحتجاج علنا ضـد أولئك الذين كانوا يسمون أنفسهم أصدقاءه

ولا ريب انه كان يظن ككثير من المصريين وقتئذ أن حكومة جـلالة الملكة تقوم من نفسها بالوفاء بوعودها وتحترم شرفها باجلاء الجنود الانكليزية عن مصر يوماما

وبينما كان الانكليز يعـملون فى مصر على تقويض السلطة الخديوية فى عهد المرحوم توفيق باشا كان وزراؤهم وكانت جرائدهم فى لندره ينادون امام أوروبا وامام العالم كله أن وظيفـة جنود دولتهم ورجالها فى مصر تقوية السلطة الخديوية واعادة احترام الخديو وحقوقه الشرعية اليه

وهى العوبة مضحكة وسخرية كان عمرها قصيرا !

فأنـ سمو الخديو عباس حلمى باشا المملوء بالشبيبة والشهامة لما جلس على اريكة مصر رأى أن عمل الانكليز فى

بلاده مناقض كل المناقضة لتصريحات وزرائهم الرسمية وتقريرات جرائدهم المعتمدة . وشاهد انه عوضا عن تقوية سلطة الخديوية يعمل الانكليز لاضعافها

ومن البديهي ان نفسا طاهرة وروحا شريفة كروح سمو أميرنا لايمكنها أن تقبل هذا الموضوع المخجل وترضى بضياع سلطتها مع تفهيم العالم كله أن المضيعين لها يقوونها ويؤيدونها !!!

ولما وجد سموه لحقوق ملكه وحقوق أمته قوة عظيمة ولشرف بريطانيا مكانا عاليا ولشرف أوروبا احتراما خاصا صرح علنا وجاهر بانه يبتغي ويريد ارادة قاطعة أن يتمتع بحقوقه الشرعية التي لاخلاف فيها

فكان هذا التصريح باعثا على المعارضة اللدودة العلنية من قبل الانكليز

ولم يجهل أحد منذ ذلك الحين أن اعتداء الانكليز على سلطة الاميرصار بينا مستمرا .وقد ابتدأت مطاعن الانكليز ضد الخديو عباس باشا بكل قحة ودناءة في حين أنه ليس

سموه في أعينهم ذنب أخر غير انه يريد تخليص امته من النير الانكليزى وقيادتها متى صارت حرة قابضة بيديها على زمام امورها في طريق التقدم والمدنية

ويستحيل أن يقرأ الانسان مطاعن اسفل وادنى من المطاعن الموجهة من الجرائد الانكليزية ضد خديوينا المعظم. ولقد خدمت هذه المطاعن السافلة سموه في مصر وفي أوروبا كثيرا خلاف مايشتهي الانكليز واظهرت مقدار شجاعته فزاد بذلك نفوذه المعنوى ولكنها فى ذاتها تدل دلالة واضحة على اطماع الانكليز فى مصر بل أقول انها البرهان الساطع على تلون رجال السياسة الانكليزية وتدليسهم فى تصريحاتهم

ولقد اتبعت الامة المصرية نحو سمو اميرها المعظم وتتبع اليوم وفى المستقبل سياسة التعلق الشديد والارتباط المكين بشخص سموه كما أظهرت المرار العديدة التضامن المشترك بين حقوقها وحقوق الخديوية الجليلة. واذا وجدت فى شخص سمو الخديو الحالى اسمي واعظم مدافع عن هذه الحقوق المشتركة الشرعية فقد علقت حظها ومستقبلها بحظ

سموه ومستقبله وقالت بلسان الاعمال والمظاهرات الفصيح « أن اخلاصها لسمو العزيز يزداد كل يوم »

وفي الواقع أن أمتنا لم تنس مطلقا هذه الكلمات الصادرة عن شرف الاحساس والوطنية الصادقة والثبات التى فاه بها سمو الخديو عباس باشا عام ١٨٩٣ « اني افضل الموت على التنازل عن حقوق ملكي وحقوق امتى »

واذا كان غاية مرمى الانكليز اضعاف السلطة الخديوية فقد استعملوا للوصول الى هذا السبيل ادني الوسائل فصار كل عدو للامير محبوبا منهم مكافأ بل صاروا يشجعون كل خائن وكل اجنبي يجاهر لمصر بالعدوان وصار كل محب لسمو الامير مبغضا منهم مهدد الحياة . فمحبة الخديو ـ صاحب السلطة الشرعية التى جاؤا مصر بحجة الدفاع عنها وجمع القلوب حولها ـ صارت اليوم فى اعين أبناء التاميز جريمة لا تغتفر وذنبا لا ينسى !!

ولكن بالرغم عن هذه الاعمال وهذه الخطة التى لا تليق بشرف بريطانيا فان الامة المصرية بقيت كما ذكرت صادقة

الولاء نحو العزيز. وقد زار سمو عباس باشا فى الايام الاخيرة بعض مديريات الوجه البحرى فقوبل من سائر الاهالى والسكان أبدع وأجمل وأصدق مقابلة . واحتفل المصريون في هذه المديريات بزيارة سمو الامير احتفالا مارأى انسان له مثيلا

واني أقول ولا أخشى فى الحق لومة لائم ان أرض الفراعنة مارأت فى تاريخها الطويل أميرا محبوبا من أمته هذا الحب الصادق غير سمو الخديو (عباس حلمى الثانى)

وقد اغتاظ الانكليز كثيراً من هذه السياحة الدالة على حقيقة ميول المصريين. وتحققوا اليوم جيدا أن كل دسائسهم ضد شخصه الكريم وكل اعمالهم المدبرة بغاية المهارة يكفى لاسقاطها وضياع نتائجها يوم واحد !!!

وان أمل الانكليز فى هدم السلطة المعنوية لسمو الامير باطل لامحالة !!

وبينما الانكليز يدسون الدسائس المختلفة فى مصر ضد الامير يعمل رجالهم وسواسهم فى أوروبا لاظهار سموه بمظهر

العاجز عن ادارة شؤون بلاده . ولكنها وشاية لم تنتج شيئا آخر غير لفت الانظار الى أمور مصر

اذ لا يستطيع أحد أن ينكر ان آمال سمو العزيز عباس باشا أوجدت فى أوروبا للمسئلة المصرية حياة جديدة . واذا كانت الحكومات الاوروبية لم تقرر الى اليوم امر الجلاء فمن الامور التي لا خلاف فيها ان الرأى العام الاوروبى قضى هذه السنين الاخيرة على احتلال الانكليز لمصر اشد القضاء

اما فى الاستانة فدسائس الانكليز ضد أميرنا المعظم دبرت فى الايام الاخيرة بمهارة ونشاط عجيبين . فأن سواس انكلترا رأوا فى التقرب الحاصل بين جلالة السلطان الاعظم وجلالة الامبراطور غليوم خطرا عظيما على بقائهم في مصر اذا كانت العلائق بين يلدز وعابدين حسنة طيبة . فبذلوا جهدهم فى القاء بذور الشقاق بين السلطة العثمانية والخديوية المصرية . وان الناس كافة يعلمون ان للسياسة الانكليزية فى الاستانة عمالا سريين يدعون انهم اتراك وماهم الا سفلة لا وطن لهم وهؤلاء العمال اعتادوا ان يرفعوا للمابين التقارير

عن بعض الامور واني لا اقول أن لهذه التقارير نتيجة أو تأثيرا ولكن القائمين بهذا الامر يظنون انها ان لم تؤثر كلها فلا يبعد ان يؤثر بعضها

وقد ادعي هؤلاء السفلة فى تقاريرهم ان سمو الخديو عباس باشا يطمع فى الخلافة الاسلامية وهى دسيسة يستحيل على العقل قبولها ولكن اصحابها يؤملون منها ولو تشويش الاذهان في يلدز .

ولما ارسل مولانا الخديو فى الصيف الماضى سفينة حاملة لبعض الذخائر الى طشيوز وقبضت عليها سفن اليونان ادعي هؤلاء القائمون بنشر الاكاذيب ودس الوشايات ان الخديو قد أرسل هذه السفينة لمساعدة اليونان ضد الدولة العلية وأن أمر القبض عليها ليس الا العوبة اتفق عليها من قبل بين الخديو وملك اليونان

وقد سافر اخيرا الى بلاد العرب البرنس عزيز بك واشيع قبل سفره انه يقصد زيارة الامير ابن الرشيد المعروف بنفوذه العظيم في جزء كبير من بلاد العرب . فانتهز ارباب

الدسائس فى الاستانة هذه الفرصة للوقيعة بسمو الخديو وادعوا ان البرنس عزيز بك أرسل من لدن امير مصر للاتفاق مع ابن الرشيد على تهييج القبائل العربية ضد الحكومة السلطانية. مع ان سمو الخديو قد بذل جهده لارجاع البرنس عزيز بك عن قصده الذى ليس وراءه شيء ما واني لا اشك لحظة واحدة فى أن جلالة السلطان « عبد الحميد » مدرك بمهارته الفائقة وتبصره النادر المثيل اسرار هذه الدسائس فهي لا تصيب منه أقل اصغاء . كذلك قد رأى جلالته فى حكمه الطويل من السياسة الانكليزية أمورا كثيرة تبين لجلالته باوضح بيان ان الدسائس الموجهة ضد عزيز مصر قد دبرت كلها بايدى الانكليز !

وليس من ينكر ان الموجد لسياسة الميل للدولة العثمانية والتعلق بها اشد التعلق التى اتبعتها الامة المصرية فى هذه السنوات الاخيرة بكل ظهور وبهاء انما هو سمو الخديو (عباس حلمى باشا) فهو الذى ادرك قبل كل انسان الاهمية السياسية العظمى للاتفاق بين السلطنة العثمانية والخديوية

الجليلة . فضلا عن ذلك فان جلالة السلطان الاعظم « عبد الحميد » يعلم علم اليقين ان مسئلة مصر بالنسبه للخلافة الاسلامية هي مسئلة حيوية . ويعلم كذلك ان احتلال الانكليز لمصر هو اكبر واعظم اعتداء حصل ضد سلطنته العالية واحترامه العظيم

ولكن الذي يظهر جايا من كل الدسائس الانكليزية هو رغبة الانكليز في هدم الخديوية المصرية . وقد يتساءل كل انسان ما واجب اوروبا امام هذه الرغبة وما هي رغبتها ؟ ؟ لامراء انه اذا كانت حقوق مصر مرتبطة بحقوق الخديوية كل الارتباط فانه لا يمكن كذلك احترام حقوق أوروبا والدفاع عنها الا بالمحافظة على الخديوية المصرية واحترام حقوقها الشرعية . فالخديوية المصرية هي السلطة العالية التي قبلتها أوروبا وضمنت وجودها والتي تضمن في مصر لأوروبا حقوقها ولرعاياها الراحة والامان

واذا وصل الانكليز الى هدم الخديوية أو الى اضعافها فقط فان حقوق أوروبا فى مصر تفقد كل ضمان وتضيع

كلها يوما ما

وان مصر بلا خديوية تكون بلا أوروبيين أى بلدا افريقيا محضا

ولو أن دولة واحدة أوروبية ساعدت سمو الخديو مساعدة فعلية لخدم سموه مصر وأوروبا خدمة جليلة للغاية. ولكن خطأ الماضى لا يصح البقاء عليه فى المستقبل ! فأن شرف أوروبا ومصلحتها يقضيان عليها بتخليص مصر من ربقة الانكليز .

وقد بدت لنا جملة أمور تدل على ان فى أوروبا دولا عظمى تريد تحرير مصر ووادى النيل . فلتعجل بالعمل ان كان فى النية عمل فقد رأينا من الالام مايستحيل أن نرى بعده شيئا

وأن اليوم الذى ترد فيه أوروبا لوادى النيل حياته وحريته تجد امامها فيه اميراً عالي الزكاء شديد الوطنية محبا للعدل والمدنية تتبعه الامة المصرية باسرها . وها هو يجد اليوم وبجواره طبقة حرة متعلمة مهذبة ذكية مكونة من رجال لاهم

لهم الا خدمة الوطن المصرى بصدق واخلاص والعمل لبقائه الى الابد حرا سعيد متمدينا (مصطفى كامل)

حلوان ١٠ ديسمبر سنة ١٨٩٧

*
* *

انقضى عام ١٨٩٧ وقد عمل فيه المرحوم عملا يذكره له التاريخ بالثناء العاطر دفاعا عن بلد عزيز هو ابنه الذى حفظ وده ورعي عهده واعترف بجميله وبحقوقه عليه

سافر فى هذا العام مرتين مكث فيهما نحو سبعة اشهر جال فيها مكررا كل عواصم اوروبا مناديا مستغيثا وهكذا الوطنية الحقيقية تدفع النفوس الكبيرة الى اقتحام كل شاق فى سبيل نصرة بلادها وخدمة أمتها

لتتعلم الناشئة كيف تخدم الاوطان وكيف يهجر الرجل بلاده واهله ساعيا سعي الكرام مجهدا نفسه بكل صبر وثبات ليعود الى اصل تكوينه ومحط ابائه واجداده حاملا راية الظفر مكللا بتاج النصر

قضى أيامه بعيدا عن لذات الدنيا وهو في عنفوان العمر

حتى كان يخيل لمن وقف على حقيقته أنه ملك كريم لا يعرف من عمل الشيطان الا السخط عليه وعلى من اتبع هواه في العالمين

بينما كانت ساحات اللهو تضاء بأبهى الثريات وفى مراسحها تلعب العقول بالعقول مكتظة ببنى الانسان من الشيوخ الى الشبان ذكرانا ونساء كنت تري « مصطفى » جالسا على منضدته فى زاوية من غرفة النزل يصور الآم مصر ويرجو الساسة لاغاثة مصر. فاصحا لابناء مصر. حاملا على اعداء مصر. وهو مع هذا الحال الذى يسميه بعضهم عناء وجنونا يشعر بلذة روحانية تحتها عاطفة وطنية هى جنة الخلد للعاملين ونزل الفردوس للوطنيين

بينما كنت تري الشاب وقد تزيا بفاخر الثياب وركب سيارته اوجواده ليراهن على سباق او يقامر او يخل او يسرق ود الجمال هو وزمرته من أبناء المتهمين بلقب الذوات والاعيان تري « مصطفى كامل » المصرى العصامي يقطع الشوارع والحارات ليلحق سياسيا قبل أن يترك مكتبه او خطيبا قبل

أن يقف على منصة الخطابة ليشكو اليه حال مصر ويستعطف فؤاده على مصر

بينما كنت تري الناس وقد كاد التملق يأكل عاطفة الكرامة والاباء في قلوبهم . ترى « مصطفى كامل » لا يهتم بنعيم الدنيا مرددا قوله تعالى « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »

بينما كنت ترى من اغتر بكبره وهو صغير ولقبه وهو حقير ينظر للناس شذرا ناكرا عليهم اجتماعهم وذاته الهائلة (!) في صلب واحد . كنت ترى أخاك مصطفى يلاطف الناس بحالة واحدة ولا يتعالى الا على الذى نسب لنفسه ما ليس اهلا له ووضعها فوق نفوس البشر وهو لم ينبت بعد ليخرج من الارض

هذا هو «مصطفى» الذي قضى عام ١٨٩٧ على هذا النحو الذى عرفه القراء وقد قدم في كل عمل من أعماله مثالا ناطقا ونسقا متبعا

ولا عجب بعد هذه الاعمال اذا مرض في هـذا العام

مرضا خيف على حياته منه ولكن الله اراد أن يواصل جهاده حتى يتم عمله فينشر الشعور فينا ويحيا بعد موته فى عملنا ولذلك واصل اعماله حتى اذا جاءت :



السنة الحاسمة ١٨٩٨

كان فى أحسن صحة وأتم عافية يبتسم له الدهر وتتذلل أمامه المصاعب وحوله اخوانه الراسخة قدمهم في الوطنية لا يعرفون غير مصر ولا يذكرون غير مصر ولا هناء لهم الا بخلاص مصر حتى ان صورتها ارتسمت على سويداء قلوبهم وفي كل قطرة من دمائهم

دخل هذا العام والمترجم كله أمل فى أن مجهوداته قد كونت من النابتة قلوبا أوفى الى مصر منها الى حامليها . وقد تحقق أمله فى هذه الغصون المباركة المثمرة من الامة حيث

اجتمع تلاميذ المدارس الاميرية وفي مقدمتهم طلاب المدارس العالية والثانوية وعقدوا الخناصر على اقامة وليمة كبرى بحديقة الازبكية يوم تذكار جلوس سمو الخديو المعظم . وقد لبى الدعوة جميع التلاميذ بلا استثناء واتخذوا مكان « سنتى » الشهير بالحديقة للاحتفاء بالعيد واقامة هذه المظاهرة الكبرى التى هى في تاريخ مظاهرات الناشئين اول مظاهرة من نوعها اذ كانت برهانا واضحا على ان الامة من كبيرها الى صغيرها ملتفة حول سمو الامير بعيدة عن الاحتلال كارهة لوجوده

وقد شرف دارنا وفد من هؤلاء الطلبة الكرام لدعوة المرحوم الى حضور الوليمة وترأسها اذ كل طالب يعتبر داستاذه في الوطنية وتاجه الذى يفتخر به على مر الزمان وقد لبي المترجم نداءهم بكل ارتياح واشترك معهم بكل جوارحه

وما جاء مساء يوم السبت ٨ ينايرسنة ١٨٩٨ حتى كانت حديقة الازبكية عروسا تجلى بهاؤها وقد بدد ضوء جمالها ظلام مسائها وكانت حفلة رجال الغد عقدها وبيت قصيدها فقد بلغت من جمال التنسيق وحسن الوضع حدا فائقا

وبعد أن تنوول الطعام وتناول كل منه ماتناول وقف أحد اعضاء الحفلة ودعا لسمو العزيز وأثنى على المرحوم وسأل اخوانه الاتحاد فى خدمة هذا الوطن العزيز وما انتهي من كلامه بين التصفيق والاستحسان حتى وقف المرحوم وقفته المخلصة المؤثرة فأخذ اخواننا الاعزاء ابناء الوطن الاصدقاء يحيونه تحية الحب المتبادل فشكرهم شكراً جزيلا حيث قال :

خطبة وطنية

٧

« اخوانى الاعزاء

لقدشكرني حضرة زميلكم الفاضل على حضورى بينكم الليلة واجابتى دعوة الذين تفضلوا بدعوتى الي هذه الحفلة الزاهرة على أن الشكر يجب أن يقدم منى اليكم لانى أرى فى حضورى بينكم شرفا عظيما لى وأقدر عنايتكم بدعوتى حق قدرها ولطالما تمنيت أن أقضى بضع ساعات مع نخبة المدارس المصرية واناجى اؤلئك الذى خرجت من صفوفهم وما نسيت عهودهم .

واتحدث معكم يا مستقبل مصر ورجاؤها في هـذا المستقبل المنتظر وفى ذلك الواجب العظيم الذى يجب علينا جميعا أن نقوم به حق القيام وأعنى به واجب خدمة الوطن العزيز

فكان احتفالكم الليلة باعثا للسرور والارتياح فى نفسى لانه احتفال بعيد جلوس مولانا واميرنا المحبوب (عباس حلمي باشا الثانى) ادام الله أيامه ولانه جمع نخبة من أفضل شبان مصر على الوفاء والولاء لسمو العزيز

واني اعترف لكم باننى لا استطيع شكركم حق الشكر على هذه العواطف الشريفة التى دفعتكم للاجتماع والاحتفال بهذا العيد السعيد والتذكار المجيد . ويعجبنى من كلام زميلكم الفاضل قوله « ان اجتماعكم الليلة لا يعد مظاهرة خارجة عن حدود واجباتكم بل اهم هذه الواجبات واقدسها »

فحقا حقا ان اظهار الاخلاص لسمو العزيز واعلان المحبة لذاته الشريفة لواجب مقدس على كل مصرى صادق الاحساس شريف المبادىء فان سمو العزيز حفظه الله أول مبادئه خدمة أمته والعمل لاعلاء شأنها . ولم يعتبر نفسه كـكثيرين من

الملوك والامراء طبقة فوق طبقة الامة ورئيسا للهيئة الحاكمة فقط بل جاء عارفا للمهمة العالية الشريفة الواجب عليه القيام بها فعرف انه رئيس الامة وروحها كما أنه رئيس الهيئة المنفذة فاخلص لمصر بصفته رئيسا على حكومتها ورئيسا لامتها . وكان أول أمير معلن بأن عليه لمصر واجبين واجب الخديوية الجليلة وواجب الوطنية الحقة لان سمو العزيز عباس باشا يعتبر نفسه قبل كل شيء مصريا تحتم عليه الوطنية خدمة مصر وبقاءها حرة سعيدة رفيعة القدر والمقام وانها لصفات رفعت مكانة العباس في الوجود وجعلت امته مخلصة له اشد الاخلاص بل حملت الاجانب واعداءه انفسهم على الاعتراف بعلو ذكائه وشرف فؤاده . وانكم كلكم تعلمون ان اكبر امنية لسمو العباس هي أن يرى شعب مصر شعبا متقدما في سبيل المدنية والاهلية غنيا عن الاجنبي قويا بنفسه قادرا على الدفاع عن وطنه . وان يعيد لبلاد مصر مجدها السالف ومكانها القديم . فلذلك وجه سموه حفظه الله كل رعاية للمدارس وابنائها وبذل اقصى الجهد في نشر التعليم بكل الوسائل

وجاهد حفظه الله ويجاهد كل يوم في سبيل صيانة مصالح أمته واصلاح شؤونها . وانى لا أنكر أن آمال سمو العزيز الشريفة لم يتحقق الى اليوم اكثرها بل واهمها ولكن الروح الجديدة التى دبت في الامة والعزم الشديد الذى اتصف به سمو العباس حفظه الله يملآن الانسان املا فى المستقبل ويؤكدان بأن آمال سموه الشريفة ستتحقق كلها ولا محالة يوما من الايام

وحيث كنتم جميعا من نخبة شبان مصر ومن اصدق الصادقين لسمو العزيز فواجب عليكم ان تتصفوا بصفاته العالية وتجعلوا مبادئه الشريفة فى الحياة مبادئ لكم فسمو العباس حفظه الله من اكبر امراء العالم عرف بحب التواضع وملاطفة الصغير والكبير . فاجعلوا التواضع من الصفات الاساسية لكم فى الحياة فهو دليل شرف النفس ورفعتها وبرهان على ان صاحبه عظيم القدر ذكي الفؤاد . ومن صفات اميرنا المحبوب انه يكره السكر والسكارى والميسر واهله فاجتنبوا هذين الدائين العظيمين بل هذين الوباءين الفتاكين . واراني لست فى حاجة الي تبيان مضار هذين الدائين فقد شاهدتم

جميعا شبانا من ابناء الاغنياء انتقلوا من درجة الانسانية الي درجة البهيمية ومن مصاف العقلاء الي مصاف المتوهين ومن القصور العالية الفخمة الى المنازل الحقيرة ومن الثروة الطائلة الى الفقر المدقع بعلة السكر او الميسر او الاثنين معا

ومن صفات سمو العزيز حفظه الله انه يعمل بدينه الشريف ويحترم اوامره ونواهيه وهي صفة دونها كل الصفات وفضيلة تعد ام الفضائل . فالدين هو عماد الوجود وهو روح النشاط والشجاعة وعلو الهمة بل روح كل الشعائر الطيبة . فقوموا به واعملوا باوامره ولا تنسوا ان حب الوطن من الايمان

اجل أيها الاخوان الاعزاء ان الوطنية يأمر بها الدين الشريف وتأمر بها النفس الناطقة ويأمر بها الضمير الطاهر وقد قلت لكم ان سمو العباس رعاه الله اشتهر فى بلاده وفى الامم الاخرى بالوطنية الشديدة والغيرة على مصالح بلاده . فان كنتم صادقين فى تعلقكم بسمو العزيز عاملين بدينكم الشريف فأول صفة يجب عليكم أن تجاهروا بها أمام الملا كانه هى الوطنية

واسمى رائد لكل اعمالكم الآتية يجب أن تكون الوطنية

فالوطنية هى أشرف الروابط للافراد والاساس المتين الذى تبنى عليه الدول القوية والممالك الشامخة. وكل ماترونه في أوروبا من آثار العمران والمدنية فما هو الا ثمار الوطنية. وقد مضى على مصر زمن طويل كان أهلها غافلين عن حقوق وطنهم ناسين أنهم أبناء مصر وأنه يجب عليهم أن يكونوا جميعا على قلب رجل واحد للدفاع عنها والذود عن حقوقها. ولكنها اليوم قد قامت من رقدتها وانتبهت من نومها بفضل سمو العباس حفظه الله

واصبح اليوم الوطن المصري ينتظر منكم ومن بقية ابنائه عدلا وانصافا. اصبحت مصر تؤمل منكم أن ترفعوها الى منصة الحرية والاستقلال وأن تردوا اليها حقوقا وهبتها من الخالق نفسه. ولا ريب انكم انتم معشر المتعلمين معشر النابغين فى المعارف والآداب اول من يسأل عن خدمة مصر وتأييد مبدأ الوطنية الحقيقية. فانكم قرأتم فى التاريخ الامثال الكثيرة للوطنية وعرفتم سير أناس عديدين ماتوا محبة لبلادهم

واخلاصا لاوطانهم وادركتم أن الحياة سريعة الزوال وأن لاشرف لها بغير الوطنية والعمل لاعلاء شأن الوطن وبنيه

ولا بدع اذا كانت حياة الامم الواقعة تحت نير الاستعباد تعد ارذل الحياة . حياة يفضل الموت عليها . فان لذة الحياة الانسانية فى الحرية . واذا بقي شعب طويلا محكوما بغير ابنائه فقد شيئاً فشيئاً احترام الامم واجلالها لشأنه . أى فقد كل فرد من افراده احترامه فى الوجود وشرفه وهما اعز شيء على النفوس الحساسة

وقد يرى الانسان الاستقلال بعكس العبودية يبعث في النفوس رفعة وشهامة ويجعل الفقير متلذذا بالحياة كالغنى . ومن الامثال العديدة التى تدلكم على ذلك وعلى ان أسفل الناس درجة فى الامم الحرة يعتبر نفسه سعيدا عالى القدر لايحمل على رأسه غير الشرف والفخار . ان أحد اخواننا المصريين بباريس ركب مرة عربة وكان سائقها يعرف انه مصرى فلما سارت العربة أخذ صاحبنا المصرى يستعمل شيئاً من الغلظة مع سائق العربة فالتفت اليه هذا الاخير وقال له :

« لاتعامل بالغلظة رجلاً حرا ينسب لامة حرة . بل اذهب الى بلدك وعامل من يظلمون فيه من غير ابنائه بهذه المعاملة »

وهى جملة صدرت عن رجل من آخر طبقات الامة الفرنسية ولكنها مملوءة بالمعانى التى لايغيب عليكم ادراكها

ولقد عرف الوطنية كل انسان في الوجود ولم ينكرها الا العددالقليل بل شوهد أن بعض المجرمين السافكين للدماء أجل الوطنية واحترمها ومانكث لوطنه بعهد ومن ذلك ماسمعته فى المجر من أن رجلاً مجريا قتل زوجته وحكم عليه بالاعدام فلما اقتربت ساعة الموت جاؤوه وسألوه « هل من بغية لك قبل الموت؟ » فقال لهم أريد أن أسألكم سؤالا واحدا واقسم عليكم أن تجيبونى جوابا صادقا. فقالوا له سل ماشئت فقال ! « هل في الخبز الذى اكلته فى سجنى أو فى الملابس التى وضعتموها على جسدى أو فى الاشياء التى استعملتها في هذا السجن شيء صنع في غير بلاد المجر ؟ » فاجابوه كلا . كل شيء اكلته أو لبسته أو استعملته صنع فى بلاد المجر ولكن

لم سألت هذا السؤال؟ فقال لهم « لانى كنت اخاف أن اموت واكون قد خالفت عادتى طول حياتى وهى الحياة من كل شيء مجرى وبكل شيء مجرى وحده دون غيره. فقالوا له وكيف تكون بهذه الوطنية وقاتلا مجرما؟ فاجابهم ويا له من جواب « ان نفسى اذا كانت تلوثت بجريمة القتل فهى لم تلوث بخيانة الوطن بل بقيت بالرغم من ذلك نفسا وطنية صادقة »

فاذا كان المجرمون السفاكون للدماء القاتلون للابرياء يعرفون ويعتقدون أن الوطنية هى هذا الاحساس الشريف الذى يجب احترامه فوق كل شيء ويجب اجلاله حتى اذا تلوثت النفس باقبح الجرائم البشرية فكيف اذا بكم وانتم نخبة المتعلمين ونخبة الشبيبة المصرية الطاهرة أى موضع الآمال فى حسن المستقبل

وانكم اذا خرجتم من المدارس ودخلتم في صفوف الرجال وشرع أحدكم فى عمل من الاعمال سمع ولا محالة من قوم وظيفتهم تثبيط الهمم واقعاد العزائم. « ومن انت حتى تعمل هذا العمل. واذا كان الاغنياء والكبراء لم يقدموا عليه

فكيف تقدم أنت عليه ؟ ». وهو قول فاسد وفكر سافل لان الوطنية لا تميز فيها بين الصغير والكبير والغنى والفقير بل كلنا سواء أمام مصر وكل واحد منا مسؤل عن مصائبها مطالب بخدمتها واعلاء قدرها

وقد أتانا التاريخ بالامثال الجمة على ان افراداً فقراء قاموا من آخر طبقات الهيئة الاجتماعية وأتوا فى بلادهم با كبر الاعمال واشرفها فهل كانت « جان دارك » أميرة فرنسا أو اكبر اغنيائها أو هل كان اجتمع الشعب وانتخبها حتى قامت محررة لوطنها ؟ وهل كان (كوشوت) اكثر المجريين مالا واكبرهم شأناً حتى قام بما قام وانقذ بلاده ورفع قدرها ؟

كلا . لم تكن « جان دارك » الا فتاة فقيرة رأت ان الوطنية تحتم عليها نصرة وطنها فقامت واتت بما اتت من جلائل الاعمال ولم يكن « كوشوت » فى باديء امره الا محاميا صغيراً فقيراً . ولكن وطنيته رفعته الى الصف الاول فى أمته . وهكذا الوطنية الحقيقية تجعل صاحبها فقيرا كان أو غنيا فى الصف الاول من الامة . فقد نكون فقراء أيها

السادة ولكن شرف عواطفنا وصدق وطنيتنا واخلاصنا لمصر يجعلنا فى الطبقة العالية من الامة .

قد يكون الرجل الصادق الوطنية فقيرا فى المال ولكن يعيش ويبقي فى التاريخ من اكبر سراة الوطنية

فتعلقوا بوطنكم كل التعلق ودافعوا عنه أشد الدفاع وطالبوا بحريته واستقلاله وان متم قبل أن تحقق آمالكم واما نيكم فاتركوا لابنائكم من بعدكم اقدس ميراث يجب عليهم صيانته والمحافظة عليه

وان خير وسيلة تخدمون بها وطنكم هي أن تنشروا أنوار المعارف والآداب فيها. فنور العرفان هو روح الاستقلال وان أمة انتشر الجهل بين ابنائها لاتحكم الا بالظلم والعدوان . فنور المعارف طارد للذل والمظالم موطد لاركان العدل والعمران . ولقد حصلنا جميعا بعد عناية طويلة من آبائنا وأتعاب كثيرة وسهر طويل على التربية والتعليم أى حزنا هذه الشجرة الطيبة التى ثمرها الحرية والاستقلال

واننا من أول يوم حصلنا فيه على قواعد التربية والتعليم

صرنا مدينين لمصر بدين عظيم اذا قصرنا في الوفاء به كنا ناكثين لعهود معنوية عظيمة منكرين لجميل كبير قام به في الوجود وجودنا ويقوم به احترامنا وكنا فى آن واحد أكبر خصوم أولئك الذين سهروا الليالى الطوال فى تعليمناوضحوا فى سبيل تربيتنا كل نفس ولعلكم تتساءلون عن هـذا الدين العظيم الواجب علينا جميعاً

فأقول لكم انه دين خدمة الوطن بنشر نور التربية والعرفان بين ابنائه . فان سنة التضامن الاهلى بين افراد أمة تقضى على كل فرد أن يعمل لتعميم السعادة والخير بين سائر الافراد حتى تزداد رابطة هذا التضامن اى رابطة الوطنية قوة ومتانة

وغنى عن البيان اننا ممتعون اليوم بسعادة كبيرة هى نور المعارف والآداب فيجب علينا تعميمها بين ابناء البلاد حتى يعرف كل منهم فائدة التضامن الاهلى ويقدر عندئذ كل مصرى الوطنية حق قدرها . فأن نور العرفان هو خير هبة وهبها الله الامم وأعظم نعمة على العالمين

وانى أذكركم بما قلتـه فى فرصة أخرى من ان

الاستقلال نور من أنوار العرفان وأنه كما أن الافراد لا يعتدى اللصوص على أمتعتهم الا فى ظلام الليل كذلك الامم لا تفقد حياتها المعنوية ووجودها وأقدس حقوقها الشرعية الا اذا كانت عائشة فى ظلام الجهالة الحالك ولاشك انه لا يمكنكم القيام بتنوير الامة وارشادها حق الارشاد الا اذا كنتم عائشين فى الحياة الحرة مجاهدين بانفسكم فى سبيل الحياة لاعمالا فى ادارة أوديوان تنقدون فى آخر الشهر ماهية معلومة تقتل فيكم عواطف الاستقلال وتحبس فى نفوسكم الحرية الشخصية والميل لعظام الامور

فالحياة الحرة هى أصل الخير وهى التي تؤهلكم لخدمة أمتكم أكبر الخدم وأشرفها . وهي التى تساعدكم على نشر فضائلكم ومبادئكم الوطنية بين سائر الافراد شرقا وغربا وقد يعتقد الكثير من المصريين ان الحكومة مسؤلة عن عمل كل شيء للبلاد فأن قلت لهم اسسوا المدارس لتربية أبنائكم أجابوك هذا واجب الحكومة . وان عرضت عليهم أى مشروع مفيد للوطن وبنيه قالوا لك هذا من خصائص الحكومة !!

فكأن الامة آلة لا وظيفة لها الا أن تنقلها الحكومة حيث تشاء وتسيرها كيف تريد مع أن الامة يجب أن تكون لها ارادة خاصة وأعمال ظاهرة

وهاهي الدول العظيمة القوية السلطان الواسعة المدنية نرى الامة فيها قائمة باكبر الاعمال . فشركات السكك الحديديه أغلبها فى أيدي جمعيات من الافراد بل نري أن بعض الشركات المكونة من أفراد من الامة القائمة بالمشروعات الفردية استعمرت بلادا من أفريقية صارت تحكمها فمشروعات الافراد هي التي تبعث الحياة والنشاط في الشعوب وهى التى تكسب المدنية بهاءها ورونقها الحقيق

ولولا الحياة الحرة والاشتغال بالتجارة والصناعة واعتبار الاشغال بهما شرفا عظيما ما قامت المدنية الغربية ومارأينامن امم أوروبا هذا التقدم الغريب . ولقد رأيت فى كل البلاد التى زرتها فى أوروبا جمعيات أهليه عديدة للتعليم فالامم هنالك مع اهتمام الحكومات أعظم الاهتمام بامور التعليم لاتركن على الحكومات وحدها بل تبرهن على قدرتها على

العمل بانشائها المدارس المختلفة لتعليم أبنائها

وان احتياج الامة للحكومة علامة تقدمها وتأخرها فكلما كانت الامة عاجزة عن العمل ضعيفة عن خدمة نفسها وتدبير شؤونها كانت اشد حاجة للحكومة من غيرها. وكلما كانت قادرة على كبار الاعمال وعلى تدبير شؤونها وامورها كانت قليلة الاحتياج للحكومة اى عزيزة قوية لا تخالف لها الحكومة رغبة ولا ارادة . والامة التى تحس دائما من نفسها بأنها لا تستطيع أن تعمل شيئا وحدها بغير مساعدة الحكومة ومعونتها هى كالطفل المحتاج الى وصى يدبر له شؤونه اما الامة التى تدبر شؤونها بنفسها ولا تكلف الحكومة الا بالمحافظة على الامن العام وعلى شرف الدولة فى الداخل والخارج فهي كالرجل الرشيد التام الادراك الغنى عن الوصى

فاعملوا ايها الاعزاء لجعل وطنكم رشيدا قويا غير محتاج لوصى من ابنائه ولا من الاجانب

وأن لكم فى العمل لخدمة الوطن العزيز عدوين عظيمين يجب عليكم قتالهما اشد القتال وهما الغرور والحسد . فلقد

يظن بعض الاشخاص متي اتموا دراستهم انهم صاروا فلاسفة هذا العصر واكبر علماء مصر فيتركون الكتب وينسون العلوم ولا يراجعون شيئا مما تعلموا واذا القيت عليهم نصيحة نبذوها وان كتب لهم كاتب ينصحهم بشيء اعتبروا نصيحته موجهة لغيرهم لا لانفسهم . فقد شوهد كثيرا أن بعض الناس اذا قرأ فى الجرائد نصيحة صادقة واستحسنها قال « أنه لكلام حق ولكن الامة ميتة »

فهل يعتبر ان الكاتب لم يقصده بنصحه بل قصد غيره . والغرور يحمله على اعتبار نفسه شعبا آخر غير الشعب الذى تلقى عليه النصائح. فاذا كان كل شخص يعتبر نصيحة الناصح لغيره لا لنفسه فمن يعمل اذا بالنصيحة ؟ ؟ ؟

ان التواضع اشرف الصفات والغرور من اكبر النقائص وقد قال الخالق جل وعلا « ان الله لا يحب كل مختال فخور» فلا يأخذنكم الغرور فهو اصل الشقاق وسبب كل فساد ولا تفرقوا فتفشلوا وتذهب ريحكم

وكذلك الحسد فانه اقبح الصفات ويهب النفوس

المتصفة به آلاما مستمرة. فالحسود يعذب من نفسه كل وقت وآن. وبالغرور والحسد يستحيل الوصول الى الاتحاد بين جماعة من الناس. فاجتنبوا هاتين الصفتين. واجعلوا الاتحاد رائدكم فيه تبلغوا كل آمالكم وتحققوا كل رغبة شريفة تختلج في نفوسكم

وانكم ان كنتم قد أخذتم على انفسكم خدمة سمو العباس وخدمة الوطن المحبوب وعزمتم على اعلاء شأن البلاد بما ستأتونه من شريف الاعمال فاجعلوا الاتحاذ فيما بينكم أساس آمالكم وأساس أعمالكم. وأن أثمن نصيحة أتلقاها وألقيها على أبناء بلادى المحبوبة وأختم بها كلامى معكم الليلة هي : العمل بالاتحاد على خدمة الوطن العزيز » ..اه

ماجاء المترجم على اخر كلمة من خطابه حتى دوت القاعة دويا مؤثرا بزفرات اصوات الشبان العاملين الذين رغما عن دروس الانكليز الملوءة كرها للدولة وسخطا لمصريتى فى افئدتهم الشعور الوطنى فقادهم الي هذا الاجتماع فكانوا جميعا بشرا سويا

بلغت محبة المترجم من نفوسهم مبلغا كبيرا واخذوا من تلك الساعة يزورونه فى منزله كلما مكنتهم الفرصة واتخذوه امامهم المفدى وقبلتهم المرجوة وقلمهم الكاتب ولسانهم الناطق .

*
* *

تاقت نفس المرحوم بعد أن رأى دروس الحياة تكاد تنطق من بين شفاة ابطال النابتة الى تأسيس مدرسة يربى فيها ابناء الامة على مبادئه فكتب الى كتابا قال فيه :

« . . . . اني أيها الاخ العزيز اتمنى ان يسعدنى الزمان فأقيم تحت سماء بلادنا الغالية دار علم يؤمها بأسو العقول لنصقلها بأسو القلوب لنحيها . حتى يتم الجند عدتهم ويكون لمصر منهم نعم المدافع ونعم النصير

ولكنى مع هذا الشعور لست غنياً لاقوم بعمل كبير كهذا يحتاج لا آلاف من الجنيهات التى منها الكثير فى جيوب لا تعلوها قلوب فسبحان القادر العليم

فاسأل الله معي ان يوفقنا لهذا العمل العظيم الكبير ويحفظك لاخيك

١٣ يناير سنة ٩٨ مصطفى كامل »

* * *

حركت عقارب الاحتلال أذنابها اذبثوا الارصاد والعيون حول سكن المرحوم وأحاطوا حركاته بجيش من الجواسيس لان الدخلاء فينا أفهموا المحتلين ان حركة ثورية تعد في السر وان محرك الشبان فيها هو « مصطفى كامل »

جاء رجل كريم من ذوات الاسكندرية اليه يوما وقال له انى سمعت من سورى انهم ينصبون لك اشراكا ليوقعوك فيها وليكون لهم منك نصر على غيرك فأحترس فانهم غادرون . . . . . .

فأغرب المرحوم في الضحك وأجاب هذا الصديق الحميم : « اننا وإياهم من خلق الله والله حتم على كل مخلوق كريم الصفات عالى الشيم أن يحب بلاده . لان الاعتراف بالجميل فضيلة وليس هناك جميل أكبر مما فعلته مصر معنا. فهي كستنا

جميعا من عرى. واشبعتنا من جوع. واوجدتنا من عدم. فنحن لسنا ملكا لانفسنا بل ملكا حلالا لها. وأني اعتقد أيها الاخ أن الانكليز الحاضرين ليسوا من أهل القرون الوسطى الذين ما كانت بغيتهم الا اسالة الدماء انهرا وراء غاية ذميمة أو طمع ممقوت. بل اعتقد انهم مع حبهم في عدم وجود وطنيين صادقين يشعرون بحب لمن ظهر بينهم مظهر الرجال وناقشهم الحساب وذكرهم بالعهود والايمان

انهم طبعا يودون أن نمحي من الوجود ولكنهم لا يستطيعون الى ذلك سبيلا وليس عندهم من حيلة سوي التهديد والوعيد على ألسنة مأجوريهم الخائنين لبلد يحملهم وسماء تظلهم ونعيم فيه يرتعون

اني أوصيك وصية وطني مصري لاخيه ان تقول لهم اذا لقيتهم أن لا يجهدوا أنفسهم في قتل الشعور الوطني فانه سري وسيسري الى أبد الآبدين. واعلم أيها الصديق ان درسا من دروس الوطنية يلقي على الناشئين لأفعل في نفوسهم من ألف العوبة يستحضرها الانكليز من بيت الشيطان ليضلوا بها

عقولهم او ليصرفوا اوقاتهم بها عن العمل النافع والعلم الرافع
أننا ايها الصديق لا نعمل شيئا الآن ضد الانكليز
سوى كتابة صك وطني اساسه « مصر للمصريين » ليمضيه
ابناء الوطن جميعا فمنهم من ينقش اسمه عليه بمداد المحابر ومنهم
من يكتبه بماء القلوب ومنهم بدماء الشرايين »

فقال له هذا الصديق وهو يحاوره اني اعتقد انا ايضا ان
واضع خطة الاحتلال الجائرة اذا تمثل امامك لاثرت فيه
وانسيته انكليزيته وحولته مصريا . بارك الله فيك ونصرك
بروح من عنده

*
* *

قامت جرائد الاحتلال تكتب الجمل الشديدة المؤلمة
وقد تسربت عدواها الى جرائد أوروبية فاتهمت جريدة
لوريان المرحوم بالدعوة الى ثورة مما أخاف الاوربيين كثيرا
فاضطر رحمه الله أن يكذب هذه الدعوى وعزم على السفر
لولا أنه كان يشتغل بكتاب المسئلة الشرقية ويباشر طبعه
بنفسه لينشره كما أعلن عنه من قبل ففضل أن يرد على تلك

الجريدة وكتب اليها كتابا هذا تعريبه!

الخميس ٣ فبراير سنة ١٨٩٨

جناب مدير جريدة لوريان

« قرأت فى أحد الاعداد الاخيرة من جريدتك جملة على الوطنيين المصريين كتبت بتحيز كبير للاحتلال الانكليزى واشياعه وليست عليها مسحة من الحق . ولما كنت اعتقد أن مبادئكم حرة وشريفة وانكم تستظلون براية الحرية والاخاء والمساواة رأيت أن أرسل اليكم كتابى هذا خدمة للحقيقة راجيا نشره فى المكان الذى نشرتم فيه مقالتكم التى نسبتم الى فيها أمورا أنا أبعد الناس عنها وكذلك ابناء وطنى جميعا

يقول مراسلكم المصرى « أن المصريين عمى لا يفقهون ولئام لا يعترفون بجميل ! ويدعي في مقالته أن الاحتلال الانكليزى أحسن الينا فنظم ماليتنا ورد الينا السودان ونشر المعارف بيننا واحيي فينا « مصطفى كامل » . . . . الى غير ذلك مما عده نعما وجهها الانكليز لمصر واتهمنا بنكرانها والعمل على اشعال نار الثورة فى بلادنا

ولذلك هو يسأل أوروبا ان تعطي الانكليز الحرية التامة في تأديبنا حتى لا تعرض بمالها ومصالحها الجمة في مصر للضياع . . . الى اخر ما افترى »

هذا ما افترى مراسلكم علينا به ويعلم الله انه مأجور من الانكليز لان يدا تتصل بقلب طاهر يشعر وبعين ترى لا تكتب على نفسها اثما كما كتبت يد هذا المراسل

ان الانكليز العمليين دخلوا مصر بعد أن قضى فيها الفرنسيون العلماء ٦٥ عاما بين اطباء ومهندسين ومعلمين وماليين فأقاموا معالم الدوارس واوجدوا من افريقيا مملكة أوروبية كبيرة . . .

اني ياجناب المدير لو أردت أن أشرح لك ماسبقت شرحته في اغلب عواصم أوروبا بالقلم واللسان لحملت نفسي فوق طاقتها ولذلك أرسل اليكم خطبة باريس التي القيتها في اواخر سنة ١٨٩٥ بقاعة الجمعية الجغرافية ورسالة «خطر مصر» لعلكم متى قرأتموهما تعرفون كيف بدد الانكليز اموالنا وحملوا الامة ديونا عمومية وخصوصية ونسفوا الفضيلة من العلم

واختاروا قشوره وهجروا لبابه. وانهم لم يضموا السودان الينا بل استبذلوا دماءنا فى فتحه ومن يعرف ماذا تكون النتيجة

اما مصطفى كامل الذى قال عنه مكاتبكم انه من عمل الانكليز الصالح فهو قول مردود لان الانكليز لا يؤهلون المصريين ايقفوا في طريقهم ويذكروهم بشرف تاجهم وكرامة اقسامهم ! !

نعم ان المراسل بنى عملنا على اللؤم ونكران الجميل ولكن اسمح لمصرى مثلى أن يسألك سؤالا بسيطا

« ايعد الدفاع عن الاوطان في نظركم لؤما . ولا تعدون السكوت عنه جبنا وخيانة »

اذا كنتم انتم ابناء الامة الفرنسية قد قمتم فى وجه حكومتكم الاهلية الرؤوفة بكم عدة مرات وهى منكم لانكم شعرتم بظلمها فكيف تجدون من اللؤم قيام أمة جاءتها المظالم من سلطة اجنبية عنها طامعة فيها !!!

الم نكن بشرا امثالكم نشعر بما تشعرون ونتألم كما تتألمون انسيتم مركزنا السياسى ؟ أنسيتم مصالحكم عندنا ؟ ان كنتم

نسيتم اوتناسيتم كل ذلك فانكم لاشك ذاكرون وطنيتكم
التي ليست الا دروسا نقشت على كل قلب يقول فرنسا ! !

اننا كلما رتقنا خروق سياسة حكومتكم ووطدنا العلائق
بين امتنا العزيزة وامتكم الكريمة قام منكم من يجد الحياة في
وحدة فرنسا وعزلتها فيعمل على اتساع الخرق

انك ياجناب المدير لو كنت تقرأ العربيه لكنت بعثت
اليك بنتف من سباب اذناب الانكايز وماجوريهم ضد الوطنية
والوطنيين لترى الي اى حد تهان كرامة الوطن والوطنية فى
بلادنا . الى أى حد يغرى الاحتلال الدخلاء والمنافقين على
هجو امير البلاد ورئيسها الشرعى

ولو سألتنى ماذنب الأمير وما عمله. لقلت لك ان ذنبه
الوحيد فى نظر الانكايز انه صديق جلالة السلطان المخلص
له المطيع لاوامره المحترم لتبعيته بينما يريد الدهاء الانكليزى
ضمه اليه حتى تضيع مصر (لا قدر الله)

هذا ما أكتبه لجنابكم اليوم وأرجو منكم أن تثقوا بصداقة
المصريين ووطنيتهم الصادقة التي مبدؤها « احرار فى بلادنا

كرماء لضيوفنا » وأن تتفضلوا بقبول أجل اعتباري واسمى احترامى   مصطفى كامل »

نشرت جريدة لوريان هذا الكتاب وعلقت عليه بما تعريبه:

« نؤكد لمصطفى كامل ولكل مصرى ان مراسلنا لم يكن مأجورا ولم يكن انكليزيا بل ربما كان عائشا في وسط انكليزي وانا ماقصدنا بنشر رسالته الحط من كرامة المصريين ولكننا رأيناهم لم يعترفوا للمحتلى بلادهم بعمل واحد نافع بل هم يهجونهم صباح مساء بكل قوة وشدة مع ان الضعيف المظلوم لا يجد عادة حيلة لنجاحه فى رفع الظلم عنه الا بذكر العدل!

نعم اننا نعلم لنا عملا جليلا فى مصر قبل الاحتلال الانكليزى ولكن خطأ السياسة كثير الوقوع ولا يطلب من أية حكومة مهما كان علو كعب ابنائها فى العلم وأساليب السياسة أن تنزه عن السقوط فى مهواة الهفوات من أى نوع كانت

اننا نحب المصريين كثيرا ونميل الى خلاصهم وعودتهم الى التحلى بتاج الملك وجواهر العلم ولكن لنصل الى تحقيق هذا الحل يجب أن يساعدونا من جانبهم بالتؤدة والسكينة

انا لا ننكر ان أعمال مصطفى كامل كلها رزينة حكيمة لا تقل عن أعمال أى كبير ذكره التاريخ وان له فى بلاده عصبية تذكر بالاعجاب والاعظام وأنه من ابناء فرنسا في العلم ولكن ننكر على غيره الشدة فى القول والحماقة فى الرأى !! ونرجو من مصطفى كامل واخوانه أن لا يعتبروا جريدة لوريان كل الأمة الفرنساوية حتى تؤثر كلماتها على العلاقة المتينة التى بين الامتين ....!» اه

هذا ما كتبته جريدة لوريان تعليقا على كتاب المرحوم وقد دهشنا فيه لامر واحد وهو أنها نسبت الى بعض المصريين الحماقة والشدة وبنت على ذلك قولها فكيف اذا تريد وهى بعض ايضا أن تخرج عن هذه الخطة التى رسمتها بنفسها ! الا ان الحق ظاهر لا يحتاج الي دليل .... !

الجيش المصرى

ورد على المترجم كتاب من المسيو فرنسوا دى مسين

مدير مجلة العالم الاسلامى يسأله فيه ان يفصح لقراء مجلته عن حالة الجيش المصرى واستعداده ومبلغ حظه مع محتلى مصر فكتب له ماتعريبه !

« انى اجدا لشرف منتهي الشرف فى أن اخاطب قراء مجلة كبرى كهذه المجلة المقروءة المؤثرة فى شؤون جيش حبنا له من حب البلاد لانه المدافع عن حوزتنا الساهر على صياتننا الحامل لراية وطنيتنا الا وهو الجيش المصرى .

انى لم اكن عالما بفنون الحرب ونظام الجند حتى اصفهما وصفا دقيقا ولذلك اتكلم هنا علي اعماله القديمة والجديدة وفخره الذى سطره له التاريخ وما لحقه من الغبن فى هذا العصر الذى جرت فيه كلمات الرقى والمدنية والانسانية حتى على لسان من لم يشبوا عن الطوق بعد !

كان فى مصر جيش كبير نظمه المرحوم محمد على باشا رأس العائلة الخديوية حتى كاد يكون أول جيش فى العالم الشرقى بعد الجيش العثمانى الباسل وقد غزا به محمد على بلادا كثيرة لا أود ذكرها الان فى ذكرى بعضها مايحرك اشجانى

ويؤلم فؤادى بصفتى مسلما مخلصا يرى القوة فى الدولة العلية والمجد المقبل فى سلامتها والالتفاف حول رايتها . . .

بلغ عدد هذا الجيش فى مدة محمد على ثمانين الف جندى وقد جلب له من أوروبا اساطين الحرب وقواد الجيوش الذين اشتهروا بسعة الاطلاع وقوة الابداع فى تنسيق النظام وترتيب الجنود ومنهم الكولونل سيف الفرنسى الشهير الذى اسلم وغير اسمه واصبح سليمان باشا الفرنسى

قاد محمد على هذا الجيش في بعض الغزوات ولكن الذى اشتهر بقيادته زمنا طويلا هو ابنه ابراهيم باشا الذى تولى ملك مصر زمنا قصيرا وقد اثنى المؤرخون جميعا على استعداد المصري للجندية غير ان الازمنة المختلفة التى هاجت فيه حب منافسة معاصرية واستيلاء الاجنبي على بلاده لم تمكنه من التدرب على القيادة العامة فصار مرؤوسا مطيعا حازما ولعله يكون كذلك اذ جاءه حظ الترأس فى مقتبل الايام !

جاءت بعد محمد على ادوار الخديويين والجيش كما هو في

كفاءته وعدده حتى زمن حكم اسماعيل باشا الخديو الاسبق فان الجيش المصرى بلغ فيه مبلغا عظيما من الرقى . ومن يراجع تقارير ضباط الاركان الحرب الاجانب الذين استخدموا فيه كالجنرال ستون وغيره يعلم مقدار عدده وعدده فقد بلغ عدد رجاله فى وقت من الاوقات من ضباط وصف الضباط وجنود ١٢٠ الف نسمة . كما بلغت عدده من الطراز آخر طراز

لان اسماعيل كان مغرما بتأسيس مملكة ضخمة فانشأ السفن وبنى الحصون واستجلب العدد واستخدم الاوروبيين لتدريب الجند وهو عمل كان يجب معه أن يكون مقتصدا ليأمن الوقوع فى غائلة الدين وضيق ذات اليد

ولو كان اسماعيل مع نشره المعارف واصلاحه البحرية والحربية عول على وضع نظام مالى قائم على اساس متين ما كانت البلاد وقعت في هذا المرض المالي العضال وما كان الاجنبي وجد بابا يدخل منه هذا الغيط الذهبى تحت هذه السماء النادرة المثال !!

ذهب اسماعيل وجاء توفيق وقد استلم ملكا كبيرا مدينا

وظن الناس جميعا فى مصر وفى غير مصر انه سيكون التوفيق حليفه فى خديويته ولكن الحوادث خانته ولينه المتناهى وطيبته التى كادت تكون زهدا اضعفت كثيرا من جاهه وقوت كثيرا جهلاء قادة الجيش والذين نهجوا منهجهم .

ذلك ان الجيش المصرى كان على رأسه فى ذلك الاوان قواد من العنصر الشركسى المحبوب الباسل ولكنهم كانوا على مايظهر من الذين لايحسنون كثيرا سياسة الجند ومن سوء حظهم او من سوء حظ مصر ان وجد بجانبهم رؤساء فرق مصرية لم تخرجهم المدارس العالية بل أخرجتهم صفوف الجند وهم من سلالة مصرية صرفة . وقد حنق هؤلاء على أولئك واشتبك التباغض الجنسى بينهم مما ادى الى النزوع الى الثورة العرابية التى انتهت فصولها باحتلال الانكليز لمصر ...

دخل الانكليز مصر فى وقت كانت فيه الثورة السودانية قائمة بعدان احكمت السياسة الانكليزية حلقاتها وعرفت كيف تثير لهيبها . فرأى من رأسوا الجيش المصرى من ضباط الانكليز أن يفنوا مابقى من جيشنا القديم وقدتم لهم ماضمروا

اذ بددت فرق هذا الجيش التعس في وقائع كثيرة اشتبكت فيها وفي جهات شتى بالسودان مع اهله ودراويشه

بعد ان تم للانكليز هذا الامر بسهولة غريبة اسسوا جيشا جديدا لا يتجاوز العشرين الف جندى وقد وضعوا على رأسه عددا كبيرا من الضباط البريطانيين ليكون لهم أحسن مدرسة حربية مصرية يجربون فيها كل نظام يخطر ببالهم لا ليكونوا اساتذة ماهرين يلقنون فنون الحرب الحديثة لمن ائتمنتهم أوروبا على احتلال بلادهم !

فأن الضابط الذى لا يتعدى رتبة الملازم في الجيش الانكليزى يلحق بجيشنا برتبة البكباشى وينقد من المرتب هنا ماهو ستة امثال مرتبه هناك . وهو مالم نسمع به فى التاريخ !

للجيش المصري الآن وفى كل مدة الاحتلال ثلاث نقط يوزع فيها قسم فى السودان الشرقى ومركزه سواكن وقسم بالسودان الغربى ومركزه حلفا وقسم آخر بمصر ومركزه العاصمة

وهـذه الاقسام يحل بعضها مكان البعض كلما لاح للرؤساء تبديل وتغيير !

والنظام المتبع الآن ان في الجيش ثمانى عشرة اورطة مصرية بياده منها اثنتى عشرة اورطة من المصريين وست اورط من السودانيين ولا يوجد على رأس هـذه الاورط مصريون الا في اربع منها فقط واما الاربع عشرة اورطة الاخرى فجميع رؤسائها من الضباط الانكليز !

وكذلك بطريات الطوبجية فلا يوجد فيها بالمرة رئيس مصرى اما الايات السوارى ففيها بعض المصريين وكذلك بقية فروع الجيش

ان في كل جيوش العالم لايشتغل الجندى ورئيسه الا بكل عمل حربي كانشاء القلاع والحصون وحفر الخنادق ووضع العراقيل والتعليم العسكرى بكل أنواعه ولكن الحال فى مصر غير ذلك فانه بينما يضع الجندي المصري راميته ليستريح من عمل عسكرى أو واقعة حربيه تناديه أعمال الفعلة التى لم تكن من شؤون الجند بالمرة فينقل أكياس الغذاء وحزم المواد

من بر الى بحر ومن بحر الى بر وينشيء السكك الحديدية ويبني القناطر والثكنات وبالجملة يطلب منه تشييد مدن فوق جماجم الذين قتلهم برصاصه أو مزق أجسامهم كل ممزق بقنابله

فالجندي المصري نجار وحداد وتراب وبناء وفاعل وحمال وخدام وجندي كل ذلك في حرارة السودان وتحت سلطة الانكليز

أخبرني موظف ملكي من موظفي نظارة الحربية في بلادنا ان العساكر المصرية يحملون حتى غذاء وملابس ومواد الجنود الانكليزيه المرافقين لحملة السودان من جهة لينقلوها الى جهة أخرى . فهل بعد هذا استعباد للامم في صورة المدنية ؟؟؟

ان الانكليز أول المدعين انهم ممدينو العالم رحماء بالجنس البشري وانهم مادخلوا مصر الا ليقيموا فيها ستة أشهر حتى يستتب الامن ثم يعودون من حيث أتوا فما بالهم اتخذوا الحدود المصرية بعد ان أستتب الامن داخل البلاد عكازا يتعكزون عليه كلما ضايقتهم المطالبة بالجلاء أولاحت لهم لائحة من أوروبا يكون وراءها حرمانهم من البقاء في أرض الفراعنة . الا ان

الانكليز أصبحوا يسخرون من العالم كله وقد سجلوا على أنفسهم بهذا الاخلاف فى الوعود عارا فى صحف التاريخ لن تمحوه حسناتهم حتى لو كانوا مصادفة يأتون بالحسنات

انى أرى ان المثل الذى ضربته على تعس حالة الجندى المصرى واستخدامه فيما لم يكن من شأن الجنود لم يكن شيأ مذكورا بجانب ما أقصه على قراء مجلة العالم الاسلامى

اختص رئيس الجيش ذلك الرجل الجبار كتشنر باشا احد الاورط بنقل التعيينات من شاطىء النيل الي القطار فلما رأي رئيسها المصري ان المرض المسبب عن النصب الزائد أهلك الكثير من رجاله شكا حالهم الى الرئيس ليرحمهم ويستبدلهم بغيرهم. فهز الرئيس الانكليزى المتمدين العظيم كتفيه وقال « ان موت أورطة بأسرها لا يهمنى فالامة المصرية تعد بالملايين ومن يموت من الجند نجد عوضه فى الحال »

من هذا المثل وغيره يدرك القراء ان الشدة قد بلغت من نفس هذا القائد الاوروبى مبلغ القوة مع ان العدل يقضى بالتبديل والتغيير فى كل عمل واجب النفوذ فما بالك بعمل كهذا

ليس شرعيا ولم يكن بالمرة من اختصاص الجنود ؟ . نعم ان السرعة التى ترى السياسة الانكليزية وجوب اتباعها فى فتح السودان تحتم هذا العمل الذى يعوق سيره التبديل والتغيير كما يقول بعض الضباط الانكليز وجرائد الاحتلال . ولكن أليس فى ميزانية الجيش الذى لا يعرف لها حساب مايكفى لجعل الاورطة المخصصة لأي عمل ما أورطتين

وبالجملة فان حالة الجيش المصرى حالة تعسة للغاية لا يمكن تطبيقها على حالة أقل الجيوش الاوربية استعدادا ونظاما

ان الجيش المصرى الذى هو جزء من الجيش العثمانى لا ينفع الدولة اليوم فى أى حرب لانه فضلا عن أن نظامه مخالف للنظام الحديث الاوروبى كما يقول الكثيرون فان الانكليز لا يسمحون بانضمامه الى جيش الدولة اذا دعت الحالة الي ذاك .

نعم ان الوقت الذى فيه ثارت الحرب الاخيرة بين الدولة واليونان كان الجيش المصرى مشتغلا بما هو فيه الآن من استرداد السودان ولكن اليس الانكليز هم الذين

اشعلوا نار هذه الحرب ليشغلوا الدولة عن مسئلة من اهم المسائل العثمانية فى افريقيا ! أنهم خافوا أن توعز الدولة الالمانية — التى هى العدوة اللدود للدولة الانكليزية — للدولة العثمانية بأن تحدث القلاقل على حدود مصر الشرقية وتسوق جنودها الي داخل البلاد في وقت تكون قد رحلت فيه الجند المصرية والانكليزية عن مصر لاسترداد السودان وبذلك يقعون في فخ السياسة الالمانية ويضيع منهم الابيض والاسود !!

ان كبار السياسيين فى أوروبا متفقون على ان الانكليز يخلقون كل يوم جديدا فى عالم السياسة لبلوغهم الغاية التى يرمون اليها فليس ببعيد بل من المعقول جدا ان يخلق الانكليز أنفسهم فى الغد شيئاً اخر فى نفس جسم الدولة العلية !

نعم ان تنافس هاتين الدولتين الالمانية والانكليزية يفيدنا كثيرا لان فيه صاعقة مقبلة تقضى على احداهما بينما تضعف الاخرى وتتركها فى النزع زمنا طويلا . هنالك يقوم المصرى ليسترد حقوقه ان لم تكن أوروبا قد قامت بواجبها نحو صيانة

مصالحها وتأديب الدولة الطامعة الساخرة منها وكل آت قريب

١١ فبراير سنة ١٨٩٨ مصطفى كامل »

— الاحوال المصريه —

— حديث مع المترجم —

قابل مكاتب جريدة الاكسترا جبلاط النمسوية المتجول المترجم بدارنا بالعاصمة ودار بينهما الحديث الآتي في شؤون مصرية كثيرة نشرته تلك الجريدة الكبيرة في ٢٣ فبراير سنة ١٨٩٨ وهذا تعريبه !

« المكاتب — يشيعون فى الدوائر السياسية الاوروبية أن المصريين قد نسوا مسئلة الاحتلال ولم يعد لهم صوت يرتفع بعد الآن . فهل هذا صحيح ؟ ؟

المترجم — قد دهشني سؤالك هذا غاية الدهش لأنه كيف ينسى المرأ أمه الحنون التي لا رحمة في الوجود تعادل رحمتها ولا شفقة تشبه شفقتها . أن الذين يقولون أن أصواتنا

أخفقت يظنون أن بلادنا أصبحت مستقلة سعيدة عالية الشأن!

نعم أن يوما فيه نرى مصر قد أخذت مكانها اللائق بها بين الامم هو يوم لا تشكو فيه من ظلم ظالم أو جور جائر بل تكون ككل الامم التى ترتفع اصواتها امام حكومة أهلية لحسن قيادة دفة مرافق البلاد

أن الرجل الذي له وجدان يتألم لا يستطيع رؤية أم عزيزة تذبح فى رائعة النهار بدون أن يتحرك . فنحن كذلك مع هذا الاحتلال غير الشرعى الذى طال عليه القدم ومثل أكبر دور من أدوار الغش والخداع لا نسكت حتى اذابحت صواتنا أو عصبت السنتنا فى افواهنا . لانه العار الابدى المسجل علينا ما دام فينا والوصمة الوطنية التي تنكرها حقوق الاوطان ما دام بين ربوعنا

أنى اؤكد لك يا جناب المكاتب ان قلب المصرى يذكر فى كل خفقة من خفقاته الجلاء لان السعادة لا تكون فى الشقاء كما أن الاستقلال لا يكون فى الاحتلال

فقاطعه المكاتب وقال : « ان بعض المصريين الذى

حادثته أكد لى أن المصريين اليوم أسعد حالا مع الاحتلال الانكليزى مما كانوا قبله . وقولك مناقض بالمرة لقول هذا البعض ! !

فأجابه المترجم على الفور : « أن الذين حادثتهم أن قلوا أو كثروا ليسوا على ما أظن الا دخلاء يغشون من كان مثلك بأنهم مصريون وهم ليسوا فى الحقيقة الا غرباء استأجرهم الانكليز لخدمة سياستهم ! واذا كانوا مصريين فهم من طبقة الموظفين الذين باعوا الآخرة بالدنيا والوطن بالوظيفة وهؤلاء ليسوا والحمد لله كثيرين ولا بد أن يمحو الزمان أثرهم شيئا فشيئا او يثوبوا الى رشدهم عند ما يقع الظلم على رؤوسهم فأن الانكليز يستفيدون على الدوام من الخيانة ولكنهم اعداء الخائنين متى قضوا منهم مآربهم واطماعهم !

أنى اقول لك الحقيقة كما هى . فأذا أردت أن تؤمن عليها او تتأكد منها فسل من شئت من الوطنيين الاحرار الذين لا علاقة لهم بالحكومة ولا بالاحتلال وهم يقصون عليك ما سمعته منى حرفا بحرف

فقال الكاتب : أن الانكليز ينشرون في العالم من حين الى حين انهم رقوا مالية البلاد ووضعوها على أضمن أساس اليس كذلك ؟

— نعم لا أنكر انهم اكتسبوا ثقة أوروبا بعد أن كانت مفقودة ولكن بماذا اكتسبوها ؟ أنهم اكتسبوها بهذه الارقام التي تنشر حبرا على ورق لا يحاسب عليها ناشرها اذ لا رقيب عليه ! ! !

وبيان ذلك أن الانكليز زادوا الضرائب ومنعوا زراعة الدخان ليزداد دخل الكمارك بما يرد منه على مصر وضربوا للبدل العسكرى ضريبة عمموها فى كل القطر وأخلوا الامن ليكثر ايراد المحاكم وفتحوا المصارف ليرهنوا أملاك الامة ويعمموا الاستدانة التى هي في نظر كل الاقتصاديين مجلبة الدمار على الامم

وأنه اذا كان رقم الايرادات يزداد فى كل عام عن الذي قبله فكذلك المصروفات تزداد ايضا . والفضل فى الايرادت راجع الى ما ذكرته لك وفيه أكبر فضل على المصروفات .

أما المصروفات فأغلبها يدخل فى جيوب الانكليز ولأضرب لك مثلا صغيراً

من يدخل مدارس الحكومة لا يجد أداة بيد تلميذ الا ومصدرها انكليزى ولا يصادف وجها أبيض تعلوه قبعة الاويكون وجه انكليزى ولا يسمع صوتا يرن فى نظارة المعارف الا صوت الانكليزى !

ومن يدخل ثكنات الجند لا يجد فيها اداة غير انكليزية ولا رئيسا غير انكليزى ولم يجد شيئا مصريا (الا العدس والفول وهما من غذاء العسكر)

ومن يعرج على نظارة الاشغال لا يجد شيئا مما غلا ثمنه من ادوات البناء الا انكليزيا لان المقاول اما انكليزى او اجنبى غيره ممن اشترط عليه ان يستحضر ادوات انكليزية ! !

كذلك الحال فى السكك الحديدية ومصلحة الصحة والبوليس والكمارك وخفر السواحل وغيرها . . وغيرها ! !

فهل لنا فائدة فى هذا والدين باق كما هو وقد مضى على انكلترا وهى محتلة مصر ما يقرب من ستة عشر عاما

ان رقما فى الميزانية اصغر من الرقم الحالى ومصروفا تراقب فيه مصلحة الامة لاحب الينا من هذا العدد الضخم الذي لانكلترا فيه المغنم وعلى مصر المغرم ! ! !

فقال الكاتب . ولم لاتضعون تقارير مسهبة تفصحون فيها عن أمركم هذا ليقف الرأى العام الاوروبى على الحقيقة ؟ ؟

— اننا عولنا على نشر آرائنا وخواطرنا وما نالنا وينولنا من الاجحاف على صفحات الجرائد الاوروبية السيارة لانها أسرع مبلغ للشعوب ولان عدد من يقرؤنها يفوق عدد قراء التقارير كثيرا

نعم ان التقارير على قلة من يقرؤونها تقف السياسيين وهم الكل في مسئلة مصر على حقيقة الحال وتكون بمثابة كتب موضوعة يرجع اليها فى كل وقت ولكن عدم اصدارها فى هذا الوقت لايمنع من أن نقوم به قريبا فحزبنا لم يتكون الا حديثا وهو الان آخذ فى الانتشار ولابد أن يجاهر يوما بعمله بعد أن لبث الى الآن سريا

— ان الانكليز يقولون ان وجودك بين المصريين دليل

كبير على غرسهم بذور التربية الصحيحة التى روحها الوطنية فى قلوب الناشئين الذين أتموا دراستهم في مدارس الحكومة ؟

— ولم لا تقول ياجناب الكاتب انهم بذروا بذور الظلم فهالنا منظر نتاجها فصحنا مستغيثين بمن هم أصل هذه البلية وهذا البلاء ؟ ؟ أنسيت جنابك ان الانسان قطعة من الارض التى نشأ فيها فيحن اليها حنو الابن البار بالام الحنون ؟ قل لى كيف قام المجريون فى وجهكم وانتم على جوار يحفظ شيئا من الشبه بين جنسيكم ؟ ألم يكن الدافع للوطنيين الذين هم تيجان التاريخ على حب بلادهم تلك الصلة الكبيرة التى تربطهما من مبدأ الخليقة الي اليوم

الا ان الطامع لا يأتى حسنة الا قسرا وليس فى الاجبار من العمل مايسمى حسنة. فحسنات الانكليز التى يدعون انهم أتوها فى مصر لم يكن خيرها عائدا علينا بل عليهم كما ذكرت لك فنحن نكدو نعمل ونملأ خزائن الحكومة وهم يجنون ثمار اتعابنا باسم حسنات ظاهرها فى عين أوروبا خير عميم لمصر وباطنها شر مستطير وافتيات كبير

فقال المكاتب : وعلى م عولت بعد الان أتستمر ورفاقك فى هذا الجهاد على هذا الاسلوب أم عولتم على اتخاذ وسائل أخرى ؟

ـ اني أصرح لك بأن سياستنا صريحة لاسر فيها وان المحامى فى قضية لايعتمد الا على الصراحة في دفاعه حتى يظهر الحق جليا أمام الملأ اجمع . ومن مصلحة مسألتنا ان نعتمد على أنفسنا أولا وان لا نتعدى حدود السكينة والحكمة فى جهادنا وان نضم الينا ثانيا مانستطيع من اهل الحق وذوى الوجدانات مهما كانت أديانهم ونحلهم .

وان أوروبا التى صمت اذانها واغمضت جفونها عند احتلال الانكليز لبلادنا ترتكب اثما كبيرا اذا حضرت مشهد اعدامنا على مرسح السياسة الانكليزية فلنعمل ولتعملوا فان الانسانية والمصلحة تدعوان الى استقلال مصر وحرية قناة السويس » .. اه

*
* *

كتب الى رحمه الله خطابا قال فيه :

اني بالرغم من اشتغالى بتأليف كتاب (المسئلة الشرقية) الذى سيكون سفرا نفيسا للغاية احادث السياسيين وانشر المقالات فى جرائد أوروبا ...

اتصل بى ان الجيش المصرى سيزحف قريبا على عطبرة لمحاربة الدراويش

فأرجو منك مكاتبتى كثيرا فى هذه الايام حتى نطمئن عليك

سألنى جناب مدير مجلة العالم الاسلامى الفرنسية أن اكتب له شيئا عن حالة الجيش المصرى . وقد كتبت له ما اعلمه مستعينا بآراء حضرة خالنا العزيز

ان شوقى اليك لشديد . . . . . . »

*
* *

ماجاء اول مارس سنة ١٨٠٨ حتى ظهرت مقدمة كتاب المسئلة الشرقية باللغة التركية مترجمة أحسن ترجمة مفرغة فى أحسن قالب . وقد جاء للمترجم كتاب من محمد بك حكمت أحد شعراء الاتراك واحرارهم قال فيه بمناسبة هذا العمل

الجليل ماتعريبه :

ان هذه اول مرة قرأت فيها مقدمة سياسية في المسئلة الشرقية بقلم مصرى . وانه لولم يكن اسمك عليها لحكمت من فورى بأنها من قلم سياسى مسن محنك . ولكن لاعجب فأنت عظيم الشرق وطود سياسته .

اني كنت اود من صميم فؤادى ان أكون بجانبك لاقوم بترجمة كتابك برمته لان التواريخ التى عندنا قديمة وغير مباح لنا ان نقرأ او نقرئ فى مدارسنا شيئا منها .

انك حملت حملة منكرة على انكلترا ولك الحق فى ذلك لانها دولة المكر والخداع بالرغم من اعتقاد بعض اخواننا فيها

اني أؤمل لمصر السعادة التى طالما سعي التاريخ لانالتها اياها ولكن سعيه ذهب على الدوام ادراج الرياح

اذا كنت قد عزمت على ان تشرف في هذا الصيف الاستانة فانبئنى حتى اقدم لك شعرا تركيا تحية لهذه المقدمة البليغة العالية

ومع هذا ارسل لك كشفا باسماء الذين يجب ان ترسل

اليهم هذه المقدمة الجميلة ليقفوا على الحقيقة التى طالما طواها غدر الزمان ولكن عدل الله لاعظم

والسلام من اخيك

محمد حكمت »

الحالة العمومية

(في مصر)

كتب رحمه الله مقالة في جريدة زيتنغ الالمانية الكبيرة نشرتها في ٩ مارس سنة ١٨٩٨ هذا تعريبها :

« ان الحالة العمومية في مصر مؤلمة مبكية . فالانكليز يعملون اليوم كل شئ جهارا حتى سئم احرار المصريين الحياة ولم يعد للصبر سبيل . فهم فى كل سنة يجلبون الى مصر من اخوانهم عددا عديدا ليحشروهم فى الوظائف حشرا بلا مسوغ شرعى وبلا علم يؤهلهم لهذه الوظائف

ففى هذا العام الذي هو العام السادس عشر على وجود

الاحتلال في مصر قد استخدموا من ابناء التامير نحو ٤٦ انكليزيا اكبرهم سنا لا يبلغ الثالثة والعشرين واكثرهم علما لم ينل غير الشهادة الثانوية وأقلهم مرتبا يتناول شهريا ٢٥ جنيها !!!

فهل سمعتم ايها الاوروبيون الشرفاء المتمدينون ان أمة تجاهر بكره الخيانة والدناءة وتدعى انها تطارد اللصوص اينما وجدتهم تسلب فى رائعة النهار حقوق امة تعتبر بلادها قطعة من أوروبا ؟ انكم ماسمعتم وما سمعنا. ولكن هاهى الامة الانكليزية تسمعنا فى الغدو والرواح الغرائب والعجائب !!

ضمني مجلس من مجالسنا الوطنية الحافلة بذكر هذه المسائل المؤلمة وقد تعرفت فيه الي رجل من كبار رجال الحكومة الذين كادت اعمال الانكليز تصعقهم لشدة هولها وبشاعة جبروتها . فسألته عن هذه الاعمال فقال وهو يتأوه بين كل فقرة وفقرة من كلامه تأوه الوطنى الصادق امام بلاده المسلوبة المغصوبة مانصه :

« عن أى شئ تسألنى ايها الاخ ونحن اليوم وقد حكم

علينا جميعا من كبيرنا الى صغيرنا بالاعدام ننتظر ساعة العفو ساعة الخلاص بنافد الصبر. ان الانكليز كما تعلم هم القابضون على الحياتين المادية والادبية فى البلاد وفى ايديهم معاول واشراك ينسفون بالاولى الحياة الادبية ويصطادون بالثانية نتيجة مجهودات الامة. فانهم قد أكثروا من المدرسين الانكليز ليلقنوا العلم لقوم لغتهم العربية باللغة الانكليزية ولينسفوا ما بقي من مكارم اسلامية وأخلاق أهلية واحساسات وطنية. انهم اذا ذكروا الوطن المصري حقروه وأذلوه ونسبوا ما فيه من رفعة باقية موهومة الى وجودهم والى قرائحهم واحسانهم للانسانية. مع ان الوطنين يا أخي ليسا الا أرضاً وسماء حتى ان العاجز الغبي الذى لا يميز بين النهار والليل يحكم على وطنهم المجدب بالاعدام بينما يرحب بوطننا الذهبي الذى دونه جميع الاوطان فلم هذه الاعمال ؟ اليس لانهم لو نشروا العلم الصحيح واحسنوا الى البشر احسانهم الى انفسهم يسقطون من عالى مجدهم حيث تعرف الامم حقوقها فتسترد منهم بقوة العلم التى هي اكبر قوة فى الوجود ما سلبوه منها ؟ اليس

لانهم يسعون وراء المنفعتين الانكليزيتين منفعة مايملؤون به جيوبهم من المرتبات الباهظة والمنفعة التي تعود عليهم مادمنا جهلاء ؟ ؟ ؟

امام هذا المنظر المخيف المفزع ترى حكومتنا الاهلية لاهية ساكتة لا تحرك شفة ولا تعارض فى أمر فهم باسم الامة يصادقون على كل شيء . هـذه الامـة المسكينة التى تصرف على عدوها وسالبها والخائن والمنافق من أبنائها ليعيشوا ويقووا ضدها ويحاربوها فى وجودها

وماذا أقول لك ولو أردت أن أحصى الارقام التى تسرق من المالية باسم البيع والشراء والايجاد والانشاء لبلغت الملايين من الذهب. ولم نذهب بعيداً ؟ ؟ وهذا الجيش . ألم يكن فى ميزانيته ان تتمرن جنوده سنوياً على ضرب النار مما قدر للانفاق فى سبيله مائة وثلاثين ألف جنيـه على الاقل فأين ذهبت هـذه النقود امام هذه الحمـلة السودانية التي ما تمرنت فيها العساكر برصاصة واحدة منذ بدؤوا بأعمـال التجريدة ! ! ! ألم يكن هذا البرهان وغيره حقيقة ساطعة على

التصرف فى أموالنا بلا حسيب ولا رقيب . . . . »

قال صاحبنا هـذا القول ثم بكى من شدة تأثره فأمن الحاضرون على كلماته وكان من بينهم المسيو (م) أحـد أساتذة المدارس وهو رجـل فرنسى خدم مصر باخلاص وأخرج لها الكثير من الشبان النابغين

. فمـاذا يقول قراء الزيتنغ بعد هذه الآلام التى سببتها أوروبا لمصر والتى نسألها اليوم ان تعمل فى بلادنا لازالتها

اني شرحت أكثر من مرة موقع مصر السياسى والاقتصادى مما وافقتنى عليه أغلبية جرائد أوروبا ورجال السياسة فيها واليوم نرى أوروبا مفتونة بمواعيـد الانكليز الباطلة خائرة القوى امامها ضعيفة العزم فى خدمة الانسان

نعم ان أوروبا لكذلك لان في استطاعتها ان تقف على حالة المصريين الحقيقيةمن تقارير قناصلها التى أؤكد انهامليئة بالحقائق ولكن لا أعلم لاى سبب تهمل هـذه التقارير فى زوايا الاهمال بلا عمل يذكر أو نتيجة تطمئن العالم المصرى وتوطد الثقة بينه وبين أوروبا

ان أوروبا اذا تركت انكلترا فى مصر بلا مراقبة فعليه.
واذا أهملت مناقشتها الحساب فيما أخذته على نفسها من عهد فانه يأتى يوم تضيع فيه أفريقيا كلها وتأسف أوروبا حيث لا ينفع بعدئذ أسف !

ان أقرب باب لافريقيا هو القطر المصرى ولاوروبا أملاك كثيرة فى هذه القارة العظيمة فالمانيا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا لها فيها أملاك تذكر فهل تترك هذه الدول انكلترا تحلق عليها حتى تسلبها متاعها . انى لا أظن ذلك فلتعجل المانيا بعمل تضمن فيه مصلحتها فى الشرق بحفظ استقلال مصر وحرية قناة السويس وهاهي الفرصة اليوم سانحة لهذا العمل العظيم بعد ان خرجت الدولة العلية منصورة فى حربها مع اليونان وان ضياع الفرص لا يعوض . .

مصطفى كامل »

﴿ الدولة العلية ومصر ﴾

نشرت جريدة البرلينر تاجبلاط الالمانية حديثا دار بين المترجم ومندوبها فى مصر فى ٢٤ مارس سنة ١٨٩٨ هذا تعريبه:

« قابل مندوبنا الخصوصي « مصطفى كامل » المصرى زعيم الحركة الوطنية وحادثه في شؤون شتى اهمها تأثير انتصارات الدولة العلية في مصر وهذا هو الحديث :

ما هى احساسات المصريين الان نحو الدولة العلية ؟

ـ ان احساسات المصريين نحو الدولة العلية لا تزال كما هى احساسات التابع للمتبوع وكلما مر الزمان قويت الرابطة بين مصر والدولة العلية لجملة اسباب .

اولا ـ أن المصريين في أغلبيتهم مسلمون بحيث أن العناصر ألاخرى التى لم تدن بدين الاسلام لم تكن جزأ من عشرين من تعداد المسلمين القاطنين أرض مصر . وبما أن دولة الخلافة الاسلامية هي الدولة العلية وسلطانها هو رئيسنا الدينى فنحن كلما زدنا عدداً كثر تعلق النفوس بهذه الدولة المحبوبة

ثانيا ـ أننا رأينا في أيامنا هذه فوق ما قرأناه فى التاريخ أن أوروبا جمعاء تحارب الدولة العلية بصفتها دولة اسلامية والا فلم نجدها تهلل وتكبر كلما أنتصرت أمة مسيحية على أمة أسلامية فى حين أنها تتألم وتستشيط غيظا اذا كان الامر على

العكس من ذلك ؟ ؟

ألم يكن في نتيجة انتصار الدولة العلية على اليونان ما يحقق هذه النظرية وذلك من شأنه أن يزيد في تعلقنا بالدولة العلية؟؟

أن المصريين عن بكرة أبيهم في حاجة الى الاتحاد وأوروبا باعمالها العدائية المتوالية ضد الدولة العلية تعلمنا كيف نتحد ونتمسك بها ونؤازرها في كل ملمة. لان وجودنا السياسى متوقف على نصرتها . وأنى أوكد لجنابك أن الذين يهمهم سلامة العالمين المسيحى والاسلام لا يجدون دواء لهذا الداء العضال داء تعصب المسيحية غير أجبار أممهم بسلطتهم الادبية عليها على قبول مبدأ « لكم دينكم ولى دين » لان هذا هو مبدأنا الذى نطق به القرآن الشريف كتابنا المقدس وأمرنا باتباعه. والا فانه اذا استمرت أوروبا على مناصبتنا العداء أنتج ذلك لامحالة — أن لم يكن اليوم فغدا — أكبر البلايا واشد الرزايا على العالم بأسره

أن الكتاب المسيحيين الاوروبيين الذين قطعوا في نور العلم شوطا بعيدا هم المسئولون عن هذه النتائج السيئة التي

تنتشر بسرعة مع انتشار العمران فى العالم . لانهم وحدهم القادرون على بث المواعظ بين أمم أوروبا ليخففوا من ثوران هذا التعصب ويقيموا قصورا من الاخاء بين الامم جمعاء بما أوتوه من سعة العلم وغزارة القلم وقوة العارضة وحجة القول وسحر البيان

اننا هنا نلطف كثيرا مما نكتبه من وقت الى آخر بمناسبة اعتداء أوروبا على الدولة من هيجان الشعب الاسلامى ونلقى ما تحدثه الحوادث على حساب الخرق فى السياسة أو مطامع السياسيين .

وأنى أؤكد لقراء البرلينر تاجبلاط أن النهر يسكن ماؤه ويقف تياره اذا بعدت عنه يد الصياد فأوروبا هي التى فى قدرتها الضرب على أيدى صيادى الامم سافكى دماء الابرياء سالبى حقوق القصر واليتامى بعصا من حديد حتى تجلس الانسانية على عرشها المحبوب وتنشر الحب الصالح بين أبناء البشر

انك ترى باجناب الصحافى أن أمم أوروبا تعاون بعضها بعضاً متى حلت باحداهن مصيبة أو نزلت كارثة ولا ينسب

مسلم لهذه المعاونة الواجبة شيئاً مما تسميه صحافة العالم المتمدن بالتعصب ولكن مابالكم ترمون المسلمين الذين يساعدون المسلمين بهذا النعت الشائن ! انه ما التهبت نار الحرب بين الدولة العليـة واليونان حتى دفعت الحمية الوطنية والغيرة الاسلامية أبناء مصر لمد يد المساعدة للجيش العثمانى الظافر ولكن الذين يرون فى الشرق قبيحاً ما يرونه في الغرب حسناً قد رمونا بالتعصب وقالوا فينا ما قال مالك في الخمر ! فلم هذا ؟ ألسنا ذوى عواطف تشعر وتتألم ؟ ألم تكن مساعدة المصريين للدولة العلية كمساعدة الايطاليين وغيرهم من أمم أوروبا الذين تطوعوا فى الجيش اليوناني لمحاربة اخواننا العثمانيين ؟ أليست مساعـدتنا للدولة ونحن أبناؤها واخوانها كمساعدة فرنسا للولايات المتحدة يوم جاهرت بخلع النير الانكليزى وهى بعيدة عنها ولم يكن بينهما رابطة شرعية تحتم هذه المساعدة ؟

انه بالرغم من توجيه التهم الينا ازاء علاقتنا بالدولة العلية أؤكد أن هـذه الرابطـة تقوى على ممر الايام وليس ثمت ما يحلها أو يؤثر فى عقدتها المتينة

ثالثاً انها الدولة الاسلامية الوحيدة التى لها أملاك فى أوروبا وآسيا وأفريقيا وأغلب هذه الاملاك اسلامى . ونحن أبناء دين يحتم علينا ان نكون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وان نعامل ذوى الاديان بالرفق والانسانية وان نجادلهم بالتى هى أحسن

هل رأت أوروبا من الدولة العلية عداء للمسيحيين المستظلين برايتها كعداء أهل هولندا المسيحيين المتمدينين لاهل جاوه المتوحشين على رأيكم ؟ هل صادرت الدولة العلية أموال الكنائس القائمة فى بلادها كما صادرت النمسا أوقاف البوسنة والهرسك وصادرت الروسيا أموال مسلمي قزان واسرئيلي موسكو ؟ ألم يكن عدد عظيم من المسيحيين يشغل أهم الوظائف فى دوائر الحكومة العثمانية بينما نرى الهندى والجزائرى والتترى وغيرهم من أبناء الامم الاسلامية أو الشرقية المحكومة بدول مسيحية محرومين من مراكز بلادهم العالية ؟ ألم تختر الدولة العلية من بين رجالكم القواد والاطباء والعلماء لينشروا علمهم وكفاءتهم بين أبنائها كما فعل

محمد على فى مصر ؟ فلم يقولون بعد ذلك ان ميـل الامة المصرية للدولة العلية لم يكن الا شعلة من لهب التعصب الدينى ؟ اننا اذا كنا متعصبين كما يقول الساخرون بشـعور الامم الراغبون فى هلاك العالم ماعاش بيننا مسيحى واحد الى اليوم !! ولكن الغرض يعمى ويصم !

فسأله المندوب : واذا كان هذا الارتباط متينا الى هذا الحد بين أمتى مصر والدولة العلية فهل هو كذلك بين الخديو والسلطان ؟

— اني تكلمت على هذه النقطة المهمة كثيرا ولكن أعداء مصر والدولة أو بعبارة أخرى ساسة الانكليز لا يودون أن يروا الاتفاق سائدا بين الخـديويه والسلطنة العثمانية بل يودون من صميم افئدتهم أن يحل الشقاق محل الوئام والخصام محل السلام . ولذلك فهم يشيعون في الدوائر العثمانية على الدوام بواسطة جواسيسهم ومأجوريهم أن سمو الخـديو يسعي لتشييد خلافة اسلاميه يكون على رأسها . كما يشيعون فى مصر أن جلالة السلطان ناقم على سمو الخديو حتى انهم

يقلبون الحقائق الظاهرة للعيان . خذ مثالا على ذلك أنه عند ما يسافر سموه الى الاستانة ويظهر جلالة السلطان مزيد التلطف وعظيم الرعاية عند استقباله يسارع الانكليز على لسان سماسرتهم وابواق احتلالهم الى نشر مثل قولهم «وان الخديو قوبل بالازدراء وهى اهانة للامة المصرية » ... الى غير ذلك من الكلمات المهيجة

وهذا السلاح الذى يستعمله الانكليز اليوم لأيجاد فتور فى العلائق العثمانية المصرية الشاهانية الخديوية قد سجل عليهم من زمن بعيد حتى أطلق عليهم الكثيرون منا لقب « جواسيس أوروبا » وهو حقيقة لاننا رأينا لانكلترا اليد الفعالة فى كل خلاف قائم بين الشرق والغرب لتقضى هي من ورائه لباناتها

— وماذا تظنون فى المانيا ؟

— انا نعتقد فيها الى اليوم اعتقادا حسنا بيد أنها لم تعمل فى مصر عملا يذكر واذا كانت مصالحها اليوم في مصر قليلة أزاء مصالح غيرها من الدول ففى استطاعتها اكثارها بما تنشئه من مصارف تزاحم المصارف الانكليزية وما تؤسسه

من مدارس لنشر العلم بين الطبقات المصرية حتى يقف ابناؤنا واخواننا على درجة الوطنية الالمانية ومبلغ مدارك الالمانيين من العلم . وأنى أؤكد لجنابك أن المانيا تربح كثيرا اذا كانت سياستها فى مصر مصرية اكثر منها انكليزية لانا نرى أن العلائق بين وكيلكم السياسى في مصر ومعتمد انكلترا على تمام الوئام فى حين أننا نجدها فاترة بين الامتين الالمانية والانكليزية . وليس هناك سبب لذلك الا قلة مصالحكم في مصر . ولكن لاتنس مصالح التحالف الثلاثي في مجموعه فتجارة النمسا فى مصر تكاد تكون اكثر من كل تجارة سواها وكذلك ايطاليا فان لها في بلادنا المقام الاول بين دول هذا التحالف فالكثير من أبنائها يقطنون مصر ومنهم عدد غير قليل من الموظفين بمصالح الحكومة المختلفة ..... » اه

التهم الكاذبة

نشرت جريدة لاكوريرى الايطالية الشهيرة حديثا للمترجم هذا نصه !

« قابل مكاتبنا الخصوصى « مصطفى كامل » الوطنى المصرى المشهور بعدائه لانكلترا والذى يبذل جميع قواه سائلا لوادى النيل استقلالا وللمصريين ابناء الفراعنة حرية وعدلا . وقد تحادث معه فى شؤون جمة على الحالة فى مصر . ولما كان حديث كهذا يفيد كثيرا أحرار الايطاليين الذين لهم بمصر أكبر علاقة رأينا أن ننشره برمته وهذا تعريب الحديث :

« ماهي آخر أمنية تريد أن تصل مصر اليها ؟

ـ ان غاية أمانينا أن نرى مصر مصر العلم مصر الحرية مصر النعيم مرة أخرى ... لانه اذا كانت مصر قد بلغت في زمن من الازمان من الحضارة والعلم مالم تبلغه أمة فى الوجود فقد كان ذلك من عمل أبنائها الاولين . ولما كنا نعتقد أننا من سلالة أولئك الذين افتخر بهم التاريخ وعدوا فى زمنهم أساتذة العالم بذلنا كل ما فى وسعنا للتشبه بهم والنسج على منوالهم

ولما كانت العقبة الكؤود فى طريق رقينا وجود انكلترا فى بلدنا رأينا أن أول واجب علينا العمل صباح مساء

لنشر الحقيقة فى العالمين حتى يتحول الذين ظنوا فينا السوء الى أصدقاء يعطفون الينا عطف العادل على المظلوم

ان الانكليز عقبـة امامنا أى عقبة . لانهم طامعون والطامع لا يرتاح له بال ولا يكل له عزم الا اذا استعمل كل الوسائل لتخدير أعصاب المطموع فيه حتى يسلبه علمه متى أراد ويغتصب منه داره ومتاعه متى شاء .

فقد جاؤا الى بلادنا مقسمين أغلظ الايمان آخذين على أنفسهم المواثيق بألا يمكثوا في مصر الا ريثما يتممون العمل الذي دخلوها من أجله وهو توطيد عرش الخديوية المصرية بنشر الامن ليأمن الدائنون على ديونهم

ولـكن ماذا عملوا ؟ انهم سلبوا العرش الخديوى سلطته وأخلوا بالامن فى البلاد والقرى بما نشروه من حرية كاذبة وخمور قتالة . وها هم الدائنون لم يأخـذوا قرشاً من ديونهم بعد ستة عشر عاماً على احتلالهم وبعد ان كثرت الضرائب ونما ايراد الخزينة ! !

ان الاوروبيين المقيمين منهم فى مصر البعيدين عنهـا

يجهلون تمام الجهل حالتنا السياسية الاقتصادية فهم لا يقرؤون شيئاً عنها واذا قرؤوا فما يغشهم ويغير معالم الحقيقة امام أبصارهم كتقرير اللورد كرومر . وعندى ان أحسن طريقة لسير الممالك الكبيرة سيراً عادلا مع الحكومات الصغيرة أن تنشر تقارير كافة الوكلاء السياسيين حتى يقف الرأى العام على الحقيقة بحذافيرها . لانه لو كان الوكلاء السياسيون فى مصر ينشرون عنها تقارير سنوية سياسية اقتصادية لكان اللورد كرومر يتأدب فى تقاريره ولا يصف الاحتلال بالملك الكريم والامة المصرية بالشيطان الرجيم

ان علة خذلان الامم الصغيرة التنافر القائم بين أفرادها وتخييم الجهل على ربوعها . وقد أدركنا هاتين النقطتين الاساسيتين فى رقى الامم والتففنا حول أميرنا وها نحن أولاء مجدون فى نشر المدارس الاهلية لنبلغ بها ما نريد من حضارة وعمران

نعم انه لو كانت حكومتنا أهلية لجعلنا كل المنازل مدارس ولأرسلنا الارساليات لأنحاء المعمورة ولاعتنينا بالاحوال

الصحية ليزداد عددنا ولو ضعنا حداً لهذه الفوضى المالية التي يسمونها رقياً وكنزاً ووفرنا نحو ثلث المصروفات التي تذهب سدى في موارد غالية أو في تجربة يظهر بطلانها بعد ان تتكبد الخزينة من ورائها الآلاف من الجنيهات

ان الله لم يخلق أمة بليدة في أرض طيبة لانه جل شأنه لم يكافيء البلداء والخاملين بل هو يحسن على الدوام الى العاملين النابهين فبلادنا من أخصب بلاد العالم تربة ومن أعدلها جوا واحكمها موضعا وأيسرها طريقا والامة المصرية من أذكى أمم الارض عقلا وأحسنها معاملة وأقربها الى الخير سبيلا ولذلك كانت حقيقة بأن تملك أرضها وتتمتع بخيراتها

ان التاريخ قد سجل على الانكليز جنايات كثيرة ولم يسجل علينا الى اليوم جناية واحدة . انهم أقسموا وحنثوا ووعدوا وما أنجزوا واخذوا وما أعطوا . كل ذلك على مسمع من العالم وهم لا يخجلون

أما نحن فقد عاملنا الغريب معاملة القريب وأحسنا الى من أساؤوا الينا وفتحنا ديارنا للنازلين بيننا وتمسكنا على الدوام

عبدأنا « أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا » فقل لي بالله عليك
أتوجد أمة كهذه الامة التي أغاثت الفنيقيين ورحمت الاتيونيين
وكانت مقبرة الطاغين حتى جاءت جماعة تظلمها من
الاوروبيين ؟؟

اننا لم نعول الى الان على الدم في تحرير بلادنا بل عولنا
وسنعول مادام في الوجود انصاف على القلم واللسان لنكون
خدام الحقيقة واقفين أمام عهود الانكليز وقفة الساهر على
مصلحته الراغب في اصلاح حاله . واليوم الذي نرى فيه — ولعله
لا يكون — أذان أوروبا المتمدينة قد صمت عن سماع شكوانا
وتلبية ندائنا نكون مضطرين الى تغيير خطتنا والترقي في اتخاذ
وسائل أخرى فعالة أساسها الاعتماد على عقلنا ومالنا وساعدنا

هناك تخرج الامة المصرية للعالم عملا من أعمال الامم
المستميتة في التمسك بحقوقها في العالمين

هناك تشهد الانسانية منظراً من أبشع المناظر منظر مصر
الجميلة وحولها حليلها وخليلها يتقاتلان في حبها . هذا في عذره
وذاك في حقه ولا بد ان يكون النصر حليف الاول لان يد

الله فى معونته والله يتولى الحقوق

هناك تندم أوروبا وتقول ليتنى سمعت ! ليتنى فعلت ليتنى أمددت أمة مظلومة سألتنى نصرتها ورد حقوقها اليها !

هناك لا تنفع ليتنى بعد ان تلبس الانسانية الاوروبية ثوب الحداد وتلبس مصر المظلومة ثوب العدل وحلة الاستقلال

هناك تكتب الدماء البريئة « اننا لم نظلم أنفسنا ولكن الانسانية ظلمتنا فحاربناها لخلاص أمتنا من جورها وقدمنا أرواحنا فداء عنها »

ليشهد العالم ذلك اليوم اذا دامت أوروبا فى صمم وانكلترا فى تعد وافتيات ومصر فى عذاب أليم ! !

فسأله المكاتب : « انهم يقولون انك مهيج وانك أتلفت على الطلاب أمرهم وقلبت حالهم من سكينة الى ثوران ؟ »

ـ ليقولوا ما شاؤوا فانهم أعداء ظاهرون ونحن أمة في ديارنا مهاجمون مسلوبون ! نعم أنا مهيج لانى أذكر الوطن ! بل مجرم لاني أقول بلادى ! بل سفاك لانى أشهر بالغاصبين!

بل أفاك لانى خاطب الحق ! ! ! الا اننا فى زمن لا يستحي فيه معتد أثيم !

كان الاجدر بهؤلاء الانسانيين ان يقولوا انى هائج لضياع الاستقلال ! لسرقة الاموال ! لقتل ذكاء الاطفال لتعس الحال ! للاخلاف فى العهود والاقوال !

أمهيج أنا لان الطلاب اجتمعوا فى عيد سمو الامير ودعوني لحفلتهم فأجبت بكل ارتياح ؟ كيف يدعون أنهم ما دخلوا مصر الا لتوطيد عرش الخديوية حتى اذا ما التفت الامة حوله قاموا يدعون اننا مهيجون ؟ الم يكن فى هذا الادعاء ما يثبت دعوانا من انهم يكرهون كل متقرب من العرش وأنهم كاذبون فيما ادعوه عند احتلالهم هذه البلاد؟ أيريدون ان نلتف حول الوكالة البريطانية والراية الانكليزية تاركين الخديوية المصرية والراية العثمانية ؟ أيريدون ان نتخذ العدو حبيبا والسفاك طبيبا ؟ اننا لم نكن معتوهين الى هذا الحد حتى لا نميز بين العدو والصديق والغريب والقريب

امهيج أنا لانى احاسب الانكليز على تصرفاتهم السيئة في

بلادنا بينما كل منهم يحاسب حكومته بحق وبصوت عال على تصرفاتها الحسنة ويريد لها ان تبلغ حد الكمال ؟

أمهيج انا لانى مصري احب مصر وعلى يميني وشمالى بيوت خربها الظلم ونفوس كادت تباع فى الاسواق ضحية الاهواء والغايات ؟

أمهيج انا لانى اعتقد ان الدولة العلية روح مصر ومصر قلبها وانه لا سلامة لكليهما ما لم ترتبط بالاخرى ؟

أمهيج لانى ابكى نور العلم الذى كاد يرحل من ديارنا وحل محله الجهل الممقوت والظلام الحالك ؟

أمهيج لانى وقفت على ما وصلت اليه الامم من الحضارة والعمران بهمة حكومتها الاهلية واريد لبلاد انسب اليها وامة انا أحد ابنائها تلك الحضارة وذلك العمران ؟

ألهم ان كان المهيج في نظركم من يوصى بالقريب خيرا ويحض على العلم واخراج العدو من دياره ونقل امة من حضيض الذل والفاقه الى اوج الشمم والسعادة فأنى اول المهيجين !

دعهم يقولوا عنا ماشاؤوا فانا منهم ساخرون !

— انى أرى انك محق فى كل ماقلته ولكن ألم يعمل الانكليز حسنة واحدة فى مصر يستحقون عليها ثناءكم ؟

— ان مايسمونه حسنة أو حسنات لم يك الغرض منه تقديم الثمرات الينا ولكنها اليهم فظاهرها لنا لانها تعمل باسم الحكومة الخديوية ولكنها فى الحقيقة لهم لانها لابنائهم وأدواتهم ومصالحهم؟

ان المسئلة الوحيدة التى يمنون علينا بها مسئلة المالية وهى مسئلة واضحة ظاهرة فالمالية المصرية ما كانت فى فوضى الا فى آخر أيام اسماعيل ولكنها كانت في ايام من كانوا قبله من الولاة حسنة سليمة حتى كان الاقتصاديون يعدون حكومة مصر أول حكومة مالية لبعدها عن الدين والاستدانه . فهل وجود رئيس حكومة مبذر واحد يدل على ان مصر لاتحسن التصرف فى ماليتها الي الأبد وهل حكومات أوروبا خلقت على هذا الرقى المالى وحافظت على محاسنه الى اليوم أما كانت انكلترا نفسها في أكبر فوضى مالية فى القرن الثامن عشر ! ؟

واذا قال قائل ان زيادة الايرادات في ميزانية الحكومة يدل بصراحة على تحسين النظام المالي نقول له مجاهرين بهذه الحقيقة ولو آلمت الكاذبين . ان زيادة الايرادات لا تذكر عند الماليين اذا كانت تصرف كلها لانه على قدر الايرادات كانت المصروفات ولكن يقال ان المالية المصرية تحسنت وانتقلت من أدوارها السيئة الى النظام الكافل للبلاد سعادتها متى زادت الايرادات عن المصروفات زيادة محسوسة يسد منها الدين شيئاً فشيئاً ! ولكن هل هذه الزيادة التي تستنزفها المصروفات العائدة الى مصادر انكليزية مع بقاء الدين على ما هو عليه يعد عملا نافعا وتحسينا ماليا ؟

ومع ذلك فأن زيادة الايرادات لا تعد من عمل الانكليز الا في أمر واحد وهو زيادة الضرائب على الاطيان والعقارات وأما بقية الزيادة فراجع الى زيادة عدد الامة الذي يستلزم زيادة التجارة والصناعة وهو مايزيد دخل ايرادات الكمارك والبوسته والتلغرافات والسكك الحديدية كما يزيد دخل المحاكم من كثرة احتكاك الناس فى معاملة بعضهم بعضا

وكذلك نمو عدد الامة يقضي بأزدياد كمية الاراضى المزرعة وهذه الكمية الزائدة تطلب مجارى ترويها مما يضاعف عمل مصلحة الري .. !!

هذه ياجناب المكاتب النظرية الطبيعية فى تحسين ماليتنا من حيث زيادة الايرادات! ولكن قل لى لماذا تزيد المصروفات اذا كان عدد الموظفين المصريين في وفر مستمر أليس لان المبانى الضخمة التى تستنزف جزأ كبيرا من المصروفات يدخل جيوب ابناء التأميز ومرتبات الرؤساء الانكليز التى بلغت اليوم ٩٢٣ الف جنيه بعد ان كانت قبيل الاحتلال ٧٢٦٠ فقط . هى التى ابتلعت الميزانية لحما وعظما . ???

أرجوك أن تبلغ العالم الايطالى مصائبنا وتذكرهم بأن الطامع لايكون مصلحا رحيما . » اه

*
* *

بعد أن نشرت الجريدة الحديث قالت ! « ان مكاتبنا متأثر للغاية من هذا الحديث وهو يقول ان « مصطفى كامل » يكاد يكون شعلة من الوطنية النضرة الطاهرة . وان أمة هو

أحد أبنائها لا بد أن يكون فيها قلوب لو اتحدت لهزت العالم ونالت ـ مهما طال الزمان ـ بغيتها »

الفلاح المصري

سألت المجلة الزراعية الايطالية المترجم ان يضع لها رسالة فى حالة الفلاح المصرى فأجابها الى سؤلها وقد نشرت ما كتبه في اول ابريل سنة ١٩٠٨ وهذا تعريبه :

« انى لم اكن من المزارعين المصريين الذين عاشروا الفلاح ووقفوا على احواله ولكنى اعرف الكثير منها بما وقفت عليه من اهلى وعشيرتي .

لا يخفى على القراء ان مصر بلاد زراعية من عهد بعيد وكانت اصناف الفول والعدس والبصل والقمح والذرة والارز واصناف كثيرة غيرها تزرع فى ارض مصر وهى لا تزال تزرع الى اليوم ولكن الصنف الذى رفع أسعار الاراضى ونقل مصر الى درجة تحسدها عليها البلدان الاخرى الزراعية هو القطن فقد جلبه محمد على باشا الى مصر كما جلب اليها دودة

الحرير وعنى بتعميم زراعة شجر التوت وقد نجح ذلك الرجل العظيم فى كل اعماله

ان مواقيت الزراعة المصرية تختلف باختلال الفصول وهى ترجع الى التاريخ المصرى القديم (التاريخ القبطى) الذى يتفق تماما مع التاريخ الشمسى وهو التاريخ الذى يبتدىء تقريبا بعد تاريخ ميلاد المسيح بنحو مائتين وثمانين سنة

ان الفلاح المصرى مجد فى غيطه نشيط فى عمله فهو لا يؤخر عمل اليوم الى الغد يعنى كثيرا بتربية المواشى والطيور المنزلية ويحافظ عليها كمحافظته على نفسه .

وليس الفلاح المصرى أقل من غيره من فلاحى العالم علما بما يجب عليه نحو ارضه ولكن الذى ينقصه وجود مرشدين رسميين يلقنونه الطرق الزراعية الحديثة حسبما قرره علماء الزراعة من أن طريقة زرع الارض تحتاج الي تغيير كلما مر الزمان لتغيير الجو ولضعف الارض وتحمل المياه التى ترد اليها وعلى الاخص متى كانت مياه انهر بما لا يوافق نماء الزرع فى بعض الاحيان

ويرجع التقصير فى هـذا العمل المهم الى الحـكومة المصرية الحاضرة لانها لم تبد أقل عناية رسمية بترقية الحالة الزراعية في البلاد . الامر الذى كان يجب أن يكون موضع عنايتها قبل كل أمر . فاذا سأل سائل عن كمية القمح أو القطن أو الذرة أوغيرها مما انتجته الارض فى عام لا يستطيع الوقوف على رقم صحيح يعول عليه . بينما نرى الحـكومات الزراعية كأمريكا مثلا لها نظارة خاصة بالزراعة وتصدر فى كل عام تقريرا مفصلا حاويا لـكل مايهم علماء الزراعة

وقد اهتمت الجرائد الوطنية هنا بهذا الامر المرة بعد المرة ولـكن الحـكومة لم تعرها أذنا صاغية . وليس هناك من سبب الا أن اكثرية الاراضى ملك للاهالى والاعتناء من قبل الحـكومة بشؤونهم الزراعية يزيد من المحاصيل مما يملأ جيب الفلاح ذهبا وهو مالا ترضاه حكومة الاسم لها والفعل للاحتلال الانكليزى الذى ألقي على العالم أكبر درس من اعمال حكومته بأزاء بلاد الهند

ومع هذا الحال الذى فيه الزراعة المصرية التى لا تزال

على حالتها الاولى من بذر وتقليب وسقى ودرس وغيرها فان
الضرايب المضروبة على الاطيان ثقيلة جدا . فمثلا اذا زرع
الفلاح قمحا وأراد بيعه في الاسواق فأنه يدفع نصف مايربحه
حتي يوصله اليها لانه ينقل كل شيء على الدواب الى السكة
الحديدية وهناك يجد التأخير الشائن والاجر الباهظ . واذا
نقله في النيل فلن يأمن عليه تأثيرات الجو لعدم صلاحية سفن
النقل وان أمن فطول الزمن الذى تستغرقه السفن يزيد فى آلامه
وربما هبطت الاسعار بعد مضى زمن طويل كهذا

انه كان يجب على الحكومة المصرية ان كانت حكومة
أهلية تبذل كل جهدها فى نجاح حال الفلاح ومساعدته وهو
منها ومن خزينتها الكل فى الكل ان تعنى بتعميم السكك
الحديدية فى كل بلد وقرية من بلاد وقرى مصر حتى توفر
على الفلاح نفقات كثيرة ينفقها بلا جدوى وكانت هى تربح
أيضاً الاموال الطائلة . وليست فائدة السكك الحديديه
مقصورة على نقل البضائع بل تنقل أيضاً المسافرين والمواشى
وغيرها من المنتجات الحيوية الاخرى ! ولكنها وهذا

ما نأسف له كثيراً حكومة أجنبية عن البلاد !

ان الفلاح المصرى يعرف كيف يستثمر أرضه بكل الوسائل وقد زاد اهتمامه باقتناء الارض والتعلق بها من يوم ان تولى سمو خديوينا المحبوب عباس باشا فانه لما رأى الاحتلال قد استولى على كل ادارة فى البلاد غصباً حول نظره الى استغلال الاراضى وقد أصبح سموه بين الفلاحين المثل الذى يضرب فى الفلاحة والنشاط وهى همة أكسبت الكثيرين من الذين كانت ثروتهم لا تذكر أرضاً واسعة تقدم اليهم ثمراً يانعاً جنياً

والفلاح المصرى لم يكن متعلما تعليما يأمن معه على حقوقه مع الآخرين من الاغتيال ولكنه بطبيعته زكى يحسب ويعامل ويبيع ويشترى كل ذلك غير مستعين فيه الا بأصابع يديه العشرة فهى آلة عده وأستاذ ميقاته . وان انسانا كهذا الانسان ما كان يليق بحكومة كحكومتنا فى أواخر القرن التاسع عشر أن لا تهتم بشؤونه وتهمله بلا علم حتى ولا القراءة والكتابة بينما نجد حياة الزارع العلمية

فى البلاد الراقية أصبحت فى هذا الاوان مما لا يستهان به

ان الكثيرين من أعيان البلاد قد أسسوا كتاتيب من زمن بعيد ولكنها فى الغالب لا تكون الا فى البلاد الاكثر عمارا من غيرها أما القرى الصغيرة والعزب الكبيرة فالنادر منها ما يجد فيه السائح كتابا

ان الفلاح المصري لم يكن متعصبا الا لثلاثة أشياء من اعتدى على أحدها فكأنه اعتدي عليه نفسه وهي امرأته وزراعته وماشيته ومن يراجع تقارير القضاء السنوية عندنا يجد أسباب جميع الجرائم الكبيرة ترجع الى واحد من هذه الثلاثة . أما ما يقال عن الفلاح المصرى المسلم من انه متعصب تعصبا دينيا فهو بهتان كبير واختلاق ممقوت لان الاقباط وهم المصريون المسيحيون يعيشون مع المسلمين فى قرية واحدة حتى تكاد تكون عيشتهم واحدة وما سمعنا مرة ان مصريا مسلما اعتدى على مصرى مسيحى بسبب مخالفته له فى الدين ولا لمجادلات دينية

ولو قال قائل انهما من جنس واحد وربما رجع أصلهما

الى دم واحد مما لا يدع للشقاق بينهما سبيلا فما قول اولئك الذين اتهمونا بالتعصب ضد الاجانب المسيحيين فى اليونانيين الذين ليسوا مصريين وهاهم يتجولون فى البلاد شرقا وغربا متجرين بالربا والخمر وهما محرمان فى الدين الاسلامى ! فلو كان هنا تعصب اما كان يوجه الى هؤلاء الذين اذا سئلوا اثنوا على معاملة المصريين لهم أحسن من معاملة بنى جنسهم انفسهم !!

واذا كان الفلاح المصرى المسلم متعصبا كما يقولون فهل هناك شك فى أن العلم اول قادر على ازالة هذا العيب من نفسه فلم لا تهتم الحكومة بنشره وتشجع الذين يؤسسون المدارس بمساعدتهم وتسن قانون تعميم التعليم الابتدائي مجانا !

ان فى استطاعة الحكومه ان تتخذ من عقول المصريين علماء ومن قلوبهم جنودا كما تأخذ من أرضهم ذهبا ولكنها لم تفعل ولن تفعل ما دامت حكومة انكليزية غاصبة !

ان الكرم العربى لا يزال بكل معانيه عند الفلاح المصرى فاينما سرت تجد الابواب مفتوحة للضيوف والموائد منصوبة والفرح عاما عند قدوم غريب مهما كان دينه أو

جنسه وسبب تأصل هذه العادة في المصريين بعد ان كانوا من الف سنة مشهورين بالبخل والحرص على المال أن الدم العربي امتزج بهم واصبحت مكارم اخلاقه سائدة فيهم .حتى أن الرجل يفديك بحياته اذا التجأت اليه أو احتميت في جاهه الى غير ذلك من الصفات العربية العالية المشهورة

أن الفلاح المصرى الذى ما كان يعرف من أحوال ادارة بلاده شيئاً فى الزمن السالف اصبح اليوم يدرك الحالة السيئة التى هو فيها ويكره الاحتلال الانكليزى بكل جوارحه والسبب فى ذلك راجع الى انتشار الجرائد الوطنية التى تفصح له كل يوم عن جرائم الانكليز بمصر حتى ان الامة بأسرها كانت تلتهب قلوب ابنائها شوقا لقراءة انباء الحرب الاخيرة بين الدولة العلية واليونان مما آلم الانكليز كثيرا ونسبوه للتعصب المزعوم !

وسبب تعلق الفلاح المصرى بالدولة العلية لم يكن تعصبا اعمى كما قال الانكليز بل هو ناشيء من احترام هذه الدولة المحترمة للحالة السياسية التى رسمتها لنفسها بأزاء مصر فى حين

أن الانكليز قد برهنوا على أنهم لم يحترموا اقسامهم ولا وعودهم . وان الذين يقولون أن الفلاح المصرى راض عن الاحتلال مخطىء كل الخطأ . نعم أن الفلاح المصرى ما كان يعنى أبداً بالمسائل السياسية ولكن أليس الاجحاف بالحقوق وعدم احترام الامم الغاصبة للامم المغصوبة يعلم هذه كيف تنقم على تلك وكيف يصبح كرهها وراثيا فى النفوس !

أن الذين يقولون أن الفلاح المصرى محب لكنز الذهب ويضربون الامثال به ويضعون لذلك ما شاؤوا من الروايات والقصص كاذبون ولم يكن قولهم صحيحا لانه كيف يمكن الجمع بين حب المال وحب اقتناء الارض !

والفلاح المصرى يسجل كل يوم فى المحاكم المختلطة ما يدل على أنه ميال لامتلاك الارض كلما توفر لديه شيء من النقود ؟ ؟ نعم انه يوجد بعض المصريين من تزيد ارباحهم من ارضهم زيادة كبيرة على نفقاتهم واثمان احتياجاتهم ولكن هذا البعض لا يعتد به !

أن الفلاح المصرى سواء كان كثير الثروة او قليلها لم

يكن عالما بطرق الاقتصاد لانه ورث حياة اليسر ورخاء المعيشة عن آبائه وأجداده . ولذلك أصبح واجب الاغنياء والحكومة معا أن ينشر بينه التعليم ليكون مقتصدا في مقتبل الايام حتى يتبقى نتيجة التزاحم الشديد الذى سيلاقيه فى غده . فأن الامة المصريه يزداد عددها زيادة محسوسة ولذلك فأنه لا بد ان يأتى يوم تصعب فيه الحياة على الكثيرين عند ما تضيق الارض بسكانها وليس لهم متكل يتكلون عليه في ثروة البلاد غير الزراعة . وكذلك أصبح من واجب الحكومة والاهالى معا أن يهتموا بنشر الصناعة حتى ترتقى التجارة ولو بمقدار حاجات سكان مصر وما جاورها من البلاد الافريقية المتأخرة . لان الامة التى تعتمد على مصدر واحد من مصادر الحياة لا بد أن تصادفها أزمات معاشية مؤلمة بالرغم من أن تاريخها لم يذكر مسئلة واحدة من هذا القبيل

وبالجملة فأن حالة الفلاح المصرى العلمية والصناعية والاقتصادية تعسة للغاية ولا يمكن اصلاحها الا بأصلاح الحكومة وتحويل دفتها الى الطريق الاهلى وذلك لا يكون

الا بجلاء الانكليز عن مصر » اهـ

*
* *

ماجاء يوم الجمعه ٨ ابريل سنة ١٨٩٨ حتى ذاع فى الملاء نبأ انتصار الجنود المصرية على الامير محمود بطل الدراويش فى السودان واكبر قوادهم وقد بعثت فى اليوم التالى (السبت ٩ منه) بتلغراف للمرحوم اعلمته فيه بالانتصار وبجودة صحتى فجاءني منه كتاب قال فيه :

« ان أملى كبير فى قرب لقائك لأقف منك على كل تفصيل وما لقيته من المتاعب فى جيش يخدم غيرنا

كتاب المسئلة الشرقية على وشك الانتهاء من الطبع وقد جاء كتابا لا اشك فى أنه سيسرك

طلبت منى المجلة الزراعية الايطالية أن أكتب اليها مقالة على احوال الفلاح المصرى فكتبتها وأرسلتها اليها منذ بضعة أيام

كل شيء سائر الى الامام ولا شيء ينقصنا غير وجودك . . . . . »

ما بعد عطبره

كتب رحمه الله مقالة فى شكل رد على اسئلة وجهتها اليه جريدة الاكلير الباريسية الشهيرة فى ١٩ ابريل سنة ١٨٩٨ هذا تعريبها :

« بعد أن جاءتنا الانباء بانتصار الجيش المصرى فى واقعة العطبرة هذه الواقعة التى كان الكثيرون من رجال الحرب يتنبأون بفشله فيها . رأينا أن ننشر رأي مصطفى كامل فيها بما لديه من المعلومات وعلى الاخص فانه من الذين قالوا عند بدء حملة دنقله أن نتيجة هذه الحملة ستكون مشؤومة على مصر من الوجهتين السياسية والاقتصادية ولان رأيه فى مثل هذه المسائل الخاصة بمصر يفيد قراء الاكلير كثيرا وقد تكرم وأرسل الينا مانصه :

« ان الفرح كان يعمنا والسرور يشملنا اذا كان وراء هذا الانتصار نصر لنا ولكن الحقيقة التى ان لم تظهر اليوم للعيان فستظهر غدا متي أتم الانكليز عملهم فى هذه الحملة

وقبضو بايديهم التى ترحمم على منابع النيل الذي فيه حيـاة مصر بأسرها

ان الجيش المصرى قـد انتصر انتصارا باهرا وهو ما يملأ قلب كل مصرى سرورا بصفته جيش البلاد وقوتها واليه ترجع عظمتها وسلطانها . ولـكن النتائج التى ستعود علينا من وراء هذا النصر واضحة مما يقوله اليوم مأجورو الانكليز ومروجو سياستهم من أن الفخر عائد الى الانكليز بصفتهم قوادا والى جنودهم الذين اشتركوا في الحملة . وسواء كانوا صادقين أو غير صادقين فمما لاشك فيه أن دماء المصريـين واموالهم قد بذلت فى سبيل فتح السودان وهو مايجعل لهم الحق الاول فى ادارته والاستيلاء على خيراته. فهل الانكليز الذين تعودنا منهم الطمع المتناهي يتركون لنا السودان متى فتحناه بدمائنا وأموالنا ووضعنا يدنا عليه برمته ؟ هذا ماأترك الجواب عليه للايام . غير اني أقرر هنا حقيقة مرة وهى أن الانكليز لا يعملون لغيرهم بل كل اعمالهم تنحصر في فائدتهم حتى ولو كان فيها قتل شعوب الارض قاطبة

انه عند ما اعلنت تجريدة السودان صرحت برأيي في هذه الحملة وقات ان الانكليز لا يريدون بها الا فتح باب من اثنين أما القضاء على الجيش ليجددوا جيشا غيره وهو مايدعو لاطالة أمد الاحتلال واما فتح السودان وهو مايدعو الى اطالة أمد الاحتلال ايضا بحجة استتباب الأمن فيه زمنا طويلا. فضلا عن ان بلاد السودان نائية واسعة وليس فى وسع الجيش أن يستولى عليها فى زمن قصير بل لايشك الكثيرون فى أنه فى حاجة الى عشرات من السنين ليصل الى هذه الغاية

مضى على الجيش المصرى ثمانية أشهر وهو يستعد لهذه الواقعة بعد واقعة أبي حمد وقد لقي أشد الصعوبات فى هزم جنود الامير محمود الذى هو اكبر قائد يذكره التاريخ بين جنود السودانيين .

فى حرارة السودان المحرقة نقلت العساكر المصرية كل حاجات الجيوش وشيدت الحصون ثم انتهي الامر بانتصارها فهل بعد هذا يقال ان المصري غير كفء لان يكون انسانا ككل انسان يدير حركة بلاده بنفسه ? وهل

الانكليز الذين فى الجيش المصري هم الذين نقلوا وأقاموا ؟ وهل الكمية القليلة من جنود الانكليز التى كانت تسير فى ظل الجنود المصرية والتى مالقيت شيئا من متاعب الجيوش هى التى سببت هذا النصر الكبير ؟ ؟

لابد أن الجرائد الانكليزية ستزيدهم فخرا وترفع من قدرهم بينما تحط من قدرنا أولا تذكرنا فقد عودتنا هذه الحملة كلما لاحت لها بارقة من أعمال الانكليز فى مصر!

ان السودان كما لايخفى على القراء قطعة من مصر وقد سلخ منها بلا حق شرعي لان الحكومة الخديوية المصرية ليس لها أدني حق فى التنازل عن أى شبر من أرضها أو من أملاكها للغير . فالسودان على هذا الاعتبار باق ملكا لمصر وليس للانكليز حق فى الادعاء بأنه ملك جديد انضم الينا فاذا فتحته اليوم العساكر المصرية فقد أعادت اليه السلطة الخديوية التى اعتدى الدراويش عليها عشرين سنة تقريبا . واذا كانت الجنود الانكليزية اشتركت معنا فى فتحه فاننا ما كنا فى حاجة اليها وقد كان جيشنا بل وأقل منه كافيا لبلوغ

هذه النتيجة

انه كما يقول رجال الجندية هنا ليس أمام الجيش الا عاصمة السودان التى بفتحها يعود لمصر ما كان لها . وانى لا اظن ان ذلك يكون بعيد المنال بل انه قريب لان الضربات الكثيرة التى توالت على رؤوس السودانيين لابد أن تكون قد ارعبتهم وهزت قلوبهم أمام قوة مصر وسواعد ابنائها

وقد تحققنا اليوم أنه أصبح من مصلحة انكلترا أن لا تترك ضابطا انكليزيا في السودان بعد فتحه لان الامة السودانية شديدة التعصب فقد بلغ من نفس ابنائها حب الدين مبلغا كبيرا . والضباط المصريون ورجال الادارة المصرية قادرون على ادارته أحسن ادارة ونشر الوية الامن فى ربوعه باسم جلالة السلطان وسمو الخديو والا لو دفعت المطامع انكلترا الى دعوتها القديمة من وجوب مراقبة نشر الامن فى السودان خوفا على مصر فاننا نخاف على مصر اكثر منها ومصر لا تخاف، الا بقاء الاحتلال فيها . . . ! !

ان الانكليز هم الدين أثاروا ثائرة السودانيين فى الاول

مما هو معلوم مشهور وذهبت ضحية سياآتهم الآلاف المؤلفة من نفوس المصريين وهاهم اليوم يستردونه ثانيا بدماء وأموال المصريين فليس لهم حق في احتلاله بل يجب عليهم أن يرحلوا عنه وعن مصر اذا كانوا من أهل الشرف الذين يردون الامانات الى اهلها

نعم ان الانكليز قد عرفوا كيف يشغلون أوروبا عن مسئلة مصر بهذا السودان الذي سيكون حجتهم البالغة كلما قامت زوبعة سياسية حول مصر فباسمه يهددون مصر فى مصلحتها ومصلحة الاجانب ويرجعون على أنفسهم بالمسؤولية في وجوب المحافظة على هاتين المصلحتين

وانه اذا كانت هناك مسؤولية عن ترك انكلترا تعمل كما تشاء فى وادى النيل فهي لا ريب عائدة على أوروبا التى كان في يدها مناقشتها الحساب على المواعيد الرسمية التى حددتها للجلاء ولكنها وقد تركتها ستلاقى المتاعب الجمة فى وقوفها عند حدها . واني أرى ان الفرصة أصبحت ضائعة امام هذا السودان الذى أوجد لانكلترا حججا قوية عملية !

ان السياسة الفرنسية كانت فى الازمان السالفة سياسة حزم وعمل ولكنا نراها اليوم سياسة تردد وتسويف وهذه السياسة العقيمة أضاعت الكثير من نفوذها في الشرق ولعل البقية الباقية في مصر تعيد ولو شيئاً من تلك الذكرى التى لا ننساها

وفى الختام فاني لا أزال متمسكا برأيي من ان التجريدة الحاضرة وبال على مصر احتلالا ودما ومالا ... !

مصر والاحتلال

كتبت جريدة الليبرتيه الفرنسية الشهيرة فصلا تحت هذا العنوان قالت فيه :

« ان المصريين ناكرون الجميل ! لان الاحتلال الانكليزى دخل بلادهم بعد ان وقعت في افلاس مالى وعمت الثورة نواحيها وخيم الجهل على ربوعها وأصبح عرش الخديوية مهددا وكل أوروبى كان اذا سار فى أى طريق

لا يأمن على نفسه فما مر عام أو عامان حتى بدل هذا الاحتلال الاوروبي الرحيم العسر المالي يسرا والخلل أمانا والجهل علما وأعاد الى عرش الخديوية هيبتها وصولتها واصبح كل أوروبى آمنا على نفسه وماله وتجارته . . . . . .

واسترسلت هذه الجريدة فى هذه الكلمات التى رفعت بها الاحتلال الى أعلى عليين وخفضت فيها المصريين الى أسفل سافلين .. »

وما قرأ المترجم هذه المقالة حتى تناول القلم وكتب لها تحت ذلك العنوان ما تعريبه !

« جناب المدير ....

قرأت فى جريدتكم مقالة لرجل مجهول الاسم ولا أظنه الا من الانكليز الذين لا غرض لهم الا ابتلاع بلادنا أو من صنائعهم المأجورين قال ذلك الكاتب ان الاحتلال دخل البلاد وهي على أبواب الافلاس فأخذ بيدها ورفعها من اليسر مكانة علياء فليقل لنا ان كان من للصادقين ! اين هذا اليسر وديون الامة اصبحت اربعة امثال ما كانت قبل الاحتلال

وديون الحكومة لا تزال كما هي والضرائب زادت وكل شيء أصبح في البلاد غاليا ؟

أيقصد بهذا اليسر خلق الوظائف لرجال الانكليز بالمرتبات الباهظة ؟ أيقصد التصرف فى أموال الحكومة بلا مراقبة ؟ أيقصد تصرف كل انكليزى رأس مصلحة فى ما ربط لمصلحته من المال بلا معارض واذا سئل عن مبلغ مهما كان قدره كان جوابه كيف أسأل وانا ربكم الاعلى ؟ أم يقصد بهذا اليسر انتقال هيئة الحكومة من القرن التاسع عشر الى القرن الاول بينما نجد كل ما فيها انكليزيا ؟ انه ان كان يقصد ذلك كله فله الحق أن يكتب المجلدات الضخمة ومن مقالات الاطناب ما شاء فان الانكليز ما احتلوا مصر الا وقد احتلها الشقاء وما دخلوا مصالحها الا وقد دخلها الطمع ولن يبقي الطمع مما كان وما سيكون شيئاً !!

الم تكن الثورة التى ذكرها دسيسة من دسائس انكلترا ؟ ألم ترسم الحكومة الانكليزية هذه الخطة المحزنة من قرن مضى ؟ ألم تعتد على مصر مرة قبل هذه المرة وقد

طردتها جنود مصر ؟ ألم تثر دراويش السودان بدسائسها وضعف عزيمة بعد الذين استغوتهم لبلوغ مآربها ؟ ألم تكن هي الدولة التي كذبت على العالم بأسره فكيف لا تكون الحافرة لهذه المكيدة بيدها الاثيمة ؟ ألم تكن هي الدولة التي اشتهرت بأثارة حرب الدهاء كلما بدرت لها بادرة أمل أو طمع ؟ ألم تكن هي التي احتلت مصر لاشهر فقضت فيها سنين ؟ ألم تكن هى الدولة التي تسلب باسم الانسانية والمدنية ؟ ألم تكن هي الدولة التي تركتنا نعمل لتجنى ثمر مجهوداتنا ؟ ألم تكن هي الدولة التي خانت نابليون. ألم تكن هى الدولة التي لقبها التاريخ بالغادرة ؟ ألم تكن هي الدولة التي تقتل أمة بأسرها لتصل الى بغيتها بين ربوعها ؟ فكيف يقول مراسلكم انها نشرت الامن بعد الثورة وكانت رسول سلام لا شيطان خصام ؟ ان الذى يريد أن يزف الى انكلترا الثناء العاطر والشكر الجزيل يلام لوما شديد اذا كذب على الحقيقة والتاريخ وجعلهما من حقها في مصر . فانها فى مصر غاصبة خادعة أثارت ثائرة الجهلاء والخائنين لتستفيد شأنها فى كل أمر !

وانى لفى غاية الدهش من جريدة فرنسية قرأ محرروها التاريخ وهم مع ذلك يقبلون نشر مثل هذه المفتريات ويقدمون لقرائهم نظريات غير معقولة وعلى الاخص قول هذا الكاتب ان الانكليز دخلوا مصر فى وقت كان فيه الجهل مخيما على عقول أبنائها ! أنسيتم أن محمد على الكبير لصداقته للويس فيليب مكن عقدة الارتباط بين مصر وفرنسا وجلب الى وطننا العزيز من علمائكم فى كل علم وفن من شهد لهم التاريخ بطول الباع وسعة الاطلاع فوضعوا للعلوم الحديثة أمتن الاساس وللصنائع والفنون المصانع العديدة واخرجت مصر فى ايامهم من ابنائها من اذا ذكروا اليوم اهتز الفخار لذكراهم ورددت ارجاء مصر الثناء على فضلهم وجليل أعمالهم ؟ ؟

أنسيتم مدرسة الطب ومؤسسها فرنسى ومدرسة الحربية ومؤسسها فرنسى ومدرسة الحقوق ومؤسسها فرنسى وغيرها من المدارس العالية والثانوية والابتدائية ؟ أنسيتم أن الاحتلال دخل مصر وفيها نحو سبعة آلاف تلميذ يتعلمون مجانا أو بأجور قليلة جدا فأصبح اليوم فيها بعد ستة عشر

عاما ثمانية آلاف تلميذ يتعلمون جميعا بمصاريف ثقيلة يدفعها آباؤهم وبذلك حرم الكثيرون من أبناء الفقراء من العلم ؟ أنسيتم الارساليات التى كانت تذهب فى كل عام من مصر الى بلادكم بعد أن يؤدى أفرادها الامتحانات النهائية فيقضون أعواما بينكم يردون فيها موارد العلم حتى اذا ما ثقفوا عقولهم وهذبوا نفوسهم عادوا الينا علماء ليفيدوا بعد ان استفادوا ؟ ألم يكن رجال الحكومة الذين يقومون الآن بكل الاعمال المنسوبة للانكليز من أولئك الذين رضعوا لبان العلم فى فرنسا ونالوا أكبر الشهادات الناطقة بفضلهم منها ؟ ألم تكن طرق الرى فى مصر التى يتباهى بها الانكليز اليوم من غرس ارشادات كبار المهندسين الفرنسيين. والتى سار على منهجهم فيها المهندسون الوطنيون ؟ ألم يكن عدد الاساتذة الفرنسيين الذين كانوا فى مدارس الحكومة عند ما دخل الانكليز بلادنا نحو ٤٢ أستاذا فأصبحوا اليوم ستة بينما صار عدد الانكليز فيها ٢٨ معلما ؟ وعلاوة على ذلك لو فحصتم شهادات الفرنسيين الذين كانوا يوظفون فى مدارسنا كمعلمين وشهادات

هؤلاء الانكليز لوجدتم فرقا هائلا ! ففرنسا ما كانت ترسل لمصر الا كل رجل يشرف سمعتها ويخدم البلاد خدمة نافعة ولكن انكلترا غير ذلك على خط مستقيم . وسببه أن فرنسا كانت تعمل بنية خالصة غير طامعة فى مصر . أما انكلترا فمن مصلحتها أن يعيش المصريون كما خلقوا لا يعرفون من العلم شيئاً حتي تستنزف أموالهم بلا معارضة ولا ممانعة

وبالجملة فانى لو أردت أن أفصح لكم عما وصلت اليه حالة التعليم بعد ما أفصحت في كتاباتي وخطاباتي لاحتجت الى صحف كثيرة دون أن أوفي الموضوع حقه لان الحقيقة فيه ساطعة سطوع الشمس فى رائعة النهار وكل من خالفها كان عدوا للحق أو مأجورا في خدمة الانكليز !

أما العرش الخديوى الذى ادعى الكاتب أن الانكليز وطدوه بعد أن كانت تعبث به أيدى الثائرين فهو قول باطل مردود وفيه الحقيقة معكوسة. فبجانب الاحتلال تكاد تكون سلطة الخديو اليوم خيالا . فالخديوية المصرية التى هي سلطة شرعية معترف بها من جميع الدول والتى هي تابعة مباشرة

لسلطة جلالة السلطان أصبحت فى مصر اسما بلا روح فالاوامر العالية يجبر سمو الخديوى على اصدارها بموافقة وزارته التى أغلب أفرادها من صنائع الاحتلال والتى أقامها الاحتلال نفسه ولعلكم تذكرون ما كان من معارضة اللورد كرومر وحكومة اللورد روزبرى عند ما أراد سمو الخديو تعيين وزارة توافق مشربه مما ترتب عليه تهديده بجميع الوسائل وتم لانكلترا ما أرادت !

أنه لو كان الانكليز كما يقول عميدهم في مصر يقصدون بسلب سلطة الخديو أن تتمتع بها الامة لخولوها حق مراقبة اعمال حكومتها . ولكن الحال على العكس من ذلك فمجلس الشوري الذى وضع أساسه اللورد دوفرين لم يكن فيه رائحة السلطة الدستورية ولم تجبه الحكومة الي طلب واحد من طلباته العديدة التى برهن بقوة على صحتها مدة وجود الاحتلال

أن الاحتلال سلب سلطة الخديو لتكون سلطته فهو فى مصر عدو الامة عدو الخديوية عدو رقى المصريين طامع فى كل شىء حتى أنه لو استطاع أن يطرد جميع الاوروبيين ليستأثر

بكل شيء لفعل بلا تردد . ولذلك يسعى اللورد كرومر بكل ما في وسعه ليقلب نظام المحاكم المختلطة حتى لا يكون في مصر أثر دولي بعد ان ذهبت المراقبة الثنائية بذهاب المراقب الفرنسي وبعد أن ذهبت الدائرة السنية وبعد أن ذهب نفوذكم من المصالح . وأني اعتقد ان الانكليز أمام سلامة نيتكم وغيركم من ذوي المصالح في بلادنا سيعملون ضدكم في كل شيء !

واما الاوروبيون القاطنون في مصر فأنهم قبل الاحتلال كانوا اسعد حالا منهم اليوم . فقد كانوا على الاقل يعاملون امة بغير مزاحم لهم . ولكنهم والانكليزي قد أصبح قابضاً على كل مصادر الثروة في البلاد تعس حالهم حتى أن الكثير منهم أصبحوا يجدون الاقامة في مصر مما لا يطاق

نعم أن الاوروبيين الذين كانوا في مصر زمن الثروة خافوا على أنفسهم كثيرا فتركوا البلاد راحلين واهلهم الى بلادهم ولكن هذا لا يدل على أنهم كانوا غير آمنين على ارواحهم واموالهم قبل الاحتلال ! لانه في اي بلد قامت او

تقوم فيه ثورة يكون الحال كذلك من الخوف لعدم وجود النظام الشامل للأمن العام

ان في فرنسا الكثيرين من أبنائها الذين عاشوا في مصر قبل الاحتلال والذين يكذبون قول كاتب تلك المقالة التي كلها افتراء وما على جريدة الليبرتيه الا ان تتحر الحقيقة منهم لتدرك اننا مع الانكليز بائسون وان حالتنا يرثى اليها !

الم يكفنا ما نحن فيه من ذل وهوان منتظرين ساعة الخلاص معتمدين على انفسنا ونصراء الحق حتى نقرأ ماقرأنا من اتهام شائن وقول عقيم

أن الامة المصرية من ارقى امم الارض اخلاقا ان لم تكن ارقاها لا تعتدى بغير حق ولا تسلب متاعا النزيل ولا ترتكب اثما حبا في الآثام ولا تشوه صحف تاريخها البيضاء بسيآت المتمدينين بل ولا تكذب على العالم كما كذبت انكلترا

ان الرجل الذى يماطل في المعاملة لا يعامل فما بالكم تثقون بانكلترا وقد ماطلت كثيرا وكذبت طويلا وها هو تاريخها يعيد نفسه . وتتهمون امة لم يكن ذنبها الا انها شرقية

إسلامية بهذه التهم التى هى بريئة منها

اننا لم نكن ناكرين الجميل ولكن الحق هو الذي يملى علينا ما نقوله فأن كانت انكلترا تريد ان تحسن الينا وتنال اعترافنا بالجميل فلتترك بلادنا فأن في تركها اياها سعادتنا وفى بقائها شقاءنا ولا يقبل الشقاء الا اهل الشقاء ومن يسكت عليه أو يطنبه كان خائنا كبيرا ... » اه

خطاب من صحافى

جاء للمرحوم كتاب من المسيو ريزنر المجرى الشهير مدير جريدة البسترلويد قال له فيه :

« أنى من مدة ما كتبت اليك لكثرة أشغالى ولوقوفى على انبائك وعملك اولا فاولا . فأرجو منك الصفح عنى . وأن تتفضل بشرح هذه المسائل السبع التى أنا فى حاجة الى معرفتها وهي :

أولا — عدد المدارس التى زادتها الحكومة المصرية فى مدة الاحتلال

ثانيا — عدد رجال الارسالية المصرية الاوروبية فى كل عام

ثالثا — عدد الموظفين الاوروبيين فى الحكومة المصرية قبل الاحتلال واليوم

رابعا — ماهي ثروة البلاد الحقيقية وكم تبلغ ديون الاهالى

خامسا — ماهي حالة الصناعه الاهلية

سادسا — ماهى قوة التجارة الوطنية

سابعا — كيف كان استعداد الامة المصرية امام الدستور البرلماني الذى منحته فى سنة ١٨٨١

هذا وأملى أن أراك فى صيف هذا العام ببودابست فانى في شوق عظيم اليك

وفي الختام أرجوك أن تتكرم بقبول فائق احترام المخلص ه. ريزنر »

بودابست في ٧ ابريل سنة ١٨٩٨

*
* *

فاجابه المترجم بما تعريبه :

القاهره فى ١٧ ابريل سنة ١٨٩٨

« صديقي الحميم مدير ....

تلقيت بيد السرور والارتياح كتابك الكريم وقد سررت جدا للاسئلة التى تفضلت واخترتنى للأجابة عليها :

اولا — ان حكومة الاحتلال لم تزد مدرسة واحدة على المدارس التى كانت قبل عام ١٨٨٢ فأنه كان فى مصر مدارس للحكومة وأخرى لاوقاف المسلمين فأصبحت اليوم كلها تحت كنف الحكومة . وانك ربما تدهش عند ما أقول لك أن الاحتلال الغى مدارس كانت قبله فى مصر زاهية زاهرة فقد الغى مدرسة الطب البيطرى ومدرسة الزراعة ومدرسة الآثار المصرية ومدرسة الخرس والعمي ولا يبعد أن يلغى غدا مدرسة الطب والمهندسخانه بحجة وجود أطباء كثيرين من اليونانيين والارمن والسوريين وغيرهم أو بحجة أن جو مصر معتدل جميل لايحتاج الى صناعة الطب

انى اذكر من بين المعاهدات العلمية هذين المعهدين لانهما من آثار السلف الصالح سواء كان وطنيا أوفرنسيا

ولان على أبوابهما كتبت آيات الفخار العلمى من زمن بعيد!
انى أذكرهما والدمع يجول فى عيني فبعد ان كانت غرف
التدريس فيهما مليئة بابناء البلاد اصبحتا محط رحال عشرة
او عشرين لشدة مضايقة رجال الانكليز لطلابهما وللاوامر
التى لاتطاق والنظام الذى هو جدير بابناء الكتاتيب

ثانيا — انه يكاد يجمد المداد عند محاولتى شرح حالة
الارسالية المصرية تلك الارسالية التى كانت زهرة مصر
وعنوان ذكاء أبنائها ومحط آمالها وواسطة التعارف بيننا وبين
العلم العصرى والتى كانت تذكر في مقدمة ارساليات العالم
الراقى والحكومات الاهلية البارة بأبنائها

كان فى مصر ارسالية لاتقل عن ٤٠ طالبا سنويا يرجع
تاريخها الى محمد على الكبير مؤسس البيت الخديوى واستمرت
من راق الى أرقى حتى نهاية حكم اسماعيل وأوائل حكم توفيق
حتى دخل الاحتلال الانكليزى مصر وحاول المرة بعد المرة
أن يلغيها فلم يستطع لان المراقبة كانت عليه شديدة من جميع
الممالك ولكن المستشار الانكليزى المالى الغاها فى سنة ١٨٩٥

بحجة ان الحكومة لا تريد من مدارسها الا موظفين والتعليم فى مصر كاف لحاجة هؤلاء الموظفين من العلم ومن أراد أن يتفقه فيه فليبذل فى سبيله من ماله .

هذه هي الارسالية وهذا تاريخها الذى انتهى بأن لا مصرى يتعلم اليوم في أوروبا على نفقة حكومته أو بعبارة أخرى على نفقة أمته !

ثالثا — ان عدد الموظفين الاوروبيين قد كان قبل الاحتلال لا يذكر بجانب عدده اليوم فقد كان على ماعلمت من الواقفين على هذه المسائل مائة وسبعة وثمانين موظفا منهم ثلاثة وثمانون فرنسيا وأربعة وخمسون ايطاليا وثلاثة عشر انكليزيا والباقون من أجناس مختلفة ولكنهم اليوم ٩٧٣ أوروبيا منهم ٨٩٣ انكليزيا اما مرتباتهم فقد كانت قبل الاحتلال نحو ٨٠٠٠ جنيه فأصبحت اليوم نحو ٩٠٠٠٠ جنيه

رابعا — ان البلاد غنية جدا ومايصلح من أرضها للزراعة يقدر بنحو ٣٢٠٠٠٠٠ هكتار مربع (أى ٧٦٠٠٠٠٠ فدان تقريبا) المزروع منه الان نحو مليونى هكتار مربع تقدر قيمتها

بنصف مليار من الجنيهات الانكليزية وكذلك العقارات فأنها تقدر بخمسين مليون من الجنيهات

أماديون الاهالى فأنها تبلغ ٢٥ مليون جنيه .

ولمناسبة ذكر هذه الديون أؤكد لك ان ديون الاهالى ما كانت تتجاوز سبعة ملايين من الجنيهات عند احتلال الانكليز مصر وسبب زيادة هذه الديون راجع الى المضاربات التى روجت انكلترا سوقها بمصر ونشر الاخلاق الفاسدة فى البلاد من أمراض المدنية الاوروبية !!

خامسا ـ . ان الصناعة الاهلية كادت تكون معدومة بعد أن كانت سوقها رائجة فأنه عند ما ارتقي محمد على عرش مصر أخذ يحيي ميت الصناعة فأنشأ الورش والمعامل وجاء فى عصره يوم على مصر صنعت فيه الجوخ والصوف والكتان وخيوط الغزل والسكر والصابون وغيرها ... وكان جيش الصناع كبيرا للغاية . ولكن الانكليز يرون اليوم ان من مصلحتهم قتل كل صناعة فى داخل البلاد يكون فى وجودها مزاحمة للصناعة الانكليزية فهم مثلا لا يشجعون بيننا صناعة

الغزل ولا الصناعة الجلدية ولا غيرها لانها ان شجعت نافست
صناعتها وبالجملة فان حياة انكلترا فى مصر تقوم باعدامنا
وحياتنا كذلك لا تقوم الا باعدامها والحكم العدل بيننا وبينها
جلاؤها عن ديارنا

سادسا — ان التجارة الوطنية لا تقوم قائمتها ولا يتسع
نطاقها الا اذا كانت المصانع الاهلية فى رواج . ولما كانت
الصناعة المصرية اليوم أشد بؤسا من شقاء مصر امام
الاحتلال فكذلك التجارة الوطنية لا تذكر بجانب هذا
الاعدام

اما اذا كان غرضك مما سألت حالة التجار الوطنيين
فأنى ابشرك بأنهم أخذوا ينافسون التجار الاجانب بكل
الوسائل وأن الوطنيين قد أدركوا ضرورة معاملة اخوانهم
الوطنيين حتى يتسع نطاق محالهم التجارية مما يؤهلهم لانشاء
مصانع كبيرة داخل البلاد وكل آت قريب

سابعا — عند ما منحت الامة المصرية مجلس النواب
فى شهر نوفمبر سنة ١٨٨١ كانت غير مستعدة استعدادها الحاضر

ولكنها كانت مدركة بما كان لديها من كبار الرجال الوطنيين مركزها ولولا خطأ رجال العسكرية الشائن لكانت مصر اليوم فى بحبوحة من الرفاهية والسعادة وكان أهلها احرارا وضيوفها مكرومين ! وانى اؤكد لك أن الامة المصرية اليوم ارقى من الصرب ورومانيا والجبل الاسود ولا ينقصها الا حكومة اهلية تسير معها كتفا بكتف فى طريق الرقى والفلاح

هذه هى أجوبتى على اسئلتك ولو كان عندى متسع من الوقت لافضت فى الشرح ولكنى أسألك العذر فانى أباشر طبع كتاب وضعته في المسئلة الشرقية واملى ان ينتهي بعد اسبوع

وفى الختام ارجو منك ان تتفضل بقبول اجل احترام واسمى اعتبار المخلص

مصطفى كامل »

وقد نشرت هذه الجريدة الكبيرة رد المرحوم بعد ان كتبت من عندياتها ماتعريبه « اننا قدمنا للقراء فى العام الفائت شيئا مما كتبه الينا الوطنى المصرى « مصطفى كامل »

وقد راينا بمناسبة المناقشات الحاضرة ان نسأله رأيه فى عدة مسائل تنحصر فى الحالة العلمية الاقتصادية النيابية فى مصر فتفضل علينا بالرد الذى ننشره هنا بكل سرور مثنين على همة هذا الوطنى العظيم واننا نستميح قراءنا الاذن في ان نفرد لكل موضوع من هذه المواضيع التى كشف مصطفى كامل عن حقيقتها الغطاء فصلا خاصا خدمة لامة رفعها التاريخ وخفضتها حكومة جلالة الملكة بمراوغة رجالها واخلافهم عهود الشرف والتاج »

*
* *

كتب الي رحمه الله خطابا في ٢٣ ابريل سنة ١٨٩٨ قال فيه :

« أخى الاعز حرسه الله

بعد التحية والتسليم والاعراب عن شوق عظيم. أبشرك بأن كتاب المسئلة الشرقية قد انتهى طبعه اليوم وسيوزع على المشتركين فيه غدا وأملى ان يكون الاقبال عليه عظيما كمجموعة أعمالى في عام لانه جاء والحمد لله وافيا بالغرض

وانى لا أخفى عليك أنى ما كنت أظن مع ضعف صحتى عند البدء بالعمل فيه أن أصل الى هذه النتيجة من وضعه وحسن صنحتى التى ستسرك

واني كنت أود أن أرسل اليك أول نسخة تصدر ولكنى آمل أن تحضر قريبا كما وعدت لتقرأه فى مصر

ان الدسائس بين مصر والاستانة كثيرة والانكليز يعملون ليل نهار ليقطعوا صلة الود التى بين الخديو والسلطان ولكنهم لا يفلحون

انه يسرني كثيرا اطلاع اخواننا الضباط على كتاب المسئلة الشرقية ليعرفوا كيف يستفيد الانكليز من الحوادث التى تروج فى الغالب اطماعهم بين الامم الطاهرة المستقيمة المخاصة

متى قمت الى مصر ارسل تلغرافا بعنوان خالنا العزيز فأنى سأقصده لاقضى عنده فى ذلك الجو الزراعى الجميل اياما استريح فيها من عناء العمل حتى اعود الى مصر للقائك .

ادامك الله لاخيك المخلص   مصطفى كامل »

*
* * *

ثم ظهر كتاب المسئلة الشرقية وهو الكتاب الذى كان ينقص كل مشتغل بالمسائل السياسية فلا عجب اذا قلنا ان الجرائد قد تلقته اذ ذاك كما تتلقى أعز كتاب طبع في هذا العهد . وقد تفضل كاتب مجيد فبعث الينا بهذه الكلمة عن هذا الكتاب الكريم . قال ذلك الفاضل تحت العنوان الآتى ما نصه :

المسألة الشرقية

﴿ كلمة عن هذا الكتاب ﴾

« لو كان كل من يكتب كلمة عن كتاب يتوخى تصوير ما يكتب عنه تصويرا متقنا . أو لو كان كل من يريد أن يصف شيئاً يتحرى أن يعطى فى وصفه شكل الموصوف . أو لو كان كل من يشاء أن يرسم خيالا لحقيقة ماثلة يجد فى أن يقرب الخيال من الحقيقة قربا ما — اذاً لألقيت القلم من بين يدي ولم أتصد لكتابة كلمة واحدة عن ذلك الكتاب الذى سطعت بسطوعه أشعة التاريخ الصحيح لأنى أضعف من ان

أصور ببضعة أسطر أو أصف ببعض فقرات أو أمثل ببعض شذرات تلك الحقيقة الناصعة التي بهرت ألباب الناظرين . وانما أنا أتوخى أن أعرف هذا الكتاب الى غير عارفيه بما أحسب انه كاف في التعريف ولهم بعد أن يدرسوه أن يعذروني في القصور فما كل مطلوب ينال

كتاب المسألة الشرقية خير كتاب فى التاريخ السياسى أخرج للناس بهذا اللسان المبين فقد جمع أشتات حقائق كانت مبعثرة في المظان السياسية والمراجع الرسمية . وكان نعم الكفيل لقارئه بأن يسمعه من صميم فؤاد كل دولة من دول الغرب صوتا يعبر عن مطامعها وميولها أصح تعبير

كان الشرقى قبل نحو عشر سنين غير واع لما مثل على مرسح السياسة فى العالمين من الفصول المدهشة الغربية آخذا من الامور بظواهرها فيما يتعلق بهذا الشأن معطيا أجمل صبر على ترك الحوادث تجرى فى أعنتها بلا روية ولا امعان غير عارف كيف افضت حلقات المطامع السياسية الكبيرة الآتية من قبل الغرب بعضها الى بعض حتى تألفت منها سلسلة

كبيرة وجدت الحلقة الاولى منها يوم أحست دولة آل عثمان المباركة المخائل المرجوة الشباب بوجودها السياسى في العالم فلما وضع هذا السفر الجديد وان شئت قلت لما فك الرصد عن هذا الكنز الثمين بانت حقائق كانت فى غموض واستتار وشف العيان عما اختبأ وراء الستار

كان الشرقى اذا قيل له ان ثمة مسألة شرقية لا يعلم أية مسألة يكلم فيها . والنجيب النجيب من كان يلم الماما بطرف من هذه المسألة ولكن لما وضع هذا الكتاب عرف القراء به أن المسألة الشرقية مسألة الدولة العاية منذ مئين من السنين وكفى بهذا اللفظ الموجز في الدلالة على أهمية مسألة هى مسألة المسائل عند الشرقيين

وطئت أقدام الاتراك المساميح الامجدين ثري أوروبا وظهر فيهم جلال الاسلام ومجد الخلافة الاسلامية وفتحوا الاقطار ودوخوا الامصار وأنالهم الله أكتاف الاقوياء ومنذ ذلك العهد أخذت تلك الامم الحاسدة والمقهورة تعادى الدولة العلية المحروسة وتحاول أن تمحو وجودها السياسى شفاء

لغليلها فكانت أوروبا كما قال جلالة السلطان عبد الحميد خان الثاني تحاربنا حربا صليبية فى شكل سياسى وكم لهم من تدابير وتقادير لم يصح منها شيء وباءوا بالخذلان المبين

لقد رضينا الدولة العلية المحروسة زعيمتنا الدينية والسياسية فمن العدل أن نعرف كل ما يتعلق بها لا سيما فى القرنين الاخيرين اللذين اشتدت فيهما مكايد الاعداء على غير طائل لنكون ملمين بكل شيء ذى علاقة تاريخية بذلك الملك المحروس بعناية الله وبقلوب المسلمين فى العالمين

كتاب المسألة الشرقية حجة أقامها التاريخ على تعصب الغرب على الشرق وبرهان أنطقته الحوادث المتتالية على عدوان أولئك الذين يحبون أن يلقبوا بالمتمدينين وما مدنيتهم الا مين وعداء للانسانية في مظاهر شتى . وكتاب هذا شأنه جدير أن يدرس بالامعان والتدبير حتى نكون أعلم الناس بتاريخنا ونكون شهود عدل على صدق شهادة التاريخ

كتاب المسألة الشرقية كتاب وضع والشرق اليه فى شديد الافتقار . فانا الآن فى عصر تكتنفنا فيه مطامع الدول

من كل صوب فاذا كنا على علم تام بما كان منها فى الماضى استخلصنا من تلك الغير ماينفعنا من العبر فى المستقبل

كتاب المسألة الشرقية صوت محام عن الشرق عاهد النفس أن لا ينطق الا بالحق فلو كان فى هذا الوجود محكمة انصاف لاصدرت الحكم بأن الغرب متعصب والشرق هادىء غير متعصب ولو كان الشرقيون عامة والمسلمون خاصة متعصبين كما يتخرص خدمة الاهواء وعباد الاغراض ماأذنت تركيا وهي في عنفوان صباها الاول وأوج مجدها السياسى العظيم أن يبقى في الشرق اذ ذاك أمة من الامم التى تناوئها العداء اليوم نهارا جهارا

فالذين يدرسون هذا الكتاب يطوون آخر صفحة من صفحاته وقد انطوت فى صدورهم مجموعة تاريخية سياسية لأهم حوادث العالم فى السنين الاخيرة تلك الحوادث التى لها علاقة بالدولة العلية خاصة وبالشرق والشرقيين عامة

ذلك هو الكتاب الذى ينصف ذوى الحقوق ويشهد على ذوى العدوان بعدوانهم المبين . ذلك هو الكتاب الذى

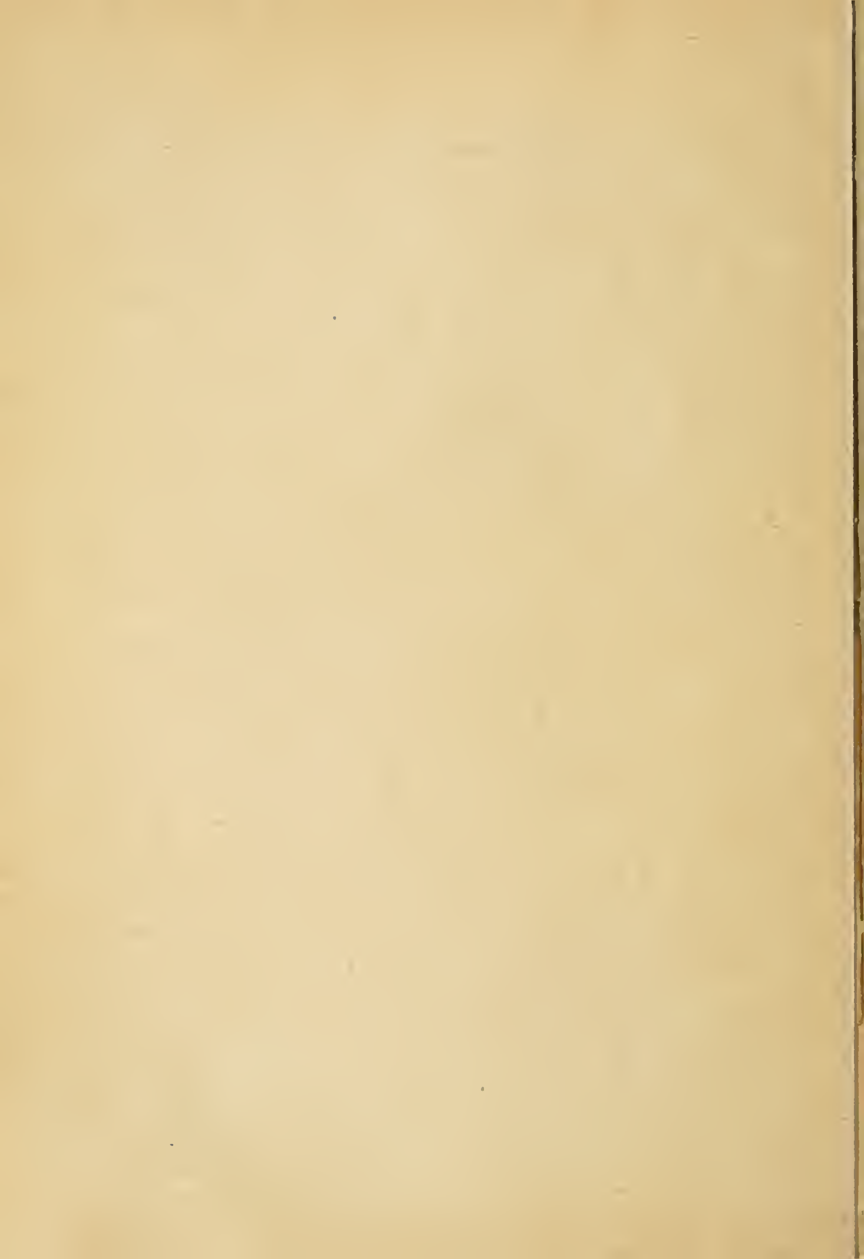
تضمنت كل صفحة من صفحاته قطعة من تاريخ الدول ذوات الشأن . ذلك هو الكتاب الذى اشتمل على كل فصل من الفصول السياسية المخزية المحزنة التي مثلت فى العالم في هذا العهد الاخير تمثيلا مخجلا »

* * *

وقد كان لصدوره فى يوم السبت ٢٣ ابريل من ذلك العام صدى ودوى فى الاندية الاهلية والمجامع الوطنية والمراجع السياسية فأقبل الوطنيون متنافسين فى اقتنائه ودرايته لا لانه الكتاب العربي الوحيد الذى صور كل دولة وما عملت تصويراً تاماولا لانه كنز تاريخي بقي مخبوءاً عن عشاقه سنين طوالا ولا لانه ذو شأن كبير ولكن لانه صوت محام قوى الحجة صادق اللهجة من محامي الشرق الذين اذا ترافعوا فى قضية كسبوها بالدليل والبرهان لا بالجعجعة وشقشقة اللسان

وأذكر فى هذا المقام أنه قد طلب الينا اكثر من مرة أن نعيد طبع هذا الكتاب والطالبون ألوف من الاذكياء الفضلاء فكانت العوائق تعوق المؤلف تغمده الله برحمته عن تحقيق

هذه الامنية وهاأنا اليوم ألبي ذلك النداء وأضع فى مجموعة تاريخ « مصطفى » ذلك السفر النفيس وليس صنيعي فيه بأكثر من صنيع الناقل الامين على ماينقل للناس »



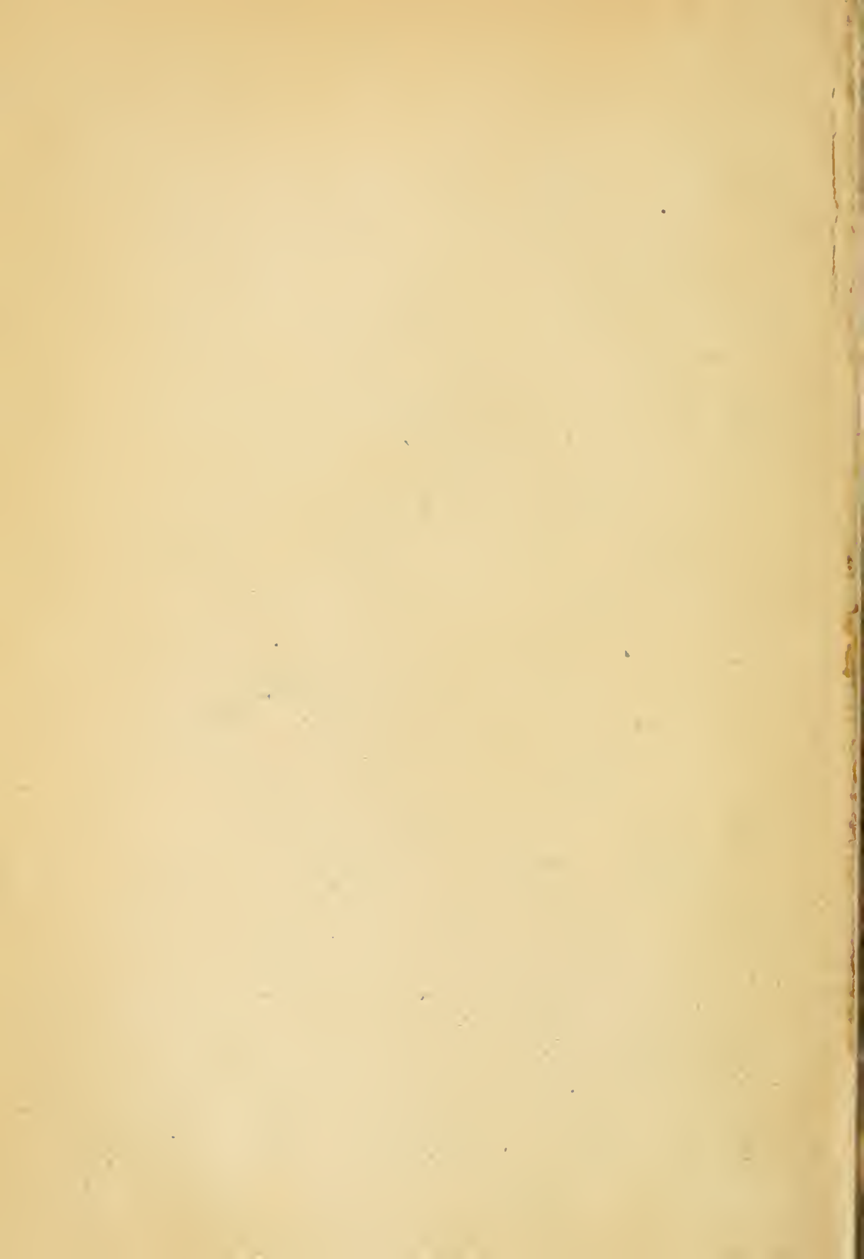


فهرس الجزء السادس

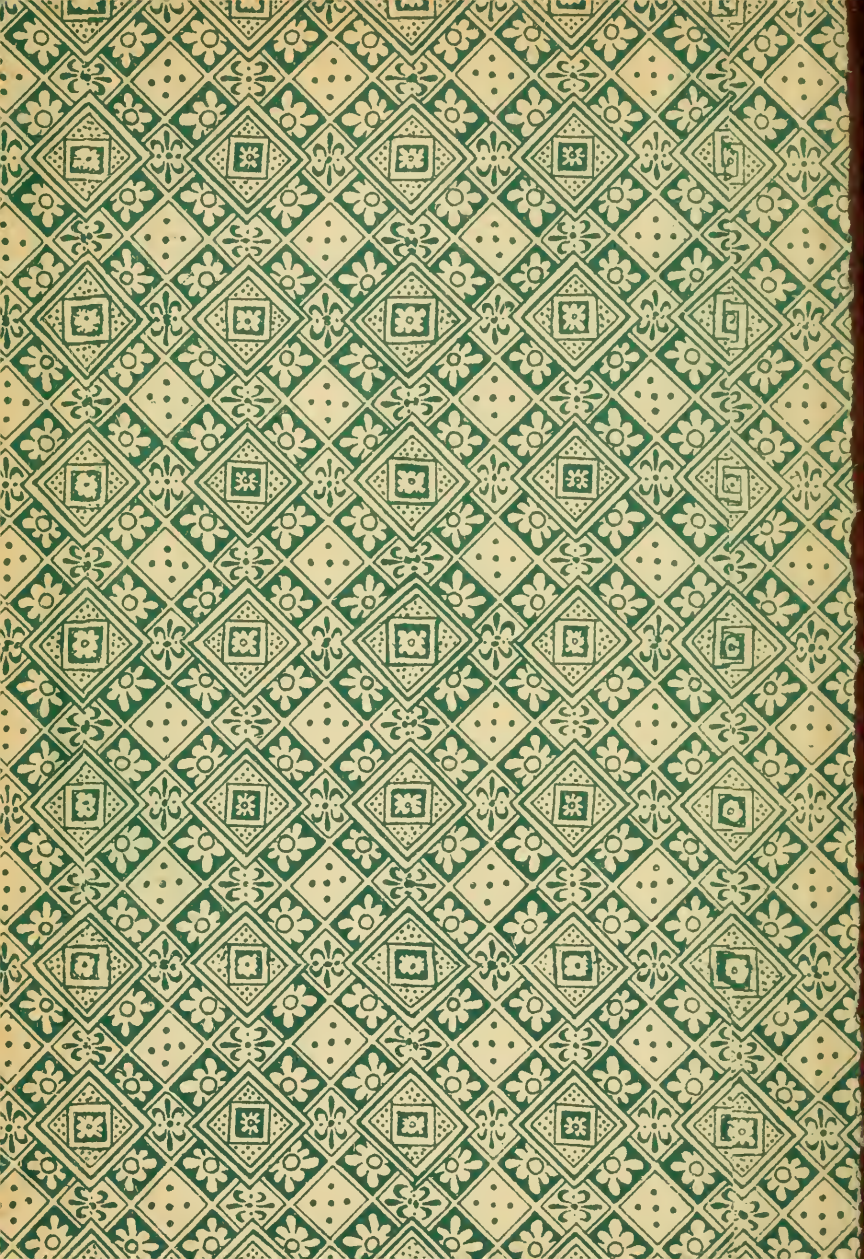
صحيفه موضوع

صحيفة موضوع










UNIVERSITY OF TORONTO
3 1761 01448337 4